شمائل الرسول

ودلائل نبوته وفضائله وخصائصه

للإمام أبي الفداء اسماعيل ابن كثير

٧٠١ - ٧٧٤ هـ

تحقيق

مصطفى عبد الواحد

دار المعرفة
للطباعة والنشر
بيروت . لبنان

شمائل الرسول

ودلائل نبوته وفضائله وخصائصه

للإمام أبي الفداء إسماعيل ابن كثير

٧٠١ — ٧٧٤ هـ

تحقيق

مصطفى عبد الواحد

دار المعرفة
للطباعة والنشر
بيروت - لبنان

تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب وبعد .

فهذا كتاب شمائل الرسول ودلائل نبوته وخصائصه وفضائله للإمام أبى الفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى المتوفى سنة ٧٧٤ هـ .

وقد رأيت الحاجة ماسة إلى تحقيقه ونشره ، بعد أن أخرجت له كتاب السيرة النبوية فى أربعة أجزاء ، منذ فترة قليلة ، وكان موضوع « شمائل الرسول » تاليا لموضوع السيرة ومن ملحقاته ، ولكنه يستقل عنه فى التصنيف ، فكتب الشمائل موضوع متميز عن السيرة ، منذ عصر التدوين حتى اليوم .

ولست بحاجة إلى أن أعيد هنا بحث موضوع استقلال قسم السيرة من كتاب البداية والنهاية عن التاريخ ، وأن ابن كثير له سيرة مطولة ، هى بالتأكيد ذلك القسم الذى أورده فى كتابه « البداية » بدليل ذكره لذلك فى تفسير سورة الأحزاب ، وذكر المترجمين له لذلك الكتاب ، فهذا موضوع أوضحته فى مقدمة كتاب السيرة [1] ، والذى نقوله هنا : إن ابن كثير بعد أن انتهى من كتاب السيرة ، ذكر كتاب الشمائل ملحقا به فقال : « وهذا أوان إيراد ما بقى علينا من متعلقات السيرة الشريفة ، وذلك أربعة كتب : الأول فى الشمائل ، والثانى فى الدلائل ، والثالث فى الفضائل ، والرابع فى الخصائص [2] . ومن هنا كنا أمام كتاب مستقل فى الموضوع والترتيب ، كان لابد من نشره وحده ، ليأخذ مكانه بين كتب الشمائل والدلائل ، مما يقتضينا أن ننظر فى قيمة ذلك الكتاب ومنهجه ومدى أصالته .

لقد أدمج ابن كثير فى هذا الكتاب ثلاثة أنواع أفردها العلماء من قبل بالتأليف ، وهى :

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير الجزء الأول ط عيسى الحلبى .   (٢) صـ ٤ من كتاب الشمائل .

١ ـ الشمائل .

وهو موضوع اهتم به علماء الإسلام منذ القدم ، فقد كان أحد أغراض كتب الحديث التي تهتم في المقام الأول بأحوال الرسول العملية في عبادته وخلقه وهديه ومعاملته ، باعتباره الأسوة الحسنة ، وباعتبار صفاته وأحواله جانبا من جوانب سنته الشريفة ومن هنا نجد كتب الصحاح والسنن والمسانيد تحوي شمائل الرسول منثورة بين أبواب العبادات والمعاملات والأخلاق والآداب والزهد والرقاق . .

ثم أفرد المحدثون والعلماء موضوع الشمائل بكتب مستقلة ، كما يقول ابن كثير نفسه : « قد صنف الناس في هذا قديما وحديثا ، كتبا مفردة وغير مفردة ومن أحسن من جمع في ذلك فأجاد وأفاد الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي رحمه الله ، أفرد في هذا المعنى كتابه المشهور بالشمائل ، ولنا به سماع متصل إليه [1] » . فماذا كان صنيع ابن كثير في هذا الغرض من كتابه ؟

لقد كان تعويله على كتاب شمائل الترمذي في المقام الأول ، ثم أضاف إليه ماورد في كتب الصحاح والمسانيد ، كما قال : « ونحن نورد عيون ما أورده فيه ، ونزيد عليه أشياء مهمة لا يستغني عنها المحدث والفقيه » .

والحق أن ماأورده ابن كثير في كتاب الشمائل يعد أوفى مايمكن جمعه في هذا الغرض إذ أنه لم يترك جانبا مما ورد في كتب الحديث في شمائل الرسول إلا وذكره . ورتب ذلك في أبواب دقيقة ، فجهده يتمثل في الجمع والإحاطة وفي دقة الترتيب وحسنه .

٢ ـ دلائل النبوة .

وهي أيضا غرض اهتم به المحدثون والعلماء منذ فجر التدوين ، ففي كتاب الصحاح نجد أبوابا مفردة تجمع بعض معجزات الرسول وتشير إلى دلائل صدقه ، فمن ذلك مانجده في صحيح البخاري في « باب علامات النبوة في الإسلام [2] » . ثم روايته لبعض المعجزات في كتاب السيرة من صحيحه ، مثل معجزة انشقاق القمر ونبع الماء وتكثير الطعام وغير ذلك .

---

(١) ص ٥ من كتاب الشمائل

(٢) صحيح البخاري ٢/ ١٤٠ ط الأميرية .

وكذلك صنع مسلم بن الحجاج القشيرى فى صحيحه أيضا فى باب معجزات الرسول وكذلك ورد فى مسند أحمد أيضا ، هذه الدلائل منثورة فى مسند كل صحابى

أما إفراد موضوع دلائل النبوة بالتأليف فقد بدأ قبل ابن كثير بأجيال ، ومن أقدم ماوصل إلينا فى ذلك كتب ثلاثة :

ا ـ « دلائل النبوة » للإمام أبى نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانى ، صاحب حلية الأولياء ، المتوفى سنة ٤٣٠ هـ .

وقد طبع مختصر لهذا الكتاب فى حيدر آباد المرة الثانية سنة ١٣٦٩ ـ ١٩٥٠ .

وفى هذا الكتاب يعرض أبو نعيم لفضائل الرسول ، ثم يتناول ذكره فى الكتب المتقدمة ، ثم يستعرض حياة الرسول صلوات الله عليه مشيرا إلى جانب المعجزة أو حجة التصديق فى كل موقف ، والكتاب تختلط فيه الأخبار الصحيحة بالواهية والمنقطعة ، على عادة جامعى الحديث والأثر .

ب ـ « أعلام النبوة[1] » لأبى الحسن على بن محمد الماوردى الشافعى المتوفى سنة ٥٠٠ هـ ويتميز باعتماده على الحجة العقلية إلى جوار ماينقله من آثار ، فيعرض حجج المانعين لنبوة محمد من اليهود والنصارى ويرد عليهم بأدلة العقل ، ثم يخلص منها إلى عرض المعجزات ، بادئا بالمعجز الأكبر وهو القرآن الكريم .

جـ ـ دلائل النبوة للبيهقى المتوفى سنة ٤٥٨ هـ وهو يعرض للمعجزات الحسية بتفصيل كثير يمتلىء بالأخبار الواهية والمكذوبة .

وقد استعرض ابن كثير هذا التراث الكثير فى موضوع الدلائل ، فأورد ما اطمأن إلى صحته أو أمكن قبوله عنده ، إلا أنه تسامح فى إيراد أخبار واهية يتطرق إليها الشك ، ومنها ماحكم بعض نقاد الحديث بوضعه كحديث كلام الصبى وشهادته بالرسالة ، وحديث الغزالة ، والحمار ، وغير ذلك .

والحق أن دلائل النبوة القاطعة تغنى عن تصيد الأخبار ورواية مايصادم العقل ، إلا

---

(١) طبع سنة ١٣١٩ هـ بالمطبعة البهية .

أن منهج ابن كثير يقوم دائما على إيراد أكثر المرويات ثم محاكمتها إلى موازين الإسناد لتمكن معرفة حالها ، وبذلك يبرئ ساحته ويخلي تبعته ، وذلك عمل لا ريب في فائدته في مجال الرواية ، إلا أن الكثيرين في هذا العصر يضيقون به ، ويودون أن لو أغفله الكاتبون والمؤلفون .

وقد امتاز ابن كثير في باب دلائل النبوة بنقله عن الإمام ابن تيمية هذا الفصل من كتابه الذي رد فيه على فرق النصارى واليهود ، وذكر في آخره دلائل النبوة ، ويصف ابن كثير مسلك ابن تيمية في باب الدلائل بأنه « سلك فيها مسالك حسنة صحيحة ، بكلام بليغ يخضع له كل من تأمله وفهمه [1] » .

وقد كان ابن كثير تلميذا لابن تيمية ، فلذلك نقل عنه وأعجب بمسلكه ، وما أقل من كان ينصف ابن تيمية في تلك الأزمان !

كذلك فقد كتب ابن كثير فصلا موجزا في إعجاز القرآن يتميز بأصالة في التفكير وقوة في الحجة ، وجعله في صدر كتاب الدلائل [2] .

ومن هنا فإن ابن كثير قد أتى بجديد في باب الدلائل ، وكان أعدل منهجا وأقوم طريقا بين الذين كتبوا فيها .

٣ ـ الخصائص والفضائل .

ذكر ابن كثير في أول الكتاب أنه سيفرد بابا للخصائص ، ولكنه لم يصنع ذلك وإن كان قد ذكر أحاديث متفرقة في بعض ما اختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم [3] .

فأما كتاب الفضائل ، فقد اقتصر فيه ابن كثير على مقارنات بين ما أوتي رسولنا صلوات الله عليه وبين ما أوتي الأنبياء قبله .

ويذكر ابن كثير أن الباعث له على عقد هذا الباب أنه وقف على مولد اختصره من سيرة الإمام محمد بن اسحاق، شيخه أبو المعالي المعروف بابن الزَّمْلكاني ، حيث ذكر في آخره شيئا من فضائل رسول الله ، ولم يره استوعب الكلام إلى آخره فسأله بعض

(١) ص ١٣٠ من هذا الكتاب . (٢) ص ١٢٠ من هذا الكتاب . (١) انظر ص ٧١ من هذا الكتاب .

أصحابه تكميله وتبويبه وترتيبه وتهذيبه ، والزيادة عليه فنشط لذلك [١] .

كما يذكر أنه سمع من شيخه الإمام الحافظ أبي الحجاج المزي أن أول من تكلم في هذا المقام الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي .

ومن هنا فقد كان تعويل ابن كثير في باب الفضائل أولا على كتاب ابن الزملكاني ثم كتاب دلائل النبوة لأبي نعيم الذي « قال في آخر كتابه في دلائل النبوة وهو في مجلدات ثلاثة : الفصل الثالث والثلاثون في ذكر موازنة الأنبياء في فضائلهم بفضائل نبينا ومقابلة ما أوتوا من الآيات بما أوتي [٢] » .

ثم على كتاب « دلائل النبوة » للفقيه أبي محمد عبد الله بن حامد ، الذي يصفه ابن كثير بقوله : « وهو كتاب حافل [٣] » ثم على كتاب « المبعث » لهشام بن عمار الذي نقل عنه ابن كثير فصلا بعنوان : « باب ما أعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أعطي الأنبياء قبله » [٤] .

وبهذا يصبح لعمل ابن كثير في باب الفضائل فضل الجمع والإحاطة ، والنقل عن كتب مفقودة ، مثل أصل كتاب « الدلائل » لأبي نعيم ، ودلائل ابن حامد و« المبعث» لهشام ابن عمار .

* * *

ومن ذلك نجد أن ابن كثير قد صنع في كتابه هذا الذي نقدمه اليوم إلى الأمة الإسلامية شيئا جديدا ، تميز به على من سبقه وأضاف إليه من فكرته وطبق عليه منهجه الدقيق في نقد الأسانيد وتتبع الطرق .

تحقيق الكتاب :

اعتمدت في تحقيق هذا الكتاب على نسخ البداية والنهاية التي اعتمدت عليها في تحقيق كتاب السيرة لابن كثير وهي :

(١) ص ٤٩٩ . (٢) ص ٥٠٧ من هذا الكتاب . (٣) ص ٥٠٩ (٤) ص ٥٤٤

١ ـ المصورة عن مخطوطة مكتبة ولى الدين بالآستانة رقم ١١١٠ تاريخ بدار الكتب المصرية .

٢ ـ المخطوطة بالمكتبة التيمورية رقم ٢٤٤٣ تاريخ .

٣ ـ المطبوعة بمطبعة السعادة سنة ١٣٥١ على نسخة محفوظة بالمكتبة الأحمدية بحلب

ثم كان لابد من عرضه على مراجع الحديث والشمائل والدلائل ، مما قوّم الأصل وجعله أدنى إلى الصواب .

وقد سرت فيه على النهج الذى سرته فى كتاب السيرة من الاقتصار على التعليقات الضرورية التى تحتاج إليها صحة النص ويتوقف عليها فهمه ، دون توسع يجعل من التحقيق حاشية تزخر بالنقل عن المراجع المعهودة . وعلى هذا فليس فى التعليق إلا شرح لغامض أو إشارة إلى خطأ وذكر للصواب ، أو بيان لدرجة حديث واه أو خبر مدسوس ، أو ذكر لفروق النسخ .

وأرجو أن يكون عملى فى هذا الكتاب قد أصابه التوفيق ، عدا مالا يمكن لبشر الاحتراز عنه من السهو والنقص ، وأرجو أن ينفع الله به وأن يكون فى نشره خدمة لتراث الإسلام وأداء لرسالته .

ومن الله العون والهداية ، وله الحمد فى الأولى والآخرة ، نعم المولى ونعم النصير .

القاهرة فى { ذى الحجة سنة ١٣٨٦ / إبريل سنة ١٩٦٧ }

مصطفى عبد الواحد

شمائل الرسول

ودلائل نبوته وفضائله وخصائصه

للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير

فصل

وهذا أوانُ إيراد ما بقى علينا من متعلَّقات السيرة الشريفة ، وذلك أربعة كتب

الأول في الشمائل

الثانى فى الدلائل

الثالث فى الفضائل

الرابع فى الخصائص

وبالله المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم .

كِتابُ الشمائِل

بسم الله الرحمن الرحيم

شمائل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبيان خَلْقه الظاهر وخُلُقه الطاهر

قد صنَّف الناس فى هذا قديما وحديثا كتباً كثيرة مفردة وغير مفردة .

ومن أحسن من جمع فى ذلك فأجاد وأفاد الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى رحمه الله ، أفرد فى هذا المعنى كتابه المشهور بالشمائل ، ولنا به سماع متصل إليه .

ونحن نورد عيونَ ما أورده فيه ، ونزيد عليه أشياء مهمة لا يستغنى عنها المحدِّث والفقيه .

ولنذكر أولا بيان حُسنه الباهر الجميل ، ثم نشرع بعد ذلك فى إيراد الجمل والتفاصيل ، فنقول والله حسبنا ونعم الوكيل :

باب
ماورد فى حسنه الباهر بعد ما تقدَّم من بيان حسَبه الطاهر

قال البخارى : حدثنا أحمد بن سعيد أبو عبد الله ، حدثنا إسحاق بن منصور ، حدثنا إبراهيم بن يوسف ، عن أبيه ، عن أبى إسحاق : قال : سمعت البَراء بن عازب يقول : كان النبى صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً ، وأحسنَهم خُلقا ، ليس بالطويل البائن ، ولا بالقصير

وهكذا رواه مسلم ، عن أبى كُرَيب ، عن إسحاق بن منصور .

وقال البخارى : حدثنا حفص بن عمر ، حدثنا شُعبة ، عن أبى إسحاق ، عن البراء ابن عازب ، قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم مَرْبُوعا[1] ، بعيدَ ما بين المنكبين ،

---

(١) المربوع : ما بين الطويل والقصير .

له شَعر يبلغ شَحْمةَ أذنيه ، رأيته فى حُلّة حمراء لم أر شيئا قط أحسنَ منه .

قال يوسف بن أبى إسحاق ، عن أبيه : إلى مَنْكبيه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وَكيع ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن البراء قال : ما رأيت من ذى لِمَّة[1] أحسن فى حُلة حمراء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، له شعر يضرب منكبيه ، بعيد ما بين المنكبين ، ليس بالطويل ولا بالقصير .

وقد رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى من حديث وَكيع به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا إسرائيل ، أخبرنا أبو إسحاق . ح وحدثنا يحيى بن أبى بُكير ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق قال : سمعت البراء يقول : ما رأيت أحداً من خَلق الله أحسن فى حُلة حمراء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن جُمّته لتضرب إلى منكبيه .

قال ابن أبى بُكير : لتَضرب قريبا من منكبيه .

قال : ـ يعنى أبا إسحاق ـ وقد سمعته يحدّث به مِراراً ما حدّث به قط إلا ضحك .

وقد رواه البخارى فى اللباس ، والترمذى فى الشمائل ، والنسائى فى الزينة من حديث إسرائيل به .

وقال البخارى : حدثنا أبو نُعيم ، حدثنا زهير ، عن أبى إسحاق قال سئل البَراء ابن عازب : أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلَ السيف[2] ؟ قال : لا بل مثل القمر .

---

(١) اللمة من شعر الرأس دون الجمة ، سميت بذلك لأنها ألمت بالمنكبين ، فإذا زادت فهى الجمة .
(٢) مثل السيف : يريد فى صقاله .

ورواه الترمذى من حديث زهير بن معاوية الجعفى الكوفى ، عن أبى إسحاق السبيعى ، واسمه عمرو بن عبد الله الكوفى ، عن البراء بن عازب به وقال : حسن صحيح .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقى فى الدلائل : أخبرنا أبو الحسن بن الفضل القطان . ببغداد ، أخبرنا عبد الله بن جعفر بن درستويه ، حدثنا أبو يوسف يعقوب بن سفيان ، حدثنا أبو نُعَيم وعبد الله ، عن إسرائيل ، عن سِمَاك ، أنه سمع جابر بن سَمُرة قال له رجل: أ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه مثل السيف ؟ قال : لا ؛ بل مثل الشمس والقمر مستديراً .

وهكذا رواه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة ، عن عبيد الله بن موسى به .

* * *

وقد رواه الإمام أحمد مطولا فقال : حدثنا عبد الرزاق ؛ أخبرنا إسرائيل ؛ عن سماك أنه سمع جابر بن سمرة يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شَمِط[1] مُقدَّم رأسه ولحيتهُ ؛ فإذا ادَّهن ومشَّطهن لم يُتبين ؛ وإذا شَعِث رأسُه تبيّن ؛ وكان كثير الشعر واللحية . فقال رجل : وجهه مثل السيف ؟ قال : لا بل مثل الشمس والقمر مستديراً .

قال : ورأيت خاتمه عند كتفه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده .

وقال الحافظ البيهقى : أخبرنا أبو طاهر الفقيه ؛ أخبرنا أبو حامد بن بلال ؛ حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسى ؛ حدثنا المحاربى ؛ عن أشعث ؛ عن أبى إسحاق ؛ عن جابر ابن سمرة قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة إضْحِيان[2] وعليه حلة

---

(١) شمط : أبيض . والشمط بياض الرأس يخالطه سواده .
(٢) الإضحيان : المضيئة .

حمراء ، فجعلت أنظر إليه وإلى القمر فَلهو كان أحسن فى عينى [1] من القمر .

وهكذا رواه الترمذى والنسائى جميعا عن هَنَّاد بن السَّرِى ، عن عَبْثر بن القاسم ، عن أشعث بن سَوَّار .

وقال النسائى : وهو ضعيف ؛ وقد أخطأ ، والصواب : أبو إسحاق عن البراء .

وقال الترمذى : هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث أشعث بن سوار ؛ وسألت محمد بن إسماعيل – يعنى البخارى – قلت : حديث أبى إسحاق عن البراء أصح أم حديثه عن جابر ؟ فرأى كلا الحديثين صحيحا .

وثبت فى صحيح البخارى عن كعب بن مالك فى حديث التوبة قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُرَّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر ؛ وقد تقدم الحديث بتمامه [2]

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا سعيد ، حدثنا يونس بن أبى يَعْفور العَبْدى ؛ عن أبى إسحاق الهَمْدانى ؛ عن امرأة من همدان سَمّاها ، قالت حججت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته على بعير له يطوف بالكعبة بيده مِحْجَن عليه بُردان أحمران يكاد يمس شَعْرُه [3] منكبه ؛ إذا مَرَّ بالحجر استلمه بالمِحْجن ثم يرفعه إليه فيقبّله .

قال أبو إسحاق : فقلت لها : شَبِّهيه . قالت : كالقمر ليلة البدر ، لم أر قبله ولا بعده مثله .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا إبراهيم بن المنذر ؛ حدثنا عبد الله بن موسى التيمى ، حدثنا أسامة بن زيد ؛ عن أبى عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر ، قال : قلت للرُّبَيِّع بنت مُعوِّذ : صِفى لى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : يابنى لو رأيته رأيت الشمسَ طالعة .

ورواه البيهقى من حديث يعقوب بن محمد الزهرى ، عن عبد الله بن موسى التيمى بسنده فقالت : لو رأيته لقلت الشمس طالعة .

وثبت فى الصحيحين من حديث الزهرى عن عروة ، عن عائشة قالت : دخل علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مسروراً تبرق أسارير وجهه . الحديث .

(١) المطبوعة : فلهو عندى أحسن من القمر . (٢) سبق ذلك فى الجزء الرابع من السيرة .
(٣) من المواهب ٤/٧٨ .

صفة لَوْن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال البخاري : حدثنا يحيي بن بُكَير ، حدثنا الليث ، عن خالد ، هو ابن يزيد ، عن سعيد ـ يعني ابن هلال[1] ـ عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، قال : سمعت أنس بن مالك يصف النبي صلى الله عليه وسلم قال : كان رَبْعة من القوم ليس بالطويل ولا بالقصير ، أَزْهَرَ[2] اللون ، ليس بأبيض أَمْهَق ولا بآدم ؛ ليس بجَعْد قَطَط ولا سَبْطٍ ، رَجِلٌ ؛ أُنزل عليه وهو ابن أربعين ، فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه وبالمدينة عشر سنين[3] ، وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء .

قال ربيعة : فرأيت شَعراً من شعره فإذا هو أحمر ؛ فسألت فقيل : احمرَّ من الطِّيب .

ثم قال البخاري : حدثنا عبد الله بن يوسف ؛ أخبرنا مالك بن أنس ؛ عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ؛ عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أنه سمعه يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير ؛ وليس بالأبيض الأَمْهَق ولا بالآدم ؛ وليس بالجَعْد القَطَط ؛ ولا بالسَّبْط ؛ بعثه الله على رأس أربعين سنة ؛ فأقام بمكة عشر سنين ؛ وبالمدينة عشر سنين ؛ فتوفاه الله [على رأس ستين سنة[4]] وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء .

وكذا رواه مسلم ، عن يحيي بن يحيي ، عن مالك . ورواه أيضا عن قتيبة ويحيي بن

---

(١) صحيح البخاري ٢/١٣٨ : ابن أبي هلال .

(٢) الأزهر : المشرق اللون ، المشرب بياضه حمرة . والأمهق : الأبيض لا تخالطه حمرة ، وليس بنير ولكنه كالجص . والآدم : الأسمر . والجعد : خلاف السبط . والقطط : الشديد الجعودة . والسبط : المسترسل ، والرجل : ما بين السبوطة والجعودة . وقوله : « رجل » خبر لمبتدأ محذوف .

(٣) ا : وبالمدينة عشراً

(٤) من ا وليست في صحيح البخاري .

أيوب وعلى بن حُجْر ، ثلاثتهم عن إسماعيل بن جعفر ؛ وعن القاسم بن زكريا ؛ عن خالد بن مَخْلَد ؛ عن سليمان بن بلال ، ثلاثتهم عن ربيعة به .

ورواه الترمذى والنسائى جميعا عن قتيبة ، عن مالك به . وقال الترمذى : حسن صحيح .

قال الحافظ البيهقى : ورواه ثابت عن أنس فقال : كان أزهرَ اللون . قال : ورواه حُميد كما أخبرنا .

* * *

ثم ساق بإسناده عن يعقوب بن سفيان ؛ حدثنى عمرو بن عون وسعيد بن منصور ، قالا : حدثنا خالد بن عبد الله ؛ عن حُميد الطويل ؛ عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسمر اللون

وهكذا روى هذا الحديث الحافظ أبو بكر البزار ، عن على ، عن خالد بن عبد الله ، عن حميد ، عن أنس . قال : وحدثناه محمد بن المثنَّى قال : حدثنا عبد الوهاب ؛ قال : حدثنا حُميد ، عن أنس قال : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل ولا بالقصير ؛ وكان إذا مشى تَكَفَّأَ ، وكان أسمر اللون .

ثم قال البزار : لا نعلم رواه عن حميد إلا خالد وعبد الوهاب .

ثم قال البيهقى رحمه الله : وأخبرنا أبو الحسين بن بشران ، أخبرنا أبو جعفر البزار ، حدثنا يحيى بن جعفر ؛ حدثنا على بن عاصم ، حدثنا حميد ، سمعت أنس بن مالك يقول . فذكر الحديث فى صفة النبى صلى الله عليه وسلم ؛ قال : كان أبيض بياضه إلى السمرة .

قلت : وهذا السياق أحسن من الذى قبله ؛ وهو يقتضى أن السُّمرة التى كانت تعلو وجهَه عليه السلام من كثرة أسفاره وبروزه للشمس . والله أعلم .

فقد قال يعقوب بن سفيان الفَسَوى أيضا : حدثنى عمرو بن عون وسعيد بن منصور ، قالا : حدثنا خالد بن عبد الله بن الجُرَيْرى ؛ عن أبى الطفيل ، قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم ولم يبق أحد رآه غيرى . فقلنا له : صف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : كان أبيضَ مَليح الوجه .

ورواه مسلم عن سعيد بن منصور به .

ورواه أيضا أبو داود من حديث سعيد بن إياس الجُرَيْرى ، عن أبى الطفيل عامر ابن واثلة الليثى ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض مَلِيحا ، إذا مشى كأنما ينحطّ فى صَبُوب[1] .

لفظ أبى داود .

وقال الإمام أحمد : حدثنا زيد بن هارون ؛ أخبرنا الجريرى ، قال : كنت أطوف مع أبى الطفيل فقال : ما بقى أحد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم غيرى . قلت : ورأيته ؟ قال : نعم . قال : قلت : كيف كانت صفته ؟ قال : كان أبيض مَليحا مُقَصَّداً[2] .

وقد رواه الترمذى عن بندار وسفيان بن وكيع ، كلاهما عن يزيد بن هارون به .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا عبد الله بن جعفر أو أبو الفضل محمد بن إبراهيم ، حدثنا أحمد بن سلمة ، حدثنا واصل بن عبد الأعلى الأسدى ، حدثنا محمد بن فُضَيل ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى جُحَيفة قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض قد شاب ، وكان الحسن بن على يُشبهه .

---

(١) الصبوب : قال فى النهاية ٢/٢٦٩ : يروى بالفتح والضم . فالفتح اسم لما يصب على الإنسان من ماء وغيره كالطهور ، وبالضم : جمع صبب والصبب : الوضع المنحدر .

(٢) المقصد : [illegible] ليس بالجسيم ولا الضئيل .

ثم قال : رواه مسلم ، عن واصل بن عبد الأعلى ، ورواه البخارى عن عمرو بن على عن محمد بن فضيل .

وأصل الحديث كما ذكر فى الصحيحين ، ولكن بلفظ آخر . كما سيأتى .

* * *

وقال محمد بن إسحاق ، عن الزهرى ، عن عبد الرحمن بن مالك بن جُعْشُم ، عن أبيه ، أن سراقة بن مالك قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما دنوت منه وهو على ناقته ، جعلت أنظر إلى ساقه كأنها جُمّارة (١) .

وفى رواية يونس عن ابن إسحاق : والله لكأنى أنظر إلى ساقه فى غَرْزِه كأنها جُمَّارة .

قلت : يعنى من شدة بياضها كأنها جمارة طَلْع النخل .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان بن عُيَينة ، عن إسماعيل بن أمية عن مولى لهم — مزاحم بن أبى مزاحم — عن عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أُسيد ، عن رجل من خزاعة يقال له : مُحَرِّش أو مُخَرِّش ، لم يكن سفيان يقف على اسمه ، وربما قال مُحَرِّش (٢) ولم أسمعه أنا ، أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج من الجِعْرانة ليلا فاعتمرَ ثم رجع فأصبح بها كبائت ، فنظرتُ إلى ظهره كأنه سَبِيكة فضة .

تفرد به أحمد . وهكذا رواه يعقوب بن سفيان عن الحميدى ، عن سفيان ابن عُيينة .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن العلاء ، حدثنى عمرو بن الحارث ، حدثنى عبد الله بن سالم ، عن الزبيدى ، أخبرنى محمد بن مسلم ، عن سعيد

(١) الجمارة : شحم النخل .

(٢) هو محرش بن سويد بن عبدالله بن مرة الخزاعى . قال الزمخشرى : الصواب بالخاء ، وانظر شرح المواهب للزرقانى ٤ / ٢٢٠ .

بن المسيَّب ، أنه سمع أبا هريرة يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كان شديد البياض .

وهذا إسناد حسن ، ولم يخرجوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا عبد الله بن لَهيعة ، حدثنا أبو يونس سليم بن جبير مولى أبي هريرة ، أنه سمع أبا هريرة يقول : ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كأن كأن الشمس تَجْرى فى جبهته ، وما رأيت أحداً أسرعَ فى مشيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الأرض تُطوى له ، إنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مُكْتَرِث .

ورواه الترمذى عن قتيبة ، عن ابن لَهيعة به ، وقال : كأن الشمس تَجْرى فى وجهه ، وقال : غريب .

ورواه البيهقى من حديث عبد الله بن المبارك ، عن رشدين بن سعد المصرى ، عن عمرو بن الحارث ، عن أبى يونس ، عن أبى هريرة ، وقال : كأنما الشمس تَجْرى فى وجهه .

وكذلك رواه ابن عساكر من حديث حَرْمَلة ، عن ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن أبى يونس ، عن أبى هريرة فذكره وقال : كأنما الشمس تجرى فى وجهه .

وقال البيهقى : أخبرنا على بن أحمد بن عَبْدَان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصَّفار ، حدثنا إبراهيم بن عبد الله ، حدثنا حجاج ، حدثنا حماد ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن محمد بن على – يعنى ابن الحنفية – عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَزْهَر اللون [1] .

---

(١) الأزهر : الأبيض المستنير

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا المسعودي ، عن عثمان بن عبد الله بن هُرْمُز ، عن نافع بن جُبَير ، عن علي بن أبي طالب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مُشْربا وجهه حُمرة .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا ابن الأصبهاني ، حدثنا شَرِيك ، عن عبد الملك ابن عُمير ، عن نافع بن جبير ، قال : وصف لنا عليٌّ النبي صلى الله عليه وسلم فقال : كان أبيض مشرب الحمرة .

وقد رواه الترمذي بنحوه من حديث المسعودي ، عن عثمان بن مسلم ، عن هُرْمز ، وقال : هذا حديث صحيح ، قال البيهقي : وقد روى هكذا عن علي من وجه آخر .

قلت : رواه ابن جُرَيج عن صالح بن سعيد ، عن نافع بن جبير ، عن علي ، قال البيهقي : ويقال : إن المشرَب فيه حُمْرة ماضَحا للشمس والرياح ، وماتحت الثياب فهو الأبيض الأزهر .

صفة وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر محـــــاسنه
من فَرْقه وجبينه وحاجبيه وعينيه وأنفه وفمه وثناياه
وماجرى مجرى ذلك من محاسن طَلْعته ومُحيّاه

قد تقدم قول أبى الطُّفَيل : كان أبيض مَلِيح الوجه . وقول أنس : كان أزهَر اللون . وقول البرَاء : وقد قيل له : أ كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف ؟ — يعنى فى صِقَاله — فقال : لا ، بل مثل القمر . وقول جابر بن سَمُرة وقد قيل له مثل ذلك ، فقال : لا ، بل مثل الشمس والقمر مستديراً . وقول الربيع بنت مُعوّذ : لو رأيته لقلت الشمس طالعة ، وفى رواية : لرأيت الشمسَ طالعة .

وقال أبو إسحاق السَّبِيعى عن امرأة من هَمْـدان ، حجَّت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عنه فقالت : كان كالقمر ليلة البدر ، لم أر قبله ولا بعده مثلَه .

وقال أبو هريرة : كأن الشمس تَجْرى فى وجهه . وفى رواية : فى جبهته .

وقال الإمام أحمد : حـدثنا عفان وحسن بن موسى ، قالا : حدثنا حماد وهو ابن سَلَمة ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن محمد بن على ، عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضَخْم الرأس عظيمَ العينين أهْدَب [1] الأشْفَار ، مُشْرَب العينين بحمرة ، كَثَّ اللحية ، أزْهَر اللون ، شَثْن [2] الكفين والقدمين ، إذا مشى كأنما يمشى فى صُعُد [3] ، وإذا التفتَ التفت جميعا .

تفرد به أحمد .

وقال أبو يعلى : حدثنا زكريا ويحيى الواسطىّ ، حدثنا عَبَّاد بن العوام ، حدثنا

---

(١) الأهدب : الكثير الهدب ، وهو شعر أشفار العين .

(٢) الشثن : الغليظ . (٣) الصعد : المواضع المرتفعة .

الحجاج ، عن سالم المكى ، عن ابن حنفية ، عن على أنه سئل عن صفة النبى صلى الله عليه وسلم فقال : كان لا قصيراً ولا طويلا ، حسَن الشعر رَجِلهُ ، مُشْرَبا وجهه حُمرة ، ضَخْم الكَراديس (١) ، شَثْن الكعبين والقدمين ، عظيم الرأس ، طويل المَسْرُبة ، لم أر قبله ولا بعده مثله ، إذا مشى تكفَّأ كأنما ينزل من صبَبَ .

***

وقال محمد بن سعد عن الواقدى : حدثنى عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب ، عن أبيه ، عن جده ، عن على قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن ، فإنى لأخطب يوماً على الناس وحَبْر من أحبار يهود واقف فى يده سِفر ينظر فيه ، فلما رآنى قال : صِفْ لنا أبا القاسم .

فقال على : رسول الله ليس بالقصير ولا بالطويل البائن ، وليس بالجَعْد القطَط ولا بالسَّبِط ، هو رَجِلُ الشعر أسوده ، ضخم الرأس ، مُشرب لونه حمرة ، عظيم الكَراديس ، شَثْن الكفَين والقدمين ، طويل المَسْرُبة ، وهو الشَّعر الذى يكون من النَّحْر إلى السرة ، أهدَب الأشفار ، مَقْرون الحاجبين ، صَلْت الجبين ، بعيد ما بين المنكبين ، إذا مشى تكفَّأ كأنما يَنزل من صَبَب ، لم أر قَبله مثله ، ولا بعده مثله .

قال علىّ : ثم سكتُّ . فقال لى الحبر : وماذا؟ قال على : هذا ما يحضرنى ، قال الحبر : فى عينيه حُمرة ، حسن اللحية ، حسن الفم تام الأذنين ، يُقْبل جميعا ويُدْبِر جميعا ، فقال على : والله هذه صفته ، قال الحبر : [وشىء آخر (٢)] قال على : وماهو ؟ قال الحبر : وفيه جَنَأ (٣) . قال على : هو الذى قلت لك . كأنما ينزل من صَبَب .

قال الحبر : فإنى أجد هذه الصفة فى سفر آبائى ونجده يُبعث فى حرَم الله وأمْنه وموضع بيته ، ثم يهاجر إلى حرم يحرِّمه هو ، ويكون له حُرْمة كحرمة الحرم الذى

(١) الكراديس : جمع كردوسة ، وهى كل عظمين التقيا فى مفصل أو هى رءوس العظام .
(٢) طبقات ابن سعد ٢ : ١٠٧ ط الثقافة الإسلامية (٣) الجنأ : إشراف الكاهل على الصدر .

حرم الله ، ومجدُ أنصاره الذين هاجر إليهم قوما من ولد عمر بن عامر أهل نخل ، وأهلُ الأرض قبلهم يهود .

قال على : هو هو ، وهو رسول الله. قال الحبر : فإنى أشهد أنه نبي وأنه رسول الله إلى الناس كافةً ، فعلى ذلك أَحْيا وعليه أموت وعليه أُبعث إن شاء الله .

قال : فكان يأتى علياً فيعلمه القرآن ويخبره بشرائع الإسلام ، ثم خرج علىٌّ والحبر هنالك ، حتى مات فى خلافة أبى بكر وهو مؤمن برسول الله صلى الله عليه وسلم مصدِّق به .

وهذه الصِّفة قد وردت عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب من طرق متعددة سيأتى ذكرها .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا خالد بن عبد الله ، عن عبيد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب ، عن أبيه ، عن جده قال : سئل أو قيل لعلى : انعت لنا رسولَ الله . فقال : كان أبيض مُشْرَبا بياضه حمرة ، وكان أسود الحدَقة أهدبَ الأشفار .

قال يعقوب : وحدثنا عبد الله بن سلمة وسعيد بن منصور قالا : حدثنا عيسى ابن يونس ، حدثنا عمر بن عبد الله مولى عفرة ، عن إبراهيم بن محمد من ولد على قال : كان على إذا نعت رسول الله قال : كان فى الوجه تدوير أبيض أَدْعَج العينين أهدب الأشفار .

قال الجوهرى : الدَّعَج : شدة سواد العينين مع سعتها .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا شُعبة ، أخبرنى سِماك ، سمعت جابر بن سمرة يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَشْهَلَ العينين مَنْهوس [1] العَقِب ضَلِيع الفم .

(١) المنهوس : القليل اللحم .

هكذا وقع فى رواية أبى داود عن شُعبة : أشهلَ العينين .

قال أبو عبيد : والشُّهلة حُمرة فى سواد العين . والشُّكلة حُمرة فى بياض العين .

قلت : وقد روى هـذا الحديث مسلمٌ فى صحيحه عن أبى موسى وبندار ، كلاهما عن أحمد بن مَنيع ، عن أبى قطن ، عن شعبة به . وقال : أشكل العينين . وقال : حسن صحيح .

ووقع فى صحيح مسلم تفسير الشُّكلة بطول أشفار العينين ، وهو من بعض الرواة ، وقول أبى عبيد : حُمرة فى بياض العين . أشهرُ وأصحّ ، وذلك يدل على القوة والشجاعة . والله تعالى أعلم .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنى عمرو بن الحارث ، حدثنى عبد الله بن سالم ، عن الزبيدى ، حدثنى الزهرى ، عن سعيد بن المسيّب ، أنه سمع أبا هريرة يصف رسول الله فقال : كان مُفَاضَ الجبين أهدبَ الأشفار .

* * *

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو غسان ، حدثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العِجْلى ، حدثنى رجل بمكة ، عن ابن لأبى هالة التميمى ، عن الحسن بن على ، عن خاله قال : كان رسول الله واسع الجبين أزجّ الحواجب سوابغَ فى غير قَرَن بينهما عِرْق يُدرّه الغضب أقنَى العِرنين . له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشمّ ، سهل الخدين ضَليع الفم ، أشنَب مُفَلَّج الأسنان .

وقال يعقوب ، حدثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثنا عبد العزيز بن أبى ثابت الزهرى ، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة ، عن عمه موسى بن عُقْبة ، عن كُرَيب ، عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله أفلجَ الثَّنيّتين ، وكان إذا تكلم رُئى كالنور بين ثناياه .

ورواه الترمذى عن عبد الله بن عبد الرحمن ، عن إبراهيم بن المنذر به .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا عَبَّاد بن حجَّاج ، عن سِماك ، عن جابر ، عن سمرة ، قال : كنت إذا نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : أكحل العينين وليس بأكحل ، وكان فى ساق رسول الله حُمُوشة[1] ، وكان لايضحك إلا تبسما .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنى مُجَمِّع بن يحيى ، عن عبد الله بن عمران الأنصارى ، عن على والمسعودى ، عن عثمان بن عبد الله ، عن هُرْمُز ، عن نافع بن جبير ، عن على قال : كان رسول الله ليس بالقصير ولا بالطويل ، ضخم الرأس واللحية شَثْن الكفين والقدمين والكَرَاديس مُشْرَبا وجهه حُمرة ، طويل المَسْرُبَة ، إذا مشى تكفَّأ كأنما يُقْلَع من صخر ، لم أر قبله ولا بعده مثله .

قال ابن عساكر : وقد رواه عبد الله بن داود الخُرَيْبى ، عن مجمع ، فأدخل بين ابن عمران وبين على رجلا غير مسمّى .

ثم أسند من طريق عمرو بن على الفَلَّاس ، عن عبد الله بن داود ، حدثنا مجمع بن يحيى الأنصارى ، عن عبد الله بن عمران ، عن رجل من الأنصار ، قال : سألت على بن أبى طالب وهو مُحْتَبٍ بحمَالة سيفه فى مسجد الكوفة عن نَعْت رسول الله . فقال : كان أبيض اللون مُشربا حُمرة أدعَج العينين سَبْط الشعر دقيق المَسْرُبة ، سهل الخد كَثّ اللحية ذا وَفْرة كأن عنقه إبريق فضة ، له شعر من لَبَّته إلى سُرَّته كالقضيب ، ليس فى بطنه ولا صدره شعر غيره ، شَثْن الكفين والقدم إذا مشى كأنما يَنْحدر من صَبَب وإذا مشى كأنما يتقلَّع من صخر ، وإذا التفت التفت جميعا ، ليس بالطويل ولا بالقصير ولا العاجز ولا اللئيم كأن عَرَقه فى وجهه اللؤلؤ ، ولَرِيحُ عرقه أطيب من المسك الأذْفَر[2] ، لم أر قبله ولا بعده مثله .

(١) الحموشة : دقة فى الساقين . (٢) الأذفر : الجيد إلى الغاية .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا سعيد بن منصور : حدثنا نوح بن قيس الحُدَّانى، حدثنا خالد بن خالد التميمى ، عن يوسف بن مازن المازنى ، أن رجلا قال لعلى : ياأمير المؤمنين انعت لنا رسولَ الله . قال : كان أبيض مُشْرَبا حُمرةً ، ضخم الهامة أغرّ أبلَج أهدبَ الأشفار .

***

وقال الإمام أحمد: حدثنا أسود بن عامر، حدثنا شَريك ،عن ابن عمير قال شريك: قلت له عَمَّن ياأبا عمير ؟ قال : عن نافع بن جبير، عن أبيه عن على ، قال : كان رسول الله ضَخم الهامة مُشْرَبا حمرة ، شَثْن الكفين والقدمين ، ضخم اللحية طويل المَسْرُبة ، ضخم الكراديس ، يمشى فى صَبَب ، يتكفأ فى المشية ، لا قصير ولا طويل ، لم أر قبله مثله ولا بعده .

وقد روى لهذا شواهد كثيرة عن على ، وروى عن عمر نحوه .

وقال الواقدى : حدثنا بُكير بن مِسْمار ، عن زياد بن أسْعَد قال : سألت سَعْد بن أبى وقاص : هل خضَب رسولُ الله ؟ قال : لا ،ولا هَمّ به ، كان شيبه فى عنفقته و ناصيته لوأشاء أن أعدّها لعددتها .

قلت : فما صفته ؟قال : كان رجلا ليس بالطويل ولا بالقصير، ولا بالأبيض الأمْهَق، ولا بالآدَم ، ولا بالسّبط ولا بالقَطَط ، وكانت لحيته حَسنة وجبينه صَلْتاً(١)، مشربا بحمرة، شَثْن الأصابع ، شديد سواد الرأس واللحية .

وقال الحافظ أبو نُعيم الأصبهانى : حدثنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن أحمد بن فارس ، حدثنا يحيى بن حاتم العسكرى ، حدثنا بِشر بن مهران ، حدثنا شَريك ، عن عثمان بن المغيرة ، عن زيد بن وهب ، عن عبدالله بن مسعود قال : إن أول شىء علِمته من رسول الله قدِمتُ مكةَ فى عمومة لى ، فأرشدونا إلى العباس بن عبد المطلب فانتهينا إليه،

(١) الصلت : الواسع .

وهو جالس إلى زمزم ، فجلسنا إليه ، فبينا نحن عنده إذ أقبل رجل من باب الصفا أبيض تعلوه حمرة له وَفْرة جَعْدة إلى أنصاف أذنيه ، أَقْنَى الأنف ، برّاق الثَّنايا ، أَدْعَج العينين كَثّ اللحية ، دقيق المَسْرُبة شَثْن الكفين والقدمين ، عليه ثوبان أبيضان ، كأنه القمر ليلة البدر .

وذكر تمام الحديث وطوافه عليه السلام بالبيت وصلاته عنده هو وخديجة وعلى بن أبى طالب ، وأنهم سألوا العباس عنه فقال : هذا هو ابن أخى محمد بن عبد الله ، وهو يزعم أن الله أرسله إلى الناس .

وقال الإمام أحمد : حدثنا جعفر ، حدثنا عوف بن أبى جميلة ، عن يزيد الفارسى قال : رأيت رسول الله فى النوم فى زمن ابن عباس قال : وكان يزيد يكتب المصاحف ، قال : فقلت لابن عباس : إنى رأيت رسول الله فى النوم ، قال ابن عباس : فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « إن الشيطان لا يستطيع أن يتشبّه بى ، فمن رآنى فى النوم فقد رآنى » هل تستطيع أن تنعت لنا هذا الرجل الذى رأيت ؟

قال : قلت : نعم ، رأيت رجلا بين الرَّجُلين جسمه ولحمه ، أسمر إلى البياض ، حسَن الضحك ، أكحل العينين ، جميل دوائر الوجه ، قد ملأت لحيتُه من هذه إلى هذه ، حتى كادت تملأ نحره .

قال عوف : لا أدرى ما كان مع هذا من النعت . قال . فقال ابن عباس : لو رأيتَه فى فى اليقظة ما استطعت أن تَنْعته فوقَ هذا .

وقال محمد بن يحيى الذُّهْلى : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا مَعْمَر ، عن الزهرى قال : سئل أبو هريرة عن صفة رسول الله فقال : أحسن الصِّفة وأجملها كان رَبْعَةً إلى الطول ماهو[1] ، بعيدٌ ما بين المنكبين أَسِيل الخدين ، شديد سواد الشعر ، أكحل العين ، أهدب الأشفار ، إذا وطىء بقدمه وطىء بكلّها ، ليس لها أخمص ، إذا وضع رداءه

---

(١) كذا بالأصل .

على منكبيه فكأنه سَبيكة فضة ، وإذا ضحك كاد يتلألأ فى الجُدُر[1] ، لم أر قبله ولا بعده مثله .

وقد رواه محمد بن يحيى من وجه آخر متصل فقال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ـ يعنى الزُّبيدى ـ حدثنى عمرو بن الحارث ، عن عبد الله بن سالم ، عن الزبيدى ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيّب ، عن أبى هريرة فذكر نحو ماتقدم .

ورواه الذهلى ، عن إسحاق بن راهويه عن النضر بن شُمَيل ، عن صالح ، عن أبى الأخضر ، عن الزهرى عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة . قال : كان رسول الله كأنما صِيغ من فضة ، رَجْل الشعر ، مُفاض البطن ، عظيم مُشَاش[2] المنكبين ، يطأ بقدمه جميعا ، إذا أقبل أقبل جميعا ، وإذا أدْبَر أدبر جميعا .

ورواه الواقدى : حدثنى عبد الملك ، عن سعيد بن عبيد بن السباق ، عن أبى هريرة قال : كان رسول الله شَثْن القدمين والكفين ، ضخم الساقين ، عظيم الساعدين ، ضخم العضدين والمنكبين ، بعيدَ ما بينهما ، رَحْب الصدر ، رَجِل الرأس ، أهدَب العينين ، حسن الفم ، حسن اللحية ، تامّ الأذنين ، رَبْعة من القوم ، لاطويل ولا قصير ، أحسن الناس لونا ، يُقْبِل معاً ويُدْبِر معا ، لم أر مثله ولم أسمع بمثله .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقى : أخبرنا أبو عبد الرحمن السُّلَمى ، حدثنا أبو الحسن المحمودى المروزى ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن على الحافظ ، حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا عثمان بن عمر ، حدثنا حَرْب بن سُرَيْج ، صاحب الخُلْقان ، حدثنى رجل من بَلْعَدَوِيّة[3] ، حدثنى جدى قال : انطلقت إلى المدينة أذكر الحديث فى رؤية رسول الله قال : فإذا رجل حسن الجسم عظيم الجُمّة ، دقيق الأنف دقيق الحاجبين ، وإذا من لَدُنْ نحره إلى سُرّته كالخيط الممدود ، شَعْر ، ورأيته بين طِمْرين[4] فدنا منى وقال : السلام عليك .

---

(١) الجدر : جمع جدار ، وهو الحائط ، أى يشرق نوره عليها إشراقا كالشمس .
(٢) المشاش : رءوس العظام . (٣) الأصل : بلعدويه . وما أثبته عن دلائل النبوة للبيهقى ١/٦٤ .
(٤) الطمر : الثوب الخلق .

ذكر شعره عليه السلام

قد ثبت فى الصحيحين من حديث الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله يحب موافقةَ أهل الكتاب فيما لم يُؤمَر فيه بشىء ، وكان أهل الكتاب يَسْدلون أشعارهم وكان المشركون يفْرقون رءوسهم ، فسَدل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثم فرَق بعدُ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حماد بن خالد ، حدثنا مالك ، حدثنا زياد بن سعد ، عن الزهرى ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سَدَل ناصيتَه ماشاء أن يَسْدل ثم فرق بعدُ .

تفرد به من هذا الوجه .

وقال محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : أنا فرَقْتُ لرسول الله رأسَه ، صدَعت فَرْقَه عن يافوخه وأرسلت ناصيته بين عينيه .

قال ابن إسحاق : وقد قال محمد بن جعفر بن الزبير وكان فقيها مُسْلما : ماهى إلاسيما من سيما النصارى تمسَّكت بها النصارى من الناس .

وثبت فى الصحيحين عن البراء أن رسول الله كان يضرب شعرُه إلى منكبيه .

وجاء فى الصحيح عنه وعن غيره إلى أنصاف أذنيه . ولا منافاة بين الحالين ، فإن الشَّعر تارة يطول وتارة يُقصَّر منه ، فكلٌّ حكى بحسب مارأى .

وقال أبو داود : حدثنا ابن نُفَيل ، حدثنا ابن أبى الزِّنَاد(١) ، عن هشام بن عروة ،

---

(١) المطبوعة : ابن الرواد . وهو خطأ . وفى ا : ابن أبى الراد . وهو تحريف أيضاً . وما أثبته عن سنن أبى داود ٢/١٩٣ ، وهو عبد الرحمن بن أبى الزناد .

عن أبيه ، عن عائشة قالت : كان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق الوَفْرة ودون الُجمة (١) .

وقد ثبت أنه عليه السلام حلَق جميعَ رأسه فى حجة الوداع ، وقد مات بعد ذلك بأحد وثمانين يوما ، صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا عبد الله بن مسلم ويحيى بن عبد الحميد ، قالا : حدثنا سفيان ، عن ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد ، قال: قالت أم هانئ : قدم النبى صلى الله عليه وسلم مكة قَدْمة وله أربع غدائر - تعنى ضفائر - .

وروى الترمذى من حديث سفيان بن عُيَينة ، وثبت فى الصحيحين من حديث ربيعة ، عن أنس ، قال بعد ذكر شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه ليس بالسَّبِط ولا بالقَطط (٢) . قال : وتوفاه الله وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء .

وفى صحيح البخارى من حديث أيوب عن ابن سيرين ، أنه قال : قلت لأنس خَضَب رسول الله ؟ قال : إنه لم ير من الشيب إلا قليلا .

وكذا روى هو ومسلم من طريق حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس .

وقال حماد بن سلمة : عن ثابت ، قيل لأنس . هل كان شابَ رسول الله ؟ فقال : ماشانَه الله بالشَّيب ، ما كان فى رأسه إلا سبع عشرة أو ثمانى عشرة شعرة .

وعند مسلم من طريق المثنَّى بن سعيد ، عن قَتادة ، عن أنس ، أن رسول الله لم يختضب إنما كان شَمِط (٣) عند العنفقة يسيراً ، وفى الصدغين يسيرا ، وفى الرأس يسيرا .

* * *

(١) الوفرة : الشعر الذى يبلغ شحمة الأذن . والجمة : ما نزل عن ذلك إلى المنكبين .
(٢) السبط : الشعر المنبسط ، والقطط : الشديد الجعودة . (٣) شمط : خالط سواد شعره بياض .

وقال البخارى : حدثنا أبو نُعَيم ، حدثنا همَّام ، عن قَتادة ، قال : سألت أنسا : هل خضَب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لا إنما كان شىء فى صُدغيه .

وروى البخارى عن عصام بن خالد ، عن جرير بن عثمان ، قال : قلت لعبد الله بن بُسْر السُّلَمى : رأيت رسول الله ، أكان شيخا ؟ قال : كان فى عَنْفَقته شَعَراتٌ بيض .

وتقدم عن جابر بن سمرة مثله .

وفى الصحيحين من حديث أبى إسحاق عن أبى جُحَيفة ، قال : رأيت رسول الله هذه منه بيضاء — يعنى عَنْفَقَته — .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا عبد الله بن عثمان ، عن أبى حمزة السكرى ، عن عثمان بن عبد الله بن مَوْهِب القرشى ، قال : دخلنا على أم سلمة فأخرجت إلينا من شعر رسول الله فإذا هو أحمر مصبوغ بالحناء والكَتَم (١) .

رواه البخارى عن إسماعيل بن موسى ، عن سلام بن أبى مطيع ، عن عثمان بن عبد الله بن مَوْهِب ، عن أم سلمة به .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن إسحاق الصَّغَانى ، حدثنا يحيى بن بُكَير ، حدثنا إسرائيل عن عثمان بن مَوْهِب ، قال : كان عند أم سلمة خَلْخَل (٢) من فضة ضخم فيه من شعر رسول الله ، وكان إذا أصاب إنساناً الحمَّى بعث إليها فخَضْخَضته (٣) فيه ، ثم ينضحه الرجل على وجهه . قال : فبعثنى أهلى إليها فأخرجته ، فإذا هو هكذا — وأشار إسرائيل بثلاثة أصابع — وكان فيه خمس شعرات حُمْر .

---

(١) الكتم : نبت يخلط بالحناء ويخضب به فيبقى لونه .

(٢) الخلخل : حلى تلبسه المرأة فى رجلها . وفى الأصل : جلجل . وكذلك فى دلائل النبوة للبيهقى المخطوط ١/٥٩ .

(٣) خضخضته : حركت الماء فيه .

رواه البخاري عن مالك بن إسماعيل، عن إسرائيل [1].

* * *

قال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو نُعيم ، حدثنا عبيد الله بن إيَاد ، حدثني إياد عن أبي رِمْثَة ، قال : انطلقت مع أبي نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأيته قال : هل تدري من هذا ؟ قلت : لا . قال : إن هذا رسول الله . فاقشعررْتُ حين قال ذلك ، وكنت أظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء لا يُشْبه الناسَ ! فإذا هو بشَر ذو وَفْرة بها رَدْع [2] من حِنّاء ، وعليه بُردان أخضران .

ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث عبيد الله بن إياد بن لقيط ، عن أبيه ، عن أبي رِمْثة واسمه حبيب بن حيان ، ويقال رفاعة بن يَثْربي .

وقال الترمذي : غريب لا نعرفه إلا من حديث إياد .

كذا قال . وقد رواه النسائي أيضا من حديث سفيان الثَّوري وعبد الملك بن عُمَير ، كلاهما عن إيَاد بن لَقيط به ببعضه .

ورواه يعقوب بن سفيان أيضا عن محمد بن عبد الله المخْرَمي ، عن أبي سفيان الحِميري ، عن الضحاك بن حمزة بن غَيْلان بن جامع ، عن إيَاد بن لَقِيط بن أبي رِمْثَة ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَخْضب بالحناء والكَتَم ، وكان شعره يبلغ كتفيه أو منكبيه .

وقال أبو داود : حدثنا عبد الرحيم بن مُطَرِّف بن سفيان ، حدثنا عمرو بن محمد ،

---

(١) الحديث رواه البخاري : حدثنا مالك بن إسماعيل ، حدثنا إسرائيل ، عن عثمان بن عبد الله بن موهب ، قال : أرسلني أهلي إلى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، بقدح من ماء – وقبض إسرائيل ثلاث أصابع – من قصة فيه شعر من شعر النبي صلى الله عليه وسلم وكان إذا أصاب الإنسان عين أو شيء بعث إليها مخضبه ، فاطلعت في الجلجل فرأيت شعرات حمرا . صحيح البخاري ٣ / ١١٧ ط الأميرية .

(٢) الردع : أثر الطيب .

أخبرنا ابن أبي رَوَّاد ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يلبس النعال السِّبْتية [1] ويصفِّر لحيته بالوَرْس والزعفران ، وكان ابن عمر يفعل ذلك .

ورواه النسائي عن عَبْدة بن عبد الرحيم المروزي ، عن عمرو بن محمد العَنْقَزِي [2] به .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو الفضل محمد ابن إبراهيم ، حدثنا الحسن بن محمد بن زياد ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا يحيي ابن آدم . ح . وأخبرنا أبو الحسين بن الفضل ، أخبرنا عبد الله بن جعفر ، أخبرنا يعقوب ابن سفيان ، حدثني أبو جعفر محمد بن عمر بن الوليد الكِنْدي الكوفي ، حدثنا يحيي ابن آدم ، حدثنا شريك ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : كان شَيْب رسول الله صلى الله عليه وسلم نحواً من عشرين شعرة .

وفي رواية إسحاق : رأيت شيب رسول الله نحواً من عشرين شعرة بيضاء في مُقدّمه .

قال البيهقي : وحدثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أحمد بن سلمان الفقيه ، حدثنا هلال بن العلاء الرَّقي ، حدثنا حسين بن عباس الرقي ، حدثنا جعفر بن بُرْقَان ، حدثنا عبد الله بن محمد بن عَقِيل ، قال : قدِم أنس بن مالك المدينَة وعمر بن عبد العزيز والي عليها ، فبعث إليه عمر وقال للرسول : سَلْه هل خضَب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فإني رأيت شعراً من شعره قد لوِّن . فقال أنس : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان

---

(١) السبتية : المتخذة من جلود البقر .

(٢) العنقزى : نسبة إلى العنقز ، وهو المرزنجوش وقيل الريحان .
وهو أبو سعيد عمرو بن محمد العنقزى القرشي مولاهم ، من أهل الكوفة ، كان يبيع العنقز أو يزرعه . مات سنة تسع وتسعين ومائة ، وكان ثقة . اللباب ٢/١٥٦ .

كان قد مُتِّع بالسواد ، ولو عدَدْت ما أَقْبَل علىّ مِن شَيْبه فى رأسه ولحيته ما كنت أزيد على إحدى عشرة شيبة ، وإنما هذا الذى لوّن من الطِّيب الذى كان يُطيب به شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هو الذى غيّر لونه .

قلت : ونَفْى أنس للخِضاب مُعارَض بما تقدم عن غيره من إثباته ، والقاعدة المقرَّرة أن الإثبات مقدَّم على النَّفْى ، لأن المثبِت معه زيادة عِلْم ليست عند النافى .

وهكذا إثبات غيره لأزيد مما ذكر من الشيب مقدَّم ، لاسيما عن ابن عمر الذى المظنون أنه تلقّى ذلك عن أخته أم المؤمنين حفصة ، فإن اطلاعها أتم من اطلاع أنس ، لأنها رُبَّما أنها فَلَّت رأسه الكريم عليه الصلاة والسلام .

ذكر ما ورد فى منكبيه وساعديه وإبطيه وقدميه وكعبيه صلى الله عليه وسلم

قد تقدم ما أخرج البخارى ومسلم من حديث شُعبة، عن أبى إسحاق، عن البَراء ابن عازب، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرْبُوعا بعيدَ ما بين المَنكِبين.

وروى البخارى عن أبى النعمان، عن جرير، عن قتادة، عن أنس قال: كان النبى صلى الله عليه وسلم ضخم الرأس والقدمين سَبْط الكفين[1].

وتقدم من غير وجه أنه عليه السلام كان شَثْن[2] الكفين والقدمين. وفى رواية: ضخم الكفين والقدمين.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا آدم وعاصم بن على، قالا: حدثنا ابن أبى ذئب؛ حدثنا صالح مولى التَّوْأمة قال: كان أبو هريرة يَنْعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كان شَبْحَ[3] الذراعين بعيد ما بين المنكبين، أهدبَ أشفار العينين.

وفى حديث نافع بن جبير عن على قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شَثْن الكفين والقدمين ضخم الكراديس طويل المَسْرُبة.

وتقدم فى حديث حجاج، عن سِمَاك، عن جابر بن سمرة، قال: كان فى ساقَىْ رسول الله صلى الله عليه وسلم حُموشة. أى لم يكونا ضخمين.

وقال سُراقة بن مالك بن جُعْشُم: فنظرت إلى ساقيه، وفى رواية: قدميه فى الغَرْز - يعنى الرِّكاب - كأنهما جُمَّارة. أى جمارة النخل من بياضهما.

* * *

(١) السبط: الممتد. (٢) الشثن: الغليظ.

(٣) الشبح: الطويل.

وفى صحيح مسلم عن جابر بن سمرة : « كان ضَلِيع الفم » وفسره بأنه عظيم الفم . أَشْكل العينين ، وفسره بأنه طويل شِقّ العينين « مَنْهوس العَقِب » وفسره بأنه قليل لحم العَقِب وهذا أنسب وأحسن فى حقّ الرجال .

وقال الحارث بن أبى أسامة : حدثنا عبد الله بن بكر ، حدثنا حميد ، عن أنس قال : أخذتْ أم سُلَيم بيدىَ مَقْدِمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فقالت : يا رسول الله هذا أنس غلام كاتب يخدمك .

قال : فخدمته تسع سنين فما قال لشىء صنعت : أسأتَ ولا بئس ما صنعت . ولا مَسَسْتُ شيئا قط خَزًّا ولا حريراً ألينَ من كفى رسول الله ، ولا شممت رائحة قط ، مسكا ولا عنبراً أطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهكذا رواه مُعْتمر بن سليمان وعلى بن عاصم ومروان بن معاوية الفَزارى وإبراهيم ابن طَهْمان ، كلهم عن حُميد ، عن أنس ، فى لِين كفّه عليه السلام ، وطيب رائحته صلاة الله وسلامه عليه .

وفى حديث الزبيدى عن الزهرى ، عن سعيد ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله كان يطأ بقدمه كلها ليس لها أخْمَص .

وقد جاء خلاف هذا كما سيأتى .

وقال يزيد بن هارون : حدثنى عبد الله بن يزيد بن مِقْسَم قال : حدثتنى عمتى سارة بنت مِقْسم ، عن ميمونة بنت كَرْدَم ، قالت : رأيت رسول الله بمكة وهو على ناقة وأنا مع أبى وبيد رسول الله درّة كدرّة الكُتّاب ، فدنا منه أبى فأخذ بقدمه ، فأقرّ له رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قالت : فما نسيت طول إصبع قدمه السبابة على سائر أصابعه .

ورواه الإمام أحمد عن يزيد بن هارون مطولا ورواه أبو داود من حديث يزيد ابن هارون ببعضه .

وعن أحمد بن صالح ، عن عبد الرزاق ، عن ابن جُرَيج ، عن إبراهيم بن مَيْسرة ، عن خالته عنها ، ورواه ابن ماجه من وجه آخر عنها والله أعلم .

وقال البيهقي : أخبرنا على بن أحمد بن عبد الله بن بشران ، أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار ؛ حدثنا محمد بن إسحاق أبو بكر ، حدثنا سلمة بن حفص السّعدى ، حدثنا يحيى بن اليمان ، حدثنا إسرائيل ، عن سِمَاك ، عن جابر بن سمرة ، قال : كانت إصبع لرسول الله خنصر من رجله متظاهرة .

وهذا حديث غريب .

صفة قوامه عليه الصلاة والسلام وطيب رائحته

فى صحيح البخارى من حديث ربيعة ، عن أنس ، قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رَبْعة من القوم ، ليس بالطويل ولا بالقصير .

وقال أبو إسحاق عن البرَاء : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً وأحسنهم، خَلْقا ليس بالطويل ولا بالقصير .

أخرجاه فى الصحيحين .

وقال نافع بن جبير ، عن على : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل ولا بالقصير ، لم أر قبلَه ولا بعده مثله .

وقال سعيد بن منصور عن خالد بن عبد الله ، عن عبيد الله بن محمد بن عمر بن على ابن أبى طالب ، عن أبيه عن جده ، عن على ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل ولا بالقصير ، وهو إلى الطول أقرب ، وكان عَرَقه كاللؤلؤ . الحديث

وقال سعيد ، عن نوح بن قيس ، عن خالد بن خالد التميمى ، عن يوسف بن مازن الراسبىّ ، عن على قال : كان رسول الله ليس بالذاهب طُولا وفوق الرَّبْعة ، إذا جامَع القوم غمرهم ، وكان عرقه فى وجه كاللؤلؤ . الحديث

وقال الزبيدى عن الزهرى ، عن سعيد ، عن أبى هريرة قال : كان رسول الله رَبْعةً وهو إلى الطول أقرب ، وكان يُقْبِل جميعا ويدْبر جميعا ، لم أر قبله ولا بعده مثله .

وثبت فى البخارى من حديث حماد بن زيد ، عن ثابت عن أنس قال : ما مسَسْت بيدى دِيباجا ولا حريرا ولا شيئا ألين من كف رسول الله ، ولا شممت رائحة أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم

ورواه مسلم من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت ، عن أنس به .

ورواه مسلم أيضا من حديث حماد بن سلمة وسليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : كان رسول الله أَزْهَر اللون ، كأن عرقه اللؤلؤ ، إذا مشى تكفأ ، وما مَسِسْتُ حريرا ولا دِيباجا ألين من كف رسول الله ، ولا شَمِمْت مسكا ولا عنبرا أطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال أحمد : حدثنا ابن أبى عَدِى ، حدثنا حُميد ، عن أنس قال : ما مَسِسْت شيئا قط خَزا ولا حريرا ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا شممت رائحة أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والإسناد ثلاثى على شرط الصحيحين ، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه .

وقال يعقوب بن سفيان : أخبرنا عمرو بن حماد بن طلحة القَنَّاد ، وأخرجه البيهقى من حديث أحمد بن حازم بن أبى عروة عنه ، قال : حدثنا أسْباط بن نصر ، عن سِماك عن جابر بن سمرة قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الأولى ثم خرج إلى أهله وخرجت معه ، فاستقبله وِلْدان فجعل يمسح خدَّىْ أحدهم واحدا وحداً . قال : وأما أنا فمسح خدى فوجدت ليده بَرْدا وريحا كأنما أخرجها من جُؤْنة[1] عَطَّار . ورواه مسلم عن عمرو بن حماد به نحوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة وحجاج ، أخبرنى شعبة ، عن الحكم ، سمعت أبا جُحَيفة قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة إلى البَطْحاء فتوضأ وصلى الظهر ركعتين وبين يديه عَنَزة[2] . زاد فيه عون عن أبيه : يمرّ من ورائها الحمار والمرأة .

(١) الجؤنة : السلة التى يوضع فيها الطيب . (٢) العنزة : رمح فى أسفله زج .

قال حجاج فى الحديث : ثم قام الناس فجعلوا يأخذون يده فيَمْسحون بها وجوههم. قال : فأخـذتُ يَده فوضعتها على وجهى ، فإذا هى أبْرَد من الثلج وأطيب ريحا من المسك .

وهكذا رواه البخارى عن الحسن بن منصور ، عن حجاج بن محمـد الأعور ، عن شعبة . فذكر مثله سواء .

وأصل الحديث فى الصحيحين أيضا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا هشام بن حسان وشُعبة وشَريك، عن يَعْلى بن عطاء ، عن جابر بن يزيد ، عن أبيه ـ يعنى يزيد بن الأسود ـ قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر بمنى ، فانحرف فرأى رجلين من وراء الناس ، فدعا بهما فجيئا تُرْعَد فرائصهما ، فقال : مامنعكما أن تصلِّيا مع النـاس ؟ قالا : يارسول الله إنا كنا قد صلينا فى الرِّحَال . قال : فلا تفعلا ، إذا صـلى أحدكم فى رَحْله ثم أدرك الصلاة مع الإمام فليصلِّهَا معه فإنها له نافلة .

قال : فقال أحدهما : استغفر لى يارسول الله . فاستغفر له .

قال : ونهض الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهضت معهم ، وأنا يومئذ أشبُّ الرجال وأجْلده .

قال : فمازلت أُزْحم الناسَ حتى وصلتُ إلى رسول الله ، فأخذت بيده فوضعتها إمّا على وجهى أو صدرى .

قال : فما وجدتُ شيئا أطيبَ ولا أبْرَدَ من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال : وهو يومئذ فى مسجد الخَيْف .

ثم رواه أيضا عن أسود بن عامر وأبى النضر ، عن شُعبة ، عن يعلى بن عطاء، سمعت جابر بن يزيد بن الأسود ، عن أبيه ، أنه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح

فذكر الحديث قال : ثم ثار الناس يأخذون بيده يمسحون بها وجوههم، قال : فأخذت بيده فمسحت بها وجهى، فوجدتها أبردَ من الثلج وأطيب ريحاً من المسك .

وقد رواه أبو داود من حديث شعبة ، والترمذىُّ والنسائى من حديث هُشَيْمٍ، عن يَعْلى به ، وقال الترمذى : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو نعيم، حدثنا مِسْعَر، عن عبد الجبار بن وائل بن حُجْر، قال : حدثنى أهلى، عن أبى قال : أُتِى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدلو من ماء فشرب منه ثم مجَّ فى الدلو ثم صب فى البئر، أو شرب من الدلو ثم مَجَّ فى البئر، ففاح منها ريحُ المسك .

وهكذا رواه البيهقى من طريق يعقوب بن سفيان ، عن أبى نُعيم ، وهو الفضل بن دُكَيْن .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم ، حدثنا سليمان ، عن ثابت ، عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الغداة جاء خدَم المدينة بآنيتهم فيها الماء ، فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها ، فربما جاءوه فى الغداة الباردة فيمسُّ يده فيها .

ورواه مسلم من حديث أبى النَّضر هاشم بن القاسم به .

* * *

وقال الإمام أحمد : حدثنا حُجَيْن بن المثنى ، حدثنا عبد العزيز – يعنى ابن أبى سلمة الماجُشون – عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة ، عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل بيت أم سُليم فينام على فراشها وليست فيه . قال فجاء ذات يوم فنام على فراشها، فأتت فقيل لها : هذا رسول الله نائم فى بيتك على فراشك .

قال : فجاءت وقد عرِق واستنقع عَرَقه على قطعة أديم على الفراش ، ففتحت عَتِيدَتها[1]

(١) الأصل : عيرتها . وما أثبته عن صحيح مسلم ط استامبول. والعتيدة : ما يجعل فيه الثياب .

فجعلت تنشف ذلك العَرق فتصرُه فى قواريرها ، ففزع النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ماتصنعين يا أم سُلَيم ؟ فقالت : يارسول الله نرجو بركته لصبياننا . قال : أصَبْتِ .

ورواه مسلم عن محمد بن رافع ، عن حُجَين به .

وقال أحمد: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا سليمان ، عن ثابت ، عن أنس قال : دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عندنا ، فعرق وجاءت أمى بقارورة فجعلت تَسْلت العرق فيها ، فاستيقظ رسول الله فقال : ياأم سُلَيم ما هذا الذى تصنعين ؟ قالت : عرَقك نجعله فى طيبنا وهو من أطْيَب الطيب .

ورواه مسلم عن زُهَير بن حرْب ، عن أبى النضر هاشم بن القاسم به .

وقال أحمد : حدثنا إسحاق بن منصور — يعنى السَّلُولىّ — حدثنا عمارة — يعنى ابن زاذان — عن ثابت ، عن أنس قال : كان رسول الله يَقيل عند أم سليم ، وكان من أكثر الناس عَرقا ، فاتخذت له نِطْعا(١) وكان يَقيل عليه ، وخطّت بين رجليه خطًّا ، وكانت تنشف العرق فتأخذه ، فقال : ماهذا ياأم سليم ؟ قالت : عَرقك يارسول الله أجعله فى طيبى . قال : فدعا لها بدعاء حسن .

تفرد به أحمد من هذا الوجه .

وقال أحمد : حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا حُميد ، عن أنس ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نام ذا عرَق ، فتأخذ عرقه بقطنة فى قارورة ، فتجعله فى مِسْكها .

وهذا إسناد ثلاثى على شرط الشيخين ولم يخرجاه ولا أحد منهما .

وقال البيهقى : أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو عمرو المعربى . أخبرنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أبو بكر ابن أبى شيبة .

---

(١) النطع : بساط من الأدم

وقال مسلم : حدثنا أبو بكر ابن [أبى][1] شيبة ، حدثنا عفان ، حدثنا وُهَيب ، حدثنا أيوب ، عن أبى قِلاَبة ، عن أنس ، عن أم سُلَيم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتيها فيَقِيل عندها فتبسُط له نِطْعا فيَقِيل عليه ، وكان كثير العرق ، فكانت تجمع عرقه فتجعله فى الطيب والقوارير ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياأم سليم ماهذا ؟ فقالت : عَرقك أَدُوف [2] به طِيبى .

لفظ مسلم .

* * *

وقال أبو يَعْلى الموصلى فى مسنده : حدثنا بِشْر ، حدثنا حُلَيْس بن غالب ، حدثنا سفيان الثورى ، عن أبى الزِّنَاد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة ، قال : جاء رجل إلى رسول الله ، فقال : يارسول الله إنى زوَّجت ابنتى ، وأنا أحب أن تُعِينَنى بشىء . قال : ماعندى شىء ، ولكن إذا كان غد فَأْتنى بقارورة واسعة الرأس وعود شجرة ، وآيةُ بينى وبينك أن تدق ناحيةَ الباب .

قال : فأتاه بقارورة واسعة الرأس وعود شجرة . قال : فجعل يَسْلت العرَق من ذراعيه حتى امتلأت القارورة ، قال : خذها ، ومُرْ ابنتك أن تَغْمس هـذا العود فى القارورة وتطيَّب به .

قال : فكانت إذا تطيبت به شم أهل المدينة رائحة الطيب فسُمُّوا بيوت المطيبين .

هذا حديث غريب جدا [3] .

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا محمد بن هاشم ، حدثنا موسى بن عبد الله ،

---

(١) من صحيح مسلم ٧/٨٢ ط استانبول .

(٢) أدوف : أخلط .

(٣) الحديث باطل ، ذكره السيوطى فى كتابه اللآلئ المصنوعة ١/٢٧٤ . وقال : آفته حليس بن غالب الكلبى . وقال فى الميزان : هـذا منكر جدا . وحليس : قال ابن عدى : منكر الحديث . وقال الدارقطنى : متروك .

حدثنا عمر بن سعيد ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مرّ فى طريق من طُرق المدينة وجدوا منه رائحة الطِّيب ، وقالوا : مرّ رسول الله فى هذا الطريق

ثم قال : وهذا الحديث رواه أيضا معاذ بن هشام عن أبيه ، عن قتادة ، عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يُعرف بريح الطيب [و] [1] كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبا وريحه طيب ، وكان مع ذلك يحب الطيب أيضا .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عبيدة ، عن سلام أبى المنذر ، عن ثابت ، عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « حُبِّب إلىّ النساء والطِّيب وجُعلت قُرّة عينى فى الصلاة » .

حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم ، حدثنا سلام أبو المنذر القارئ ، عن ثابت ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما حُبِّب إلى من الدنيا النساء والطيب وجعل قرة عينى فى الصلاة » .

وهكذا رواه النسائى بهذا اللفظ ، عن الحسين بن عيسى القرشى ، عن عفان بن مسلم ، عن سلام بن سليمان أبى المنذر القارئ البصرى ، عن ثابت عن أنس . فذكره .

وقد روى من وجه آخر بلفظ : « حُبِّب إلى من دنيا كم ثلاث : الطِّيب والنساء ، وجعل قرة عينى فى الصلاة » .

وليس بمحفوظ بهذا ، فإن الصلاة ليست من أمور الدنيا ، وإنما هى من أهم شئون الآخرة . والله أعلم .

---

(١) بياض بالأصل .

صفة خاتم النبوة الذى بين كتفيه صلوات الله وسلامه عليه

قال البخارى : حدثنا محمد بن عبيد الله ، حدثنا حاتم ، عن الجَعْد ، قال : سمعت السائب بن يزيد يقول : ذهبَت بى خالتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يارسول الله ، إن ابن أختى وجِع . فمسح رأسى ودعا لى بالبركة ، وتوضأ فشربت من وضوئه ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتم بين كتفيه مثل زِرّ الحَجَلة [(١)] .

وهكذا رواه مسلم عن قتيبة ومحمد بن عَبَّاد ، كلاهما عن حاتم بن إسماعيل به .

ثم قال البخارى : الحَجَلة من حِجْلة الفرس الذى بين عينيه .

وقال إبراهيم بن حمزة : رَزّ الحَجَلة . قال أبو عبد الله : الرز : الراء قبل الزاى [(٢)] .

وقال مسلم : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن سِمَاك ، أنه سمع جابر بن سَمُرة يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شَمِط [(٣)] مُقدَّم رأسه ولحيته ، وكان إذا ادهن لم يَتبيَّن وإذا شَعِثَ رأسه تبين ، وكان كثير شعر اللحية ، فقال رجل : وجهه مثل السيف ؟ قال : لا ، بل كان مثل الشمس والقمر ، وكان مستديراً ، ورأيت الخاتم عند كتفيه مثل بَيْضة الحمامة يشبه جسَده .

حدثنا محمد بن مثنّى ، حدثنا محمد بن حزم ، حدثنا شعبة ، عن سِمَاك ، سمعت جابر ابن سَمرة قال : رأيت خاتما فى ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه بيضة حمام .

وحدثنا ابن نُمَير ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، حدثنا حسن بن صالح ، عن سماك بهذا الإسناد مثله .

---

(١) الحجلة : البيت كالقبة يستر بالثياب وتكون له أزرار كبار . ومنه الحديث : أعزوا النساء يلزمن الحجال .

(٢) الحجلة هنا أنثى الحجل ، وهو طائر القبج . والرز : بيض الحجل كما نقل ابن الجوزى عن أبى سليمان الخطابى فى الوفا بأحوال المصطفى ص ٤١٠ .

(٣) شمط : اختلط بياضه بسواده .

وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا مَعمَر ، عن عاصم بن سليمان ، عن عبد الله بن سَرْجِس قال : ترون هذا الشيخ – يعنى نفسه – كلمت نبى الله صلى الله عليه وسلم وأكلت معه ، ورأيت العلامة التى بين كتفيه ، وهى فى طرف نَغْض[1] كتفه اليسرى كأنه جُمع ، يعنى الكَفّ المجتمع – وقال بيده فقبضها – عليه خِيلان[2] كهيئة الثآليل .

وقال أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم وأسود بن عامر ، قالا : حدثنا شَريك ، عن عاصم ، عن عبد الله بن سَرْجِس ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلّمت عليه وأكلت معه وشربت من شرابه ورأيت خاتم النبوة .

قال هاشم : فى نَغْض كتفه اليسرى كأنه جُمع فيه خِيلاَن سُود كأنها الثآليل .

ورواه عن غُندَر ، عن شعبة ، عن عاصم ، عن عبد الله بن سَرْجِس . فذكر الحديث . وشكّ شعبة فى أنه هل هو فى نَغْض الكتف اليمنى أو اليسرى ؟

وقد رواه مسلم من حديث حماد بن زيد وعلى بن مُسهِر وعبد الواحد بن زياد ثلاثتهم عن عاصم ، عن عبد الله بن سَرْجِس ، قال : أتيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأكلت معه خبزا ولحما أو قال ثريدا . فقلت : يارسول الله غفر الله لك ، قال : ولك . فقلت : أستغفرَ لك رسولُ الله ؟ قال : نعم ولكم . ثم تلا هذه الآية : « واستغفِرْ لذَنبك وللمؤمنين والمؤمنات »[3] .

قال : ثم دُرْتُ خلفه فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه عند نَغْض كتفه اليسرى جُمعًا عليه خِيلاَن كأمثال الثآليل .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا قُرّة بن خالد ، حدثنا معاوية بن قرة ، عن أبيه

---

(١) نغض الكتف . فرعه .
(٢) الخيلان : جمع خال ، وهو الشامة . والثآليل : الحبوب التى تظهر فى الجسد .
(٣) سورة محمد .

قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يارسول الله أرنى الخاتم . فقال : أدخل يدك . فأدخلت يدى فى جُرُبّانه [1] فجعلت ألمس أنظر إلى الخاتم ، فإذا هو على نَغْض كتفه مثل البَيْضة ، فما منعه ذاك أن جعل يدعو لى وإنّ يدى لفى جُربّانه .

ورواه النسائى عن أحمد بن سعيد ، عن وهب بن جرير ، عن قُرّة بن خالد به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن إيَاد بن لقيط السَّدُوسى ، عن أبى رِمْثَة التيمى ، قال : خرجت مع أبى حتى أتيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فرأيت برأسه رَدْعَ حِنّاء ، ورأيت على كتفه مثل التفاحة فقال أبى : إنى طبيب أفلا أطبّها لك ؟ قال : طبيبها الذى خلَقها .

قال : وقال لأبى : هذا ابنك ؟ قال : نعم . قال : أما إنه لا يَجْنى عليك ولا تجْنى عليه .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو نُعَيم ، حدثنا عبيد الله بن زياد ، حدثنى أبى ، عن أبى ربيعة أو رِمْثَة ، قال: انطلقت مع أبى نحو النبى صلى الله عليه وسلم ، فنظر إلى مثل السِّلْعة بين كتفيه فقال : يارسول الله إنى كأطبّ الرجال ، أفأعالجها لك ؟ قال : لا ، طبيبها الذى خَلقها .

قال البيهقى : وقال الثورى عن إياد بن لقيط فى هذا الحديث : فإذا خَلْف كتفيه مثل التفاحة . وقال عاصم بن بَهْدَلة عن أبى رِمْثة : فإذا فى نَغْض كتفه مثل بَعْرة البعير أو بيضة الحمامة .

ثم روى البيهقى من حديث سِماك بن حرب ، عن سلامة العِجلى ، عن سلمان الفارسى ، قال : أتيت رسول الله فألقى رداءه وقال : ياسلمان انظر إلى ما أُمرتَ به . قال : فرأيت الخاتم بين كتفيه مثل بيضة الحمامة .

---

(١) الجربان : جيب القميص .

وروى يعقوب بن سفيان ، عن الحُميْدى ، عن يحي بن سليم ، عن أبى خَيْثم ، عن سعيد بن أبى راشد ، عن التنوخى الذى بعثه هرقل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بتبوك . فذكر الحديث كما قدمناه فى غزوة تبوك إلى أن قال : فحلَّ حَبْوته عن ظهره ثم قال : هاهنا امض لما أُمرتَ به . قال : فجُلت فى ظهره فإذا أنا بخاتم فى موضع غُضروف الكتف مثل الَحجْمة[1] الضخمة .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا عبد الله بن مَيْسرة ، حدثنا عَتَّاب ، سمعت أبا سعيد يقول : الخاتم الذى بين كتفى النبى صلى الله عليه وسلم لَحمة نابتة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا شريح ، حدثنا أبو ليلى عبد الله بن ميسرة الخراسانى ، عن غياث البكرى ، قال : كنا نجالس أبا سعيد الخدرى بالمدينة فسألته عن خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان بين كتفيه ، فقال بإصبعه السبابة هكذا : لَحم ناشز بين كتفيه صلى الله عليه وسلم .

تفرد به أحمد من هذا الوجه .

وقد ذكر الحافظ أبو الخطاب بن دِحْية البصرى فى كتابه « التَّنوير فى مَوْلد البشير النذير » عن أبى عبد الله محمد بن على بن الحسين بن بشر المعروف بالحكيم الترمذى ، أنه قال : كان الخاتم الذى بين كتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه بَيْضة حمامة مكتوب فى باطنها : الله وحده . وفى ظاهرها : توجَّه حيث شئت فإنك منصور .

ثم قال : وهذا غريب واستنكره .

قال : وقيل : كان من نور ، ذكره الإمام أبو زكريا يحي بن مالك بن عائذ فى كتابه « تنقّل الأنوار » ، وحكى أقوالا غريبة غير ذلك .

---

(١) الحجمة : البضعة الناتئة

ومن أحسن ماذكره ابن دحية رحمه الله وغيره من العلماء قبله فى الحكمة فى كون الخاتم كان بين كتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إشارة إلى أنه لا نبيَّ بعدك يأتى من ورائك .

قال : وقيل : كان على نَغْض كتفه ، لأنه يقال : هو الموضع الذى يدخل الشيطان منه إلى الإنسان ، فكان هذا عصمة له عليه السلام من الشيطان .

قلت : وقد ذكرنا الأحاديث الدالة على أنه لا نبى بعده عليه السلام ولا رسول ، عند تفسير قوله تعالى : « ما كان محمدٌ أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسولَ الله وخاتَم النبيين وكان الله بكل شىء عليما[1] » .

---

(١) سورة الأحزاب .

باب
جامع لأحاديث متفرقة
وردت فى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم

قد تقدم فى رواية نافع بن جبير، عن على بن أبى طالب، أنه قال: لم أر قبله ولا بعده مثله.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا عبد الله بن مسلم القَعْنَبِىّ وسعيد بن منصور، حدثنا عمر بن يونس، حدثنا عمر بن عبد الله مولى عفرة، حدثنى إبراهيم بن محمد من ولد على، قال: كان علىّ إذا نعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: لم يكن بالطويل الممَّغط[1] ولا القصير المتردِّد، وكان رَبْعة من القوم، ولم يكن بالجَعْد القَطَط، ولا بالسَّبط، كان جَعْدا رَجِلا، ولم يكن بالمطهّم ولا المُكَلْثم، وكان فى الوجه تدوير، أبيض مُشْرَبا، أدْعَج العينين، أهْدَب الأشفار، جَلِيل المُشاش والكَتَد، أجْرَد ذو مَسْرُبة، شَثْن الكفين والقدمين، إذا مشى تَقَلَّع كأنما يمشى فى صَبَب، وإذا التفت التفت معا، بين كتفيه خاتم النبوة، أجود الناس كفًّا وأرحب الناس صدراً، وأصدق الناس لَهْجة، وأوفَى الناس ذمة وألينهم عَرِيكة، وألزمهم عِشرة، من رآه بديهةً هابَه، ومن خالطه معرفة أحبَّه، يقول ناعِته: لم أر قبله ولا بعده مثله.

وقد روى هذا الحديث الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام فى كتاب الغريب.

ثم روى عن الكسائى والأصمعى وأبى عمر تفسير غريبه.

وحاصل ماذكره مما فيه غرابة: أن المطهّم هو الممتلئ الجسم، والمُكَلْثم: شديد

---

(١) الممغط: الذاهب طولا.

تدوير الوجه يعنى لم يكن بالسمين الناهض ، ولم يكن ضعيفا بل كان بين ذلك ، ولم يكن وجهه فى غاية التدوير بل فيه سهولة ، وهى أحلَى عنـد العرب ومن يعرف . وكان أبيض مُشْرَبا حمرة وهى أحسن اللون ، ولهذا لم يكن أمْهَق اللون . والأدْعَج هو شديد سواد الحدَقة .

وجَلِيل المُشَاش : هو عظيم رءوس العظام ، مثل الرُّكبتين والمِرْفقين والمنكبين . والـكتَد : الكاهل ومايليه من الجسد . وقوله : شَثْن الـكفين أى : غليظهما . وتقلّع فى مشيته ، أى شديد المشية .

وتقدم الـكلام على الشُّكلة والشُّهلة والفرق بينهما .

والأهدب : طويل أشفار العين ، وجاء فى حديث أنه كان شَبْح الذراعين ، يعنى غليظهما . والله تعالى أعلم .

حديث أم معبد فى ذلك

قد تقدم الحديث بتمامه فى الهجرة من مكةَ إلى المدينة حين ورد عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر ومولاه عامر بن فُهيرة ودليلهم عبد الله بن أرَيْقط الدِّيلى ، فسألوها : هل عندها لبن أو لحم يشترونه منها ؟ فلم يجدوا عندها شيئاً ، وقالت : لو كان عندنا شيء ماأعْوَزكم القِرَى . وكانوا مُمْحِلين ، فنظر إلى شاة فى كِسْر خيمتها فقال : ماهذه الشاة ياأم معبد ؟ فقالت : خَلَّفها الجَهْد . فقال . أتأذنين أن أحلبها ؟ فقالت : إن كان بها حَلَب فاحْلبها . فدعا بالشاة فمسحها وذكر اسم الله ، فذكر الحديث فى حَلْبه منها ما كفاهم أجمعين ، ثم حلبها وترك عندها إناءها ملأى وكان يُرْبِض الرَّهْط[(1)] .

فلما جاء بعلها استنكر اللبن وقال : من أين لك هذا يا أم معبَد ولا حَلُوبة فى البيت

(١) يربض الرهط : يرويهم حتى يثقلوا ويناموا .

والشاء عازِب ؟ فقالت : لا والله ، إنه مرّ بنا رجلٌ مبارَكٌ . كان من حديثه كيت وكيت .

فقال : صفيه لى ، فوالله إنى لأراه صاحبَ قريش الذى تَطْلب .

فقالت : رأيت رجلا ظاهر الوضَاءة حسَن الخَلْق ، مَليح الوجه ، لم تَعِبْه ثُجْلة ، ولم تُزْرِ به صُعْلة ، وَسِيم ، فى عينيه دَعَج ، وفى أشفاره وَطَف ، وفى صوته صَحَل ، أحْوَر ، أكْحَل ، أزَجّ أقْرَن ، فى عنقه سَطَع ، وفى لحيته كثاثة ، إذا صمَت فعليه الوقار ، وإذا تكلم سما وعلاه البَهاء ، حُلو المنطق ، فَصْل لا نَزْر ولا هَذْر ، كأن منطقه خَرزات نَظْم يَنحدرن ، أبْهَى الناس وأجْمله من بعيد ، وأحلاه وأحسنه من قريب ، رَبعة لا تَشْنَؤه عَينٌ من طُول ، ولا تقتحمه عينٌ من قِصَر ، غُصْن بين غصنَيْن ، فهو أنْضر الثلاثة منظراً ، وأحسنهم قدْراً ، له رفقاء يَحُفُّون به ، إن قال استمَعوا لقوله ، وإن أمر تَبادروا إلى أمره ، مَحْفُود مَحْشود ، لا عابس ولا مُفْنِد .

فقال بعلها : هذا والله صاحب قريش الذى تَطْلب ، ولو صادفتُه لالتمست أن أصْحبه ، ولأجْهدن إن وجدت إلى ذلك سبيلا .

قال : وأصبح صوتٌ بمكة عالٍ بين السماء والأرض يسمعونه ولا يرون من يقوله وهو يقول :

جزَى الله ربُّ الناس خيرَ جزائه   رفيقين حَلَّا خيمتَىْ أم مَعْبدِ
هما نَزلا بالبرّ وارتحلا به   فأفلحَ مَن أمسَى رفيقَ محمدِ
فيَالَ قُصَىّ ما زوَى الله عنكمُ   به من فِعال لا تُجازَى وسُؤْدُدِ
سَلُوا أختكم عن شاتها وإنائها   فإنكمُ إن تَسألوا الشاةَ تَشْهدِ
دعاها بشاة حائلٍ فتحلَّبت   له بصَريحٍ ضَرّةُ الشاة مُزْبِد
فغادَره رهناً لديها لحالبٍ   يُدِرّ لها فى مَصْدرٍ ثم مَوْرِدِ

وقد قدمنا جوابَ حسان بن ثابت لهذا الشعر المبارك بمثله في الحسن .

والمقصود أن الحافظ البيهقي روى هــذا الحديث من طريق عبد الملك بن وهب المذحجيّ قال : حدثنا الحسن بن الصباح ، عن أبي مَعْبَد الخُزاعي . فذكر الحديث بطوله كما قدمناه بألفاظه .

وقد رواه الحافظ يعقوب بن سفيان الفَسَوى والحافظ أبو نُعيم في كتابه « دلائل النبوة » . قال عبد الملك : فبلغني أن أبا مَعْبَــد أسلم بعد ذلك ، وأن أم معبد هاجرت وأسلمت .

ثم إن الحافظ البيهقي أتبع هذا الحديثَ بذكر غريبه ، وقد ذكرناه في الحواشي فيما سبق ، ونحن نذكر ههنا نكتاً من ذلك .

فقولهـا : « ظاهر الوضَاءة » أى ظاهر الجمــال « أبلَج الوجــه » أى مُشْرِق الوجه مضيئه .

« لم تعبه ثُجْلة » قال أبو عبيد : هو كِبر البطن . وقال غيره : كِبرَ الرأس ، وردَّ أبو عبيدة رواية من روى : لم تعبه نُحْلة . يعنى من النُّحول وهو الضعف .

قلت : وهذا هو الذى فسر به البيهقى الحديث ، والصحيح قول أبي عبيدة ، ولو قيل إنه كبر الرأس لـكان قويا ؛ وذلك لقولها بعده : « ولم تُزْرِ به صُعْلَة » وهو صِغَر الرأس بلا خلاف ، ومنه يقال لولد النعامة : صَعْل ، لصغر رأسه ، ويقال له : الظَّلِيم ، وأما البيهقى فرواه : « لم تعبه نُحْـلة » يعنى من الضعف كما فسره ، ولم تزر به صُقْلة وهو الخاصرة[1] ، يريد أنه ضَرْب من الرجال ليس بمنتفخ ولا ناحل .

قال : ويروى لم تعبــه ثجلة وهو كِبَر البطن ولم تُزْر به صعلة وهو صغر الرأس .

---

(١) كذا . ولعلها وهى دقة الخاصرة .

وأما الوَسِيم : فهو حسَن الخلق ، وكذلك القَسِيم أيضا »/والدَّعَج : شدة سواد الحدقة ، والوطف طول أشفار العينين .

ورواه القُتَيْبي : « فى أشفاره عَطَف » وتبعه البيهقى فى ذلك .

قال ابن قتيبة : ولا أعرف ماهذا ، لأنه وقع فى روايته غلط فحارَ تفسيره ، والصواب ماذكرناه . والله أعلم .

« وفى صوته صَحَل » وهو بُحَّة يسيرة ، وهى أحلى فى الصوت من أن يكون حادًّا ، قال أبو عبيد : وبالصَّحَل يوصف الظِّباء .

قال : ومن روى « فى صوته صَهَل » فقد غلط ، فإن ذلك لا يكون إلا فى الخيل ولا يكون فى الإنسان .

قلت : وهو الذىأورده البيهقى . قال : « ويروىصَحَل » والصواب قول أبىعبيد. والله أعلم .

وأما قولها : «أحْوَر» فمستغرب فىصفة النبى صلىالله عليه وسلم ، وهو قَبَل فى العين يَزِينها لا يشينها كالحوَل .

وقولها : « أكحل » قد تقدم له شاهد .

وقولها : « أزجّ » ، قال أبو عبيد : هو المتقوّس الحاجبين .

قال : وأما قولها : « أقْرَن » فهو التقاء الحاجبين بين العينين . قال : ولا يُعرف هذا فى صفة النبى صلى الله عليه وسلم إلا فى هذا الحديث . قال : والمعروف فى صفته عليه السلام أنه أبلَج الحاجبين .

« فى عنقه سَطَع » ، قال أبو عبيد : أى طُول ، وقال غيره : نُور . قلت : والجمع ممكن بل متعيِّن .

وقولها : « إذا صمَت فعليه الوقار » أى الهيبة عليه فى حال صمته وسكوته ، « وإذا

تـكلم سماً » أى عَلَاعلى الناس ،« وعلَاه البهاء » أى فى حال كلامه « حُلْو المنطق فَصْل » أى فصيح بليغ ، يفصّل الكلام ويبينه ، « لا نَزْر ولا هَذَر » أى لا قليل ولا كثير ، « كأن منطقه خرَزات نَظْم » يعنى الذى من حُسنه وبلاغته وفصـاحته وبيـانه وحلاوة لسانه .

« أبْهَى الناس وأَجْمله من بعيد ، وأَحْلَاه وأَحْسنه من قريب » أى هو مليح من بعيد ومن قريب .

وذكرتْ أنه لا طويل ولا قصير ، بل هو أحسن من هذا ومن هذا ، وذكرت أن أصحابه يعظّمونه ويَخْدمونه ويبادرون إلى طاعته ، وما ذلك إلا لجلالته عندهم وعَظَمته فى نفوسهم ومحبتهم له ، وأنه ليس بعابس أى ليس يعبس ، ولا يُفنِّد أحدا أى يهجِّنه ويستقلّ عقله ، بل جميل المعاشرة حسَن الصحبة ، صاحبُه كريم عليه وهو حبيب إليه صلى الله عليه .

حديث هند بن أبى هالة فى ذلك

وهند هذا هو رَبيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أمه خديجة بنت خُويلد وأبوه أبو هالة كما قدمنا بيانه .

قال يعقوب بن سفيان الفَسَوى الحافظ رحمه الله : حدثنا سعيد بن حماد الأنصارى المصرى وأبو غسان مالك بن إسماعيل النَّهدى قالا : حدثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العِجْلى ، قال : حدثنى رجل بمكة ، عن ابن لأبى هالة التَّميمى ، عن الحسن بن على ، قال: سألت خالى هنـد بن أبى هالة ، وكان وصَّافاً ، عن حِلْية رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ وأنا أشتهى أن يصف لى منها شيئاً أتعلق به ــ فقال :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فَخْماً مفخَّما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ، أطول من المرْبُوع وأقصر من المشذَّب[1] ، عظيم الهامـة رَجْل الشَّعر ، إذا تفرقت عَقِيصته[2] فرَق وإلا فلا يجـاوز شعره شَحْمة أذنيه ، ذا وَفْرة ، أَزْهَر اللون ، واسع الجبين أزَجّ[3] الحواجب سَوابغ فى غير قَرَن ، بينهما عِرْق يُدره الغضب ، أقْنَى[4] العِرْنين ، له نور يعلوه ، يَحْسبه من لم يتأمله أشمّ[5] كثّ اللحية أدْعَج ، سهل الخدين، ضَلِيع الفم أشْنَب[6] مُفَلَّج الأسنان[7] ، دقيق المسْرُبة ، كأن عنقه جِيدُ دُمْيَة[8] فى صفاء الفضة ، معتدل الخَلْق ، بادِنٌ متماسك[9] ، سَواء البطن والصدر ، عريض الصدر ،

---

(١) المشذب : الطويل البائن ، من التشذيب ، وأصله النخلة الطويلة التى شذب جريدها .

(٢) العقيصة : الشعر المعقوص ، وهى الخصلة إذا لويت وضفرت .

(٣) الأزج : المقوس . (٤) القنى : طول الأنف ودقة أرنبته وحدب فى وسطه .

(٥) الشمم : ارتفاع قصبة الأنف مع استواء أعلاها .

(٦) الضليع : الواسع . والأشنب من الشنب وهو البياض والبريق والتحديد فى الأسنان .

(٧) مفلج الأسنان : متفرجها . (٨) الجيد : العنق . والدمية : الصورة التى بولغ فى تحسينها .

(٩) البادن : الضخم . والمتماسك : غير المسترخى اللحم .

بَعِيد مابين المَنكبين ضخم الكَرَاديس ، أنْوَر المتجرَّد[1] موصول مابين اللَّبة[2] والسُّرة بشعر يجرى كالخط[3] ، عارى الثديين والبطن مما سِوَى ذلك ، أشْعَر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر ، طويل الزَّندين[4] رَحْب الراحة ، سَبْط القَصَب[5] شَثْن الكفين والقدمين ، سائل الأطراف ، خَمْصان[6] الأخمصين ، مَسِيح القدمين يَنْبو عنهما الماء ، إذا زال زال قَلْعا ، يخطو تكفِّيا ويمشى هَوْنا ، ذَريع المشية إذا مشى كأنما ينحطّ من صَبَب وإذا التفت التفت جميعا ، خافض الطرف ، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء ، جُلُّ نظره الملاحظة ، يَسُوق أصحابه ، ويبدأ من لقيه بالسلام .

* * *

قلت : صف لى مَنْطقه . قال :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة ، لا يتكلم فى غير حاجة طويل السكوت ، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه يتكلم بجوامع الكلم ، فَصْل لا فضول ولا تقصير ، دَمِث ليس بالجافى ولا المهين ، يعظِّم النعمة وإن دَقَّت ، لا يذم منها شيئا ولا يمدحه ولا يقوم لغضبه إذا تُعرِّض للحق شئ حتى ينتصر له . وفى رواية : لا تغضبه الدنيا وما كان لها فإذا تعرَّض للحق لم يعرفه أحد ولم يقم لغضبه شىء حتى ينتصر له ، لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها ، إذا أشار أشار بكفه كلها ، وإذا

---

(١) الأنور : المشرق . والمتجرد ــ بفتح الراء ــ موضع التجرد عن الثوب وبكسرها : العضو العارى عن الثوب .

(٢) اللبة : النقرة التى فوق الصدر .

(٣) كالخط : فى الطول والدقة ، ويروى كالخيط .

(٤) الزند من الذراع : ما انحسر عنه اللحم ، والمراد : طويل الذراعين .

(٥) السبط : الممتد الذى ليس فيه تعقد . والقصب : عظام الأصابع كما فى القاموس . وقال فى النهاية ٢/١٥٣ : يريد بها ساعديه وساقيه . وتفسير القاموس أقرب .

(٦) الخمصان : الضامر الأخمصين .

تعجّب قلبها ، وإذا تحدث يَصِل بها ، يضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى ، وإذا غضب أعْرض وأشاح ، وإذا فَرِح غضّ طرفه ، جُل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حَبّ الغمام[1] .

قال الحسن : فكتمتُها الحسين بن على زمانا ثم حدثته فوجدته قد سبقنى إليه فسأله عما سألته عنه ، ووجدته قد سأل أباه عن مَدْخله ومَخْرَجه ومجلسه وشكله فلم يدَع منه شيئا .

قال الحسين : سألت أبى عن دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كان دخوله لنفسه ، مأذون له فى ذلك ، وكان إذا أوَى إلى منزله جزّأ دخوله ثلاثة أجزاء : جزءا لله وجزءا لأهله وجزءا لنفسه ، ثم جزّأ جُزأه بين الناس فردّ ذلك على العامة بالخاصة[2] لا يدّخر عنهم شيئا .

وكان من سيرته فى جزء الأمة : إيثار أهل الفضل بأدبه وقَسْمه على قدر فضلهم فى الدِّين ، فمنهم ذو الحاجة ، ومنهم ذو الحاجتين ، ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويَشْغلهم فيما أصلحهم والأمةَ من مَسْألته عنهم وإخبارهم بالذى ينبغى ، ويقول : « ليبلّغ الشاهدُ الغائبَ ، وأبلغونى حاجةَ من لا يستطيع إبلاغى حاجته ؛ فإنه من بلّغ سلطانا حاجةَ من لا يستطيع إبلاغها إياه ثبّت الله قدميه يوم القيامة » لا يُذكر عنده إلا ذلك ولا يقبل من أحد غيرَه ، يدخلون عليه زُوّارا ولا يفترقون إلا عن ذَواق[3] .

وفى رواية : ولا يتفرقون إلا عن ذَوْق ، ويخرجون أدِلةً ، يعنى فقهاء .

قال : وسألته عن مَخْرجه كيف كان يصنع فيه ، فقال :

---

(١) حب الغمام : البرد .

(٢) رد بالخاصة : أى يعتمد على أن الخاصة ترفع إلى العامة علومه . الوفا لابن الجوزى ٤٧١ .

(٣) الذواق : العلم ، وهو فى الأصل الطعام ، لأن العلم للأرواح بمنزلة الطعام للأجساد .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَخْزِن لسانه إلا فيما يَعْنيه ، ويؤلّفهم ولا يُنفّرهم ، ويُكْرِم كريمَ كل قوم ويولّيه عليهم ، ويَحْذَر الناسَ ويحترس منهم من غير أن يَطْوِي عن أحد منهم بِشْره ولا خُلقه ، يتفقّد أصحابه ويَسأل الناسَ عما فى الناس ، ويحسّن الحسنَ ويقوّيه ، ويقبّح القبيح ويوهيه ، معتدل الأمر غير مختلف ، لا لا يَغْفَل مخافة أن يغفلوا أو يميلوا ، لكل حال عنده عَتاد ، لا يقصّر عن الحق ولا يَجُوزه ، الذين يلونه من الناس خِيَارهم ، أفضلهم عنده أعمّهم نصيحة ، وأعظمهم عنده مَنْزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة .

قال : فسألته عن مَجْلسه كيف كان فقال :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم إلا على ذِكْر ، ولا يوطِن[1] الأماكنَ ويَنْهى عن إيطانها ، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهى به المجلس ، ويأمر بذلك ، يعطى كل جلسائه نصيبه ، لا يَحْسَب جليسُه أن أحدا أكرم عليه منه ، مَن جالسه أو قاوَمه فى حاجة صابَره حتى يكون هو المنصرف ، ومن سأله حاجة لم يردّه إلا بها أو بميسور من القول ، قد وسِع الناس منه بَسْطُه وخُلقه فصار لهم أبًا وصاروا عنده فى الحق سواء ، مَجْلسه مجلس حِلْم وحياء وصبر وأمانة ، لا تُرفع فيه الأصوات ، ولا تُؤْبَن[2] فيه الحُرَم ، ولا تُنْثَى[3] فلتاته ، متعادلين يتفاضلون فيه بالتقوى ، متواضعين يوقّرون فيه الكبيرَ ويرحمون الصغير ويؤثرون ذا الحاجة ، ويحفظون الغريب .

قال : فسألته عن سيرته فى جلسائه فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البِشْر سهل الخُلق ليّن الجانب ، ليس بفَظّ ولا غليظ ولا سَخّاب ولا فَحّاش ولا عَيّاب

---

(١) لا يوطن : لا يلتزم فى جلوسه مكانا بعينه . يعنى أنه يجلس حيث ينتهى به المجلس .

(٢) تؤبن : تنتهك أو تعاب .

(٣) تنثى : تشاع أو تذاع . يقال : نثوت الحديث أنثوه نثوا . والفلتات : جمع فلتة وهى الزلة ، أراد أنه لم يكن لمجلسه فلتات فتنثى . النهاية ٢/١٣٣ .

ولا مدّاح ، يتغافل عما لايَشْتهي ولا يُؤنِس منه ولا يُخَيِّب فيه[1]، قد ترك نفسَه من ثلاث : المِرَاء ، والإكثار ومالا يَعْنيه ، وترك الناسَ من ثلاث : كان لايَذم أحداً ، ولا يعيّره ، ولا يطلب عورتَه ،ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه ، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رءوسهم الطير ، فإذا سكت تكلموا ولا يتنازعون عنده[2] ، يضحك مما يضحكون منه ، ويتعجّب مما يتعجبون منه ويَصْبر للغريب على الجفوة فى منطقه ومسألته، حتى إنْ كانأصحابُه يَسْتَجلبونه[3] فى المنطق . ويقول : إذارأيتم طالبَ حاجة فأرفِدوه[4]، ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ[5] ولا يقطع على أحد حديثه حتى يَجُوز فيقطعه بانتهاء[6] أو قيام .

قال : فسألته كيف كان سكوته ؟ قال: كان سكوته على أربع : الحِلْموالحذَر والتقدير والتفكر . فأما تقديره ففى تَسْويته النظرَ والاستماعَ بين الناس . وأما تذكّره ، أو قال تفكره ، ففيما يَبْقَى ويفنى ، وجُمع له صلى الله عليه وسلم الحلم والصبر ، فكان لايُغضبه شىء ولا يستفزُّه ، وجُمع له الحذر فى أربع : أَخْذه بالحسنى ، والقيام لهم فيما جمع لهم الدنيا والآخرة صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقد روى هذا الحديثَ بطوله الحافظُ أبو عيسى الترمذى رحمه الله فى كتاب شمائل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن سفيان بن وكيع بن الجراح ، عن جُمَيع بن عمر بن

(١) فى الشمائل للترمذى ٢/١٤٥ : « ولا يجيبه » وقد ذكر شارحها الرواية المذكورة وقال : والظاهر أنه سهو ، لأن الخيبة مصدر اللازم ولا يظهر معناه فى هذا المقام .

(٢) شمائل الترمذى : لا يتنازعون عنده الحديث .

(٣) فى شمائل الترمذى : يستجلبونهم . والمعنى : يأتون بهم إلى مجلسه ليستفيدوا من أسئلتهم .

(٤) ارفدوه : أعينوه بالعطاء والصلة أو بالشفاعة

(٥) المكافئ : المقتصد فى ثنائه المقارب فى مدحه . أو المكافئ بالثناء على نعمة أنعمها عليه ، لا المبتدئ بالثناء .

(٦) كذا . والرواية فى الشمائل : بنهى . ومعنى يجوز : يجاوز الحق .

عبد الرحمن العجلى ، حدثنى رجل من ولد أبى هالة زوج خديجة يُكنى أبا عبد الله ، سماه غيره يزيد بن عمر ، عن ابن لأبى هالة ، عن الحسن بن على ، قال: سألتُ خالى . فذكره . وفيه حديثه عن أخيه الحسين عن أبيه على بن أبى طالب .

وقد رواه الحافظ أبو بكر البيهقى فى الدلائل ، عن أبى عبد الله الحاكم النيسابورى لفظا وقراءة عليه : أخبرنا أبو محمد الحسن [بن] محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبد الله ابن الحسين بن على بن أبى طالب القَعْنَبى صاحب كتاب النَّسب ببغداد ، حدثنا إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب أبو محمد بالمدينة سنة ست وستين ومائتين ، حدثنى على بن جعفر بن محمد ، عن أخيه موسى بن جعفر ، عن جعفر بن محمد ، عن على بن الحسين بن على ، عن أبيه محمد بن على بن الحسين قال : قال الحسن : سألتُ خالى هندَ بن أبى هالة . فذكره .

قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المِزّى رحمه الله فى كتابه « الأطراف » بعد ذكره ماتقدم من هاتين الطريقين :

وروى إسماعيل بن مُسْلم بن قَعْنَب القَعْنَبى ، عن إسحاق بن صالح المخزومى ، عن يعقوب التَّيمى ، عن عبد الله بن عباس ، أنه قال لهند بن أبى هالَةَ ـ وكان وَصَّافا لرسول الله ـ : صِفْ لنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم . فذكر بعض هذا الحديث .

وقد روى الحافظ البيهقى من طريق صبيح بن عبد الله الفَرْغانى وهو ضعيف ، عن عبد العزيز بن عبد الصمد ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، وعن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة حديثا مطولا فى صفة النبى صلى الله عليه وسلم قريبا من حديث هند بن أبى هالة .

وسرده البيهقي بتمامه ، وفى أثنائه تفسير مافيه من الغريب وفيما ذكرناه غُنْية عنه .
والله تعالى أعلم .

وروى البخارى عن أبى عاصم الضحّاك ، عن عمر بن سعيد بن أحمد بن حسين ، عن ابن أبى مُلَيْـكة ، عن عقبة بن الحارث ، قال : صلى أبو بكر العصر بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم بليال فخرج هو وعلى يمشيان ، فإذا الحسن بن على يلعب مع الغلمان ، قال : فاحتمله أبو بكر على كاهله وجعل يقول : يابأبى، شِبْهُ النبى * ليس شَبيهاً بعَلِي .
وعلى يضحك منهما رضى الله عنهما .

وقال البخارى : حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا زُهَير ، حدثنا إسماعيل ، عن أبى جُحَيفة ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الحسن بن على يشبهه .

وروى البيهقى عن أبى على الروذبارى ، عن عبد الله بن جعفر بن شَوْذَب الواسطى، عن شعيب بن أيوب الصَّرِيفينى، عن عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن أبى إسحاق عن هانئ، عن على رضى الله عنه قال : الحسن أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم مابين الصدر إلى الرأس ، والحسين أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان أسفل من ذلك .

باب
ذكر أخلاقه وشمائله الطاهرة صلى الله عليه وسلم

قد قدَّمنا طِيب أصله ومَحْتدِه ، وطهارة نسبه ومولده ، وقد قال الله تعالى : « اللهُ أعْلَمُ حيثُ يجعلُ رِسالَتَه [1] » .

وقال البخاري : حدثنا قتيبة ، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، عن عمرو ، عن سعيد المقبُرِيّ ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بُعثت مِن خير قرون بني آدم قَرْناً بعد قرن ، حتى كنت من القرن الذى كنت فيه » .

وفى صحيح مسلم عن واثِلة بن الأسْقَع قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله اصطفى قريشا من بنى إسماعيل ، واصطفى بنى هاشم من قريش ، واصطفانى من بنى هاشم » .

وقال الله تعالى : « نَ . والقَلَمِ وما يَسْطُرونَ * ما أنْتَ بنِعْمَة رَبِّكَ بمَجْنون * وَإنَّ لكَ لَأجراً غيرَ مَمْنونٍ وَإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عظيمٍ » .

قال العَوْفى عن ابن عباس فى قوله تعالى : « وإنكَ لَعلى خُلقٍ عظيمٍ » : يعنى وإنك لعلَى دين عظيمٍ ، وهو الإسلام .

وهكذا قال مجاهد وابن مالك والسُّدى والضحَّاك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

وقال عطية : لعلَى أدَبٍ عظيم .

وقد ثبت فى صحيح مسلم من حديث قتادة ، عن زُرارة بن أوْفَى ، عن سعد بن هشام ، قال : سألتُ عائشة أم المؤمنين فقلت : أخبرِنى عن خُلق رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة الأنعام .

فقالت : أما تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى فقالت : كان خُلقه القرآن .

وقد روى الإمام أحمد عن إسماعيل بن عُلَيّة ، عن يونس بن عُبَيْد ، عن الحسن البصرى قال : وسئلت عائشة عن خُلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : كان خُلقه القرآن .

وروى الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن مهدى والنسائى من حديثه ، وابن جرير من حديث ابن وهب ، كلاهما عن معاوية بن صالح ، عن أبى الزاهرية ، عن جُبَيْر بن نُفَير ، قال : حججْتُ فدخلت على عائشة فسألتها عن خُلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : كان خُلقه القرآن .

ومعنى هذا أنه عليه السلام مَهْما أَمَره به القرآنُ امتثلَه ، ومهما نَهاه عنه تركه . هذا ماجبَله الله عليه من الأخلاق الجِبِلّية الأصلية العظيمة التى لم يكن أحد من البَشَر ولا يكون على أجملَ منها ، وشَرع له الدينَ العظيم الذى لم يَشْرعه لأحد قَبله ، وهو مع ذلك خاتم النبيين ، فلا رسول بعده ولا نبى صلى الله عليه وسلم ، فكان فيه من الحياء والكرم والشجاعة والحلم والصفح والرحمة وسائر الأخلاق الكاملة مالا يُحدُّ ولا يمكن وَصْفه .

* * *

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا سليمان ، حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا الحسن بن يحيى حدثنا زيد بن واقد ، عن بِشر بن عبيد الله ، عن أبى إدريس الخولانى ، عن أبى الدرداء ، قال : سألت عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : كان خلقه القرآن يَرْضَى لرضاه ويَسْخَط لسخطه .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أحمد بن سهل الفقيه ببخارى ، أخبرنا قيس بن أُنَيف ، حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا جعفر بن سليمان ، عن أبى عمران

عن زيد بن بابَنُوس قال : قلنا لعائشة : ياأم المؤمنين كيف كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالت : أتقرأ سورة المؤمنين إقرأ : « قد أفلَح المؤمنون » إلى العَشْر قالت . هكذا كان خُلق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهكذا رواه النسائى عن قتيبة .

وروى البخارى من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير فى قوله تعالى : « خذ العفوَ وأْمُر بالعُرف وأعرض عن الجاهلين [1] » . قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ العفو من أخلاق الناس .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا عبد العزيز بن محمد ، عن محمد ابن عَجْلان ، عن القَعْقَاع بن حكيم ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما بُعثتُ لأُتمّم صالحَ الأخلاق » .

تفرد به أحمد . ورواه الحافظ أبو بكر الخرائطى فى كتابه فقال : « وإنما بعثت لأتمم مكارَم الأخلاق » .

وتقدم ما رواه البخارى من حديث أبى إسحاق ، عن البراء بن عازب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً ، وأحسن الناس خُلقا .

وقال مالك ، عن الزُّهرى ، عن عروة ، عن عائشة ، أنها قالت : ما خُيِّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا أخذ أيْسَرَهما مالم يكن إثماً ، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه ، وما انتقم لنفسه إلا أن تُنْتَهك حُرمة الله فينتقم لله بها .

ورواه البخارى ومسلم من حديث مالك .

وروى مسلم عن أبى كُرَيب ، عن أبى أسامة ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة

---

(١) سورة الأعراف .

قالت : ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده شيئا قط ، لا عَبـْداً ولا امرأة ولا خادما ، إلا أن يجاهد في سبيل الله ، ولا نِيلَ منه شيء فيَنْتقم من صاحبه إلا أن يُنْتهك شيء من محارم الله فينتقم لله عز وجل .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا مَعْمَر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : ماضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خادما له قط ولا امرأة ، ولا ضرب بيده شيئا إلا أن يجاهد في سبيل الله ، ولا خُيِّر بين شيئين قط إلا كان أحبَّهما إليه أيسرُهما ، حتى يكون إثما ، فإذا كان إثما كان أبعدَ الناس من الإثم ، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه حتى تُنْتهك حرمات الله فيكون هو ينتقم لله عز وجل .

وقال أبو داود الطَّيالسي : حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، سمعت أبا عبد الله الجَدَلي يقول: سمعت عائشة ، وسألتها عن خُلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : لم يكن فاحشا ولا متفحِّشا ، ولا سَخَّابا في الأسواق ، ولا يَجْزي بالسيئة السيئةَ ، ولكن يعفو ويصفح ، أو قال يعفو ويغفر . شكَّ أبو داود .

ورواه الترمذي من حديث شعبة وقال : حسن صحيح .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا آدم وعاصم بن علي قالا : حدثنا ابن أبي ذئب ، حدثنا صالح مولَى التَّوْأمَة قال : كان أبو هريرة ينْعت رسول الله قال : كان يُقْبل جميعا ويُدْبِر جميعا، بأبي وأمي ! لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا سَخَّابا [1] في الأسواق ، زاد آدم . ولم أر مثله قبله ولم أر مثله بعده .

وقال البخاري : حدثنا عَبْدان ، عن أبي حمزة ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن مسروق ، عن عبد الله بن عمرو [2] قال : لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا

---

(١) السخاب : الذي يرفع صوته لسوء خلقه .

(٢) الحديث في صحيح البخاري ٣/١٣٢ ط الأميرية : حدثنا عمر بن حفص ، حدثنا أبي ، حدثنا الأعمش ، قال : حدثني شقيق ، عن مسروق ، قال : كنا جلوسا مع عبد الله بن عمرو يحدثنا إذ قال الخ

متفحشا وكان يقول : « إنّ من خِيارِكم أحسنكم أخلاقا » .

ورواه مسلم من حديث الأعمش به .

وقد روى البخارى من حديث فُلَيح بن سليمان ، عن هلال بن على ، عن عطاء بن يسَار ، عن عبد الله بن عمرو أنه قال : إن رسول الله موصوف فى التوراة بما هو موصوف فى القرآن : « ياأيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشّرا ونذيرا وحِرْزا للأمّيين، أنت عبدى ورسولى ، سميتك المتوكل ، ليس بفظّ ولا غليظ ولا سَخّاب فى الأسواق ، ولا يَجْزِى بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، ولن يَقْبضه حتى يُقِيم به المِلّة العَوْجاء بأن يقولوا : لا إله إلا الله . ويفتح أعينا عُميا ، وآذانا صُماً ، وقلوبا غُلْفا » .

وقد روى عن عبد الله بن سلام وكعب الأحبار .

وقال البخارى : حدثنا مُسدَّد ، حدثنا يحيى ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن عبد الله ابن أبى عتبة ، عن أبى سعيد قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء فى خِدْرها .

حدثنا ابن بَشّار ، حدثنا يحيى وعبد الرحمن قالا : حدثنا شعبة مثله . وإذا كره شيئا عُرف ذلك فى وجهه .

ورواه مسلم من حديث شعبة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر ، حدثنا فُلَيح ، عن هلال بن على ، عن أنس ابن مالك ، قال : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم سَبّابا ولا لعّانا ولا فاحشا ، كان يقول لأحدنا عند المعاتَبة : ماله تَرِبَتْ جبينُه !

ورواه البخارى عن محمد بن سِنان ، عن فُلَيح .

وفى الصحيحين واللفظ لمسلم من حديث حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنَ الناس وكان أجودَ الناس ، وكان أشجع

الناس ، ولقد فَزِع أهلُ المدينة ذات ليلة فانطلق ناسٌ قِبَل الصوت ، فتلقّاهم رسول الله راجعا وقد سبقهم إلى الصوت وهو على فرس لأبي طلحة عُرْى[1] في عنقه السيف وهو يقول : لم تُراعوا لم تراعوا . قال : وجَدْناه بَحْراً[2] ، أو إنه لَبحر . قال : وكان فرساً يُبَطَّأ .

ثم قال مسلم : حدثنا بكر بن أبي شيبة ، حدثنا وَكيع ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ، قال : كان فَزَعٌ بالمدينة ، فاستعار رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لأبي طلحة يقال له مَندوب فركبه فقال : ما رأينا من فزَع ، وإنْ وجدناه لَبحراً .

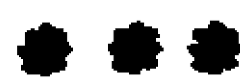
وقال : كنا إذا اشتد البأسُ اتَّقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال أبو إسحاق السَّبيعى ، عن حارثة بن مضرب ، عن على بن أبى طالب ، قال : لما كان يوم بدر اتقينا المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أشدَّ الناس بأساً .

رواه أحمد والبيهقى .

وتقدم فى غزوة هوازن أنه عليه السلام لما فرّ جمهور أصحابه يومئذ ثبَت وهو راكب بغلته وهو ينوّه باسمه الشريف يقول : أنا النبي لا كَذِبْ ، أنا ابن عبد المطلب . وهو مع ذلك يُرْكضها إلى نحور الأعداء .

وهذا فى غاية ما يكون من الشجاعة العظيمة والتوكل التام صلوات الله عليه .



وفى صحيح مسلم من حديث إسماعيل بن عُلَيَّة ، عن عبد العزيز ، عن أنس قال : لما قدم رسول الله المدينة أخذ أبو طلحة بيدى فانطلق بنا إلى رسول الله فقال :

---

(١) العرى : الفرس بلا سرج .
(٢) وجدناه : أى الفرس . والبحر : الواسع الجرى .

يا رسول الله إن أنسا غلام كَيِّس فليخدمك قال فخدمته في السفر والحضر ، والله ما قال لي لشيء صنعته لِمَ صنعت هذا هكذا ؟ ولا لشيء لم أصنعه لِمَ لَمْ تصنع هذا هكذا ؟

وله من حديث سعيد بن أبي بُردة ، عن أنس ، قال : خدمت رسول الله تسع سنين فما أعلمه قال لي قط : لِمَ فعلت كذا وكذا ؟ ولا عاب عليَّ شيئا قط .

وله من حديث عِكْرِمة بن عمار ، عن إسحاق قال أنس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خُلقا فأرسلني يوما لحاجة فقلت : والله لا أذهب — وفي نفسي أن أذهب لِمَا أمرني به رسول الله صلى الله عليه وسلم — فخرجت حتى أمرَّ على صبيان وهم يلعبون في السوق ، فإذا رسول الله صلَّى الله عليه وسلم قد قَبض بقفاي من ورائي . قال : فنظرت إليه وهو يضحك فقال : يا أُنيس ذهبتَ حيث أمرتك ؟ فقلت : نعم أنا أذهب يا رسول الله .

قال أنس : والله لقد خدمتُه تسعَ سنين ما علمته قال لشيء صنعتُه : لم صنعت كذا وكذا . أو لشيء تركته : هلا فعلت كذا وكذا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا كثير ، حدثنا هشام ، حدثنا جعفر ، حدثنا عمران القَصِير ، عن أنس بن مالك ، قال : خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما أمرني بأمر فتوانَيْت عنه أو ضيَّعتُه فلامَني ، وإنْ لامني أحدٌ من أهله إلا قال : دعوه فَلَوْ قُدِّرَ — أو قال قُضِي — أن يكون كان .

ثم رواه أحمد عن علي بن ثابت ، عن جعفر ، هو ابن بُرْقَان ، عن عمران البصري ، وهو القصير ، عن أنس فذكره .

تفرد به الإمام أحمد .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا أبي ، حدثنا أبو التَّيَّاح ، حدثنا أنس

قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنَ الناس خُلقا وكان لى أخ يقال له أبو عُمَير ، قال : أحسبه قال فَطِيما ، قال : فكان إذا جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآه قال : أبا عمير ما فعل النُّغَيْر . قال : نُغَر [١] كان يلعب به ، قال : فربما تحضر الصلاة وهو فى بيتنا فيأمر بالبِسَاط الذى تحته فيُكْنَس ثم يُنْضَح ، ثم يقوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقوم خلفه يصلى بنا ، قال : وكان بساطهم من جريد النخل .

وقد رواه الجماعة إلا أبا داود من طرق ، عن أبى التَّيَّاح يزيد بن حُمَيد ، عن أنس بنحوه .

* * *

وثبت فى الصحيحين من حديث الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجودَ الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يَلْقَاه جبريل فيدارسه القرآنَ ، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسَلة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو كامل ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا سَلْم العلوى ، سمعت أنس بن مالك ، أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى على رجل صُفْرةً فكرهها . قال : فلما قام قال : لو أمرتم هذا أن يغسل عنه هذه الصفرة ؟ قال : وكان لا يكاد يواجِه أحداً بشئ يَكرهه .

وقد رواه أبو داود والترمذى فى الشمائل ، والنسائى فى اليوم والليلة من حديث حماد بن زيد ، عن سَلْم بن قيس العلوى البصرى .

قال أبو داود : وليس من ولد على بن أبى طالب ، وكان يبصِر فى النجوم ، وقد شهد عند عَدِىّ بن أرْطَاة على رؤية الهلال فلم يُجِزْ شهادته .

---

(١) النغر : فرخ العصفور

وقال أبو داود : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا يحيي بن عبد الحميد الحِمَّانِيّ ، حدثنا الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن رجل شيء لم يقل : ما بالُ فلان يقول . ولكن يقول : ما بالُ أقوامٍ يقولون كذا وكذا .

وثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يُبَلِّغني أحدٌ عن أحد شيئاً ، إني أحب أن أخرج إليكم وأنا سَلِيم الصَّدْر .

وقال مالك عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة ، عن أنس بن مالك قال : كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه بُرْد غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابي فجبَذ برداءه جَبْذاً شديداً حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا قد أثَّرت بها حاشية البُرد من شدة جَبْذته ، ثم قال : يا محمد مُرْ لي من مال الله الذي عندك . قال : فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك ثم أمر له بعطاء .

أخرجاه من حديث مالك .

وقال الإمام أحمد : حدثنا زيد بن الُحبَاب ، أخبرني محمد بن هلال القرشي ، عن أبيه ، أنه سمع أبا هريرة يقول : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فلما قام قمنا معه ، فجاء أعرابي فقال : أعطني يا محمد . فقال : لا وأستغفر الله . فجذَبه بحُجْزته فخدَشه ، قال : فهَمُّوا به فقال : دعوه. قال : ثم أعطاه ، قال : فكانت يمينه : لا وأستغفر الله .

وقد روى أصلَ هذا الحديث أبو داود والنسائي وابن ماجه من طرق ، عن محمد ابن هلال بن أبي هلال مولى بني كعب ، عن أبيه ، عن أبي هريرة بنحوه .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا عبد الله بن موسى ، عن شيبان ، عن الأعمش ، عن ثُمامة بن عتبة ، عن زيد بن أرقم ، قال : كان رجل من الأنصار يدخل على رسول

الله صلى الله عليه وسلم ويأتمنه ، وإنه عقد له عُقداً وألقاه فى بئر ، فصرع ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاه ملكان يعودانه فأخبراه أن فلانا عقد له عُقداً وهى فى بئر فلان ، ولقد اصفرّ الماء من شدة عُقده ، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم فاستخرج العقد ، فوجد الماء قد اصفرّ ، فحل العقد ونام النبي صلى الله عليه وسلم ، فلقد رأيت الرجل بعد ذلك يدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فما رأيته فى وجه النبي صلى الله عليه وسلم حتى مات .

قلت : والمشهور فى الصحيح : أن لَبيد بن الأعصم اليهودى هو الذى سَحر النبي صلى الله عليه وسلم فى مشط ومُشَاطَة فى جَفّ طَلْعةِ ذَكَر (١) تحت بئر ذَرْوان ، وأن الحال استمر نحو ستة أشهر ، حتى أنزل الله سورتَىْ المعوّذتين . ويقال : إن آياتهما إحدى عشرة آية ، وأن عُقد ذلك الذى سُحر فيه كان إحدى عشرة عقدة . وقد بسطنا ذلك فى كتابنا التفسير بما فيه كفاية . والله أعلم .

* * *

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو نُعَيم ، حدثنا عمران بن زيد أبو يحيى الملائى ، حدثنا زيد العَمّىّ ، عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صافح أو صافحه الرجل لاينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع يده ، وإن استقبله بوجه لايَصْرفه عنه حتى يكون الرجل ينصرف عنه ، ولا يُرَى مقدِّماً ركبتيه بين يدى جليس له .

ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث عمران بن زيد الثعلبى أبى يحيى الطويل الكوفى ، عن زيد بن الحوارىّ العمى ، عن أنس به .

---

(١) المشاطة : الشعر الذى يسقط من الرأس أو اللحية عند التسريح بالمشط ، والجف وعاء الطلع . وهو أول ما يبدو من ثمر النخل .

وقال أبو داود : حدثنا أحمد بن مَنِيع ، حدثنا أبو قطن ، حدثنا مبارك بن فَضَالة ، عن ثابت البُنَانِيّ ، عن أنس بن مالك ، قال : ما رأيت رجلا قط التقم أذنَ النبي صلى الله عليه وسلم فينحّي رأسه حتى يكون الرجل هو الذى ينحّي رأسه ، وما رأيت رسول الله آخذاً بيده رجل فترك يده حتى يكون الرجل هو الذى يدَع يده .

تفرد به أبو داود .

قال الإمام أحمد : وحدثنا محمد بن جعفر وحجاج ، قالا : حدثنا شعبة . قال ابن جعفر فى حديثه قال : سمعت عليّ بن يزيد قال : قال أنس بن مالك : إنْ كانت الوَلِيدة من ولائد أهل المدينة لتجيء فتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت .

ورواه ابن ماجه من حديث شعبة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هُشَيم ، حدثنا حُميد ، عن أنس بن مالك ، قال : إنْ كانت الأمةُ من أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به فى حاجتها .

وقد رواه البخارى فى كتاب الأدب من صحيحه معلّقا فقال : وقال محمد بن عيسى هو ابن الطّباع : حدثنا هُشَيم فذكره .

* * *

وقال الطبَرانى : حدثنا أبو شعيب الحَرّانى ، حدثنا يحيي بن عبد الله البابَلُتّى ، حدثنا أيوب بن نُهَيك ، سمعت عطاء بن أبي رباح ، سمعت ابن عمر ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى صاحب بَزّ فاشترى منه قميصا بأربعة دراهم ، فخرج وهو عليه فإذا رجل من الأنصار فقال : يارسول الله اكسنى قميصا كساك الله من ثياب الجنة . فنزع القميصَ فكساه إياه ، ثم رجع إلى صاحب الحانوت فاشترى منه قميصا بأربعة دراهم

وبقى معه درهمان . فإذا هو بجارية فى الطريق تبكى ، فقال : مايبكيك ؟ فقالت : يارسول الله دفع إلىّ أهلى درهمين أشترى بهما دقيقا فهلكا . فدفع إليها رسول الله الدرهمين الباقيين ، ثم انقلب وهى تبكى فدعاها فقال : مايبكيك وقد أخذتِ الدرهمين ؟ فقالت : أخاف أن يضربونى . فمشى معها إلى أهلها ، فسلّم فعرفوا صوته ، ثم عاد فسلم ثم عاد فسلم ثم عاد فثلّث فردّوا . فقال : أسمعتم أول السلام ؟ قالوا : نعم ولكن أحببنا أن تزيدنا من السلام ، فما أشخصَك بأبينا وأمنا ؟ فقال : أشفقتُ هذه الجارية أن تضربوها . فقال صاحبها : هى حُرة لوجه الله لممشاك معها . فبشّرهم رسول الله بالخير والجنة . ثم قال : لقد بارك الله فى العشرة : كسا الله نبيه قميصا ورجلا من الأنصار قميصا وأعتق الله منها رقبة ، وأحمد الله هو الذى رزقنا هذا بقدرته .

هكذا رواه الطبرانى ، وفى إسناده أيوب بن نُهَيك الحلبى ، وقد ضعّفه أبو حاتم ، وقال أبو زُرْعة : مُنْكَر الحديث ، وقال الأزْدى : متروك .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، عن ثابت عن أنس ، أن امرأة كان فى عَقْلها شىء فقالت : يارسول الله إنّ لى حاجةً . فقال : يا أم فلان انظرى أىّ الطرق شئتِ فقام معها يناجيها حتى قضت حاجتها .

وهكذا رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة .

وثبت فى الصحيحين من حديث الأعمش ، عن أبى حازم ، عن أبى هريرة قال : ماعاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما قط ، إن اشتهاه أكله وإلا تركه .

وقال الثّورى ، عن الأسود بن قيس ، عن شيخ العَوْفى ، عن جابر ، قال : أتانا رسول الله فى منزلنا فذبحنا له شاة فقال : كأنهم علموا أنا نحب اللحم . الحديث .

* * *

وقال محمد بن إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن يوسف

ابن عبد الله بن سلاَّم ، عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس يتحدَّث كثيرا مايرفع طَرْفه إلى السماء .

وهكذا رواه أبو داود فى كتاب الأدب من سننه من حديث محمد بن إسحاق به .

وقال أبو داود : حدثنا سلمة بن شَبِيب ، حدثنا عبدالله بن إبراهيم ، حدثنا إسحاق ابن محمد الأنصارى، عن ربيح بن عبد الرحمن ، عن أبيه عن جده أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا جلس احتبىَ بيده .

ورواه البزار فى مسنده ولفظه : كان إذا جلس نصَب ركبتيه واحتبى بيديه .

ثم قال أبو داود : حدثنا حفص بن عمر وموسى بن إسماعيل ، قالا : حدثنا عبد الرحمن بن حسان العنبرى ، حدثنى جدتاى صفية ودُحَيْبَة ابنتا عُلَيْبة ، قال موسى : ابنة حَرْمَلة وكانتا ربيبتىْ قَيْلَة بنت مَخْرَمة ، وكانت جدة أبيهما ، أنها أخبرتهما أنها رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قاعد القُرْفُصَاء . قالت : فلما رأيت رسول الله المتخشّع فى الجلسة أُرْعِدْت من الفَرَق .

ورواه الترمذى فى الشمائل وفى الجامع عن عَبْد بن حُميد ، عن عفان بن مسلم بن عبد الله بن حسان به . وهو قطعة من حديث طويل قد ساقه الطبرانى بتمامه فى معجمه الكبير .

وقال البخارى : حدثنا الحسن بن الصباح البزار ، حدثنا سفيان ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان يحدُث حديثا لو عَدَّه العادُّ لأحصاه .

قال البخارى : وقال الليث : حدثنى يونس ، عن ابن شهاب ، أخبرنى عروة بن الزبير ، عن عائشة ، أنها قالت : ألا أعجبك أبو فلان ، جاء فجلس إلى جانب حجرتى يحدِّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يُسمعنى ذلك ، وكنت أسبّح فقام قبل أن

أقضى سُبْحتى (١) ، ولو أدركته لرددت عليه ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يَسْرُد الحديثَ كسَرْدكم.

وقد رواه أحمد عن على بن إسحاق ، ومسلم عن حَرْملة ، وأبو داود عن سليمان ابن داود ، كلهم عن ابن وهب ، عن يونس بن يزيد به ، وفى روايتهم : ألا أُعجبك من أبى هريرة ؟ فذكرت نحوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أسامة ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : كان كلام النبى صلى الله عليه وسلم فَصْلا يفهمه كلُّ أحد ، لم يكن يَسْرد سردا .

وقد رواه أبو داود ، عن ابن أبى شيبة ، عن وَكِيع .

وقال أبو يعلى : حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء ، حدثنا عبد الله بن مِسْعَر ، حدثنى شيخ أنه سمع جابر بن عبد الله — أو ابن عمر — يقول : كان فى كلام النبى صلى الله عليه وسلم ترتيل أو تَرْسِيل .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا عبد الله بن المثنى ، عن ثُمامة ، عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا تكلم بكلمة ردَّدها ثلاثا ، وإذا أتى قوما يسلِّم عليهم سلَّم ثلاثا .

ورواه البخارى من حديث عبد الصمد .

وقال أحمد : حدثنا أبو سعيد بن أبى مريم ، حدثنا عبد الله بن المثنى ، سمعت ثُمامة ابن أنس يذكر أن أنسا كان إذا تكلم تكلم ثلاثا ، ويذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا تكلم تكلم ثلاثا ، وكان يستأذن ثلاثا

---

(١) السبحة : النافلة .

وجاء فى الحديث الذى رواه الترمذى عن عبد الله بن المثنى ، عن ثُمَامة ، عن أنس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا تكلم يُعيد الكلمةَ ثلاثا لتُعقَل عنه .

ثم قال الترمذى : حسن صحيح غريب .

وفى الصحيح أنه قال : أوتيتُ جوامعَ الكلم . واختصر الحِكَم اختصارا .

قال الإمام أحمد : حدثنا حَجاج ، حدثنا ليث ، حدثنى عَقِيل بن خالد ، عن ابن شِهاب ، عن سعيد بن المسيَّب ، أن أبا هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بُعثت بجوامع الكلم ، ونُصرت بالرعب ، وبينا أنا نائم أُتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت فى يدى .

وهكذا رواه البخارى من حديث الليث . وقال أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى ، حدثنا ابن لَهِيعة ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نُصرت بالرعب ، وأوتيت جوامع الكلم ، وبينا أنا نائم أُتِيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضِعت فى يدى .

تفرّد به أحمد من هذا الوجه .

وقال أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نُصرت بالرعب ، وأوتيت جوامع الكلم ، وجعلت لى الأرض مسجدا وطَهورا ، وبينا أنا نائم أُتيت بمفاتيح خزائن الأرض فتُلت (١) فى يدى .

تفرّد به أحمد من هذا الوجه وهو على شرط مسلم .

* * *

وثبت فى الصحيحين من حديث ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، حدثنى أبو

---

(١) تلت : ألقيت .

النَّضر ، عن سليمان بن يسار ، عن عائشة قالت : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مُسْتَجمِعا ضاحكا حتى أرى منه لَهَواته (١) إنما كان يتبسم .

وقال الترمذي : حدثنا قتيبة ، حدثنا ابن لَهِيعة ، عن عبد الله بن المغيرة ، عن عبد الله بن الحارث بن جَزْء ، قال : ما رأيت أحداً أكثر تبسُّماً من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم رواه من حديث الليث عن يزيد بن أبي حَبيب ، عن عبد الله بن الحارث بن جَزْء قال : ما كان ضَحِك رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تبسما ، ثم قال : صحيح .

وقال مسلم : حدثنا يحيى بن يحيى ، حدثنا أبو خيثمة ، عن سِماك بن حَرْب قلت لجابر بن سَمُرة : أكنت تجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم كثيرا ، كان لا يقوم من مُصَلاَّه الذى يصلى فيه الصبح حتى تطلع الشمس [فإذا طلعت الشمس (١)] قام ، وكانوا يتحدثون فيأخذون فى أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا شَرِيك وقيس بن سعد ، عن سِماك بن حَرْب ، قال : قلت لجابر بن سمرة : أكنت تجالس النبى صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم كان كثير الصمت ، قليل الضحك ، فكان أصحابه ربما يتناشدون الشعر عنده وربما قال الشىء من أمورهم فيضحكون ، وربما يتبسم .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبى عمرو ، قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن إسحاق ، أخبرنا أبو عبد الرحمن المقرى ، حدثنا الليث بن سعد ، عن الوليد بن أبى الوليد ، أن سليمان بن خارجة أخبره عن خارجة بن زيد — يعنى ابن ثابت — أن نفرا دخلوا على أبيه فقالوا :

---

(١) من صحيح مسلم ١ /٤٦٣ ط الحلبى .

(٢) اللهوات : جمع لهاة ، وهى اللحمة الناتئة فى الحلق .

حدّثنا عن بعض أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : كنت جاره ، فكان إذا نزل الوحي بعث إليّ فآتيه فأكتب الوحي ، وكنا إذا ذكرْنا الدنيا ذكَرها معنا ، وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا ، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا ، فكل هذا نحدّثكم عنه .

ورواه الترمذي في الشمائل عن عباس الدُّوري ، عن أبي عبد الرحمن عن عبد الله ابن يزيد المقرى به نحوه .

ذكر كرمه عليه السلام

تقدم ماأخرجاه فى الصحيحين من طريق الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجودَ الناس ، وكان أجود مايكون فى شهر رمضان حين يَلْقاه جبريل بالوحى فيُدَارسه القرآن ، فلَرَسول الله صلى الله عليه وسلم أَجْوَد بالخير من الريح المرسَلة .

وهذا التشبيه فى غاية مايكون من البلاغة ، فى تشبيه الكرَم بالريح المرسَلة فى عمومها وتواترها وعدم انقطاعها .

وفى الصحيحين من حديث سُفيان بن سعيد الثَّورى ، عن محمد بن المنكدِر ، عن جابر بن عبد الله ، قال : ماسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال : لا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن أبى عَدِىّ عن حُميد ، عن موسى بن أنيس ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يُسأل شيئا على الإسلام إلا أعطاه . قال : فأتاه رجل فأمر له بشاء كثير بين جبلين من شاء الصدقة ، قال : فرجع إلى قومه فقال : ياقوم أسلِموا فإن محمدا يُعطِى عطاء ما يخشى الفاقة .

ورواه مسلم عن عاصم بن النضر ، عن خالد بن الحارث ، عن حُميد .

وقال أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، حدثنا ثابت ، عن أنس ، أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم فأعطاه غَنَما بين جبلين فأتى قومه فقال : أىْ قوم أسلموا ؛ فإن محمدا يعطى عطاء مايخاف الفاقة . فإنْ كان الرجل لَيجىء إلى رسول الله مايريد إلا الدنيا ، فما يُمسى حتى يكون دِينه أحبَّ إليه وأعزَّ عليه من الدنيا وما فيها .

ورواه مسلم من حديث حماد بن سلمة به .

وهذا العطاء ليؤلّف به قلوب ضعيفى القلوب فى الإسلام ، ويتألف آخرين ليدخلوا فى الإسلام ، كما فعل يومَ حنين ، حين قَسم تلك الأموال الجزيلة من الإبل والشاء والذهب والفضة فى المؤلَّفة ، ومع هذا لم يعطِ الأنصار وجمهورَ المهاجرين شيئا ، بل أنفق فيمن كان يحب أن يتألّفه على الإسلام ، وترك أولئك لمَا جعل الله فى قلوبهم من الغنَى والخير .

وقال مُسلِّيا لمن سأل عن وجه الحكمة فى هذه القسمة لمن عتَب من جماعة الأنصار: أمَا ترضون أن يذهب الناسُ بالشاء والبعير ، وتذهبون برسول الله تحوزونه إلى رِحَالكم؟ قالوا : رضينا يارسول الله.

وهكذا أعطى عمّه العباس بعد ما أسلم حين جاءه ذلك المال من البحرين، فوضع بين يديه فى المسجد ، وجاء العباس فقال : يارسول الله أعطنى فقد فاديتُ نفسى يوم بدر وفاديت عَقيلا . فقال : خذ . فنزع ثوبه عنه وجعل يضع فيه من ذلك المال ، ثم قام ليُقِلّه فلم يقدر ، فقال لرسول الله : ارفعه علىَّ . فقال لا أفعل. فقال : مُرْ بعضَهم ليرفعه علىَّ . فقال : لا . فوضع منه شيئا ثم عاد فلم يقْدر ، فسأله أن يرفعه أو أن يأمر بعضهم برفعه فلم يفعل ، فوضع منه ثم احتمل الباقى وخرج به من المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم يُتْبعه بصَره عجباً من حِرصه !

قلت : وقد كان العباس رضى الله عنه رجلا شديدا طويلا نبيلا ، فأقلُّ ما احتَمل شىء يقارب أربعين ألفا . والله أعلم .

وقد ذكره البخارى فى صحيحه فى مواضع معلقا بصيغة الجزم ، وهذا يورد فى مناقب العباس لقوله تعالى : « ياأيها النبى قلْ لمن فى أيديكم من الأسْرَى إن يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤْتكم خيرا مما أُخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم[1] » .

***

(١) سورة الأنفال ٧٠ .

وقد تقدم عن أنس بن مالك خادمه عليه السلام أنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجودَ الناس ، وأشجعَ الناس . الحديث .

وكيف لايكون كذلك ، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم المجبول على أكمل الصفات ، الواثق بما فى يدى الله عز وجل ، الذى أنزل الله عليه فى محكم كتابه العزيز : « ومالكم ألّا تُنفقوا فى سبيل الله ولله ميراثُ السموات والأرض[1] » الآية ، وقال تعالى : « وما أنفقتم من شىء فهو يُخلفه وهو خيرُ الرازقين[2] » .

وهو عليه السلام القائل لمؤذّنه بلالٍ وهو الصادق المصدوق فى الوعد والمقال : «أنفق بلال ولا تخشَ من ذى العرش إقلَالا » .

وهو القائل عليه السلام : « مامِن يوم يُصبح العِبَاد فيه إلا وملَكان يقول أحدهما : اللهم أعط مُنفِقا خلفا . ويقول الآخر : اللهم أعطِ مُمسِكا تلَفًا » .

وفى الحديث الآخر أنه قال لعائشة : « لاتُوعِى فيُوعِىَ الله عليكِ ، ولا تُوكِى فيُوكِى الله عليك »[3] .

وفى الصحيح أنه عليه السلام قال : يقول الله تعالى : « ابنَ آدم أنفق أُنفِق عليك » .

فكيف لايكون أكرمَ الناس وأشجع الناس ، وهو المتوكّل الذى لاأعظم منه فى توكله ، الواثق برزق الله ونصره ، المستعين بربه فى جميع أمره .

ثم قد كان قبل بعثته وبعدها وقبل هجرته ، ملجأ الفقراء والأرامل والأيتام والضعفاء والمساكين ، كما قال عمه أبو طالب فيما قدمناه من القصيدة المشهورة :

---

(١) سورة الحديد ١٠ .

(٢) سورة سبأ ٣٤ .

(٣) لا توعى : لا تجمعى وتشحى فى النفقة . ولا توكى : لاتدخرى وتمنعى ما فى يديك ، فتنقطع مادة الرزق عنك . النهاية .

وما تَرْكُ قومٍ لاأبالك سيدًا ... يَحُوط الذِّمار غيرذَرْبٍ مُوكَّلِ[1]

وأبيضَ يُستَسْقى الغمامُ بوجهه ... ثِمَالُ اليتامى عصمةٌ للأراملِ[2]

يَلُوذ به الهُلاَّكُ من آل هاشم ... فهم عنده فى نِعمةٍ وفواضلِ

***

ومن تواضعه ما روى الإمامُ أحمد من حديث حماد بن سلمة، عن ثابت ـ زاد النسائى: وحُميد ـ عن أنس، أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا سيدنا وابن سيدنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يا أيها الناس قولوا [لا] بقولكم، ولا يَسْتهوينّكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله ورسوله. والله ما أُحبُّ أن ترْفعونى فوقَ ما رفعنى الله».

وفى صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله: «لا تُطْرونى كما أطْرَت النصارى عيسى بن مريم، فإنما أنا عبدٌ، فقولوا: عبدُ الله ورسوله».

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى، عن شعبة، حدثنى الحكم، عن إبراهيم، عن الأسود قال: قلت لعائشة: ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع فى أهله؟ قالت: كان فى مِهْنَة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة

وحدثنا وَكِيع ومحمد بن جعفر قالا: حدثنا شُعبة، عن الحكم، عن إبراهيم، عن الأسود قال: قلت لعائشة: ما كان النبيّ صَلى الله عليه وسلم يصنع إذا دخل بيته؟ قالت: كان يكون فى مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج فصلى.

ورواه البخارى عن آدم، عن شعبة.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عَبْدة، حدثنا هشام بن عروة، عن رجل قال: سُئلت

---

(١) الذرب: الفاحش اللسان والوكل: الذى يكل أموره إلى غيره

(٢) الثمال: الملجأ.

عائشة : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع فى بيته ؟ قالت : كان يرقع الثوب ويَخْصِف النعل ونحو هذا .

وهذا منقطع من هذا الوجه .

وقد قال عبد الرزاق : أخبرنا مَعْمَر ، عن الزهرى ، عن عروة وهشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : سأل رجل عائشة : هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل فى بيته ؟ قالت : نعم ، كان يَخْصِف نعله ، ويَخيط ثوبه كما يعمل أحدكم فى بيته .

رواه البيهقى فاتصل الإسناد .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو الحسين بن بشران ، أخبرنا أبو جعفر محمد بن عمرو بن البختری - إملاء - حدثنا محمد بن إسماعيل السُّلَمى ، حدثنا ابن صالح ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن يحيى بن سعيد ، عن عَمْرة قالت : قلت لعائشة : ما كان يعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته ؟ قالت : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بَشَراً من البشَر ، يفلّى ثوبه ويَحْلب شاته ، ويخدم نفسه .

ورواه الترمذى فى الشمائل عن محمد بن إسماعيل ، عن عبد الله بن صالح ، عن يحيى ابن سعيد ، عن عَمْرة قالت : قيل لعائشة : ما كان يعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته . الحديث

وروى ابن عساكر من طريق أبى أسامة ، عن حارثة بن محمد الأنصارى ، عن عَمرة قالت : قلت لعائشة : كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أهله ؟ قالت : كان ألينَ الناس ، وأكرم الناس ، وكان ضَحّاكاً بسّاما .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا شعبة ، حدثنى مسلم أبو عبد الله الأعور ، سمع أنساً يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكْثِر الذكر ويقِلُّ اللغو ، ويركب

الحمار ، ويلبس الصوف ، ويجيب دعوةَ المملوك ، ولقد رأيته يوم خيبر على حمار خِطامه من لِيف .

وفي الترمذي وابن ماجه من حديث مسلم بن كَيسان الملائيّ ، عن أنس بعض ذلك .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ – إملاء – حدثنا أبو بكر محمد بن جعفر الآدمي القارى ببغداد ، حدثنا عبد الله بن أحمد بن إبراهيم الدَّوْرَقى ، حدثنا أحمد بن نصر بن مالك الخزاعي ، حدثنا على بن الحسين ابن واقد ، عن أبيه قال : سمعت يحيى ابن عَقِيل ، يقول : سمعت عبد الله بن أبي أَوْفَى يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكْثِر الذِّكر ، ويُقِل اللَّغو ، ويطيل الصلاة ، ويقصر الخُطبة ، ولا يَسْتنكف أن يمشى مع العبد ، ولا مع الأرملة ، حتى يَفْرَغ لهم من حاجاتهم .

ورواه النسائي عن محمد بن عبد العزيز ، عن أبي زُرْعة ، عن الفضل بن موسى ، عن الحسين بن واقد ، عن يحيى بن عقيل الخزاعي البصري ، عن ابن أبي أوفى بنحوه .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو بكر إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الفقيه بالرَّيّ ، حدثنا أبو بكر محمد بن الفرج الأزرق ، حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا شَيْبان أبو معاوية ، عن أَشْعَث بن أبي الشعثاء ، عن أبي بُرْدَة ، عن أبي موسى ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ، ويلبس الصوف ، ويعتقل الشاة ، ويأتي مراعاة الضيف (١) .

وهذا غريب من هذا الوجه ، ولم يخرجوه وإسناده جيد .

وروى محمد بن سعد ، عن إسماعيل بن أبي فُدَيْك ، عن موسى بن يعقوب الزمعي ، عن سهل مولى عتبة ، أنه كان نصرانيا من أهل مريس ، وأنه كان في حِجْر عمه ، وأنه

---

(١) كذا بالأصل . ولعله من المراعاة وهي الملاحظة . يريد أنه يلاحظ ضيفه للاحسان إليه .

قال : قرأت يوما فى مصحف لعمى ، فإذا فيه ورقة بغير الخط وإذا فيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم : لاقصير ولا طويل، أبيض ذو ضفيرتين ، بين كتفيه خاتم ، يكثر الاحتباء ولا يَقْبل الصدقة ، ويركب الحمار والبعير ، ويحتلب الشاة ، ويلبس قميصا مرقوعا ، ومن فعل ذلك فقد برىء من الكِبْر ، وهو من ذرية إسماعيل ، اسمه أحمد .

قال : فلما جاء عمى ورآنى قد قرأتها ضربنى وقال : مالك وفَتْح هذه ! فقلت : إن فيها نعت أحمد ، فقال : إنه لم يأت بعد .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، حدثنا أيوب ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن أنس قال : مارأيت أحَداً كان أرحمَ بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذكر الحديث .

ورواه مسلم عن زهير بن حرب عن إسماعيل بن عُلَيَّة به .

وقال الترمذى فى الشمائل : حدثنا محمود بن غَيْلان ، حدثنا أبو داود ، عن الأشعث بن سليم ، [قال [1]] سمعت عمتى تحدث عن عمها قال : بينا أنا أمشى بالمدينة إذا إنسان خلفى يقول : ارفع إزارك فإنه أنقَى وأبقَى ، [فنظرت [1]] فإذا هو رسول الله ، فقلت : يارسول إنما هى بُرْدة مَلْحاء . قال : أمالك فىَّ أسوة ؟ فإذا إزاره إلى نصف ساقيه .

ثم قال : حدثنا سُوَيد بن نصر ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، عن موسى بن عبيدة عن إياس بن سلمة ، عن أبيه قال : كان عثمان بن عفان مُتزراً إلى أنصاف ساقيه قال : هكذا كانت إزْرَة صاحبى صلى الله عليه وسلم .

وقال أيضا : حدثنا يوسف بن عيسى ، حدثنا وكيع ، حدثنا الرَّبيع بن صبيح ، حدثنا يزيد بن أبان ، عن انس بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) من ت .

يُكْثِرِ القِنَاعَ [1] ، كأنَّ ثوبَهُ ثوبُ زيَّات

وهذا فيه غرابة ونكارة والله أعلم .

وروى البخارى عن على بن الجعد ، عن شعبة ، عن يَسَار أبى الحكم ، عن ثابت ، عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ على صبيان يلعبون فسلَّم عليهم .

ورواه مسلم من وجه آخر عن شعبة .

ذكر مِزَاحه عليه السلام

وقال ابن لَهِيعة : حدثنى عمارة بن غَزِيَة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة، عن أنس ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أفكه الناس مع صبى .

وقد تقدم حديثه فى ملاعبته أخاه أبا عمير ، وقوله : أبا عُمَيْرٍ مافعل النُّغَيْر ؟ يذكره ، بموت نُغَرٍ كان يلعب به ليُخرِجه بذلك كما جرت به عادة الناس من المداعبة مع الأطفال الصغار .

وقال الإمام أحمد : حدثنا خَلَف بن الوليد ، حدثنا خالد بن عبد الله ، عن حُمَيد الطويل ، عن أنس بن مالك ، أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فاستَحْمَله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا حاملوك على ولَد ناقة . فقال : يارسول الله ما أصنع بولد ناقة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وهل تلد الإبلَ إلا النوقُ ؟ .

ورواه أبو داود عن وهب بن بَقِيَّة ، والترمذى عن قتيبة ، كلاهما عن خالد بن عبد الله الواسطى الطَّحان به . وقال الترمذى : صحيح غريب .

---

(١) القناع : خرقة تلقى على الرأس بعد استعمال الدهن وقاية للعمامة من أثر الدهن . وقد قيل إن المراد بالثوب المذكور فى الحديث القناع نفسه ، لان المناسب ألا يكون ثوبه صلى الله عليه وسلم كثوب زيات . وقال ابن حبان : الربيع بن صبيح ، أحد رواة هذا الحديث ، كان عابدا ولم يكن الحديث من صناعته ، فوقع فى حديثه المناكير من حيث لا يشعر ، ومن مناكيره قوله فى هذا الحديث : كأن ثوبه ثوب زيات ، فإن النبى صلى الله عليه وسلم كان أنظف الناس ثوبا وأحسنهم هيئة وأعلمهم سمتا . انظر شرح شمائل الترمذى لابن جسوس ٢/ ٥٦ .

وقال أبو داود فى هذا الباب : حدثنا يحيى بن مَعِين ، حدثنا حَجَّاج بن محمد ، حدثنا يونس بن أبى إسحاق ، عن أبى إسحاق ، عن العَيْزَار بن حرب ، عن النعمان بن بشير قال : استأذن أبو بكر على النبى صلى الله عليه وسلم ، فسمع صوت عائشة عاليا على رسول الله ، فلما دخل تناولها ليلطمها وقال : ألا أراك ترفعين صوتك على رسول الله !

فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يَحْجِزه وخرج أبو بكر مُغْضَبا ، فقال رسول الله حين خرج أبو بكر : كيف رأيتنى أنقذتُك من الرَّجل ؟ .

فمكث أبو بكر أياما ثم استأذن على رسول الله فوجدهما قد اصطلحا ، فقال لهما : أدخلانى فى سِلْمكما كما أدخلتمانى فى حَرْبكما . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد فعلنا قد فعلنا .

وقال أبو داود : حدثنا مؤمّل بن الفضل ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن عبد الله بن العلاء ، عن بشر بن عبيدالله ، عن أبى إدريس الخولانى ، عن عوف بن مالك الأشجعى ، قال : أتيت رسولَ الله فى غزوة تبوك وهو فى قُبَّة من أَدَم ، فسلّمت فردَّ وقال : ادخل . فقلت : أ كُلِّى يارسول الله ؟ فقال : كُلّك . فدخلت .

وحدثنا صفوان بن صالح ، حدثنا الوليد بن عثمان بن أبى العاملة إنما قال : أدخُل كُلّى ؟ من صِغَر القبة .

ثم قال أبو داود : حدثنا إبراهيم بن مهدى ، حدثنا شريك ، عن عاصم ، عن أنس قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياذا الأُذنين .

قلت : ومن هذا القبيل ما رواه الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا مَعْمَر ، عن ثابت ، عن أنس أن رجلا من أهل البادية كان اسمه زاهرا ، وكان يُهْدِى النبىَّ صلى الله عليه وسلم الهدية من البادية ، فيجهّزه النبى صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج ، فقال رسول الله : إن زاهراً بادِيتُنا ونحن حاضِرُوه .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه ، وكان رجلا دَمِيما ، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خَلْفه ولا يبصرُه الرَّجل ، فقال : أرسِلْنى ، من هذا ؟ فالتفت فعرف النبىَّ صلى الله عليه وسلم، فجعل لاَ يألو ما ألصق ظَهره بصدر النبى صلى الله عليه وسلم حين عرفه ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : مَن يشترى العبد ؟ فقال : يارسول الله إذن والله تجدنى كاسدا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لكنْ عند الله لست بكاسد . أو قال : لكن عند الله أنت غال .

وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات على شرط الصحيحين ولم يروه إلا الترمذى فى الشمائل، عن إسحاق بن منصور ، عن عبد الرزاق .

ورواه ابن حبان فى صحيحه [1] .

ومن هذا القَبيل ما رواه البخارى فى صحيحه ، أن رجلا كان يقال له عبدُ الله ـ ويلقب حِمَارا ـ وكان يُضحِكُ النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان يؤتَى به فى الشَّراب ، فجىء به يوما فقال رجل : لعنه الله ما أكثر ما يؤتَى به ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله » .

ومن هذا ما قال الإمام أحمد : حدثنا حجاج ، حدثنى شعبة ، عن ثابت البُنَانى ، عن أنس بن مالك ، أن النبى صلى الله عليه وسلم كان فى مَسِير وكان حادٍ يَحْدُو بنسائه أو سائق . قال : فكان نساؤه يتقدمن بين يديه ، فقال : يا أَنجشَة ويحك ، ارفق بالقوارير !

وهذا الحديث فى الصحيحين عن أنس ، قال : كان للنبى صلى الله عليه وسلم حادٍ يحدو بنسائه يقال له أَنجَشة ، فحدَا فأَعنَقت [2] الإبلُ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويحك يا أنجشة ارفق بالقوارير .

---

(١) ق ا : فى صحيحه عن . ولم يذكر الراوى . (٢) أعنقت : أسرعت .

ومعنى القوارير النساء . وهى كلمة دعابة ، صلوات الله وسلامه عليه دائمـا إلى يوم الدين .

***

ومن مـكارم أخلاقه ودعابته وحُسن خلقه استماعه عليه السلام حديث أم زَرْع من عائشة بطـوله ، ووقع فى بعض الروايات أنه عليـه السلام هو الذى قصّه على عائشة .

ومن هذا مارواه الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا أبو عَقِيل ـ يعنى عبدالله ابن عقيل الثقفى ـ به ، حدثنا مُجَالِد بن سعيد ، عن عامر ، عن مسروق ، عن عائشة ، قالت : حدَّث رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ذات ليلة حديثا ، فقالت امرأة منهن: يارسول الله كان الحديثُ حديثَ خُرافة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتدرين ما خرافة ؟ إن خرافة كان رجلا من عُذْرة أسرَتْه الجن فى الجاهلية ، فـكث فيهم دهرا طويلا ، ثم ردوه إلى الإنس ، فـكان يحدِّث الناسَ بما رأى فيهم من الأعاجيب ، فقال الناس : حديث خرافة .

وقد رواه الترمذى فى الشمائل عن الحسن بن الصباح البزار ، عن أبى النضر هاشم ابن القاسم به .

قلت : وهو من غرائب الأحاديث ، وفيه نـكارة، ومجالدُ بن سعيد يتكلمون فيه فالله أعلم .

وقال الترمذى فى باب مزَاح النبى صـلى الله عليه وسلم من كتابه الشمائل : حدثنا عَبْدُ بن حُميد ، حدثنا مُصْعَب بن المِقْدام ، حدثنا المبارك بن فضالة ، عن الحسن قال : أتت عجوزٌ النبىَّ صلى الله عليه وسلم فقالت : يارسول الله ادعُ لى أن يدخلنى الله الجنةَ. قال : ياأم فلان إن الجنة لايَدْخلها عجوز . فولّت العجوز تبـكى ، فقال : أخبروها أنها

لا تدخلها وهى عجوز ، فإن الله تعالى يقول : « إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكاراً »(١) .

وهذا مرسل من هذا الوجه .

وقال الترمذى : حدثنا عباس بن محمد الدُّورى ، حدثنا على بن الحسن بن شَقِيق أخبرنا عبد الله بن المبارك ، عن أسامة بن زيد ، عن سعيد المقبُرى ، عن أبى هريرة قال : قالوا يارسول الله إنك تُدَاعبنا . قال : إنى لا أقول إلا حَقًّا .

تداعبنا ـ يعنى تمازحنا ـ وهكذا رواه الترمذى فى جامعه فى باب البر بهذا الإسناد ثم قال : وهذا حديث مُرسَل حسن .

---

(١) سورة الواقعة ٣٥ ، ٣٦

باب

زُهْده عليه السلام وإعراضه عن هذه الدار، وإقباله واجتهاده وعمله لدار القَرار

قال الله تعالى: « ولا تَمدّنّ عينيك إلى ما متّعنا به أزواجاً منهم زهرةَ الحياة الدنيا لنَفْتنهم فيه، ورزق ربك خيرٌ وأبقى »[١].

وقال تعالى: « واصبرْ نفسَك مع الذين يدعون ربهم بالغَداة والعشيّ يريدون وجهه ولا تَعْدُ عيناك عنهم تريد زينةَ الحياة الدنيا، ولا تُطِعْ من أغْفَلنا قلبَه عن ذِكْرنا واتَّبعَ هواه وكان أمره فُرُطا[٢] » وقال تعالى: « فأعرضْ عمن تَولّى عن ذكرنا ولم يُرد إلا الحياةَ الدنيا، ذلك مَبْلَغهم من العلم[٣] » وقال: « ولقد آتيناك سَبعاً من المثاني والقرآنَ العظيم لا تمدّنّ عينيك إلى ما متّعنا به أزواجاً منهم ولا تحزن عليهم واخفِضْ جناحَك للمؤمنين[٤] ». والآيات في هذا كثيرة.

وأما الأحاديث، فقال يعقوب بن سفيان: حدثني أبو العباس حَيْوَة بن شُريح، أخبرنا بَقِيّة، عن الزبيدي. عن الزُّهري، عن محمد بن عبد الله بن عباس قال: كان ابن عباس يحدِّث أن الله أرسل إلى نبيه ملَكا من الملائكة معه جبريل، فقال الملك لرسوله: « إن الله يخيّرك بين أن تكون عَبْدا نبياً وبين أن تكون ملكا نبياً » فالتفت رسول الله إلى جبريل كالمستشير له، فأشار جبريل إلى رسول الله: أن تواضعْ. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل أكون عَبْداً نبيا ».

قال: فما أكل بعد تلك الكلمة طعاما متكئا حتى لقي الله عز وجل.

---

(١) سورة طه ١٣١ (٢) سورة الكهف ٢٨. (٣) سورة النجم ٢٩، ٣٠. (٤) سورة الحجر ٨٧، ٨٨

وهكذا رواه البخارى فى التاريخ ، عن حَيْوَة بن شُرَيح ، وأخرجه النسائى عن عمرو بن عثمان ، كلاهما عن بَقِيَّة بن الوليد به . وأصل هذا الحديث فى الصحيح بنحو من هذا اللفظ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن فضيل ، عن عمارة ، عن أبى زُرْعة ـ ولا أعلمه إلا عن أبى هريرة ـ قال : جلس جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى السماء ، فإذا ملك ينزل ، فقال جبريل : إن هذا الملك ما نزل منذ يوم خُلق قبل الساعة . فلما نزل قال : يا محمد أرسلنى إليك ربك : أفَمِلكاً نبيا يجعلك أو عبدا رسولا ؟

هكذا وجدته بالنسخة التى عندى بالمسنَد مقتصرا وهو من أفراده من هذا الوجه .

***

وثبت فى الصحيحين من حديث ابن عباس ، عن عمر بن الخطاب فى حديث إيلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من أزواجه ألا يدخل عليهن شهراً واعتزل عنهن فى عُلِّية ، فلما دخل عليه عمر فى تلك العُلِّية فإذا ليس فيها سوى صُبرة من قَرَظ ، وأُهْبة معلَّقة ، وصُبْرة[1] من شعير ، وإذا هو مضطجع على رُمَال[2] حصير قد أثَّر فى جنبه ، فهَمَلت عَيْنا عمر ، فقال: مالك ؟ فقلت : يارسول الله أنت صفوة الله من خلقه ، وكسرى وقيصر فيما هما فيه !

فجلس محمرًا وجهه فقال : أوَ فى شك أنت يابن الخطاب ؟ ثم قال: أولئك قوم عُجِّلت لهم طيباتهم فى حياتهم الدنيا .

---

(١) القرظ : ورق السلم يدبغ به . والصبرة : بضم الصاد : ما جمع من الطعام بلا كيل أو وزن .
(٢) الرمال : المرمول ، وهو المزين

وفى رواية لمسلم : أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟ فقلت : بلى يارسول الله . قال : فاحمد الله عز وجل

ثم لما انقضى الشهر أمره الله عز وجل أن يخيِّر أزواجه وأنزل عليه قوله : « ياأيُّها النبى قُلْ لأزواجك إن كنتن تُرِدْن الحياةَ الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سَراحاً جيلا . وإن كنتن تُرِدْن الله ورسوله والدارَ الآخرة فإن الله أعدَّ للمحسِنات منكن أجراً عظيما[1] » .

وقد ذكرنا هذا مبسوطا فى كتابنا التفسير ، وأنه بدأ بعائشة ، فقال لها : إنى ذاكرٌ لك أمراً فلا عليك أن لاتَعْجَلى حتى تَسْتَأمرى أبويك . وتلا عليها هذه الآية . قالت : فقلت : أفى هذا أستأمِرُ أبوىَّ ؟ فإنى أختار الله ورسوله والدارَ الآخرة : وكذلك قال سائر أزواجه عليه السلام ورضى عنهن .

وقال مبارك بن فضَالة ، عن الحسن ، عن أنس ، قال : دخلت على رسول الله وهو على سرير مَرْمول[2] بالشَّريط ، وتحت رأسه وسادة من أدَم حَشْوها ليف ، ودخل عليه عمر وناس من الصحابة ، فانحرف رسول الله انحرافةً ، فرأى عمر أثَر الشريط فى جنبه ، فبكى ، فقال له : مايبكيك ياعمر ؟ قال : ومالى لاأبكى وكسرى وقيصر يعيشان فيما يعيشان فيه من الدنيا ، وأنت على الحال الذى أرى . فقال : ياعمر ، أماترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟ قال : بلى قال : هو كذلك .

هكذا رواه البيهقى

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا مبارك ، عن الحسن ، عن أنس بن مالك ، قال : دخلت على رسول الله وهو على سرير مضطجع مُرَمَّل بشريط ، وتحت رأسه وِسَادة من أدَم حَشْوها ليف ، فدخل عليه نفرٌ من أصحابه ، ودخل عمر فانحرف

---

(١) سورة الأحزاب ٢٨ ، ٢٩ . (٢) مرمول : موصول أى جعله ظهراً له .

رسول الله انحرافة فلم ير عمر بين جنبه وبين الشريط ثوباً ، وقد أثَّر الشريط بجنب رسول الله ، فبكى عمر ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يبكيك يا عمر ؟ قال : والله ما أبكى ألا أكون أعلم أنك أكرمُ على الله من كسرى وقيصر ، وهما يعيثان في الدنيا فيما يعيثان فيه وأنت يارسول الله في المكان الذي أرى . فقال رسول الله : أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟ قال : بلى . قال : فإنه كذلك .

وقال أبو داود الطيالسي ، حدثنا المسعودي ، عن عمرو بن مُرَّة ، عن إبراهيم ، عن علقمة بن مسعود ، قال: اضطجع رسول الله على حصير فأثر الحصير بجلده ، فجعلت أمسحه وأقول : بأبي أنت وأمي : ألا آذنتنا فنبسط لك شيئاً يقيك منه تنام عليه ؟ فقال : مالى وللدنيا ، ما أنا والدنيا إلا كراكبٍ استظل تحت شجرة ثم راح وتركها .

ورواه ابن ماجه ، عن يحيى بن حكيم ، عن أبي داود الطيالسي به. وأخرجه الترمذي عن موسى بن عبدالرحمن الكندى ، عن زيد بن الحُباب، كلاهما عن المسعودي به .وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقد رواه الإمام أحمد من حديث ابن عباس ، فقال : حدثنا عبد الصمد وأبو سعيد وعفان قالوا : حدثنا ثابت ؛ حدثنا هلال ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله دخل عليه عمر وهو على حصير قد أثَّر في جنبه ، فقال : يارسول الله لو اتخذت فراشا أوثر من هذا ؟ فقال: مالى وللدنيا ،ما مثلى ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائفٍ فاستظل تحت شجرة ساعةً من نهار ثم راح وتركها .

تفرد به أحمد .

وفي صحيح البخاري من حديث الزُّهرى ، عن عبد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله قال : لو أن لى مثل أُحد ذهباً ماسرَّنى أن تأتى علىَّ ثلاثُ ليال وعندى منه شئ ، إلا شئ أرصدُه لدين .

وفى الصحيحين من حديث عمارة بن القَعْقاع ، عن أبى زُرعة ، عن أبى هريرة ، أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهم اجعل رزقَ آل محمد قُوتاً .

فأما الحديث الذى رواه ابن ماجه من حديث يزيد بن سِنَان ، عن ابن المبارك ، عن عطاء ، عن أبى سعيد ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهم أَحْيِنى مسكينا وأمِتْنى مسكينا واحشرنى فى زُمرة المساكين . فإنه حديث ضعيف لا يثبت من جهة إسناده ، لأن فيه يزيد بن سِنَان أبا فروة الرُّهَاوِىّ وهو ضعيف جداً . والله أعلم .

وقد رواه الترمذى من وجه آخر فقال : حدثنا عبد الأعلى بن واصل الكوفى ، حدثنا ثابت بن محمد العابد الكوفى ، حدثنا الحارث بن النعمان الليثى ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهم أَحْيِنى مسكينا وأمِتْنى مسكينا واحشرنى فى زُمرة المساكين يوم القيامة . فقالت عائشة : لم يارسول الله ؟ قال : إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا ، ياعائشة لا تردّى المسكين ولو بشِقّ تمرة . ياعائشة أحِبّى المساكين وقرِّبيهم فإن الله يقرّبك يوم القيامة .

ثم قال : هذا حديث غريب . قلت : وفى إسناده ضعف وفى متنه نكارة والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا أبو عبد الرحمن — يعنى عبد الله بن دينار — عن أبى حازم ، عن سعيد بن سعد ، أنه قيل له : هل رأى النَّقِيَّ بعينه — يعنى الحُوَّارَى[1] — فقال له : ما رأى رسول الله النَّقِيَّ بعينه حتى لقى الله عز وجل . فقيل له : هل كانت لكم مَناخل على عهد رسول الله ؟ فقال : ما كانت لنا مَناخل . فقيل له : فكيف كنتم تصنعون بالشعير ؟ قال : ننفخه فيطير ماطار .

وهكذا رواه الترمذى من حديث عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار به . وزاد : ثم نُذَرِيه ونعجنه . ثم قال : حسن صحيح . وقد رواه مالك عن أبى حازم .

قلت : وقد رواه البخارى عن سعيد بن أبى مريم ، عن محمد بن مُطَرّف بن غسان المدَنى ، عن أبى حازم ، عن سهل بن سعد به .

ورواه البخارى أيضا والنسائى عن شيبة ، عن يعقوب بن عبد الرحمن القارى ، عن أبى حازم عن سهل به .

وقال الترمذى : حدثنا عباس بن محمد الدُّورى ، حدثنا يحيى بن أبى بُكَير ، حدثنا جرير بن عثمان ، عن سليم بن عامر ، سمعت أبا أمامة يقول : ما كان يَفْضُل عن أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم خبز الشعير . ثم قال : حسن صحيح غريب .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، عن يزيد بن كَيْسان ، حدثنى أبو حازم قال : رأيت أبا هريرة يشير بإصبعه مراراً : والذى نفسُ أبى هريرة بيده ماشَبِع نبىُّ الله وأهله ثلاثةَ أيام تِباعاً من خبز حِنْطة حتى فارق الدنيا .

ورواه مسلم والترمذى وابن ماجه من حديث يزيد بن كَيْسان .

وفى الصحيحين من حديث جرير بن عبد الحميد ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة ، قالت : ماشَبِع آل محمد صلى الله عليه وسلم منذ قدِموا المدينة ثلاثة أيام تِباعاً عن خبز بُرّ حتى مضَى لسبيله .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم ، حدثنا محمد بن طلحة ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة قالت : ماشَبِع آل محمد ثلاثاً من خبز بُرّ حتى قُبِض ، وما رُفِع من مائدته كِسرة قط حتى قبض .

وقال أحمد : حدثنا محمد بن عبيد ، حدثنا مطيع الغزّال ، عن كردوس ، عن عائشة ، قالت : قد مضى رسول الله لسبيله وماشبع أهله ثلاثة أيام من طعام بُر .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا زُويد ، عن أبى سهل ، عن سليمان بن رُومان – مولى عروة – عن عروة ، عن عائشة ، أنها قالت : والذى بعث محمداً بالحق ما رأى مُنْخُلا ولا أكل خبزاً منخولا منذ بعثه الله إلى أن قُبض .

قلت : كيف كنتم تأكلون الشعير ؟ قالت : كنا نقول أف .

تفرد به أحمد من هذا الوجه .

وروى البخارى عن محمد بن كثير ، عن الثورى ، عن عبد الرحمن بن عابس بن ربيعة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : إنْ كنا لَنُخرج الكُراعَ بعد خمسة عشر يوما فنأكله ، قلت : ولم تفعلون ذلك؟ فضحكت وقالت : ماشبع آلُ محمد صلى الله عليه وسلم من خبز مأدوم حتى لحق بالله عز وجل .

وقال أحمد : حدثنا يحيى ، حدثنا هشام ، أخبرنى أبى ، عن عائشة ، قالت كان يأتى على آل محمد الشهرُ ما يوقدون فيه ناراً ، ليس إلا التمر والماء إلا أن يؤتَى باللحم .

وفى الصحيحين من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، أنها قالت : إنْ كنا آلَ محمد ليمرُّ بنا الهلالُ ما نوقد ناراً ، إنما هو الأسودان : التمر والماء ، إلا أنه كان حولنا أهلُ دور من الأنصار يبعثون إلى رسول الله بلبن مَنائحهم فيشرب ويسقينا من ذلك اللبن .

ورواه أحمد عن بُرَيدة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة عنها بنحوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله ، حدثنى أبى ، حدثنا حسين حدثنا على بن عباس وحسين بن محمد ، قالا : حدثنا محمد بن مُطَرِّف ، حدثنا أبو حازم ، قال حسين : عن عروة بن الزبير ، عن عائشة تقول كان يمرُّ بنا هلالٌ وهلال ما يوقَد فى بيت من بيوت رسول الله صلى الله

عليه وسلم نار . قال : قلت : يا خالة على أى شىء كنتم تعيشون ؟ قالت : على الأسودين التمر والماء .

تفرد به أحمد .

وقال أبو داود الطيالسى ، عن شعبة ، عن أبى إسحاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن الأسود ، عن عائشة ، قالت : ما شبع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من خبز شعير يومين متتابعين حتى قُبض .

وقد رواه مسلم من حديث شعبة .

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبدالله ، حدثنى أبى، حدثنا بَهْز ، حدثناسليمان بن المغيرة، عن حميد بن هلال، قال : قالت عائشة : أرسل إلينا آل أبى بكر بقائمة شاة ليلا فأمسكتُ وقَطع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أو قالت : أمسكَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وقطعْتُ. قالت : ــ تقول للذى تحدثه ــ هذا على غير مصباح .

وفى رواية : لو كان عندنا مصباح لأتدمنا به . قال قالت عائشة : إنه ليأتى على آل محمد الشهر ما يختبزون خبزا ولا يطبخون قِدْرا .

وقد رواه أيضا عن بَهْز بن أسد ، عن سليمان بن المغيرة ، وفى رواية : شهرين .

تفرّد به أحمد .

وقال الإمام أحمد : حدثنا خلف ، حدثنا أبو معشر ، عن سعيد ــ هو ابن أبى سعيد ــ عن أبى هريرة ، قال : كان يمر بآل رسول الله هلال ثم هلال لا يوقدون فى بيوتهم النار لا بخبز ولا بطبخ . قالوا : بأى شىء كانوا يعيشون يا أبا هريرة ؟ قال : الأسودان التمر والماء ، وكان لهم جيران من الأنصار ، جزاهم الله خيرا ، لهم منائح يرسلون إليهم شيئا من لبن .

وفى صحيح مسلم من حديث منصور بن عبد الرحمن الحجبى ، عن أمه ، عن عائشة قالت : توفى رسول الله وقد شبع الناسُ من الأسودين : التمر والماء .

* * *

وقال ابن ماجه : حدثنا سُوَيد بن سعيد ، حدثنا على بن مُسْهِر ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، قال : أُتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بطعام سخن فأكل فلما فرغ قال : الحمد لله ما دخل بطنى طعام سخن منذ كذا وكذا .

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبدالصمد ، حدثنا [عمار(1)] أبوهاشم صاحب الزعفرانى ، عن أنس بن مالك ، أن فاطمة ناولت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كسرة من خبز الشعير فقال : هذا أول طعام أكله أبوك منذ ثلاثة أيام .

تفرد به أحمد .

وروى الإمام أحمد عن عفان ، والترمذى وابن ماجه جميعا ، عن عبدالله بن معاوية ، كلاهما عن ثابت بن يزيد ، عن هلال بن خَبَّاب العبدى الكوفى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبيت الليالى المتتابعة طاوياً وأهلُه لا يجدون عشاء ، وكان عامة خبزهم خبز الشعير .

وهذا لفظ أحمد .

وقال الترمذى فى الشمائل : حدثنا عبدالله بن عبد الرحمن الدارِمىّ ، حدثنا عمر بن حفص بن غياث ، عن أبيه ، عن محمد بن أبى يحيى الأسلمى ، عن يزيد ، عن أبى أمية الأعور ، عن أبى يوسف بن عبد الله بن سلّام قال : رأيت رسولَ الله أخذ كسرةً من شعير(2) فوضع عليها تمرةً ، وقال : هذه إدام هذه وأكل .

وفى الصحيحين من حديث الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : كان أحب

---

(1) من ت .

(2) شمائل الترمذى : ١٨٢/١ من خبز الشعير .

الشراب إلى رسول الله الحلو البارد .

وروى البخارى من حديث قتادة عن أنس قال : ما أعلم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رأى رغيفاً مرقّقاً حتى لحق بالله ، ولا شاةً سَميطا [1] بعينه قط .

وفى رواية له عنه أيضا : ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا فى سُكرّجة [2] ولا خبز له مرقّق ، فقلت لأنس : فعلى ما كانوا يأكلون ؟ قال : على هذه السُّفر [3] .

وله من حديث قتادة أيضا . عن أنس أنه مشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبز شعير وإهَالة سَنِخة [4] ولقد رهن درعه من يهودى فأخذ لأهله شعيراً ، ولقد سمعته ذات يوم يقول : ما أمسَى عند آل محمد صاع تمر ولا صاع حَبّ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا أبَان بن يزيد ، حدثنا قتادة ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجتمع له غداء ولا عشاء من خبز ولحم إلا على ضَفَفٍ [5] .

ورواه الترمذى فى الشمائل عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمىّ ، عن عفان ، وهذا الإسناد على شرط الشيخين .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا شُعبة ، عن سِماك بن حَرْب ، سمعت النعمان بن بشير يقول : سمعت عمر بن الخطاب يخطب فذكر مافتح اللهُ على الناس ، فقال : لقد رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يلتوى من الجوع ما يجد من الدَّقَل [6] ما يملأ بطنه .

وأخرجه مسلم من حديث شعبة .

---

(١) السميط : ما ينتف صوفه بالماء الحار .

(٢) السكرجة : إناء صغير كانت العجم تستعمله فى الكوامخ وما أشبهها للاشتهاء .

(٣) السفر : جمع سفرة ، وهى فراش من جلد يوضع عليه الطعام (٥) الضفف : كثرة الأيدى على الطعام

(٤) الإهالة : الدهن التى يؤتدم به . والسنخة : المتغيرة الرائحة . (٦) الدقل : الردىء من التمر .

وفى الصحيح أن أبا طلحة قال : يا أم سليم ، لقد سمعتُ صوت رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أعرف فيه الجوعَ .

وسيأتى الحديث فى دلائل النبوة .

وفى قصة أبى الهيثم بن التَّيِّهان : أن أبا بكر وعمر خرجا من الجوع ، فبينما هما كذلك إذ خرج رسول الله ، فقال : ما أخرَجكما ؟ فقالا : الجوع . فقال : والذى نفسى بيده لقد أخرجنى الذى أخرجكما . فذهبوا إلى حديقة الهيثم بن التَّيِّهان فأطعمهم رُطبا وذبح لهم شاة ، فأكلوا وشربوا الماء البارد ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا من النعيم الذى تُسألون عنه .

وقال الترمذى : حدثنا عبد الله بن أبى زياد ، حدثنا سيَّار ، حدثنا يزيد [1] بن أسلم ، عن يزيد بن أبى منصور ، عن أنس عن أبى طلحة قال : شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوعَ ورفعنا عن بطوننا عن حَجَر حجر ، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم [عن بطنه [2]] عن حجرين .

ثم قال : غريب .

* * *

وثبت فى الصحيحين من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، أنها سئلت عن فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : كان من أَدَم حشوه ليف .

وقال الحسن بن عرفة : حدثنا عَبَّاد بن المهلَّب ، عن مُجَالِد بن سعيد ، عن الشَّعبى ، عن مسروق ، عن عائشة ، قالت : دخلت علىّ امرأةٌ من الأنصار فرأت فراشَ رسول الله عَباءة مَثْنِيَّة ، فانطلقت فبعثت إلىّ بفراش حَشْوُه الصوف ، فدخل علىّ رسول الله فقال : ماهذا ياعائشة ؟ قالت : قلت يارسول الله : فلانة الأنصارية دخلت علىّ فرأت

---

(١) شمائل الترمذى : سهل بن أسلم . (٢) من ت .

فراشك فذهبت فبعثت إلىّ بهذا . فقال : رُدّيه .

قالت : فلم أردّه وأعجبنى أن يكون فى بيتى ، حتى قال ذلك ثلاث مرات ، قالت : فقال : ردّيه ياعائشة فوالله لو شئتُ لأجرى الله معى جبال الذهب والفضة .

وقال الترمذى فى الشمائل : حدثنا أبو الخطاب زياد بن يحيى البصرى ، حدثنا عبد الله بن مَهْدى ، حدثنا جعفر بن محمد ، عن أبيه ، قال : سئلت عائشة : ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتك ؟ قالت : من أَدَم حَشْوه لِيف .

وسئلت حفصة : ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : مِسْحا (١) نَثْنيه ثَنْيَتين فينام عليه ، فلما كان ذات ليلة قلت : لو ثنيته بأربع ثَنيات كان أَوْطأ له . فثنيناه له بأربع ثنيات ، فلما أصبح قال : « ما فَرَشْتم لِى الليلة ؟ قالت : قلنا هو فراشك ، إلا أنا ثَنَيْنَاه بأربع ثنيات ، قلنا هو أَوْطأ لك . قال : ردّوه لحالته الأولى ؛ فإنه منَعَتْنى وَطَأتُه صلاتى الليلة .

[وقال الطبرانى : حدثنا محمد بن أبان الأصبهانى ، حدثنا محمد بن عُبادة الواسطى ، حدثنا يعقوب بن محمد الزهرى ، حدثنا محمد بن إبراهيم ، حدثنا ابن لَهيعة ، عن أبى الأسود ، عن عروة ، عن حكيم بن حزام ، قال : خرجتُ إلى اليمن فابتعتُ حلة ذى يزَن فأهديتها إلى النبى صلى الله عليه وسلم فردّها ، فبعتها فاشتراها فلبسها ، ثم خرج على أصحابه وهى عليه فما رأيت شيئاً أحسن منه فيها ، فما ملكت نفسى أن قلت :

ما يَنظُر الحُكّام بالفَصْلِ بعدما ... بدَا واضحٌ من غُرَّة وحُجُولِ
إذا قايَسوه الجدَّ أرْبَى عليهمُ ... بمُستَفرِغٍ ماءَ الذِّناب سَجِيلِ (٢)

---

(٢) المسح : كساء من شعر .

(١) البيتان للنابغة الذبيانى وقد ذكر البيت الثانى الزمخشرى فى الأساس مادة سجل . والذناب : ملء الدلو من الماء . والسجيل الضخم . وفى المطبوعة : ما الثياب سجيل وهو تحريف .

فسمعها النبي صلى الله عليه وسلم فالتفت إليّ يتبسم ، ثم دخل فكساها أسامة بن زيد[1]] .

وقال الإمام أحمد : حدثني [حسين بن[1]] علي ، عن زائدة ، عن عبد الملك بن عمير ، [قال : حدثني] رَبْعي بن خِراش ، عن أم سلمة ، قالت : دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساهم الوجه ، قالت : فحسبتُ ذلك من وجَع ، فقلت : يارسول الله أراك ساهمَ الوجه ، أفمن وجَع ؟ فقال : لا ، ولكنّ الدنانير السبعة التي أُتينا بها [أمس أمسَيْنا] ولم ننفقها نسيتها في خُصْم[2] الفراش .

تفرّد به أحمد .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو سلَمة ، [قال أخبرنا بكر] بن مضر ، حدثنا موسى ابن جُبَير ، عن أبي أمامة بن سهل ، قال : دخلت أنا وعروة بن الزبير يوماً على عائشة فقالت : لو رأيتما نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم في مرضٍ مرضه ، قالت : وكان له عندي ستة دنانير ، قال موسى : أو سبعة . قالت : فأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أفرّقها ، قالت : فشغلني وجعُ نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى عافاه الله عز وجل .

قالت : ثم سألني عنها فقال : مافعلت الستةُ ؟ قال : أو السبعة ، قلت : لا والله لقد شغلني عنها وجعك . قالت : فدعا بها ثم صفّها في كفه ، فقال : ما ظنّ نبي الله لو لقي الله وهذه عنده !

تفرد به أحمد .

وقال قتيبة : حدثنا جعفر بن سليمان ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدّخر شيئا لغد . وهذا الحديث في الصحيحين ، والمراد أنه كان

---

(١) ما بين القوسين من ت .

(٢) خصم الفراش : جانبه .

لا يدّخر شيئا لغد مما يسرع إليه الفساد كالأطعمة ونحوها ، لما ثبت في الصحيحين عن عمر أنه قال : كانت أموال بنى النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجِف المسلمون عليها بخيل ولا رِكَاب فكان يَعزِل نفقة أهله سنةً ثم يجعل مابقى فى الكراع والسلاح عُدّة فى سبيل الله عز وجل . ومما يؤيد ماذكرناه مارواه الإمام أحمد : حدثنا مروان بن معاوية ، [قال : أخبرنى] هلال بن سُويد أبو يعلى [قال] : سمعت أنس بن مالك وهو يقول: أُهْدِيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة طوائر ، فأطعم خادمه طائراً فلما كان من الغد أتته به ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألم أَنْهكِ أن ترفعى شيئا لغد ؛ فإن الله [عز وجل] يأتى برزق كل غد .

حديث بلال فى ذلك

قال البيهقى : أخبرنا أبو الحسين بن بشران ، أخبرنا أبو محمد بن جعفر بن نصير ، حدثنا إبراهيم بن عبد الله البصرى ، حدثنا بكار بن محمد ، أخبرنا عبد الله بن عون ، عن ابن سيرين ، عن أبى هريرة أن رسول الله دخل على بلال فوجد عنده صُبَراً من تمر ، فقال : ما هذا يابلال ؟ قال : تمر أدّخره ، قال : ويحك يابلال أوَ ما تخاف أن تكون له بُخَار[1] فى النار ! أنفق بلال ولا تخشَ من ذى العرش إقلالا .

قال البيهقى بسنده عن أبى داود السِّجِسْتانى وأبى حاتم الرازى ، كلاهما عن أبى توبة الربيع بن نافع ، حدثنى معاوية بن سلام ، عن زيد بن سلام ، حدثنى عبد الله الهوزنىّ قال : لقيتُ بلالا مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحَلَب ، فقلت : يابلال حدثنى كيف كانت نفقة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : ما كان له شىء إلا أنا الذى كنت ألِى ذلك منه ، منذ بعثه الله إلى أن توفِّى ، فكان إذا أتاه الإنسان المسلم فرآه عائلا ، يأمرنى فأنطلق فأستقرض فأشترى البُردة والشىء فأكسوه وأطعمه .

---

(١) بالأصل غير منقوطة . وفى حلية الأولياء ١/١٤٩ : سجار .

حتى اعترضنى رجل من المشركين فقال: يابلال ، إن عندى سعة فلا تستقرض من أحد إلا منى . ففعلت

فلما كان ذات يوم توضأت ثم قمت لأؤذن بالصلاة ، فإذا المشرك فى عصابة من التجار ، فلما رآنى قال : ياحبشى . قال : قلت يالبيه . فتجهمنى ، وقال قولا عظيما أو غليظا ، وقال : أتدرى كم بينك وبين الشهر ؟ قلت : قريب . قال : إنما بينك وبينه أربع ليال فآخذك بالذى لى عليك ، فإنى لم أعطك الذى أعطيتك من كرامتك ولا من كرامة صاحبك ، وإنما أعطيتك لتصير لى عبدا فأذرك ترعى فى الغنم كما كنت قبل ذلك .

قال : فأخذنى فى نفسى ماياخذ فى أنفس الناس ، فانطلقتُ فناديت بالصلاة ، حتى إذا صليت العتمة ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله فاستأذنت عليه فأذن لى ، فقلت : يارسول الله بأبى أنت وأمى ! إن المشرك الذى ذكرتُ لك أنى كنت أتدين منه قد قال كذا وكذا ، وليس عندك مايقضى عنى ، ولا عندى ، وهو فاضحى ، فأذن لى أن آتى إلى بعض هؤلاء الأحياء الذين قد أسلموا حتى يرزق الله رسوله صلى الله عليه وسلم مايقضى عنى .

فخرجتُ حتى أتيت منزلى ، فجعلت سيفى وجرابى ورمحى ونعلى عند رأسى ، فاستقبلت بوجهى الأفق فكلما نمت انتبهت ، فإذا رأيت علىّ ليلاً نمت ، حتى انشق عمود الصبح الأول ، فأردت أن أنطلق فإذا إنسان يدعو : يابلال أجب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم .

فانطلقت حتى آتيه ، فإذا أربع ركائب عليهم أحمالهن ، فأتيت رسولَ الله فاستأذنت ، فقال لى رسول الله : أبشر ! فقد جاءك الله بقضاء دَينك . فحمدت الله

وما عليهن – فإذا عليهن كسوة وطعام أهداهن له عظيم فدك – ، فاقبضهن إليك ثم اقض دينك .

قال : ففعلت فحططت عنهن أحمالهن ، ثم علفتهن ثم عمدت إلى تأذين صلاة الصبح ، حتى إذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجت إلى البقيع ، فجعلت إصبعي في أذني فقلت : من كان يطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم دَيْنا فليحضر . فما زلت أبيع وأقضي وأعرض ، حتى لم يبقَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم دَين في الأرض ، حتى فضل عندي أوقيتان أو أوقية ونصف .

ثم انطلقت إلى المسجد وقد ذهب عامة النهار ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في المسجد وحده ، فسلمت عليه ، فقال لي : ما فعل ما قِبلَك ؟ قلت : قد قضى الله كلَّ شيء كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يبق شيء . قال : فضل شيء ؟ قلت : نعم ديناران ، قال : انظر أن تريحني منهما ، فلستُ بداخل على أحد من أهلي حتى تريحني منهما .

فلم يأتنا أحد ، فبات في المسجد حتى أصبحَ ، وظلَّ في المسجد اليوم الثاني ، حتى إذا كان في آخر النهار جاء راكبان فانطلقتُ بهما فكسوتهما وأطعمتهما ، حتى إذا صلى العتمة دعاني فقال : مافعل الذي قِبلَك ؟ قلت : قد أراحك الله منه ، فكبَّر وحمد الله ، شفقاً من أن يدركه الموت وعنده ذلك ، ثم اتبعته حتى جاء أزواجه فسلم على امرأة امرأة حتى أتى مَبيته . فهذا الذي سألتني عنه .

* * *

وقال الترمذي في الشمائل : حدثنا هارون بن موسى بن أبي عَلْقمة المديني ، حدثني أبي ، عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أَسْلم ، عن أبيه ، عن عمر بن الخطاب ، أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه ، فقال : ماعندي

ماأعطيك ، ولكن ابتع على شيئا فإذا جاءنى شيء قضيته . فقال عمر : يارسول الله قد أعطيته ، فما كلفك الله مالا تقدر عليه . فكره النبى صلى الله عليه وسلم قول عمر ، فقال رجل من الأنصار : يارسول الله أنفق ولا تخف من ذى العرش إقلالا . فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعُرف التبسم فى وجهه لقول الأنصارى وقال : بهذا أمرت .

وفى الحديث : ألا إنهم ليسألونى ويأبىَ الله علىَّ البخلَ .

وقال يوم حنين حين سألوه قَسْم الغنائم : والله لو أن عندى عددَ هذه العِضَاه نَعَما لقسمتها فيكم ثم لا تجدونى بخيلا ولا ضانًّا ولا كذابا . صلى الله عليه وسلم .

وقال الترمذى : حدثنا على بن حُجْر ، حدثنا شَريك ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن الرُّبيِّع بنت مُعَوِّذ بن عفراء قالت : أتيت رسولَ الله بِقِنَاع [1] من رُطَب ، وأجْرٍ [2] [من قِثّاء] [3] زُغْبٍ ، فأعطانى ملء كفه حليًّا أو ذهبا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن مُطرف ، عن عطية ، عن أبى سعيد ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : كيف أنعمُ وقد التقم صاحبُ القَرنِ القرنَ ، وحنَى جبهته وأصغى سمعَه ينتظر متى يُؤْمر !

قال المسلمون : يارسول الله فما نقول ؟ قال : قولوا : « حَسْبنا الله ونعم الوكيل ، على الله توكَّلنا » .

ورواه الترمذى عن ابن أبى عمر ، عن سفيان بن عُيَيْنة ، عن مُطَرِّف ، ومن حديث خالد بن طَهمان ، كلاهما عن عطية وأبى سعيد العَوْفى البَجَلى ، وأبو الحسن الكوفى ، عن أبى سعيد الخدرى ، وقال الترمذى : حسن .

---

(١) القناع : الطبق من عسب النخل .
(٢) أجر : جمع جرو وهو الصغير من كل شىء . والزغب : التى عليها زغب وهو الوبر الصغير .
(٣) من شمائل الترمذى .

قلت . وقد روى من وجه آخر عنه ومن حديث ابن عباس كما سيأتى فى موضعه

***

ومن تواضعه عليه الصلاة والسلام . قال أبو عبد الله بن ماجه : حدثنا أحمد بن محمد ابن يحيى بن سعيد القَطَّان ، حدثنا عمر بن محمد ، حدثنا أسْبَاط بن نصر ، عن السُّدِّى ، عن أبى سعد الأزْدى — وكان قارئ الأزد — عن أبى الكنود ، عن خَبَّاب فى قوله تعالى : « ولا تَطْرُدِ الذينَ يَدْعونَ ربَّهم بالغداةِ والعشىِّ يريدونَ وَجهَهُ » إلى قوله « فتكونَ من الظالمين[1] » قال : جاء الأقْرعُ بن حابِس التميمى ، وعُيَيْنة بن حِصْن الفَزارى ، فوجدوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مع صُهَيب وبلال وعمار وخَبَّاب قاعدا فى ناس من الضعفاء من المؤمنين ، فلما رأوْهم حولَ رسول الله حقروهم ، فأتوا فخلوا به فقالوا : نريد أن تجعل لنا منك مجلسا تَعرف لنا به العربُ فضلَنا ، فإن وفود العرب تأتيك فنستحى أن ترانا العربُ مع هذه الأعْبُد ، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنك ، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت . قال : نعم . قالوا : فاكتب لنا عليك كتابا

قال : فدعا بصحيفة ودعا عليًّا ليكتب ونحن قعود فى ناحية ، فنزل جبريل عليه السلام فقال : « ولا تَطْرُد الذين يَدْعون ربَّهم بالغداة والعَشِى يريدون وَجْهه ، ماعليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء ، فتطردَهم فتكون من الظالمين » .

ثم ذكر الأقرعَ بن حابس وعُيَينة بن حصن فقال : « وكذلك فَتَنَّا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء مَنَّ الله عليهم مِنْ بيننا أليس الله بأعلَمَ بالشاكرين » ثم قال : « وإذا

(١) سورة الأنعام ٥٢ .

جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سَلَامٌ عليكم، كتبَ ربُّكم على نفسه الرحمةَ » .

قال : فدنونا منه حتى وضعنا رُكَبنا على ركبته، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس معنا، فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا، فأنزل الله عز وجل : « واصبِر نفسَك مع الذين يدْعون ربَّهم بالغدَاة والعَشِيِّ يريدون وجهه ولا تَعْدُ عيناك عنهم »(١) ولا تجالس الأشراف « ولا تُطِعْ مَنْ أغفلنا قلبَه عن ذكرنا » يعني عُيَينة والأقرع « واتَّبع هواه وكان أمره فُرُطا » قال : هلاكا . قال أمْر عُيينة والأقرع . ثم ضرب لهم مثل الرجلين ومثل الحياة الدنيا .

قال خَبَّاب : فكنا نقعد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا بلغنا الساعة التي يقوم قمنا وتركناه حتى يقوم .

ثم قال ابن ماجه : حدثنا يحيى بن حكيم، حدثنا أبو داود، حدثنا قيس بن الربيع، عن المقدام بن شُرَيح، عن أبيه، عن سعد، قال، نزلت هذه الآية فينا ستةً، فيّ وفي ابن مسعود وصُهَيب وعمَّار والمِقداد وبلال . قال : قالت قريش : يارسول الله إنا لا نَرْضى أن نكون أتباعا لهم فاطردهم عنك . قال : فدخل قلبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك ماشاء الله أن يدخل، فأنزل الله عز وجل : « ولا تَطْرُد الذين يدْعون ربَّهم بالغَداة والعَشيِّ يريدون وجهه » الآية .

وقال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصفهاني، أخبرنا أبو سعيد ابن الأعرابي، حدثنا أبو الحسن خلف بن محمد الواسطي الدُّوسي، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا جعفر بن سليمان الضُّبعي، حدثنا المعلَّى بن زياد — يعني عن العلاء بن بَشِير المازني حدثنا أبو الصدِّيق الناجي، عن أبي سعيد الخدري، قال : كنت في عصابة من المهاجرين جالسا معهم وإنَّ بعضهم ليستتر ببعض من العُرْي، وقارئٌ لنا يقرأ علينا، فكنا

(١) سورة الكهف ٢٨ .

سمع إلى كتاب الله ، فقال رسول الله : الحمد لله الذى جعل من أمتى من أمرت أن أصبر معهم نفسى .

قال : فاستدارت الحلقة وبرزت وجوههم . قال : فما عرف رسولُ الله أحدًا منهم غيرى ، فقال رسول الله : أبشروا معاشرَ صعاليك المهاجرين بالنور يوم القيامة ، تدخلون قبل الأغنياء بنصف يوم ، وذلك خمسمائة عام .

وقد روى الإمام أحمد وأبو داود والترمذى من حديث حماد بن سلمة ، عن حميد ، عن أنس ، قال : لم يكن شخص أحبَّ إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك .

فصل فى عبادته عليه السلام

واجتهاده فى ذلك

قالت عائشة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ، ويفطر حتى نقول لا يصوم ، وكان لا تشاء تراه من الليل قائما إلا رأيته ، ولا تشاء تراه نائما إلا رأيته[١].

قالت : وما زاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان وفى غيره على إحدى عشرة ركعة ، يصلى أربعا ، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلى أربعا ، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يوتر بثلاث .

قالت : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ السورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها ، قالت : ولقد كان يقوم حتى أرثى له من شدة قيامه .

وذكر ابن مسعود أنه صلى معه ليلة فقرأ فى الركعة الأولى بالبقرة والنساء وآل عمران ، ثم ركع قريبا من ذلك ، ورفع نحوه وسجد نحوه .

وعن أبى ذر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام ليلة حتى أصبح يقرأ هذه الآية: « إنْ تُعذِّبهم فإنهم عِبادُك وإن تَغفِر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم[٢] » .

رواه أحمد .

وكل هذا فى الصحيحين وغيرهما من الصحاح ، وموضع بسط هذه الأشياء فى كتاب الأحكام الكبير .

---

(١) قال العسقلانى : وليس المراد أنه كان يستوعب الليل قائما أو نائما ، والمعنى فى هذا التركيب على الإثبات لا على النفى . والمراد : إن شئت أن تراه مصليا رأيته كذلك ، وإن شئت أن تراه نائما رأيته كذلك . انظر شرح الشمائل لابن جسوس ٢/٨٧ .

(٢) سورة المائدة ١١٨ .

وقد ثبت فى الصحيحين من حديث سفيان بن عُيينة ، عن زياد بن علاقة ، عن المغيرة بن شعبة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حتى تفطّرت(١) قدماه ، فقيل له : أليس قد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : أفلا أكون عبداً شكورا .

وتقدم فى حديث سلام بن سليمان ،عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : حُبّب إلى الطِّيبُ والنساء وجُعلت قُرّة عينى فى الصلاة .

رواه أحمد والنسائى .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنى على بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، أن جبريل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « قد حُبّبَ إليك الصلاة فخذ منها ماشئتَ » .

وثبت فى الصحيحين عن أبى الدرداء قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر رمضان فى حَر شديد ، ومافينا صائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعبد الله بن رَواحة .

وفى الصحيحين من حديث منصور ،عن إبراهيم ، عن علقمة ، قال : سألتُ عائشة: هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخص شيئا من الأيام ؟ قالت : لا ، كان عمله ديمة(٢) . وأيكم يستطيع ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستطيع ؟

وثبت فى الصحيحين من حديث أنس وعبدالله بن عمرو وأبى هريرة وعائشة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يواصِل ، ونَهى أصحابه عن الوصال وقال : إنى لست كأحدكم، إنى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى .

والصحيح أن هذا الإطعام والسُّقيا معنويان، كما ورد فى الحديث الذى رواه ابن عاصم

---

(١) تفطرت : تشققت .

(٢) الديمة : الدائم . وهو فى الأصل مطر يدوم فى سكون بلا رعد ولا برق .

عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تُكرهوا مَرْضاكم على الطعام والشراب ؛ فإن الله يطعمهم ويسقيهم .

وما أحسن ما قال بعضُهم :

لها أحاديث من ذِكْراك تَشْغلها عن الشراب وتُلهيها عن الزادِ

وقال النَّضر بن شُمَيل ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلَمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة .

وروى البخاري عن الفِرْيَابي ، عن الثوري ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبيدة ، عن عبدالله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ عليّ . فقلت : أقرأ عليك وعليك أُنْزِل ؟ فقال : إني أحب أن أسمعه من غيري .

قال : فقرأت سورة النساء حتى إذا بلغتُ : « فكيف إذا جِئْنا من كل أمةٍ بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً » قال : حَسْبك . فالتفتُّ فإذا عيناه تَذْرِفان .

وثبت في الصحيح : أنه عليه السلام كان يجد التمرة على فراشه فيقول : لولا أني أخشى أن تكون من الصدقة لأكلتها .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وَكيع ، حدثنا أسامة بن زيد ، عن عمرو بن شُعيب ، عن أبيه ، عن جده ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد تحت جنبه تمرة من الليل ، فأكلها فلم يَنَمْ تلك الليلة ، فقال بعض نسائه : يارسول الله أرِقتَ الليلة ؟ قال : إني وجدت تحت جنبي تمرة فأكلتها ، وكان عندنا تمر من تمر الصدقة ، فخشيت أن تكون منه .

تفرد به أحمد . وأسامة بن زيد هو الليثي من رجال مسلم .

والذي نعتقد أن هذه التمرة لم تكن من تمر الصدقة ، لعصمته عليه السلام ، ولكن من كمال وَرَعه عليه السلام أرِق تلك الليلة ، وقد ثبت عنه في الصحيح أنه قال : [والله

إنى] لأتقاكم لله وأعلمكم بما أتقى . وفى الحديث الآخر أنه قال: دَعْ ما يَرِيبك إلى ما لا يريبك .

وقال حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن مُطَرِّف بن عبدالله بن الشِّخِّير ، عن أبيه ، قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ولجوفه أزيزٌ كأزيز المِرْجَل . وفى رواية : وفى صدره أزيز كأزيز الرحا من البكاء .

وروى البيهقى من طرق أبى كُرَيب محمد بن العلاء الهمدانى ، حدثنا معاوية بن هشام ، عن شيبان ، عن أبى إسحاق ، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس قال : قال أبو بكر : يا رسول الله أراك شِبْتَ . قال : شَيَّبَتْنى هود والواقعة . والمرسَلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كُوِّرت .

وفى رواية له عن أبى كُرَيب عن معاوية ، عن هشام ، عن شيبان، عن فراس ، عن عطية ، عن أبى سعيد ، قال : قال عمر بن الخطاب : يا رسول الله أسرعَ إليك الشَّيبُ . فقال : شيبتنى هود وأخواتها : الواقعة وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت .

فصل فى شجاعته صلى الله عليه وسلم

[ذكرت فى التفسير عن بعض من السلف أنه استُنْبِط من قوله تعالى : « فقاتلْ فى سبيل الله لا تُكلَّف إلا نفسك وحَرِّض المؤمنين » أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مأموراً ألا يفرّ من المشركين إذا واجهوه ، ولو كان وحده ، من قوله : « لا تُكَلَّف إلا نفسك » .

وقد كان صلى الله عليه وسلم مِنْ أشْجع الناس وأصبر الناس وأجْلدهم ، ما فرّ قط من مُصَافٍّ ولو تولى عنه أصحابُه .

قال بعض أصحابه: كنا إذا اشتد الحربُ وحَمِى الناس، نتقى برسول الله صلى الله عليه وسلم .

ففى يوم بدر رمَى ألفَ مُشْركٍ بقبضة من حصا فنالتهم أجمعين حين قال : شاهت الوجوه . وكذلك يوم حنين كما تقدم ، وفر أكثر أصحابه فى ثانى الحال يوم أحد وهو ثابت فى مقامه لم يَبْرح منه ، ولم يَبْقَ معه إلا اثنا عشر ، قُتل منهم سبعة وبقى الخمسة .

وفى هذا الوقت قَتل أبىَّ بن خلف لعنه الله ، فعجله الله إلى النار .

ويوم حنين ولى الناسُ كلهم ، وكانوا يومئذ اثنى عشر ألفا ، وثبت هو فى نحو من مائة من الصحابة ، وهو راكب يومئذ بغلته وهو يَرْكُض بها إلى نحو العدو ، وهو ينوِّه باسمه ويعلن بذلك قائلا : أنا النبىُّ لا كذب : أنا ابن عبد المطلب .

حتى جعل العباس وعلى وأبو سفيان يتعلقون فى تلك البغلة ليبطئوا سَيرها خوفاً عليه من أن يصل أحد من الأعداء إليه ، وما زال كذلك حتى نصره الله وأيده فى مقامه ذلك وما تراجع الناس إلا والأشلاء مُجَنْدلة بين يديه صلى الله عليه وسلم .

وقال أبو زُرعة : حدثنا العباس بن الوليد بن صبح الدمشقى ، حدثنا مروان ــ يعنى ابن محمد ــ حدثنا سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فُضِّلت على الناس بشدة البطش][1] .

---

(١) ما بين القوسين من ت .

فصل

فيما يُذْكر من صفاته عليه السلام في الكتب المأثورة عن الأنبياء الأقدمين

قد أسلفنا طرفا صالحا من ذلك فى البشارات[1] قبل مولده ، ونحن نذكر هنا غُرراً من ذلك .

فقد روى البخارى والبيهقى واللفظ له من حديث فُلَيح بن سليمان ، عن هلال بن على ، عن عطاء بن يسَار ، قال : لقيت عبدالله بن عمرو فقلت : أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة ، فقال : أجل والله إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرقان :

(ياأيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحِرْزا للأُميين ، أنت عَبدى ورسولى ، سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخّاب[2] بالأسواق ، ولا يدفع السيئةَ بالسيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن أقبضه حتى أُقيم به الملةَ العَوْجاء بأن يقولوا : « لا إله إلا الله » وأفتح به أعينا عُمْيا وآذانا صُمًّا ، وقلوبا غُلْفا) .

قال عطاء بن يسَار : ثم لقيت كعبا الحَبْر فسألته فما اختلفا فى حرف ، إلا أن كعبا قال : أعينا .

ورواه البخارى أيضا عن عبدالله غير منسوب ، وقيل : هو ابن رجاء ، وقيل : عبدالله

---

(٢) تقدم ذلك فى الجزء الأول من السيرة .

(٣) ا صخب .

بن صالح ، وهو الأرجح ، عن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون ، عن هلال بن علي به .

قال البخاري : وقال سعيد ، عن هلال ، عن عطاء ، عن عبد الله بن سلام . كذا علقه البخاري .

وقد روى البيهقي من طريق يعقوب بن سفيان ، حدثنا أبو صالح ـ هو عبد الله بن صالح كاتب الليث ـ حدثني خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال عن أسامة ، عن عطاء ابن يسار ، عن ابن سلام أنه كان يقول : إنا لنجد صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً . أنت عبدي ورسولي ، سميته المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة مثلها ، ولكن يعفو ويتجاوز ، ولن أقبضه حتى يقيم الملة العوجاء : بأن تشهد أن لا إله إلا الله ، يفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا .

قال عطاء بن يسار : وأخبرني الليثي أنه سمع كعب الأحبار يقول مثل ماقال ابن سلام .

وقد روى عن عبد الله بن سلام من وجه آخر ، فقال الترمذي : حدثنا زيد بن أخزم الطائي البصري ، حدثنا أبو قتيبة ـ مسلم بن قتيبة ـ حدثني أبو مودود المدني ، حدثنا عثمان الضحاك ، عن محمد ابن يوسف ، عن عبد الله بن سلام ، عن أبيه ، عن جده ، قال : مكتوب في التوراة : « محمد وعيسى بن مريم يدفن معه » فقال أبو مودود : قد بقي في البيت موضع قبر .

ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن . هكذا قال : الضحاك . والمعروف : الضحاك ابن عثمان المدني .

وهكذا حكى شيخنا الحافظ المزي في كتابه « الأطراف » عن ابن عساكر ، أنه

قال مثلَ قول الترمذى ، ثم قال : وهو شيخ آخر أقدم من الضحاك بن عثمان ، ذكره ابن أبى حاتم عن أبيه فيمن اسمه عثمان .

فقد روى هذا عن عبد الله بن سلام ، وهو من أئمة أهل الكتاب ممن آمن وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وقد كان له اطّلاع على ذلك من جهة زاملتين [1] كان أصابهما يومَ اليرموك ، فكان يحدّث منهما عن أهل الكتاب ، وعن كعب الأحبار ، وكان بَصيراً بأقوال المتقدمين ، على ما فيها من خَلط وغلَط وتحريف وتبديل ، فكان يقولها بما فيها من غير نقد ، وربما أحسنَ بعضُ السلف بها الظنَّ فنقلها عنه مُسَلَّمة ، وفى ذلك من المخالفة لبعض ما بأيدينا من الحق جملةٌ كثيرة ، لكن لا يتفطّن لها كثير من الناس .

ثم ليُعلم أن كثيراً من السلف يُطلقون التوراةَ على كتب أهل الكتاب المتلوّة عندهم ، أو أعمّ من ذلك ، كما أن لفظ القرآن يُطلق على كتابنا خصوصا ويراد به غيره ، كما فى الصحيح : خُفِّف على داود القرآن فكان يأمر بدوابه فتُسْرج فيقرأ القرآن مقدار مايفرغ . وقد بسط هذا فى غير هذا الموضع . والله أعلم .

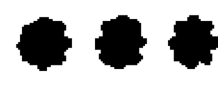
وقال البيهقى عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُكَير ، عن ابن إسحاق ، حدثنى محمد بن ثابت بن شُرَحْبيل ، عن أم الدرداء قالت : قلت لكعب الحَبر : كيف تجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة ؟ قال : نجده : محمد رسول الله ، اسمه المتوكّل ، ليس بفَظّ ولا غليظ ، ولا سَخّاب بالأسواق ، وأعطى المفاتيح ليُبصّر الله به أعينا عُميا ، ويُسمع به آذانا وُقْرا ، ويقيم به ألسُنا مُعوَجّة حتى تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يُعين المظلوم ويَمنعه .

وبه عن يونس بن بُكَير ، عن يونس بن عمرو ، عن العَيزار بن حُرَيب ، عن

(١) الزاملة : التى يحمل عليها من الإبل وغيرها . كان عليهما بعض كتب أهل الكتاب . فكان يحدث منها .

عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب فى الإنجيل : لافَظ ، ولا غليظ ولا سخاب فى الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة مثلها ، بل يعفو ويصفح .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا قيس البَجَلى ، حدثنا سلّام بن مسكين ، عن مقاتل بن حيّان قال : أوحى الله عز وجل إلى عيسى بن مريم : جِدّ فى أمرى ولا تَهزِل ، واسمع وأطع يابن الطاهر البَتُول ، إنى خلقتك من غير فحل ، وجعلتك آية للعالمين ، فإياىَ فاعبُدْ ، وعلىّ فتوكل ، فبيّن لأهل سُوران أنى أنا الحق القائم الذى لا أزُول ، صدِّقوا بالنبى العربى ، صاحب الجمل والمِدْرَعة والعمامة والنّعلين والهِرَاوة ، الجَعْد الرأس ، الصّلت الجبين ، المقرون الحاجبين ، الأدعج العينين ، الأقنى الأنف الواضح الخدين ، الكثّ اللحية ، عرَقه فى وجهه كاللؤلؤ ، ريحه المسكُ ينفح منه ، كأن عنقه إبريق فضة ، وكأن الذهب يجرى فى تَرَاقيه ، له شعَرات من لَبّته إلى سُرّته تجرى كالقَضيب ، ليس على صدره ولا بطنه شَعر غيره ، شَثْن الكفين والقدم ، إذا جامَع الناس غمَرهم ، وإذا مشى كأنما يَنْقلع من الصخر وينحدر فى صَبَب ذو النسْل القليل .



وروى الحافظ البيهقى بسنده عن وهب بن منّبه اليمانى ، قال : إن الله عز وجل لما قرب موسى نجيًّا ، قال : ربِّ إنى أجد فى التوراة أمّةً خير أمة أخرجت للناس ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله ، فاجعلهم أمتى . قال : تلك أمة أحمد .

قال : رب إنى أجد فى التوراة أمة هم خير الأمم الآخرون من الأمم ، السابقون يوم القيامة ، فاجعلهم أمتى . قال : تلك أمة أحمد .

قال : يارب إنى أجد فى التوراة أمّةً أناجيلهم فى صدورهم يقرءونها ، وكان من قبلهم يقرءون كتبهم نظرا ولا يحفظونها ، فاجعلهم أمتى . قال : تلك أمة أحمد .

قال : رب إنى أجد فى التوراة أمة يؤمنون بالكتاب الأول والآخِر ، ويقاتلون رءوسَ الضلالة حتى يقاتلوا الأعورَ الكذاب ، فاجعلهم أمتى . قال : تلك أمة أحمد .

قال : رب إنى أجد فى التوراة أمة يأكلون صدقاتهم فى بطونهم ، وكان مَن قبلهم إذا أخرج صدقته بعث الله عليها نارا فأكلتها فإن لم تُقبل لاتقربها النارُ ، فاجعلهم أمتى . قال : تلك أمة أحمد .

قال : رب إنى أجد فى التوراة أمة إذا همّ أحدُهم بسيئة لم تُكتب عليه ، فإن عملها كُتبت عليه سيئةً واحدة ، وإذا همّ أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشر أمثالها إلى سبعمائة ضِعف ، فاجعلهم أمتى . قال : تلك أمة أحمد .

قال : ربِّ إنى أجد فى التوراة أمة هم المستجيبون والمستجاب لهم فاجعلهم أمتى . قال تلك أمة أحمد [1] .

قال وذكر وهب بن منبّه فى قصة داود عليه السلام وما أُوحى إليه فى الزبور : ياداود : إنه سيأتى من بعدك نبىٌّ اسمه أحمد ومحمد ، صادقا سيّدا ، لا أغضب عليه أبدا ، ولا يُغضبنى أبدا ، وقد غفرت له قبل أن يعصينى ماتقدم من ذَنْبه وما تأخّر ، أمته مَرْحومة ، أُعطيهم من النوافل مثلَ ماأعطيتُ الأنبياء ، وافترضت عليهم الفرائضَ التى افترضتُ على الأنبياء والرسل ، حتى يأتونى يوم القيامة ونورهم مثلُ نورِ الأنبياء ، وذلك أنى افترضت عليهم أن يتطهّروا إلى كل صلاة ، كما افترضتُ على الأنبياء قبلَهم ، وأمرتهم بالغسل من الجنابة كما أمرت الأنبياء قبلَهم ، وأمرتهم بالحج كما أمرت الأنبياء قبلهم ، وأمرتهم بالجهاد كما أمرت الرسُل قبلهم .

ياداود إنى فضّلت محمداً وأمته على الأمم كلها ، أعطيتهم ستَّ خصال لم أُعطها غيرهم

(١) ذكره أبو نعيم فى دلائل النبوة ص ٣١ وقال عنه : « وهذا الحديث من غرائب حديث سهيل ، لاأعلم أحدا رواه مرفوعا إلامن هذا الوجه ، تفرد به الربيع بن النعمان وبغيره من الأحاديث ، وفيه لين » .

من الأمم : لا آخذهم بالخطأ والنسيان ، و ذَنْب رَكِبوه على غير عَمْد إن استغفرونى منه غفرته لهم ، [وما قدّموا لآخرتهم من شئ طيبةً به أنفسهم جعلتـه لهم أضعافا مضاعفة] (١) ولهم فى للدّخر عندى أضعاف مضاعفة ، وأفضل من ذلك . وأعطيتهم على للصائب فى البلايا إذا صبروا وقالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون ، الصلاة والرحمة والهدَى إلى جنات النعيم ، فإن دَعونى استجبت لهم ، فإما أن يروه عاجلاً ، وإما أن أصْرف عنهم سوءا ، وإما أن أدّخره لهم فى الآخرة .

ياداود من لَقِينى من أمة محمد يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له صادقا بها، فهو معى فى جنّتى و كرامتى ، ومن لقينى وقد كذّب محمداً أو كذّب بما جاء به ، واستهزأ بكتابى صَبَبْت عليـه فى قبره العذاب صَبًّا ، وضربت الملائكةُ وجهه ودُبُره عند مَنْشَره من قبره ، ثم أدخله فى الدّرك الأسفل من النار

***

وقال الحافظ البيهقى : أخبرنا الشريف أبو الفتح العُمَرى ، حـدثنا عبدُ الرحمن بن أبى شُرَيح المرَوى ، حـدثنا يحيى بن محمد بن صاعد ، حـدثنا عبد الله بن شَبيب أبو سعيد ، حدثنى محمد بن عمر بن سعيد ـ يعنى ابن محمد بن جبير بن مطعم ـ قال : حدثتنى أم عثمان بنت سعيد بن محمد بن جُبَير بن مُطْعِم عن أبيها ، عن أبيه ، قال : سمعت أبى جُبَيْرَ بن مُطْعم يقول : لما بعث الله نبيَّه صلى الله عليـه وسلم وظهر أمرُه بمـكة ، خرجتُ إلى الشام ، فلما كنت ببُصْرَى أتتنى جماعةٌ من النصارى فقالوا لى : أمِن الحرَم أنت ؟ قلت : نعم ، قالوا : أفتعرف هذا الذى تنبأ فيكم ؟ قلت : نعم .

قال : فأخذوا بيدى فأدخلونى دَيراً لهم فيه تماثيلُ وصُوَر ، فقالوا لى : انظر هل ترى صورة هذا النبى الذى بُعث فيكم ؟ فنظرتُ فلم أرَ صورته . قلت لا أرى صورته فأدخلونى ديراً أكبر

---

(١) من ت .

من ذلك الدير ، فإذا فيه تماثيل وصور أكثر مما فى ذلك الدير ، فقالوا لى : انظر هل ترى صورته ؟ فنظرتُ فإذا أنا بصِفَة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصورته ، وإذا أنا بصِفَة أبى بكر وصورته وهو آخذ بعَقِب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا لى : هل ترى صِفَته ؟ قلت : نعم . قالوا : هو هذا ؟ – وأشاروا إلى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم – قلت : اللهم نعم ، أشهد أنه هو . قالوا : أتعرف هذا الذى آخذٌ بعَقِبه ؟ قلت : نعم . قالوا : نشهد أن هذا صاحبكم وأن هذا الخليفة من بعده .

ورواه البخارى فى التاريخ عن محمد غير منسوب ، عن محمد بن عمر . هذا بإسناده فذكره مختصرا ، وعنده فقالوا : إنه لم يكن نبىٌّ إلا بعدَه نبى إلا هذا النبى .

وقد ذكرنا فى كتابنا التفسير عند قوله تعالى فى سورة الأعراف : « الذين يَتَّبِعون الرسولَ النبىَّ الأمىَّ الذى يجدُونه مكتوباً عندَهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر » الآية ، ذكرنا ما أورده البيهقى وغيره من طريق أبى أُمامة الباهلىّ ، عن هشام بن العاص الأموى قال : بُعثت أنا ورجل من قريش إلى هرقل صاحب الروم ندعوه إلى الإسلام . فذكر اجتماعهم به وأن غُرْفته تنقَّضَتْ حين ذكروا الله عز وجل ، فأنزلهم فى دار ضيافته ثم استدعاهم بعد ثلاث فدعا بشىء نحو الرَّبْعة [1] العظيمة فيها بيوتٌ صِغار عليها أبواب ، وإذا فيها صور الأنبياء مُمَثَّلة فى قِطَع من حرير ، من آدم إلى محمد صلوات الله عليهم أجمعين ، فجعل يُخرج لهم واحداً واحداً ويخبرهم عنه ، وأخرج لهم صورة آدمَ ثم نوح ثم إبراهيم ، ثم تعجَّل إخراج صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ثم فتح باباً آخر فإذا فيها صورة بيضاء ، وإذا والله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : نعم ، محمد رسولُ الله . قال : وبكينا ، قال : والله يعلم أنه قام قائما ثم جلس وقال : والله إنه لهو ؟ قلنا نعم إنه لهو كما تنظر إليه . فأمسك ساعةً ينظر

(١) الربعة : الجام .

إليها ثم قال : أمَا إنه كان آخر البيوت ، ولكنى عجّلته لكم لأنظر ماعندكم .

ثم ذكر تمام الحديث فى إخراجه بقية صور الأنبياء وتعريفه إياها بهم .

وقال فى آخره : قلنا له : من أين لك هذه الصُّوَر ؟ لأنا نعلم أنها على ماصُوّرت عليه الأنبياء عليهم السلام ؛ لأنا رأينا صورة نبينا عليه السلام مثله .

فقال : إن آدم عليه السلام سأل ربَّه أن يريه الأنبياء من ولده ، فأنزل عليه صُوَرهم فكانت فى خزانة آدم عليه السلام عند مغرب الشمس ، فاستخرجها ذو القَرنين من مَغرب الشمس فدفعها إلى دانيال ، ثم قال : أمَا والله (١) إن نفسى طابت بالخروج من مُلكى وأنى كنت عبداً لأشرّكم مِلْكةً حتى أموت .

قال : ثم أجازنا فأحسن جائزتنا وسرّحنا ، فلما أتينا أبا بكر الصديق رضى الله عنه حدثناه بما رأينا وما قال لنا وما أجازنا ، قال : فبكى أبو بكر فقال : مسكين لو أراد الله به خيراً لفعل . ثم قال : أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم واليهود يجدون نعت محمد صلى الله عليه وسلم عندهم .

[وقال الواقدى : حدثنى على بن عيسى الحكيمى ، عن أبيه ، عن عامر بن ربيعة ، قال : سمعت زيد بن عمرو بن نُفَيل يقول : أنا أنتظر نبيا مِن ولد إسماعيل ، ثم من بنى عبد المطلب ، ولا أرانى أُدْركه وأنا أومن به وأصدّقه وأشهد برسالته ، فإن طالت بك مدةٌ فرأيته فأقرئه منى السلام ، وسأخبرك مانَعْتُه حتى لا يَخفَى عليك . قلت : هلمّ .

قال : هو رجل ليس بالطويل ولا بالقصير ، ولا بكثير الشّعر ولا بقليله ، وليست تفارق عينيه حُمْرة ، وخاتم النبوة بين كتفيه ، واسمه أحمد ، وهذا البلد مولده ومبعثه ثم يخرجه قوم منها ويكرهون ماجاء به حتى يهاجر إلى يثرب فيظهر أمْره ، فإياك أن

---

(١) فى دلائل النبوة لأبى نعيم ٢٢ والوفا لابن الجوزى ٧٣١ : « فوالله لو تطيب نفسى بالخروج عن ملكى ما باليت أن أكون عبدا لأشدكم ملكة ، ولكن عسى أن تطيب نفسى » .

تخدّع عنه فإني طُفْت البلاد كلها أطلب دينَ إبراهيم ، فكل من سأل من اليهود والنصارى والمجوس يقولون : هذا الدين وذاك ، وينعتونه مثل مانعتّه لك ، ويقولون لم يبقَ نبي غيره .

قال عامر بن ربيعة : فلما أسلمتُ أخبرت النبيّ صلى الله عليه وسلم ، قولَ زيد بن عمرو بن نفيل وإقراءه منه السلام ، فرد عليه السلام وترحّم عليه ، وقال : قد رأيته في الجنة يسحب ذيولا [(١)] .

(١) من ت

كتاب دلائل النبوة

وهى معنوية وحسّية .

فمن المعنوية إنزال القرآن عليه ، وهو أعظم المعجزات ، وأبْهر الآيات ، وأبْيَن الحجج الواضحات ، لمَا اشتمل عليه من التركيب المعجز الذى تحدَّى به الإنس والجن أن يأتوا بمثله فعجزوا عن ذلك ، مع توافر دواعى أعدائه على معارضته ، وفصاحتهم وبلاغتهم ، ثم تحدَّاهم بعشر سُوَر منه فعجَزوا ، ثم تنازل إلى التحدى بسورة من مثله فعجزوا عنه . وهم يعلمون عَجْزَهم وتقصيرهم عن ذلك ، وأن هذا ما لا سبيل لأحد إليه أبداً .

قال الله تعالى : « قل لَئنِ اجتمعت الإنسُ والجنُّ على أنْ يأتوا بمثل هذا القرآنِ لا يَأْتونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهمْ لبعضٍ ظهيراً [1] » وهذه الآية مكية .

وقال فى سورة الطور وهى مكية : « أم يقولون تقوَّله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين » أى إن كنتم صادقين فى أنه قاله من عنده فهو بشَر مثلكم ، فَأْتوا بمثل ما جاء به فإنكم بشَر مثله .

وقال تعالى فى سورة البقرة وهى مدَنية ـ مُعيداً للتحدّى ـ : « وإن كنتم فى رَيْب مما نزَّلنا على عَبْدنا فأتوا بسورة من مثله وادعو شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين، فإن لم تَفْعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وَقُودها الناسُ والحِجَارة أُعدَّت للكافرين » .

وقال تعالى : « أم يقولون افتراه قل فأتوا بعَشر سُوَر مثله مُفْتَرَيات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أُنزل بعلم الله وأن لا إله

---

(1) سورة الإسراء .

إلا هو فهل أنتم مُسلمون[١] » .

وقال تعالى : « وما كان هذا القرآن أن يُفترى مِن دُون الله ولكن تَصْدِيقَ الذى بَيْن يديه وتفصيل الكتاب لا رَيْب فيه من رب العالمين . أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين . بل كذّبوا بمـا لم يُحيطوا بعلمه ولما يَأْتِهم تأويله كذلك كَذَّب الذين من قَبْلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين » .

فبيّن تعالى أن الخَلْق عاجزون عن معارضة هذا القرآن ، بل عن عَشْر سور مثله ، بل عن سورة منه ، وأنهم لا يستطيعون ذلك أبداً كما قال تعالى : « فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا » أى فإن لم تفعلوا فى الماضى ولن تستطيعوا ذلك فى المستقبل ، وهذا تحدٍّ ثان وهو أنه لا يمكن معارضتهم له لا فى الحال ولا فى المآل .

ومثل هذا التحدى إنما يَصْدُر عن واثق بأن ما جاء به لا يمكن البَشر معارضته ولا الإتيان بمثله ، ولو كان من مُتقوِّل من عند نَفْسه لخاف أن يُعارَض ، فيفتضح ويعود عليه نقيضُ ما قصَده من متابعة الناس له .

ومعلوم لكل ذى لُبٍّ أن محمداً صلى الله عليه وسلم مِن أعقل خَلق الله بل أعقلُهم وأكمَلُهم على الإطلاق فى نفس الأمر ، فما كان لِيُقْدِم على هذا الأمر إلا وهو عالم بأنه لا يمكن معارضته .

وهكذا وقع ، فإنه من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى زماننا هذا لم يستطع أحد أن يأتى بنظيره ولا نظير سورة منه ، وهذا لا سبيل إليه أبدا ، فإنه كلام رب العالمين الذى لا يُشْبِهه شىء من خلقه لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله ، فأنَّى يُشْبِه كلامُ المخلوقين كلامَ الخالق ؟

---

(١) سورة هود ١٣ ، ١٤ .

وقول كفار قريش الذى حكاه تعالى عنهم فى قوله : « وإذا تُتلَى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقُلنا مثلَ هذا إنْ هذا إلاأساطيرُ الأوَّلين(١) » . كَذِبٌ منهم ودعوى باطلة بلا دليل ولا برهان ولا حجة ولا بيان ، ولو كانوا صادقين لأتوا بما يعارضه ، بل هم يعلمون كَذبَ أنفسهم ، كما يعلمون كذب أنفسهم فى قولهم : « أساطيرُ الأولين اكتَتَبها فهى تُملَى عليه بُكْرَةً وأصيلا (٢) » .

قال الله تعالى : « قل أنزَله الذى يَعلم السرَّ فى السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيما(٣) » أى أنزله عالم الخفيّات، ربُّ الأرض والسموات، الذى يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون ، فإنه تعالى أوحى إلى عبده ورسوله النبى الأمى الذى كان لا يُحسن الكتابةَ ولا يَدْريها بالكلّية ، ولا يعلم شيئا من علم الأوائل وأخبار الماضين ، فقصَّ الله عليه خبر ما كان وما هو كائن على الوجه الواقع سواء بسواء .

وهو فى ذلك يَفْصِل بين الحق والباطل الذى اختلفت فى إيراده جُملة الكتب المتقدمة ، كما قال تعالى : « تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تَعلَمها أنت ولا قومُك من قَبْلِ هذا فاصبر إنّ العاقبَة للمتقين(٤) » وقال تعالى : « كذلك نقصُّ عليك من أنباء ما قد سبَق وقد آتيناكَ من لدنَّا ذِكْراً مَن أعرَض عنه فإنه يَحْملُ يوم القيامة وِزْراً خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حِمْلا (٥) » .

وقال تعالى : « وأنزلنا عليك الكتابَ بالحق مَصدّقاً لما بين يديه من الكتاب وَمُهَيْمِنا عليه(٦) » الآية وقال تعالى : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ، ولا تخطّه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون . بل هو آياتٌ بيّنَاتٌ فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحَد بآياتنا إلا الظالمون وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إنما الآياتُ عند الله وإنما

---

(١) سورة الأنفال ٣١
(٢) سورة الفرقان ٥ .
(٣) سورة الفرقان ٦
(٤) سورة هود ٤٩
(٥) سورة طه ٩٩ ـ ١٠١
(٦) سورة المائدة ٤٨

أنا نذيرٌ مبين . أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتابَ يُتلى عليهم إن فى ذلك لرحمةً وذِكرى لقوم يؤمنون . قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا يَعلَمُ مافى السموات والأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون (١) » .

فبيّن تعالى أن نفس إنزال هذا الكتاب المشتمل على علم ما كان وما يكون وحُكم ماهو كائن بين الناس على مثل هذا النبى الأمى وحدَه كان من الدلالة على صِدْقه .

***

وقال تعالى : « وإذا تتلى عليهم آياتُنا بيناتٍ قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآنٍ غير هذا أو بدّله قل مايكون لى أن أبدّله مِنْ تِلقاء نفسى إنْ أتّبع إلا مايُوحَى إلىّ إنى أخاف إن عصيتُ ربى عذابَ يومٍ عظيم . قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به ، فقد لبِثتُ فيكم عُمُرا من قبله أفلا تعقلون . فمن أظلم ممن افترى على الله كذِبا أو كذّب بآياته إنه لا يُفلح المجرمون (٢) » .

يقول لهم : إنى لا أُطيق تبديلَ هذا من تلقاء نفسى ، وإنما الله عز وجل هو الذى يمحو مايشاء ويثبت ، وأنا مبلغ عنه ، وأنتم تعلمون صدق فيما جئتكم به ؛ لأنى نشأت بين أظهركم وأنتم تعلمون نسَبى وصدق وأمانتى ، وأنى لم أكذب على أحدٍ منكم يوماً من الدهر ، فكيف يَسعنى أن أكذب على الله عز وجل ، مالك الضر والنفع ، الذى هو على كل شىء قدير ، وبكل شىء عليم ؟ وأىُّ ذنب عنده أعظمُ من الكذب عليه ، ونِسْبة ماليس منه إليه ، كما قال تعالى : « ولو تقوّل علينا بعضَ الأقاويل ، لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتينَ ، فما منكم من أحدٍ عنه حاجزين (٣) » .

أى لو كذّب علينا لانتقمنا منه أشدَّ الانتقام ، وما استطاع أحدٌ من أهل الأرض أن يحجزنا عنه ويمنعنا منه .

---

(١) سورة الأنعام ٩٣ (٢) سورة يونس ١٥ ـ ١٧
(٣) سورة الحاقة ٤٤ ـ ٤٧

وقال تعالى : « ومن أظلمُ ممن افترى على الله كَذِبا أو قال أُوحى إلىَّ ولم يوحَ إليه شىء ، ومن قال سأُنْزَل مثل ما أَنْزَل الله . ولو تَرى إذ الظالمون فى غَمرات الموتِ والملائكةُ باسطو أيديهم أخرِجوا أنفسَكم اليوم تُجْزَون عذاب الُهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون (١) » .

وقال تعالى : « قل أىُّ شىء أكبرُ شهادةً ؟ قُل الله شهيدٌ بينى وبينكم ، وأُوحىَ إلى هذا القرآنُ لأُنذركم به ومن بلغ (٢) » .

وهذا الكلام فيه الإخبار بأن الله شهيدٌ على كل شىء ، وأنه تعالى أعظم الشهداء ، وهو مُطَّلع علىّ وعليكم فيما جئتكم به عنه ، وتتضمن قوة الكلام قسمًا به أنه قد أرسلنى إلى الخلق لأنذرهم بهذا القرآن ، فمن بلَغه منهم فهو نذير له ، كما قال تعالى : « ومَن يكْفُر به من الأحزاب فالنار مَوْعِده فلاتكُ فى مِرْية منه إنه الحق من ربك ولكنّ أكثر الناس لايؤمنون (٣) » .

* * *

ففى هذا القرآن من الأخبار الصادقة عن الله وملائكته وعرشه ومخلوقاته العلوية والسفلية كالسموات والأرضين وما بينهما وما فيهن ، أمور عظيمة كثيرة مُبَرْهَنة بالأدلة القطعية المرشِدة إلى العلم بذلك من جهة العقل الصحيح .

كما قال تعالى: « ولقد صرَّفْنَا للناس فى هذا القرآن مِنْ كُلِّ مَثَل فَأَبَى أكثر الناسِ إلَّا كُفُورا (٤) » وقال تعالى : وتلك الأمثالُ نَضْرِبُها للناس وما يَعْقِلُهَا إلا العالِمُونَ (٥) » . وقال تعالى « ولقد صَّرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مَثَل لعلهم يتذكرون قرآنًا عربيًا غير ذى عِوَج لعلهم يتقون (٦) » .

---

(١) سورة الأنعام ٩٣ .
(٢) سورة الأنعام ١٩
(٣) سورة هود ١٧
(٤) سورة الإسراء
(٥) سورة العنكبوت .
(٦) سورة الزمر

وفى القرآن العظيم الإخبار عما مضى على الوجه الحق، وبرهانه مافى كتب أهل الكتاب من ذلك شاهد له، مع كونه نزل على رجل أمىٍّ لا يعرف الكتابة ولم يعانِ يوماً من الدهر شيئا من علوم الأوائل، ولا أخبار الماضين، فلم يفجأ الناس إلا بوحى إليه عما كان من الأخبار النافعة، التى ينبغى أن تُذْكر للاعتبار بها من أخبار الأمم مع الأنبياء، وما كان منهم من أمورهم معهم، وكيف نجَّى الله المؤمنين وأهلك الكافرين، بعبارة لايستطيع بشَر أن يأتى بمثلها أبدَ الآبدين، ودهرَ الداهرين.

ففى مكان تُقَصُّ القصة موجزةً فى غاية البيان والفصاحة، وتارة تُبْسَط، فلا أحْلَى ولا أجْلَى ولا أعلى من ذلك السياق، حتى كأن التالى أو السامع مشاهد لما كان، حاضر له، معاين للخبر بنفسه، كما قال تعالى: « وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتُنذر قوماً ما أتاهم من نذير مِن قَبْلك لعلهم يتذكرون (١) » وقال تعالى: « وما كنت لديهم إذ يُلقون أقلامَهم أيهم يَكْفُل مريمَ وما كنت لديهم إذ يختصمون (٢) ».

وقال تعالى فى سورة يوسف: « ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون. وما أكثرُ الناسِ ولو حرَصْتَ بمؤمنين. وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذِكْرٌ للعالمين » إلى أن قال فى آخرها: لقد كان فى قَصَصهم عبرةٌ لأولى الألباب ما كان حديثا يُفتَرى ولكن تصديقَ الذى بين يديه وتفصيلَ كل شىء وهدًى ورحمةً لقوم يؤمنون (٣) ».

وقال تعالى: « وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أو لم تأتهم بَيِّنةُ مافى الصُّحف الأولى (٤) » وقال تعالى: « قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضَلُّ ممن

---

(١) سورة القصص
(٢) سورة آل عمران.
(٣) سورة يوسف
(٤) سورة طه ١٣٣

هو فى شِقَاق بعيد ، سنُرِيهم آياتِنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبيّن لهم أنه الحق أو لم يَـكْفِ بربك أنه على كل شىء شهيد (١) » .

وعدَ تعالى أنه سيظهر الآيات : القرآن وصِدْقَه وصِدْقَ من جاء به بما يخلقه فى الآفاق من الآيات الدالة على صدق هـذا الـكتاب ، وفى نفس المنكرين له المكذّبين مافيه حجةٌ عليهم وبرهان قاطع لشُبَهِهم ، حتى يستيقنوا أنه مُنزّل من عند الله على لسان الصـادق .

ثم أرشد إلى دليل مستقل بقوله : « أو لم يَـكْفِ بربك أنه على كلٌ شىء شهيد » أى فى العلم بأن الله يطّلع على هـذا الأمر كفاية فى صدق هذا المخبرَ عنـه ؛ إذ لو كان مفترِياً عليه لعاجَله بالعقوبة البليغة كما تقدم بيان ذلك .

وفى هذا القرآن إخبار عما وقع فى المستقبل طبق ماوقع سواء بسواء ، وكذلك فى الأحاديث ، حسب ما قررناه فى كتابنا التفسير ، وما سنذكره من الملاحم والفتن ، كقوله تعالى : « عَلِم أن سيكون منـكم مَرْضى وآخرون يَضْرِبون فى الأرض يَبْتغون من فَضْل الله وآخـرون يقاتِلون فى سبيل الله (٢) » وهـذه السورة من أوائل ما نزل بمكة .

وكذلك قوله تعالى فى سورة اقتربت ، وهى مكية بلا خلاف : « سيُهزَم الجمْع ويولون الدُّبُرَ ، بل السـاعة مَوْعِدهم والساعة أدْهَى وأمرٌ » وقَع مِصْداق هـذه الهزيمة يوم بدر بعد ذلك .

إلى أمثال هذا من الأمور البينة الواضحة . وسيأتى فصلٌ فيما أخبر به من الأمور التى وقعت بعده عليه السلام طبقَ ما أخبر به .

وفى القرآن الأحكام العادلة أمراً ونهياً ، المشتملة على الحِكَم البالغة التى إذا تأملها

---

(١) سورة فصلت ٥٢ ، ٥٣ (٢) سورة المزمل ٢٠

ذو الفهم والعقل الصحيح قطع بأن هذه الأحكام إنما أنزلها العالم بالخفيات ، الرحيم بعباده الذى يعاملهم بلطفه ورحمته ، وإحسانه .

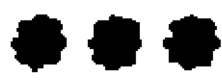
قال تعالى : « وتَمَّت كلمة ربك صِدْقًا وعَدْلًا (١) » أى صدقا فى الأخبار وعدلا فى الأوامر والنواهى ، وقال تعالى : « الر كتاب أُحْكِمت آياته ثم فُصِّلت من لدن حكيم خبير » (٢) أى أُحكمت ألفاظه وفُصِّلت معانيه ، وقال تعالى : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق (٣) » أى العلم النافع والعمل الصالح .

وهكذا روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال لكُمَيْل بن زياد : هو كتاب الله فيه خَبَر ما قبلكم ، وحُكْم ما بينكم ، ونبأ ما بعدكم .

وقد بسطنا هذا كله فى كتابنا التفسير بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة .



فالقرآن العظيم مُعجِز من وجوه كثيرة : من فصاحته ، وبلاغته ، ونَظْمه ، وتراكيبه وأساليبه ، وما تضمنه من الأخبار الماضية والمستقبلة ، واشتمل عليه من الأحكام المُحْكَمة الجلِيّة ، والتحدى ببلاغة ألفاظه يخص فصحاء العرب ، والتحدى بما اشتمل عليه من المعانى الصحيحة الكاملة ــ وهى أعظم فى التحدى عند كثير من العلماء يعم جميع [أهل الأرض] من الملتين أهل الكتاب وغيرهم من عقلاء اليونان والهند والفرس والقبط وغيرهم من أصناف بنى آدم فى سائر الأقطار والأمصار .



وأما من زعم من المتكلمين أن الإعجاز إنما هو من صَرْف دواعى الكفرة عن معارضته مع إنكار ذلك ، أو هو سَلْب قدرتهم على ذلك ، فقول باطل ، وهو مُفرَّع على اعتقادهم أن القرآن مخلوق ، خلقه الله فى بعض الأجرام ، ولا فرق عندهم بين مخلوق ومخلوق .

---

(١) سورة الأنعام (٢) سورة هود . (٣) سورة الفتح .

وقولهم هذا كفر وباطل ، وليس مطابقا لما فى نفس الأمر ، بل القرآن كلام الله غير مخلوق ، تكلم به كما شاء الله تعالى وتقدّس وتنزّه عما يقولون علوّا كبيراً ، فالخلق كلهم عاجزون حقيقةً وفى نفس الأمر عن الإتيان بمثله ولو تعاضدوا وتناصروا على ذلك ، بل لا تقـــدِر الرسل الذين هم أفصح الخلق وأعظم الخلق وأكلهم ، أن يتكلموا بمثل كلام الله .

وهذا القرآن [الذى] يبلغه الرسول صلى الله عليه وسلم عن الله ، أسلوبُ كلامه لا يشبه أساليبَ كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأساليب كلامه عليه السلام المحفوظة عنه بالسَّند الصحيح إليه لا يقدر أحد من الصحابة ولا من بعدهم أن يتكلم بمثل أساليبه فى فصاحته وبلاغته ، فيما يرويه من المعانى بألفاظه الشريفة ، بل وأسلوب كلام الصحابة أعلى من أساليب كلام التابعين ، وهلم جرا إلى زماننا .

[و] علماء السلف أفصح وأعلم ، وأقلُّ تكلفا، فيما يروونه من المعانى بألفاظهم من علماء الخلف ، وهذا يشهده من له ذَوْق بكلام الناس ، كما يُدْرك تفاوتَ ما بين أشعار العرب فى زمن الجاهلية ، وبين أشعار المولدين الذين كانوا بعد ذلك .

ولهذا جاء الحديث الثابت فى هذا المعنى وهو فيما رواه الإمام أحمد قائلا: [حدثنا] حجاج ، حدثنا ليث ، حدثنى سعيد بن أبى سعيد ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما من الأنبياء نبى إلا قد أُعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذى أُوتيت وحياً أوحاه الله إلى ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة .

وقد أخرجه البخارى ومسلم من حديث الليث بن سعد به .

ومعنى هذا أن الأنبياء عليهم السلام كلٌّ منهم قد أُوتى من الحجج والدلائل على صدقه وصحة ما جاء به عن ربه ما فيه كفاية وحجة لقومه الذين بعث إليهم ، سواء آمنوا

به ففازوا بثواب إيمانهم أو جحدوا فاستحقوا العقوبة .

وقوله : « وإنما كان الذى أوتيت » أى جُلّه وأعظمه ، الوحى الذى أوحاه إليه ، وهو القرآن ، الحجة المستمرة الدائمة القائمة فى زمانه وبعده ، فإن البراهين التى كانت للأنبياء انقرض زمانها فى حياتهم ولم يبق منها إلا الخبر عنها ، وأما القرآن فهو حجة قائمة كأنما يسمعه السامع مِن فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحجة الله قائمة به فى حياته عليه السلام وبعد وفاته ، ولهذا قال : « فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » أى لاستمرار ما آتانى الله من الحجة البالغة والبراهين الدامغة ، فلهذا يكون يوم القيامة أكثر الأنبياء تبعا[1] .

---

(١) فى ا : وهكذا بعد هو أكثر الأنبياء تبعا .

فصل

ومن الدلائل المعنوية أخلاقه عليه السلام الطاهرة ، وخُلقه الكامل ، وشجاعته وحِلمه ، وكرمه وزهده ، وقناعته وإيثاره ، وجميل صحبته ، وصدقه وأمانته ، وتقواه وعبادته ، وكرم أصله ، وطِيب مولده ومنشئه ومَرْبَاه ، كما قدمناه مبسوطا فى مواضعه .

وما أحسن ماذكره شيخنا العلامة أبو العباس بن تَيْمية رحمه الله فى كتابه الذى ردَّ فيه على فِرَق النصارى واليهود وما أشبههم من أهل الكتاب وغيرهم ، فإنه ذكر فى آخره دلائل النبوة ، وسلك فيها مسالك حسنة صحيحة منتجة ، بكلام بليغ يخْضع له كل من تأمَّله وفهمه .

قال فى آخر هذا الكتاب المذكور :

فصل

وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأخلاقه وأقواله وأفعاله من آياته ، أى من دلائل نبوته .

قال : وشريعته من آياته ، وأمته من آياته ، وعِلْم أمته من آياته ، ودِينهم من آياته ، وكرامات صالِحى أمته من آياته ، وذلك يَظهر بتدبّر سيرته من حين ولِد إلى أن بُعث ، ومن حين بعث إلى أن مات ، وتدبُّر نسَبه وبلده وأصله وفضله .

فإنه كان من أشرف أهل الأرض نسباً من صميم سُلالة إبراهيم الذى جعل الله فى ذريته النبوة والكتاب ، فلم يأت بعد إبراهيم نبى إلا من ذريته ، وجعل الله له ابنين : إسماعيل وإسحاق ، وذكر فى التوراة هذا وهذا ، وبشّر فى التوراة بما يكون من ولد إسماعيل .

ولم يكن من ولد إسماعيل من ظهر فيه مابَشّرت به النبوات غيره ، ودعا إبراهيم لذرية إسماعيل بأن يبعث الله فيهم رسولا منهم .

ثم الرسول صلى الله عليه وسلم من قريش صفوة بنى إبراهيم ، ثم من بنى هاشم صفوة قريش ، ومن مكة أم القُرى وبلد البيت الذى بناه إبراهيم ودعا الناس إلى حجه ولم يزل مَحجوجا من عهد إبراهيم ، مَذكورا فى كتب الأنبياء بأحسن وصف .

وكان صلى الله عليه وسلم من أكمل الناس تربية ونَشْأة ، لم يزل معروفا بالصدق والبِر ومكارم الأخلاق والعدل ، وترْك الفواحش والظلم وكل وصف مذموم ، مشهوداً له بذلك عند جميع من يعرفه قبل النبوة ، ومن آمَن به ، ومن كفر بعد النبوة ، ولا يعرف له شىء يعاب به لا فى أقواله ولا فى أفعاله ولا فى أخلاقه ؛ ولا جُرِّب عليه كِذبة قط ، ولا ظلم ولا فاحشة .

وقد كان صلى الله عليه وسلم خَلْقه وصورته من أحسن الصور وأتمها وأجمعها للمحاسن الدالة على كماله ، وكان أمّيا من قوم أميين لا يعرف هو ولا هم مايعرفه أهل الكتاب من التوراة والإنجيل ، ولم يقرأ شيئا من علوم الناس ، ولا جالس أهلها ، ولم يدَّع نبوةً إلى أن أكمل الله له أربعين سنة ، فأتى بأمر هو أعجب الأمور وأعظمها ، وبكلام لم يسمع الأولون والآخرون بنظيره ، وأخبر بأمر لم يكن فى بلده وقومه من يعرف مثله .

ثم اتبعه أتباع الأنبياء وهم ضعفاء الناس ، وكذّبه أهلُ الرياسة وعادَوه ، وسَعَوا فى هلاكه وهلاك من اتبعه بكل طريق ، كما كان الكفار يفعلون بالأنبياء وأتباعهم .

والذين اتّبعوه لم يتبعوه لرغبة ولا لرهبة ، فإنه لم يكن عنده مال يُعطيهم ، ولا جهات يولِّيهم إياها ، ولا كان له سَيف ، بل كان السيف والجاه والمال مع أعدائه ، وقد آذَوا أتباعه بأنواع الأذى ، وهم صابرون محتسبون ، لا يرتدّون عن دينهم ، لما خالط

قلوبهم من حلاوة الإيمان والمعرفة .

وكانت مكة يحجها العربُ من عهد إبراهيم ، فيجتمع فى الموسم قبائل العرب ، فيخرج إليهم يبلّغهم الرسالة ويدعوهم إلى الله صابرا على ما يَلقاه من تكذيب المكذِّب ، وجفاء الجافى ، وإعراض المعرض ، إلى أن اجتمع بأهل يثرب وكانوا جيران اليهود ، وقد سمعوا أخباره منهم وعرفوه ، فلما دعاهم علموا أنه النبى المنتظَر الذى يخبرهم به اليهودُ ، وكانوا سمعوا من أخباره أيضا ماعرفوا به مكانته ، فإنّ أمره كان قد انتشر وظهر فى بضع عشرة سنة ، فآمنوا به وبايعوه على هجرته وهجرة أصحابه إلى بلدهم، وعلى الجهاد معه ، فهاجر هو ومن اتبعه إلى المدينة ، وبها المهاجرون والأنصار ليس فيهم من آمن برغبة دنيوية ، ولا برهبة إلا قليلا من الأنصار أسلموا فى الظاهر ثم حَسُن إسلام بعضهم ، ثم أُذِن له فى الجهاد ، ثم أُمِر به .

***

ولم يزل قائما بأمر الله على أكمل طريقة وأتمها ، من الصدق والعدل والوفاء لا يُحفظ له كِذْبة واحدة ، ولا ظُلم لأحد ، ولا غَدْر بأحد ، بل كان أصدقَ الناس وأعدلهم وأوفاهم بالعهد مع اختلاف الأحوال ، من حرب وسلم ، [وأَمْن] وخوف ، وغنًى وفقر ، وقُدرة وعجز ، وتمكّن وضعف ، وقِلة وكثرة ، وظهور على العدو تارة ، وظهور العدو تارة .

وهو على ذلك كله لازمٌ لأكمل الطرق وأتمها ، حتى ظهرت الدعوة فى جميع أرض العرب التى كانت مملوءة من عبادة الأوثان ، ومن أخبار الكُهّان ، وطاعة المخلوق فى الكفر بالخالق ، وسَفْك الدماء المحرَّمة ، وقطيعة الأرحام ، لا يعرفون آخرةً ولا مَعاداً ، فصاروا أعلمَ أهل الأرض وأدْيَنهم وأعدَلهم وأفضلهم ، حتى إن النصارى لمّا رأوهم حين قدِموا الشامَ قالوا : ما كان الذين صَحِبوا المسيحَ أفضل من هؤلاء !

وهذه آثار عِلْمهم وعَملهم فى الأرض وآثار غيرهم ، يَعْرف العقلاء فَرْقَ ما بين الأمرين .

وهو صلى الله عليه وسلم مع ظهور أمره ، وطاعة الخلق له، وتقديمهم له على الأنفس والأموال ، مات ولم يخلِّف درهما ولا دينارا ، ولا شاة ولا بعيرا ، إلا بغلته وسلاحه ودرعه مرهونة عند يهودى على ثلاثين وَسْقا من شعير ابتاعها لأهله ، وكان بيده عَقَار ينفق منه على أهله ، والباقى يَصْرفه فى مصالح المسلمين ، فحَكَم بأنه لا يورَث ولا يأخذ ورثته شيئا من ذلك .

وهو فى كل وقت يُظْهر من عجائب الآيات وفنون الكرامات ما يَطُول وصفه ، ويخبرهم بما كان وما يكون ، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويُحل لهم الطيبات ويُحرّم عليهم الخبائثَ ، ويَشْرع الشريعة شيئا بعد شىء .

حتى أكمل الله دينه الذى بعثه به ، وجاءت شريعته أكملَ شريعة ، لم يَبْقَ معروف تَعْرف العقول أنه معروف إلا أَمَر به ، ولا مُنكَر تعرف العقول أنه منكَر إلا نهَى عنه لم يَأْمر بشىء فقيل : ليته لم يأمر به . ولا نهَى عن شىء فقيل : ليته لم يَنْه عنه . وأحلّ لهم الطيبات لم يحرِّم منها شيئا كما حُرم فى شريعة غيره ، وحرّم الخبائث لم يُحِلّ منها شيئا كما استحل غيره .

وجَمع محاسن ما عليه الأمم ، فلا يُذْكر فى التوراة والإنجيل والزّبور نوعٌ من الخبر عن الله وعن الملائكة وعن اليوم الآخر إلا وقد جاء به على أكمل وجه ، وأخبر بأشياء ليست فى الكتب ، وليس فى الكتب(١) إيجابٌ لعَدْل وقضاء بفَضْل وندب إلى الفضائل وترغيب فى الحسنات إلا وقد جاء به وبما هو أحسن منه .

---

(١) ا : الكتاب .

وإذا نظر اللبيب فى العبادات التى شرعها وعبادات غيره من الأمم ظهر له فَضْلها ورُجْحانها ، وكذلك فى الحدود والأحكام وسائر الشرائع .

***

وأمته أكمل الأمم فى كل فضيلة ، وإذا قِيسَ عِلْمهم بعلم سائر الأمم ظهرَ فضلُ علمهم ، وإن قِيس دِينهم وعبادتهم وطاعتهم لله بغيرهم ظهر أنهم أَدْيَن من غيرهم ، وإذا قيس شجاعتهم وجهادهم فى سبيل الله وصَبْرهم على المكاره فى ذات الله ، ظهر أنهم أعظم جهاداً وأشجع قلوبا .

وإذا قيس سخاؤهم وبرُّهم وسماحة أنفسهم بغيرهم ، ظهر أنهم أسخَى وأكرم من غيرهم .

وهذه الفضائل به نالوها ، ومنه تعلَّموها ، وهو الذى أمرَهم بها ، لم يكونوا قبله متَّبعين لكتاب جاء هو بتكميله ، كما جاء المسيح بتكميل شريعة التوراة ، فكانت فضائل أتباع المسيح وعلومهم بعضها من التوراة وبعضها من الزبور وبعضها من النبوات وبعضها من المسيح وبعضها ممن بعده كالحواريين ومن بعض الحواريين ، وقد استعانوا بكلام الفلاسفة وغيرهم حتى أدخلوا — لما غيَّروا دينَ المسيح — فى دين المسيح أموراً من أمور الكفار المناقضة لدين المسيح .

وأما أمة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يكونوا قبله يقرءون كتابا ، بل عامَّتهم ما آمنوا بموسى وعيسى وداود والتوراة والإنجيل والزبور إلا من جهته ، وهو الذى أمرهم أن يؤمنوا بجميع الأنبياء ، ويقرّوا بجميع الكتب المنزّلة من عند الله ، ونهاهم عن أن يفرقوا بين أحد من الرسل ، فقال تعالى فى الكتب الذى جاء به : « قولوا آمنَّا بالله وما أُنزل إلينا وما أُنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أُوتى موسى وعيسى

وما أوتي النبيون من ربهم ، لا نفرّق بَيْن أحد منهم ونحن له مسلمون. فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدَوا وإن تولّوا فإنما هم فى شِقَاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم[1] »

وقال تعالى : « آمنَ الرسولُ بما أُنزل إليه من ربه والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكته وكُتبه ورسله لا نفرّق بين أحدٍ من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا ، غُفرانك ربّنا وإليك المصير، لا يكلّف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت[2] » الآية.

وأمته عليه السلام لا يَستحلّون أن يُوجدوا شيئا من الدين غير ما جاء به ، ولا يبتدعون بدعة ما أنزل الله بها من سلطان ، ولا يَشرعون من الدين مالم يأْذَن به الله ، لكن ما قصّه عليهم من أخبار الأنبياء وأممهم ، اعتبروا به، وما حدّثهم أهلُ الكتاب موافقا لما عندهم صدّقوه ، وما لم يُعلم صدقه ولا كذبه أمسكوا عنه ، وما عرفوا بأنه باطل كذّبوه ،ومن أدخل فى الدين ما ليس منه من أقوال مُتفلسفة الهند والفرس واليونان أو غيرهم ، كان عندهم من أهل الإلحاد والابتداع .

وهذا هو الدّين الذى كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون ، وهو الذى عليه أئمة الدين الذين لهم فى الأمة لسان صدق، وعليه جماعة المسلمين وعامتهم ومن خرج عن ذلك كان مذموماً مَدْحُورا عند الجماعة ، وهو مذهب أهل السنة والجماعة الظاهرين إلى قيام الساعة ، الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تزال طائفـــةٌ من أمتى ظاهرين على الحق لا يَضُرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة » .

وقد يتنازع بعض المسلمين مع اتفاقهم على هذا الأصل الذى هو دين الرسل عموما، ودين محمـد صلى الله عليـه وسلم خصوصا ، ومن خالف هذا الأصل كان عندهم مُلحدا مذموما .

---

(١) سورة البقرة ١٣٦ ، ١٣٧ .

(٢) سورة البقرة ٢٨٥ .

ليسوا كالنصارى الذين ابتدعوا ، دينا ما قام به أكابرُ علمائهم وعُبّادهم ، وقاتل عليه ملوكهم ، ودان به جمهورهم ، وهو دين مبتدع ليس هو دين المسيح ولا دين غيره من الأنبياء .

والله سبحانه أرسل رُسله بالعلم النافع ، والعمل الصالح ، فمن اتبع الرسل حصَل له سعادةُ الدنيا والآخرة ، وإنما دخَل فى البدع من قصّر فى اتباع الأنبياء علما وعملا .

***

ولما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ، تلقى ذلك عنه المسلمون [من أمته[1]] فكل عِلم نافع وعمل صالح عليه أمة محمد ، أخذوه عن نبيهم ، كما ظهر لكل عاقل أن أمته أكمل الأمم فى جميع الفضائل العلمية والعملية ، ومعلوم أن كل كمال فى الفرع المتعلِّم هو فى الأصل المعلِّم ، وهذا يقتضى أنه عليه السلام كان أكمل الناس علما ودينا .

وهذه الأمور توجب العلم الضرورى بأنه كان صادقا فى قوله : « إنى رسول الله إليكم جميعا » لم يكن كاذبا مفتريا ، فإن هذا القول لا يقوله إلا من هو من خيار[2] الناس وأكملهم ، إن كان صادقا ، أو من هو من أشر الناس وأخبثهم إن كان كاذبا ، وما ذكر من كمال عِلمه ودينه يناقض الشر والخبث والجهل ؛ فتعين أنه مُتصف بغاية الكمال فى العلم والدين ، وهذا يستلزم أنه كان صادقا فى قوله : « إنى رسول الله إليكم جميعا » .

لأن الذى لم يكن صادقا إما أن يكون متعمد الكذب أو مخطئا ، والأول يوجب أنه كان ظالما غاوياً . والثانى يقتضى أنه كان جاهلا ضالا ، ومحمد صلى الله عليه وسلم كان علمه ينافى جهله ، وكمال دينه ينافى تعمد الكذب ، فالعلم بصفاته يستلزم العلم بأنه لم يكن يتعمد الكذب ولم يكن جاهلا يكذب بلا علم ، وإذا انتفى هذا وذاك تعين أنه كان صادقا

(١) من ت

(٢) ا : من هو خيار الناس .

عالما بأنه صادق ، ولهذا نزّهه الله عن هذين الأمرين بقوله تعالى : « والنَّجم إذا هَوى ، ماضَلّ صاحبكم وما غوَى ، وما ينْطِق عن الهوى ، إن هو إلا وحيٌ يُوحَى [١] » وقال تعالى عن الملك الذى جاء به « إنه لقَولُ رسول كريم ذِى قُوّة عند ذى العرش مَكين مطاع ثَمّ أمين » ثم قال عنه : « وما صاحبكم بمجنون ، ولقد رآه بالأفق المبين وما هو على الغيب بضَنِين ، وما هو بقولِ شَيطان رجيم ، فأين تَذهَبون ، إن هو إلا ذِكرٌ للعالمين [٢] » وقال تعالى « وإنه لتَنزيلُ رَبِّ العالمين ، نَزل به الروحُ الأمينُ ، على قَلبك لتكون من المنذِرين ، بلسانٍ عربيّ مبين » إلى قوله : « هل أُنَبئكم على من تنزَّل الشياطينُ ، تنزَّل على كل أفَّاك أثيمٍ ، يُلقون السَّمع وأكثرهم كاذبون [٣] » .

بيّن سبحانه أن الشيطان إنما يَنزّل على من يناسبه ليحصل به غرضه ، فإن الشيطان يقصد الشر ، وهو الكذب والفجور ، ولا يقصد الصدق والعدل ، فلا يقترن إلا بمن فيه كذب ، إما عمدا وإما خطأ ، وفجور أيضا ، فإن الخطأ فى الدين هو من الشيطان أيضا ، كما قال ابن مسعود لمّا سئل عن مسألة : أقول فيها برأيى، فإن يكن صوابا فمن الله وإن يكن خطأ فمنى ومن الشيطان ، والله ورسوله بريئان منه .

فإن رسول الله برىء من تنزُّل الشياطين عليه فى العمد والخطأ .

بخلاف غير الرسول فإنه قد يخطئ ويكون خطؤه مغفورا له ، فإذا لم يُعرف له خبرٌ أخبر به كان فيه مخطئا ولا أمرٌ أمر به كان فيه فاجرا ، عُلِمَ أن الشيطان لم ينزل عليه وإنما ينزل عليه ملكٌ كريم ، ولهذا قال فى الآية الأخرى عن النبي : « إنه لقول رسول كريم ، وماهو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون ، ولا بقول كاهنٍ قليلا ماتذكَّرون ، تنزيلٌ من رب العالمين [٤] » .

انتهى ماذكره .

وهذا عين ماأورده بحروفه .

(١) سورة النجم ١ ـ ٤
(٢) سورة التكوير
(٣) سورة الشعراء ٢٢١ ـ ٢٢٣
(٤) سورة الحاقة ٤٠ ـ ٤٣

باب

وأما دلائل النبوة الحسية، أعني المشاهدة بالأبصار، فسماوية وأرضية

ومن أعظم ذلك كله انشقاق القمر للنير فرقتين .

قال الله تعالى : « اقتربت الساعةُ وانشقَّ القمرُ. وإن يروا آيةً يُعرِضوا ويقولوا سِحْرٌ مُستَمِرٌّ ، وكذَّبوا واتبَعوا أهواءهم وكلُّ أمرٍ مُستقر ، ولقد جاءهم من الأنباء مافيه مُزْدَجر ، حكمة بالغة فما تُغْنِ النُذر [1] » .

وقد اتفق العلماء مع بقية الأئمة على أن انشقاق القمر كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد وردت الأحاديث بذلك من طرق تفيد القَطْع عند الأمة .

رواية أنس بن مالك :

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا مَعْمَر ، عن قَتادة ، عن أنس قال : سأل أهلُ مكة النبيَّ صلى الله عليه وسلم آيةً فانشق القمر بمكة فرقتين ، فقال : « اقتربت الساعةُ وانشقَّ القمر » .

ورواه مسلم عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق .

وقال البخارى : حدثنى عبد الله بن عبد الوهاب ، حدثنا بِشر بن المفضل ، حدثنا سعيد بن أبى عَرُوبة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، أن أهل مكة سألوا رسول الله

---

١) سورة القمر ١ ــ ٥.

صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما [1] .

وأخرجاه في الصحيحين من حديث شيبان ، عن قتادة ، ومسلم من حديث شعبة ، عن قتادة .

رواية جُبَير بن مُطعم :

قال أحمد : حدثنا محمد بن كثير ، حدثنا سليمان بن بُكَير ، عن حُصَين بن عبد الرحمن ، عن محمد بن جُبَير بن مُطْعِم عن أبيه قال : انشقَّ القمرُ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين : فرقة على هذا الجبل وفرقةٌ على هذا الجبل ، فقالوا : سحرَنا محمدٌ . فقالوا : إن كان سحرَنا فإنه لا يستطيع أن يسحرَ الناسَ .

تفرد به أحمد . ورواه ابن جرير والبيهقي من طرق ، عن حُصين بن عبد الرحمن به .

رواية حُذَيفة بن اليمَان :

قال أبو جعفر بن جَرِير : حدثني يعقوب ، حدثني ابن عُلَيّة ، أخبرنا عطاء بن السائب ، عن أبي عبد الرحمن السُّلَمي ، قال : نزلْنا المدائنَ فكنا منها على فرسخ ، فجاءت الجمعة فحضر أبي وحضرت معه ، فخطَبنا حذيفةُ فقال : إن الله تعالى يقول : « اقتربت الساعةُ وانشقَّ القمرُ » ألا وإن الساعة قد اقتربت ، ألا وإن القمر قد انشقَّ ، ألا وإن الدنيا قد آذَنت بفِراق ، ألا وإن اليوم المِضْمار وغداً السِّباق.

---

(١) الحديث في صحيح البخاري باب سؤال المشركين أن يريهم النبي صلى الله عليه وسلم آية فأراهم انشقاق القمر : حدثني عبدالله بن محمد حدثنا يونس ، حدثنا شيبان ، عن قتادة الخ وفي طريق أخرى : وقال لي خليفة : حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا سعيد ، عن قتادة الخ . ورواية أنس التي ذكرها هنا في البخاري : « فأراهم انشقاق القمر » انظر صحيح البخاري ٢٠٤/٢ الأميرية .

فقلت لأبي : أتستبق الناسُ غداً ؟ فقال : يابني إنك لجاهل ، إنما هو السباق بالأعمال .

ثم جاءت الجمعة الأخرى فحضرها فخطب حذيفة ، فقال : ألا إن الله يقول : « اقتربت الساعة وانشقّ القمر » ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق .

[ورواه أبو زُرْعة الرازي في كتاب « دلائل النبوة » من غير وجه عن عطاء بن السائب ، عن أبي عبد الرحمن ، عن حُذَيفة . فذكر نحوه ، وقال : ألا وإن القمر قد انشق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم][1] ألا وإن اليوم المِضمار وغداً السباق ، ألا وإن الغاية النار ، والسابق من سبق إلى الجنة .

رواية عبد الله بن عباس :

قال البخاري : حدثنا يحيى بن بُكَير ، حدثنا بكر ، عن جعفر ، عن عِرَاك بن مالك ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، قال : انشق القمر في زمان النبي صلى الله عليه وسلم .

ورواه البخاري أيضا ومسلم من حديث بكر بن مضر ، عن جعفر بن ربيعة به .

طريق أخرى عنه :

قال ابن جرير : حدثنا ابن مثنَّى ، حدثنا عبد الأعلى ، حدثنا داود بن أبي هند ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، في قوله : « اقتربت الساعةُ وانشق القمرُ ، وإن يروا آيةً يُعْرِضوا ويقولوا سِحْرٌ مُسْتَمِرّ » قال : قد مضى ذلك ، كان قبل الهجرة انشق القمر حتى رأوا شِقَّيه .

وروى العَوْفي عن ابن عباس نحواً من هذا .

وقد روي من وجه آخر عن ابن عباس . فقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد

(١) من ت .

ابن عمرو البزار ، حدثنا محمد بن يحيى القَطِيعى ، حدثنا محمد بن بُكَير ، حدثنا ابن جُرَيج عن عمرو بن دينار ،عن عكرمة ،عن ابن عباس ، قال : كُسِف القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: سُحِر القمر ،فنزلت : « اقتربت الساعةُ وانشق القمر وإن يروا آيةً يُعرِضوا ويقولوا سِحرٌ مُستمِرّ » .

وهذا سياق غريب .

وقد يكون حصل للقمر مع انشقاقه كسوف ، فيدل على أن انشقاقه إنما كان فى ليالى إبداره . والله أعلم .

روابة عبد الله بن عمر بن الخطاب :

قال الحافظ أبو بكر البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضى ، قالا : حدثنا أبو العباس الأصم ، حدثنا العباس بن محمد الدُّورى : حدثنا وهب ابن جرير ،عن شُعبة ، عن الأعمش ، [عن مجاهد[1]] عن عبد الله بن عمر [بن الخطاب[1]] فى قوله : « اقتربت الساعة وانشق القمر » .

قال : وقد كان ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انشقّ فلقتين ، فلقة من دون الجبل[2] وفلقة من خلف الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اشهد .

وهكذا رواه مسلم والترمذى من طرق ، عن شعبة ، عن الأعمش ، عن مجاهد . قال مسلم كرواية مجاهد ، عن أبى مَعْمَر ، عن ابن مسعود . وقال الترمذى : حسن صحيح .

رواية عبد الله بن مسعود :

قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ،عن أبى نَجِيح ، عن مجاهد ، عن أبى معمر ، عن

(١) من ت .

(٢) ا : من وراء الجبل .

ابن مسعود ، قال: انشق القمرُ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين حتى نظروا إليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشهدوا .

ورواه البخارى ومسلم من حديث سفيان بن عُيَيْنة ، وأخرجاه من حديث الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبى مَعْمَر ، عبد الله بن سَخْبَرة ، عن ابن مسعود به .

قال البخارى : وقال أبو الضُّحَى ، عن مسروق ، عن عبد الله بمكة.

وهذا الذى علّقه البخارى قد أسنده أبو داود الطيالسى فى مسنده ، فقال : حدثنا أبو عَوَانة ، عن المغيرة ، عن أبى الضُّحَى ، عن مسروق عن عبد الله بن مسعود ، قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش : هذا سِحْر ابن أبى كَبْشة . قال : فقالو : انظروا ما يأتينا به السُّفَّار ، فإن محمداً لا يستطيع أن يَسْحَر الناسَ كلهم . قال : فجاء السُّفار فقالوا ذلك .

وروى البيهقى عن الحاكم ، عن الأصمّ ، عن ابن عباس الدُّورى ، عن سعيد بن سليمان ، عن هشام ، عن مغيرة ، عن أبى الضُّحَى ، عن مسروق ، عن عبد الله ، قال : انشق القمر بمكة حتى صار فرقتين ، فقالت كفار قريش أهل مكة : هذا سِحْر سحرَكم به ابن أبى كبشة ، انظروا السافرين ، فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدَق ، وإن كانوا لم يروا ما رأيتم فهو سِحْر سحركم به . قال : فسئل السُّفَّار ـ وقدموا من كل وجه ـ فقالوا : رأيناه .

ورواه ابن جرير من حديث المغيرة وزاد : فأنزل الله : « اقتربت الساعةُ وانشقّ القمرُ » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا مؤمّل ، عن إسرائيل ، عن سِمَاك ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عبد الله ، قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأيتُ الجبل بين فرقتى القمر .

وروى ابن جرير عن يعقوب الدورى عن ابن عُلَيَّة ، عن أيوب ،عن محمد بن سيرين ، قال : نُبئت أن ابن مسعود كان يقول : لقد انشق القمر .

ففى صحيح البخارى عن ابن مسعود أنه كان يقول : خمسٌ قد مضين : الروم ، واللِّزام (١) ، والبَطْشة والدخان والقمر . فى حديث طويل عنه مذكور فى تفسير سورة الدخان ،[وقال أبو زُرْعة فى الدلائل : حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقى ، حدثنا الوليد ، عن الأوزاعى ، عن ابن بُكير ، قال : انشق القمر بمكة والنبى صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة فخرَّ شقتين فقال المشركون : سحَره ابنُ أبى كبشة .

وهذا مرسل من هذا الوجه (٢)] .

***

فهذه طرق عن هؤلاء الجماعة من الصحابة ، وشهرة هذا الأمر تُغْنى عن إسناده مع وروده فى الكتاب العزيز .

وما يذكره بعض القُصَّاص من أن القمر دخل فى جيب النبى صلى الله عليه وسلم وخرج من كُمّه ، ونحو هذا الكلام فليس له أصل يُعتمد عليه .

والقمر فى حال انشقاقه لم يزايل السماء بل انفرق باثنتين ، وسارت إحداهما حتى صارت وراء جبل حِرَاء ، والأخرى من الناحية الأخرى ، وصار الجبل بينهما ، وكلتا الفرقتين فى السماء ، وأهلُ مكة ينظرون إلى ذلك ، وظن كثيرٌ من جهلتهم أن هذا شىء سُحِرت به أبصارهم ، فسألوا من قَدِم عليهم من المسافرين فأخبروهم بنظير ما شاهدوه ، فعلموا صحة ذلك وتيقنوه .

فإن قيل : فلم لم يُعرف هذا فى جميع أقطار الأرض .

فالجواب : ومن ينفى ذلك ؟ ولكنَّ تطاوُل العهد والكَفَرة يجحدون بآيات الله ، ولعلهم لمّا أخبروا أن هذا كان آية لهذا النبى المبعوث ، تداعت آراؤهم الفاسدة على

---

(١) اللزام : الهلاك وقيل الأسر .

(٢) من ت .

على كتمانه وتناسيه ، على أنه قد ذكر غير واحد من المسافرين أنهم شاهدوا هيكلا بالهند مكتوبا عليه أنه بُنى فى الليلة التى انشق القمر فيها .

ثم لما كان انشقاق القمر ليلاً قد يخفى أمرُه على كثير من الناس لأمور مانعة من مشاهدته فى تلك الساعة ، من غيوم متراكمة كانت تلك الليلة فى بُلدانهم ، ولنوم كثيرٍ منهم ، أو لعله كان فى أثناء الليل حيث ينام كثير من الناس ، وغير ذلك من الأمور . والله أعلم .

وقد حررنا هذا فيما تقدم فى كتابنا التفسير.

***

فأما حديث رَدِّ الشمس بعد مَغيبها : فقد أنبأنى شيخنا المسندِ الرُّحلة بهاء الدين القاسم بن المظفَّر ابن تاج الأمناء بن عساكر [إذناً و(١)] قال : أخبرنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عساكر المشهور بالنَّسّابة ، قال : أخبرنا أبو المظفر بن القُشَيرى وأبو القاسم المستَملى، قالا حدثنا أبو عثمان البَحِيرى(٢) ، أخبرنا محمد بن عبد الله بن محمد بن الحسن الدَّنْدَانقانى (٣) بها ، أخبرنا محمد بن أحمد بن محبوب . وفى حديث ابن القشيرى : حدثنا أبو العباس المحبوبى حدثنا سعيد بن مسعود. ح .قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر أخبرنا أبو الفتح الماهانى ، أخبرنا شجاع بن على ، أخبرنا أبو عبد الله بن منده ، أخبرنا عثمان بن أحمد التِّنِّيسى (٤) أخبرنا أبو أمية محمد بن إبراهيم قال : حدثنا عبيد الله بن موسى ، حدثنا فُضَيل بن مرزوق ، عن إبراهيم بن الحسن ، زاد أبو أمية بن الحسن ، عن فاطمة بنت الحسين ، عن أسماء بنت عُمَيس ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوحَى إليه ورأسه فى حِجر على ، فلم يصلِّ العصر حتى غربت الشمس ، فقال رسول الله

---

(١) من ت . (٢) ا : البحيرى .

(٣) نسبة إلى الدندانقان وهى بليدة عند مرو خرج منها جماعة من المحدثين . اللباب ١/٤٢٦ .

(٤) نسبة إلى تنيس بلدة بديار مصر .

صلى الله عليه وسلم صليتَ العصر ؟ وقال أبو أمية : صليت ياعلى ؟ قال : لا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال أبو أمية : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم إنه كان فى طاعتك وطاعة نبيك . وقال أبو أمية : رسولك . فارددْ عليه الشمس . قالت أسماء : فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ماغربت .

وقد رواه الشيخ أبو الفرج ابن الجوزى فى الموضوعات من طريق أبى عبد الله بن مَنْدَه ، كما تقدم ، ومن طريق أبي جعفر العقيلى : حدثنا أحمد بن داود ، حدثنا عمار بن مطر ، حدثنا فُضَيل بن مرزوق فذكره .

ثم قال : وهذا حديث موضوع ، وقد اضطرب الرواة فيه ، فرواه سعيد بن مسعود عن عبيد الله بن موسى ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ، عن على بن الحسن ، عن فاطمة بنت على عن أسماء .

وهذا تخليط فى الرواية . قال : وأحمد بن داود ليس بشىء ، قال الدار قطنى : متروك كذاب . وقال ابن حِبّان : كان يضع الحديث . وعمار بن مطَر قال فيه العقيلى : كان يحدِّث عن الثقات بالمناكير . وقال ابن عَدِى : متروك الحديث . قال : وفُضَيل بن مرزوق قد ضعّفه يحيى . وقال ابن حبان : يروى الموضوعات ويخطئ عن الثقات .

وبه قال الحافظ ابن عساكر . قال : وأخبرنا أبو محمد ، عن طاوس ، أخبرنا عاصم ابن الحسن ، أخبرنا أبو عمرو بن مهدى ، أخبرنا أبو العباس بن عقدة ، حدثنا أحمد بن يحيى الصوفى ، حدثنا عبد الرحمن بن شريك ، حدثنى أبى ، عن عروة بن عبد الله بن قُشَير ، قال : دخلت على فاطمة بنت على فرأيت فى عنقها خرزة ، ورأيت فى يديها مَسَكتين(١) غليظتين — وهى عجوز كبيرة — فقلت لها : ماهذا ؟ فقالت : إنه يكره للمرأة أن تتشبه بالرجال .

---

(١) المسكة : القطعة من الجلد .

ثم حدثتنى أن أسماء بنت عُمَيس حدثتها أن على بن أبى طالب دفع إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقد أوحى إليه فجَلَّله بثوبه ، فلم يزل كذلك حتى أدْبرت الشمس يقول : غابت [١] أو كادت أن تغيب ، ثم إن نبى الله صلى الله عليه وسلم سُرِّى عنه فقال : أصليت ياعلى ؟ قال : لا . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : اللهم رُدَّ على علىٍّ الشمس . فرجعت حتى بلغت نصف المسجد ، قال عبد الرحمن : وقال أبى : حدثنى موسى الجهنى نحوه .

ثم قال الحافظ ابن عساكر : هذا حديث مُنْكَر ، وفيه غير واحد من المجاهيل .

وقال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزى فى الموضوعات : وقد روى ابن شاهين هذا الحديث عن ابن عُقْدة فذكره ، ثم قال : وهذا باطل ، والمتهم به ابن عُقدة ، فإنه كان رافضيا يحدِّث بمثالب الصحابة .

قال الخطيب : حدثنا على بن محمد بن نصر ، سمعت حمزة بن يوسف يقول : كان ابن عُقدة بجامع براثا يُملِى مَثالبَ الصحابة أو قال : الشيخين ، فتركته .

وقال الدارقطنى : كان ابن عقدة رجل سوء ، وقال ابن عَدى : سمعت أبا بكر ابن أبى غالب يقول : ابن عقدة لايتديَّن بالحديث ، لأنه كان يَحمل شيوخا بالكوفة على الكذب فيسوى لهم نسخا ويأمرهم أن يرووها ، وقد تبيَّنا كذبه من عند شيخ بالكوفة .

وقال الحافظ أبو بشر الدُّولابى فى كتابه « الذرِّية الطاهرة » : حدثنا إسحاق بن يونس ، حدثنا سُوَيد بن سعيد ، حدثنا المطَّلب بن زياد ، عن إبراهيم بن حيان ، عن عبد الله بن حسن ، عن فاطمة بنت الحسين ، عن الحسين قال : كان رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حِجْر على وهو يوحَى إليه . فذكر الحديث بنحو ماتقدم .

---

(١) ا : نادت

وإبراهيم بن حبّان هذا تركه الدار قطنى وغيره .

وقال محمد بن ناصر البغدادى الحافظ : هذا الحديث موضوع .

قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي : وصدق ابن ناصر .

وقال ابن الجوزى : وقد رواه ابن مردويه من طريق حديث داود بن فَرَاهيج[1] عن أبى هريرة ، قال : نام رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأسه فى حِجر علىّ ، ولم يكن صلى العصر حتى غربت الشمس ، فلما قام رسُول الله دعا له فردّت عليه الشمس حتى صلى ثم غابت ثانية .

ثم قال : وداود ضعّفه شُعبة .

ثم قال ابن الجوزى : ومن تغفيل واضع هذا الحديث أنه نظر إلى صورة فضيلة ولم يتلمّح عدم الفائدة ، فإن صلاة العصر بغيبوبة الشمس صارت قضاء ، فرجوع الشمس لا يعيدها أداء .

***

وفى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن الشمس لم تُحبس على أحد إلا ليوشع .

قلت : هذا الحديث ضعيف ومنكَر من جميع طرقه ، فلا تخلو واحدة منها عن شيعى ومجهول الحال ، أو شيعى ومتروك ، ومثل هذا الحديث لا يُقبل فيه خبر واحد إذا اتصل سنده ، لأنه من باب ماتتوفر الدواعى على نقله ، فلا بد من نقله بالتواتر أو الاستفاضة، لا أقل من ذلك .

ونحن لا ننكر هذا فى قدرة الله تعالى وبالنسبة إلى جَناب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد ثبت فى الصحيح أنها رُدّت ليوشع بن نون ، وذلك يوم حاصرَ بيتَ

(١) الأصل : ابن والهج . وهو تحريف . وما أثبته عن ميزان الاعتدال ١٩/٢ .

المقدس ، واتفق ذلك فى آخر يوم الجمعة ، وكانوا لا يقاتلون يوم السبت ، فنظر إلى الشمس وقد تضيَّفت للغروب فقال : إنك مأمورة ، وأنا مأمور ، اللهم احبسها علىّ . فحبسها الله عليه حتى فتحوها .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم جاهاً وأجلُّ منصبا وأعلى قدْرا من يوشع ابن نون ، بل من سائر الأنبياء على الإطلاق ، ولكن لا نقول إلا ما صح عندنا [عنه[1]] ولا نُسْند إليه ماليس بصحيح ، ولو صح لكنا من أول القائلين به ، والمعتقدين له وبالله المستعان .

* * *

وقال الحافظ أبو بكر محمد بن حاتم بن زَنْجَوَيه البخارى فى كتابه : « إثبات إمامة أبى بكر الصديق » : فإن قال قائل من الروافض : إنّ أفضل فضيلة لأبى الحسن وأدل [دليل[1]] على إمامته ماروِى عن أسماء بنت عُمَيس قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوحَى إليه ورأسه فى حجر على بن أبى طالب ، فلم يصلِّ العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلىٍّ : صليتَ ؟ قال : لا . فقال رسول الله : اللهم إنه كان فى طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس . قالت أسماء : فرأيتها غربت ثم طلعت بعد ماغربت .

قيل له : كيف لنا لو صح هذا الحديث ؟ فنحتج على مخالفينا من اليهود والنصارى ، ولكن الحديث ضعيف جدا لا أصل له ، وهذا مما كسَبت أيدى الروافض ، ولو رُدَّت الشمس بعد ماغربت لرآها المؤمن والكافر ونقلوا إلينا أن فى يوم كذا من شهر كذا فى سنة كذا رُدَّت الشمس بعد ماغربت .

ثم يقال للروافض : أيجوز أن ترد الشمس لأبى الحسن حين فاتته صلاة العصر ،

---

(١) من ت .

ولا ترد لرسول الله ولجميع المهاجرين والأنصار وعليٌّ فيهم حين فاتتهم صلاة الظهر والعصر والمغرب يوم الخندق ؟

قال : وأيضا مرة أخرى عرَّس[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين والأنصار حين قفل من غزوة خيبر . فذكر نومهم عن صلاة الصبح وصلاتهم لها بعد طلوع الشمس .

قال : فلم يردَّ الليلُ على رسول الله وعلى أصحابه ، قال : ولو كان هذا فضلًا أعطيه رسولُ الله ، وما كان الله ليمنع رسوله شرفا وفضلا — يعني أعطيه عليٌّ بن أبي طالب .

ثم قال : وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني : قلت لمحمد بن عبيد الطنافسي : ماتقول فيمن يقول : رجعت الشمس على عليّ بن أبي طالب حتى صلى العصر ؟ فقال : من قال هذا فقد كذَب .

وقال إبراهيم بن يعقوب : سألت يعلى بن عبيد الطنافسي قلت : إن ناسا عندنا يقولون : إن عليا وصيّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ورَجعت عليه الشمس . فقال : كذبٌ هذا كله .

فصـــل

في إيراد طرق هذا الحديث من أماكن متفرقة

وقد جمع فيه أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن أحمد الحسكانيّ جزءا وسماه : مسألة في تصحيح ردّ الشمس وترغيم النّواصب الشُّمْس .

وقال : قد روى ذلك من طريق أسماء بنت عُميس وعلى بن أبي طالب . وأبي هريرة وأبي سعيد الخدْرى . ثم رواه من طريق أحمد بن صالح المصرى ، وأحمد بن الوليد الأنطاكى ، والحسن بن داود ، ثلاثتهم عن محمد بن اسماعيل بن أبي فُدَيك ، وهو ثقة ، أخبرني

---

(١) عرس : نزل للاستراحة في آخر الليل .

محمد بن موسى الفطرى المدنى وهو ثقة أيضاً، عن عون بن محمد ، قال : وهو ابن محمد بن الحنفية، عن أمه أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب ، عن جدتها أسماء بنت عميس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالصهباء من أرض خيبر ثم أرسل علياً فى حاجة ، فجاء وقد صلى رسول الله العصر فوضع رأسه فى حجر على فلم يحركه حتى غربت الشمس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إن عبدك علياً احتبس نفسه على نبيه فرُدَّ عليه شرقها .

قالت أسماء : فطلعت الشمس حتى رُفعت على الجبال ، فقام علىٌّ فتوضأ وصلى العصر ثم غابت الشمس .

وهذا الإسناد فيه من يُجهل حاله . فإن عوناً هذا وأمه لا يُعرف أمرهما بعدالة وضبط يُقبل بسببهما خبرهما فيما هو دون هذا المقام ، فكيف يَثبت بخبرهما هذا الأمرُ العظيم الذى لم يروه أحدٌ من أصحاب الصحاح ولا السنن ولا المسانيد المشهورة ؟ فالله أعلم .

ولا ندرى أسمعتْ أم هذا من جدتها أسماء بنت عميس أم لا .

ثم أورده هذا المصنف(١) من طريق الحسين بن الحسن الأشقر، وهو شيعىٌّ جلد ، وضعّفه غير واحد ، عن الفضيل بن مرزوق ، عن إبراهيم بن الحسين بن الحسن ، عن فاطمة بنت الحسين الشهيد ، عن أسماء بنت عميس فذكر الحديث .

قال: وقد رواه عن فُضَيل بن مرزوق جماعة منهم عبيد الله بن موسى . ثم أورده من طريق أبى جعفر الطحاوى من طريق عبيد الله .

وقد قدمنا روايتنا له من حديث سعيد بن مسعود وأبى أمية الطرسوسى ، عن

---

(١) بالأصل : النص .

عبيد الله بن موسى العبسى ، وهو من الشيعة . ثم أورده هذا المصنف من طريق أبى جعفر العقيلى ، عن أحمد بن داود ، عن عمار بن مطر ، عن فضيل بن مرزوق . والأغرّ الرقاشى ويقال الرّؤاسى أبو عبد الرحمن الكوفى مولى بنى عنزة ، وثّقه الثورى وابن عُيينة .

وقال أحمد : لا أعلم إلا خيراً . وقال ابن مَعِين : ثقة ، وقال مرةً : صالحٌ ولكنه شديد التشيع ، وقال مرةً : لا بأس به .

وقال أبو حاتم : صدوقٌ صالح الحديث يُبهم كثيراً يكتب حديثه ولا يحتج به .

وقال عثمان بن سعيد الدارمىّ : يقال : إنه ضعيف .

وقال النسائى : ضعيف ، وقال ابن عَدِى : أرجو أنه لا بأس به .

وقال ابن حبان : مُنكَر الحديث جدا كان يخطئُ على الثقات ويروى عن عطية الموضوعات .

وقد روى له مسلم وأهل السنن الأربعة . فمن هذه ترجمته لا يُتهم بتعمد الكذب، ولكنه قد يتساهل ، ولا سيما فيما يوافق مذهبه ، فيروى عمن لا يعرفه أو يحسن به الظن فيدلّس حديثه ويسقطه ويذكر شيخه .

ولهذا قال فى هذا الحديث الذى يجب الاحتراز فيه وتوقِّى الكذب فيه : « عن » بصيغة التدليس ، ولم يأت بصيغة التحديث ، فلعل بينهما من يُجهل أمرُه .

على أن شيخه هذا — إبراهيم بن الحسن بن على بن أبى طالب — ليس بذلك المشهور فى حاله ، لم يرو له أحد من أصحاب الكتب المعتمدة ، ولا روى عنه غير الفضيل بن مرزوق هذا ويحيى بن المتوكل ، قاله أبو حاتم وأبو زُرْعة الرازيّان ولم يتعرّضا لجرْح ولا تعديل .

وأما فاطمة بنت الحسين بن على بن أبى طالب — وهى أخت زين العابدين — فحديثها مشهور ، روى لها أهل السنن الأربعة ، وكانت فيمن قُدِم به مع أهل البيت بعد مقتل

أبيها إلى دمشق ، وهى من الثقات ، ولكن لا يُدرى أسمعت هذا الحديث من أسماء أم لا؟ فالله أعلم .

***

ثم رواه هذا المصنف من حديث أبي حفص الكِناني : حدثنا محمد بن عمر القاضي ، هو الجِعَابي[1] ، حدثني محمد بن القاسم بن جعفر العسكري من أصل كتابه ، حدثنا أحمد ابن محمد بن يزيد بن سليم ، حدثنا خلف بن سالم ، حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا سفيان الثوري [عن أشعث أبي الشَّعثاء ، عن أمه ، عن فاطمة ـ يعني بنت الحسين ـ[2]] عن أسماء ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لعلي حتى رُدّت عليه الشمس .

وهذا إسناد غريب جدا .

وحديث عبد الرزاق وشيخه الثوري محفوظ عند الأئمة ، لا يكاد يُترك منه شيء من المهمات ، فكيف لم يَرْوِ عن عبد الرزاق مثلَ هذا الحديث العظيم إلا خلفُ بن سالم بما قَبْله من الرجال الذين لا يعرف حالهم في الضبط والعدالة كغيرهم ؟ ثم إن أم أشعث مجهولة. فالله أعلم .

ثم ساقه هذا المصنف من طريق محمد بن مرزوق : حدثنا حسين الأشقر ـ وهو شيعي وضعيف كما تقدم ـ عن علي بن هاشم بن البَرِيد ـ وقد قال فيه ابن حبان : كان غاليًا في التشيع يَرْوِي المناكير عن المشاهير ـ عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ، عن علي بن الحسين بن الحسن ، عن فاطمة بنت علي ، عن أسماء بنت عُمَيس فذكره .

وهذا إسناد لا يَثْبت .

ثم أسنده من طريق عبد الرحمن بن شَرِيك ، عن أبيه ، عن عروة بن عبد الله ، عن

---

(١) هو أبو بكر محمد بن عمر بن محمد بن سلم التميمي المعروف بابن الجعابي ، قال في اللباب : أحد الحفاظ المشهورين ومذهبه في التشيع معروف ولد سنة ٢٨٤ وتوفي سنة ٣٠٠ اللباب ١/٢٣٩ .

(٢) من ت .

فاطمة بنت على ، عن أسماء بنت عُميس . فذكر الحديث كما قدمنا إيراده من طريق ابن عُقدة ، عن أحمد بن يحيى الصوفى ، عن عبد الرحمن بن شريك، عن عبد الله النخعى .

وقد روى عنه البخارى فى كتاب الأدب وحدّث عنه جماعة من الأئمة ، وقال فيه أبو حاتم الرازى : كان واهى الحديث . وذكره ابن حبان فى كتاب الثقات و [قال] : ربما أخطأ ، وأرّخ ابن عقدة وفاته سنة سبع وعشرين ومائتين .

وقد قدمنا أن الشيخ أبا الفرج بن الجوزى قال : إنما أتّهم بوضعه أبا العباس بن عقدة، ثم أورد كلام الأئمة فيه بالطعن والجرح وأنه كان يسوّى النسخَ للمشايخ فيروّيهم إياها . والله أعلم .

قلت : فى سياق هذا الإسناد ن أسماء أن الشمس رجعت حتى بلغت نصف المسجد، وهذا يناقض ما تقدم من أن ذلك كان بالصّهباء من أرض خيبر ، ومثل هذا يوجب توْهين الحديث وَضْعفه والقَدْح فيه .

ثم سرَده من حديث محمد بن عمر القاضى الجِعَابِىّ ، حدثنا على بن العباس بن الوليد ، حدثنا عَبّاد بن يعقوب الرّواجِنىّ[1] ، حدثنا على بن هاشم ، عن صباح ، عن عبد الله بن الحسن — أبى جعفر — عن حسين المقتول ، عن فاطمة، عن أسماء بنت عُميس، قالت : لما كان يوم شُغل علىٌّ لمكانه من قَسْم الغنم حتى غربت الشمس أو كادت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمَا صليت ؟ قال : لا . فدعا اللهَ فارتفعت الشمس حتى توسطت السماء ، فصلى على ، فلما غربت الشمس سمعتُ لها صريرا كصرير المنشار فى الحديد .

---

(١) ذكر ابن الأثير فى اللباب ١/٤٧٧ أن نسبة أبى سعيد عباد بن يعقوب البخارى هنا إلى الدواجن بالدال المهملة ، فجعلها الناس الرواجن ، بالراء ، نقلا عن إسماعيل من محمد بن الفضل الأصبهانى ، ولم يسنده إلى أحد . قال : وظنى أن الرواجن بطن من بطون القبائل .

وهذا أيضا سياق مخالف لما تقدم من وجوه كثيرة ، مع أن إسناده مُظلم جدا ، فإن صباحا هذا لايُعرف ، وكيف يروى الحسين بن على المقتول شهيدا ، عن واحد عن واحد عن أسماء بنت عميس ؟! هذا تخبيط إسنادا ومتنا .

ففى هذا أن عليا شُغل بمجرد قَسْم الغنمية ، وهذا لم يَقُله أحدٌ ، ولا ذهب إلى جواز ترك الصلاة لذلك ذاهب .

وإن كان قد جوّز بعض العلماء تأخير الصلاة عن وقتها لعذر القتال ، كما حكاه البخارى عن مكحول والأوزاعى وأنس بن مالك ، فى جماعة من أصحابه ، واحتج لهم البخارى بقصة تأخير الصلاة يوم الخندق وأمْره عليه السلام ألا يصلى أحد منهم العصر إلا فى بنى قريظة .

وذهب جماعة من العلماء إلى أن هذا نُسخ بصلاة الخوف .

والمقصود أنه لم يقل أحد من العلماء أنه يجوز تأخير الصلاة بعذر قسم الغنيمة حتى يُسْنَد هذا إلى صنيع علىّ رضى الله عنه ، وهو الراوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الوسطى هى العصر .

فإن كان [هذا] ثابتا على ما رواه هؤلاء الجماعة[1] ، وكان علىٌّ متعمدا لتأخير الصلاة لعذر قسم الغنيمة وأقره عليه الشارع ، صار هذا وحده دليلا على جواز ذلك ، ويكون أقطع فى الحجة مما ذكره البخارى ، لأن هذا بعد مشروعية صلاة الخوف قطعا ، لأنه كان بخيبر سنة سبع ، وصلاة الخوف شُرعت قبل ذلك ، وإن كان علىٌّ ناسيا حتى ترك الصلاة إلى الغروب فهو معذور ، فلا يحتاج إلى رَد الشمس بل وقتُها بعد الغروب والحالة هذه إذن ، كما ورد به الحديث . والله أعلم .

وهذا كله مما يدل على ضعف هذا الحديث .

ثم إن جعلناه قصة أخرى وواقعة غير ما تقدم ، فقد تعدَّد ردُّ الشمس غير مرة ،

---

(١) ت : هؤلاء الجهلة .

ومع هــذا لم ينقله أحدٌ من أئمة العلماء ولا رواه أهلُ الكتب المشهورة، وتفرّد بهذه الفائدة هؤلاء الرواة الذين لا يخلو إسناد منها عن مجهول ومتروك ومتّهم . والله أعلم .

***

ثم أورد هذا المصنف من طريق أبي العباس بن عقدة : حدثنا يحيى بن زكريا ، حدثنا يعقوب بن سعيد ، حدثنا عمرو بن ثابت قال : سألت عبد الله بن حسن بن حسين بن علي [بن أبي طالب(١)] عن حديث ردّ الشمس على عليّ بن أبي طالب : هل يثبت عندكم ؟ فقال لي : ما أنزل الله في كتابه أعظمُ من رد الشمس . قلت : صدقت جعلني الله فداك ولكني أحب أن أسمعه منك ، فقال : حدثني أبي — الحسن — عن أسماء بنت عُميس أنها قالت : أقبل عليٌّ بن أبي طالب ذات يوم وهو يريد أن يصلي العصر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوافق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انصرف ونزل عليه الوحي فأسنده إلى صدره [فلم يزلْ مُسنده إلى صدره(١)] حتى أفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أصليتَ العصر يا علي ؟ قال جئت والوحي ينزل عليكَ ، فلم أزلْ مُسْندكَ إلى صدري حتى الساعة .

فاستقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم القبلةَ — وقد غربت الشمس — وقال : اللهم إنّ علياً كان في طاعتك فارْدُدْها عليه . قالت أسماء : فأقبلت الشمس ولها صَرير كصرير الرَّحَى حتى كانت في موضعها وقت العصر ، فقام على متمكنا فصلى ، فلما فرغ رجعت الشمس ولها صَرير كصرير الرحى ، فلما غابت اختلط الظلامُ وبدَت النجوم .

وهذا منكر أيضا إسنادا ومتنا ، وهو مناقض لما قبله من السِّياقات ، وعمرو بن ثابت هذا هو المتّهم بوضع هذا الحديث أو سَرِقته من غيره ، وهو عمرو بن ثابت بن هُرمز البكري الكوفي مولى بَكْر بن وائل ، ويعرف بعمرو بن المقدام الحداد ، روى عن

(١) من ت .

غير واحد من التابعين ، وحدَّث عنه جماعة منهم سَعيد بن منصور وأبو داود وأبو الوليد الطيالسيان . قال : تركه عبد الله بن المبارك وقال : لا تحدِّثوا عنه فإنه كان يسبُّ السلَف ولما مرَّت به جنازته توارى عنها .

وكذلك تركه عبد الرحمن بن مهدى ، وقال ابن مَعِين والنسائى : ليس بثقة ولا مأمون ولا يُكتب حديثه . وقال مرة أخرى هو وأبو زُرْعة وأبو حاتم : كان ضعيفا . زاد أبو حاتم : وكان ردىء الرأى شديد التشيّع لا يُكتب حديثه .

وقال البخارى : ليس بالقوى عندهم .

وقال أبو داود : كان من شِرَار الناس كان رافِضيا خبيثا رجل سُوء . قال هنا : ولما مات لم أصلّ عليه لأنه قال : لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم : كفر الناس إلا خمسة ، وجعل أبو داود يذمه .

وقال ابن حبّان : يروى الموضوعات [عن الأثبات[(١)]] وقال ابن عَدِىّ : والضعف على حديثه بَيِّن ، وأرّخوا وفاته فى سنة سبع وعشرين ومائة .

ولهذا قال شيخنا أبو العباس ابن تَيْمية : وكان عبد الله بن حسن وأبوه أجلّ قَدْراً من أن يحدِّثا بهذا الحديث .

***

قال هذا المُصَنِّف المُنْصِف :

وأما حديث أبى هريرة فأخبرنا عَقِيل بن الحسن العسكرى ، أخبرنا أبو محمد صالح بن الفتح النسائى ، حدثنا أحمد بن عُمَير بن حَوْصاء ، حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرى ، حدثنا يحيى بن يزيد بن عبد الملك النَّوفلى ، عن أبيه ، حدثنا داود بن فَرَاهيج ، وعن عمارة بن برد وعن أبى هريرة . فذكره

---

(١) من ت .

وقال : اختصرته من حديث طويل .

وهذا إسنادٌ مُظلم ، ويحيى بن يزيد وأبوه وشيخه داود بن فَراهيج كلهم مُضعَّفون .

وهذا هو الذى أشار ابن الجوزى إلى أن ابن مردَوَيْه رواه من طريق داود ابن فراهيج عن أبى هريرة ، وضعّف داودَ هـذا شُعْبةُ والنسائى وغيرهما . والذى يظهر أن هذا مفتعل من بعض الرواة ، أو قد دخل على أحدهم وهو لا يشعر . والله أعلم .

قال : وأما حديث أبى سعيد فأخبرنا محمد بن إسماعيل الجرجانى كتابة ، أن أبا طاهر محمد بن على الواعظ أخبرهم : أخبرنا محمد بن أحمد بن متيّم ، أخبرنا القاسم بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن على ابن أبى طالب : [حدثنى أبى ، عن أبيه محمد ، عن أبيه عبد الله ، عن أبيه عمر قال :(١)] قال الحسين بن على ، سمعت أبا سعيد الخدرى يقول : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا رأسه فى حِجْر علىّ وقد غابت الشمس ، فانتبه النبى صلى الله عليه وسلم وقال : ياعلى أصليتَ العصر ؟ قال : لا يا رسول الله ما صليت ، كرهت أن أضع رأسك من حجرى وأنت وجِع . فقال رسول الله : يا على ادعُ يا على أن تُردّ عليك الشمس . فقال على : يارسول الله ادع أنت وأنا أؤمّن ، فقال : يارب إن عليا فى طاعتك وطاعة نبيك ، فاردد عليه الشمس . قال أبو سعيد : فوالله لقد سمعتُ للشمس صَرِيراً كصرير البَكْرة حتى رجعت بيضاء نقية .

وهذا إسناد مظلم أيضا ومَتْنه مُنْكر ، ومخالف لما تقدّمه من السياقات ، وكل هذا يدل على أنه موضوع مصنوع مفتَعل يسرقه هؤلاء الرافضة بعضهم من بعض ، ولو كان له أصل من رواية أبى سعيد لتلقّاه عنه كبار أصحابه كما أخرجا فى الصحيحين من طريقه حديث قتال الخوارج ، وقصة المخدَّج وغير ذلك من فضائل على .

---

(١) من ت .

قال : وأما حديث أمير المؤمنين على فأخبرنا أبو العباس الفرغانى ، أخبرنا أبو الفضل الشيبانى ، حدثنا رجاء بن يحيى الساماَنى ، حدثنا هارون بن مسلم بن سعيد بسامُرّا سنة أربعين ومائتين .

حدثنا عبد الله بن عمرو بن الأشعث ، عن داود بن الكُميت ، عن عمه المستَهِلّ ابن زيد ، عن أبيه زيد بن سَلْهَب ، عن جُوَيرية بنت شَهْر ، قالت : خرجت مع على ابن أبى طالب فقال : يا جويرية إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوحَى إليه ورأسه فى حجرى فذكر الحديث .

وهذا الإسناد مظلم وأكثر رجاله لا يُعرفون ، والذى يظهر والله أعلم أنه مركّب مصنوع مما عملته أيدى الروافض قبّحهم الله ولعن من كذّب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعجّل له ما توعّده الشارع من العذاب والنكال حيث قال وهو الصادق فى المقال : مَن كذّب على متعمداً فليتبوّأ مقعده من النار .

وكيف يَدخل فى عقل أحد من أهل العلم أن يكون هذا الحديث يرويه على بن أبى طالب وفيه مَنقَبة عظيمة له ودلالة معجزة باهرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم لا يُروى عنه إلا بهذا الإسناد المظلم المركّب على رجال لا يُعرفون ، وهل لهم وجود فى الخارج أم لا ؟ الظاهر والله أعلم لا ، ثم هو عن امرأة مجهولة العين والحال ، فأين أصحاب علىّ الثقات كعُبَيدة السَّلْمانى وشُرَيح القاضى وعامر الشّعبى وأضرابهم ، ثم فى ترك الأئمة كمالك وأصحاب الكتب الستة وأصحاب المسانيد والسنن والصحاح والحِسَان رواية هذا الحديث وإيداعه فى كتبهم أكبر دليل على أنه لا أصل له عندهم وهو مختلق مأفوك بعدهم .

وهذا أبو عبد الرحمن النّسائى قد جمع كتابا فى خصائص على بن أبى طالب ولم يذكره ، وكذلك لم يروه الحاكم فى مستدرَكه وكلاهما يُنسب إلى شىء من التشيّع

ولا رواه من رواه من الناس المعتبرين إلا على سبيل الاستغراب والتعجب، وكيف يقع مثل هذا نهاراً جهرة، وهو مما تتوافر الدواعى على نقله، ثم لا يُروى إلا من طرق ضعيفة منكَرة، وأكثرها مركَّبة موضوعة، وأجودُ ما فيها ما قدمناه من طريق أحمد بن صالح المصرى عن ابن أبى فُدَيك، عن محمد بن موسى الفطرى، عن عون بن محمد، عن أمه أم جعفر، عن أسماء على ما فيها من التعليل الذى أشرنا إليه فيما سلف.

وقد اغترّ بذلك أحمد بن صالح رحمه الله ومال إلى صحته، ورجح ثبوته.

قال الطّحاوى فى كتابه مشكل الحديث: عن على بن عبد الرحمن عن أحمد بن صالح المصرى أنه كان يقول: لا ينبغى لمن كان سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء فى ردّ الشمس، لأنه من علامات النبوة. وهكذا مال إليه أبو جعفر الطحاوى أيضا فيما قيل.

ونقل أبو القاسم الحسكانى هذا عن أبى عبد الله البصرى المتكلم المعتزلى أنه قال: عَوْدُ الشمس بعد مغيبها آكدُ حالاً فيما يقتضى نقله، لأنه وإن كان فضيلة لأمير المؤمنين فإنه من أعلام النبوة، وهو مقارِن لغيره فى فضائله فى كثير من أعلام النبوة.

وحاصل هذا الكلام يقتضى أنه كان ينبغى أن يُنقل هذا نقلا متواتراً، وهذا حقّ لو كان الحديث صحيحا، ولكنه لم يُنقل كذلك، فدل على أنه ليس بصحيح فى نفس الأمر والله أعلم.

قلت: والأئمة فى كل عصر ينكرون صحة هذا الحديث ويردّونه ويبالغون فى التشنيع على رواته، كما قدمنا عن غير واحد من الحافظ، كمحمد ويَعْلى بن عبيد الطنافسيين، وكإبراهيم بن يعقوب الجوزجانى خطيب دمشق، وكأبى بكر محمد بن حاتم البخارى المعروف بابن زنجويه، وكالحافظ أبى القاسم بن عساكر والشيخ أبى الفرج ابن الجوزى،

وغيرهم من المتقدمين والمتأخرين ، وممن صرح بأنه موضوع شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزِّى والعلامة أبو العباس بن تيْمية .

وقال الحاكم أبو عبد الله النيسابورى : قرأت على قاضى القضاة أبى الحسن محمد بن صالح الهاشمى ، حدثنا عبدالله بن الحسين بن موسى،حدثنا عبد الله بن على [بن][1] المدينى قال : سمعت أبى يقول : خمسة أحاديث يروونها ولا أصل لها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : حديث : لو صدَق السائل ماأفلح من ردّه ، وحديث لا وجَع إلا وجع العين ولا غم إلا غم الدَّين ، وحديث إن الشمس رُدَّت على على بن أبى طالب ، وحديث : أنا أكرم على الله من أن يدَعنى تحت الأرض مائتى عام ، وحديث أفطر الحاجم والمحجوم إنهما كانا يغتابان .

والطحاوى رحمه الله وإن كان قد اشتبه عليه أمره فقد روى عن أبى حنيفة رحمه الله إنكاره والتهكّم بمن رواه .

قال أبو العباس بن عقدة : حدثنا جعفر بن محمد بن عمير ، حدثنا سليمان بن عبَّاد ، سمعت بشار بن ذَرَّاع قال : لقى أبو حنيفة محمد بن النعمان فقال : عمن رويتَ حديث ردّ الشمس ؟ فقال : عن غير الذى رويتَ عنه : ياسارية الجبل !

فهذا أبو حنيفة رحمه الله وهو من الأئمة المتبرين وهو كوفى لا يُتهم على حب على ابن أبى طالب وتفضيله بما فضله الله به ورسوله . وهو مع هذا ينكر على راويه . وقول محمد بن النعمان له ليس بجواب بل مجرد معارضة بما لا يُجْدى ، أى : أنا رويتُ فى فضل على هذا الحديث ، وهو وإن كان مستغربا فهو فى الغرابة نظيرُ مارويته أنت فى فضل عمر ابن الخطاب فى قوله ياسارية الجبل .

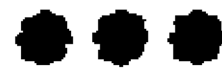
---

(١) من ت .

وهذا ليس بصحيح من محمد بن النعمان ، فإن هذا ليس كهذا إسناداً ولا متناً ، وأين مكاشفة إمام قد شهد الشارع له بأنه مُحدَّث بأمر خيرٍ من رَدّ الشمس طالعةً بعد مغيبها الذى هو أكبر علامات الساعة ؟

والذى وقع ليوشع بن نون ليس ردًّا للشمس عليه ، بل حُبست ساعةً قبل غروبها بمعنى تباطأت فى سيرها حتى أمكنهم الفتح . والله تعالى أعلم .

وتقدم ما أورده هذا المصنف من طرق هذا الحديث من على وأبى هريرة وأبى سعيد وأسماء بنت عُمَيس ، وقد وقع فى كتاب أبى بشر الدُّولابى فى الذرية الطاهرة من حديث الحسين بن على ، والظاهر أنه عنه عن أبى سعيد الخدرى كما تقدم والله أعلم .



وقد قال شيخ الرافضة جمال الدين يوسف بن الحسن الملقب بابن المطهّر الحلّى فى كتابه فى الإمامة التى رد عليه فيه شيخنا [العلامة][1] أبو العباس ابن تيمية قال ابن المطهر : التاسع : رجوع الشمس مرتين : إحداهما فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم والثانية بعده .

أما الأولى فروى جابر وأبو سعيد : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عليه جبريل يوماً يناجيه من عند الله ، فلما تغشّاه الوحىُ توسَّد فخذ أمير المؤمنين ، فلم يرفع رأسه حتى غابت الشمس ، فصلى علىّ العصر بالإيماء ، فلما استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : سَلِ الله أن يرد عليك الشمس فتصلى قائماً . فدعا فردت الشمس فصلى العصر قائماً .

وأما الثانية فلما أراد أن يَعبر الفرات ببابل اشتغل كثير من الصحابة بدوابهم

(١) من ت .

وصلى لنفسه فى طائفة من أصحابه العصر وفات كثيرا منهم ، فتكلموا فى ذلك فسأل الله رد الشمس فردت .

قال : وقد نظمه الحميرى فقال :

رُدَّت عليه الشمسُ لما فاته ... وقت الصلاة وقد دنت للمغرب

حتى تبلَّج نورُها فى وقتها ... للعصر ثم هوَتْ هُوِىَّ الكوكبِ

وعليه قد رُدَّت ببابل مرةً ... أخرى وما ردت لخلق مُقرَّبِ

قال شيخنا أبو العباس [ابن تيمية [1]] رحمه الله : فَضْل علىٍّ ووِلَايته وعلوّ منزلته عند الله معلوم ولله الحمد بطرق ثابتة أفادتنا العلم اليقينى لا يحتاج معها إلى مالا يُعلم صدقه أو يعلم أنه كذِب ، وحديث رد الشمس قد ذكره طائفة كأبى جعفر الطحاوى والقاضى عياض وغيرهما وعدُّوا ذلك من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكن المحققون من أهل العلم والمعرفة بالحديث يعلمون أن هذا الحديث كذب موضوع .

ثم أورد طرقه واحدة [واحدة [2]] كما قدمنا وناقش أبا القاسم الحسكانى فيما تقدم ، وقد أوردنا كل ذلك وزدنا عليه ونقصنا منه . والله الموفق .

واعتذر عن أحمد بن صالح المصرى فى تصحيحه [هذا الحديث [1]] بأنه اغترّ بسنده ، وعن الطحاوى بأنه لم يكن عنده نقلٌ جيّد للأسانيد كجهابذة الحفاظ .

وقال فى عيون كلامه : والذى يُقْطَع به : أنه كذِب مفتعل .

قلت : وإيراد ابن المطهر لهذا الحديث من طريق جابر غريب ، ولكن لم يسنده وفى سياقه مايقتضى أن عليا [هو الذى [1]] دعا بردّ الشمس فى الأولى والثانية ، وأما إيراده لقصة بابل فليس لها إسناد ، وأظنه والله أعلم من وضع الزنادقة من الشيعة ونحوهم ؛ فإن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يوم الخندق قد غربت عليهم الشمس ولم

---

(١) س ت .

يكونوا صلوا العصر بل قاموا إلى بُطْحان ، وهو واد هناك ، فتوضأوا وصلوا العصر بعد ماغربت الشمس ، وكان عليٌّ أيضا فيهم ولم تُردّ لهم ، وكذلك كثير من الصحابة الذين ساروا إلى بنى قُريظة فاتتهم العصر يومئـذ حتى غربت الشمس ولم ترد لهم ، وكذلك لما نام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس صلّوها بعد ارتفاع النهار ولم يُرد لهم الليل .

فما كان الله عز وجـل ليعطى عليًّا وأصحابه شيئـا من الفضائل لم يعطها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

وأما نظم الحميْرى فليس [فيـه] حجة ، بل هو كهذيان ابن المطهر ، هذا لا يعلم مايقول من النثر وهذا لايدرى صحة ماينْظِم ، بل كلاهما كما قال الشاعر :

إن كنت أدرِى فعَلَىَّ بَدَنَهْ   من كثرة التخليط أنّى من أنَهْ

والمشهور عن على فى أرض بابل مارواه أبو داود رحمه الله فى سننه عن على ، أنه مرَّ بأرض بابل وقد حانت صلاة العصر فلم يصل حتى جاوزها ، وقال : نهـانى خليلى صلى الله عليه وسـلم أن أصلى بأرض بابل فإنها ملعونة .

وقد قال أبو محمد بن حزم فى كتابه « المِلَل والنِّحل » مُبطِلا لرد الشمس على على ، بعد كلام ذكره رادا على من ادعى باطلا من الأمر ، فقال : ولا فرق بين من ادعى شيئا مما ذكرنا نفاضل وبين دعوى الرافضة ردّ الشمس على على بن أبى طالب مرتين ، حتى ادعى بعضهم أن حَبيب بن أوْس قال :

فرُدَّت علينا الشمسُ والليل راغمٌ   بشمس لهم من جانب الخدر تطلعُ

نضا ضوءها صِبْغَ الدُّجنّة وانطوى   لبهجتها نور السماء المرجَّعُ

فوالله ما أدرى علىٌّ بدا لنـا   فرُدَّتْ له أمْ كان فى القوم يُوشعُ

هكذا أورده ابن حزم فى كتابه ، وهـذا الشعر تظهر عليـه الركة والتركيب وأنه مصنوع والله أعلم .

[استسقاء الرسول]

وبما يتعلق بالآيات السماوية فى دلائل النبوة ، استسقاؤه عليه السلام ربه [عزوجل] لأمته حين تأخر المطر ، فأجابه إلى سؤاله سريعا بحيث لم ينزل عن منبره إلا والمطر يتحادر على لحيته عليه السلام وكذلك استصحاؤه .

قال البخارى : حدثنا عمرو بن على ، حدثنا أبو قتيبة ، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ، عن أبيه قال : سمعت ابن عمر يتمثل بشعر أبى طالب :

وأبيضَ يُسْتَسقى الغمام بوجهه ... ثِمَالُ اليتامى عصمةٌ للأرامل

قال البخارى : [وقال أبو على الثقفى[1] عن] عمر بن حمزة : حدثنا سالم عن أبيه ، ربما ذكرتُ قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يَستسقى ، فما ينزل حتى يَجيش كلُّ ميزاب :

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه ... ثِمَالُ اليتامى عصمةٌ للأرامل

وهو قول أبى طالب

تفرد به البخارى . وهذا الذى علقه قد أسنده ابن ماجه فى سننه ، فرواه عن أحمد ابن الأزهر ، عن أبى النضر ، عن أبى عَقِيل ، عن عمر بن حمزة ، عن سالم عن أبيه .

وقال البخارى : حدثنا محمد — هو ابن سَلَّام — حدثنا أبو ضَمْرة ، حدثنا شَريك بن عبد الله بن أبى نمر ، أنه سمع أنس بن مالك يذكرَ أن رجلا دخل المسجد يوم جمعة من باب كان وِجَاه المنبر ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب ، فاستقبل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قائما ، فقال : يارسول الله هلكت الأموال ، وتقطعت السُّبل ،

(١) ليست فى صحيح البخارى . باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء .

فادع الله لنا يغيثنا ، قال : فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فقال : اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا ، [اللهم اسقنا] [١] .

قال أنس : ولا والله ما نرى فى السماء من سحاب ولا قزعة [٢] ولا شيئا وما بيننا وبين سَلْع من بيت ولادار ، قال : فطلعت من ورائه سحابة مثل التُّرْس ، فلما توسّطت السماء انتشرت ثم أمطرت ، قال : والله مارأينا الشمس سِتًّا .

ثم دخل رجل من ذلك الباب فى الجمعة المقبلة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب ، فاستقبله قائما ، وقال : يارسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل ، ادع الله يمسكها . قال : فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال : اللهم حوالينا ولاعلينا ، اللهم على الآكام والجبال [والظِّراب [٣]] ومنابت الشجر . قال : فأقلعت وخرجنا نمشى فى الشمس . قال شريك : فسألت أنسا أهو الرجل الذى سأل أولا ؟ قال : لا أدرى .

وهكذا رواه البخارى أيضا ومسلم من حديث إسماعيل بن جعفر عن شريك به .

وقال البخارى : حدثنا مُسدَّد ، حدثنا أبو عَوانة ، عن قتادة عن أنس قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم جمعة إذ جاء رجل فقال : يارسول الله قَحط المطر ، فادع الله أن يسقينا . فدعا فمُطِرنا فما كدنا أن نصل إلى منازلنا ، فما زلنا نُمطَر إلى الجمعة المقبلة .

قال : فقام ذلك الرجل أو غيره ، فقال : يارسول الله ادع الله أن يَصْرفه عنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم حَوالينا ولا علينا . قال : فلقد رأيت السحاب يتقطَّع يمينا وشمالا يُمطَرون ولا يمطر [أهل] المدينة .

---

(١) من ت . (٢) القزعة : القطعة من السحاب . (٣) الظراب : الجبال الصغيرة .

تفرد به البخاري من هذا الوجه .

وقال البخاري : حدثنا عبد الله بن مَسْلَمة ، عن مالك ، عن شريك بن عبد الله ابن أبي نمر ، عن أنس قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هلكت المواشي وتقطعت السُّبل ، فادع الله . فدعا فمطرنا من الجمعة إلى الجمعة ثم جاء فقال تهدّمت البيوت وتقطعت السبل وهلكت المواشي ، [فادع الله أن يمسكها] فقال : اللهم على الآكام والظِّراب والأودية ومنابت الشجر ، فانجابت عن المدينة انجيابَ الثوب .

وقال البخاري : حدثنا محمد بن مقاتِل ، حدثنا عبد الله ، حدثنا الأَوْزاعي ، حدثنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري ، حدثني أنس بن مالك قال : أصابت الناس سَنةٌ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبَيْنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر يوم الجمعة ، فقام أعرابي فقال : يارسول الله هلك المالُ ، وجاع العيال ، فادع الله أن يسقينا .

قال : فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وما في السماء قَزَعة ، فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار سحابٌ أمثال الجبال ، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادَر على لحيته .

قال : فمطِرنا يومَنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد والذي يليه إلى الجمعة الأخرى ، فقام ذلك الأعرابي أو قال غيره ، فقال : يارسول الله تهدَّم البِناء ، وغرق المال فادع الله لنا .

فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فقال : اللهم حَوالينا ولا علينا . قال : فما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير بيده إلى ناحية من السماء إلا انفرجت حتى صارت المدينة في مثل الجَوْبة [1] وسال الوادي قناةَ شهرا ، ولم يجئْ أحد من ناحية إلا حَدَّث بالجوْد .

---

(١) الجوبة . الحفرة المستديرة الواسعة ، أي صار الغيم والسحاب محيطا بآفاق المدينة .

ورواه البخاري أيضا في الجمعة ومسلم من حديث الوليد عن الأوزاعي .

وقال البخاري : وقال أيوب بن سليمان : حدثني أبو بكر بن أبي أُوَيس، عن سليمان ابن بلال ، قال : قال يحيى بن سعيد : سمعت أنس بن مالك قال : أتى أعرابيٌّ من أهل البَدْو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فقال : يارسول الله هلكت الماشية ، هلك العيال ، هلك الناس . فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه يدعو ورفع الناس أيديهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعون . قال : فما خرجنا من المسجد حتى مُطرنا فما زلنا نُمطَر حتى كانت الجمعة الأخرى ، فأتى الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله بَشَق (١) المسافر ومُنع الطريق .

قال البخاري : وقال الأُوَيْسي — يعني عبد الله — : حدثني محمد بن جعفر — هو ابن كثير — عن يحيى بن سعيد وشَرِيك ، سمعا أنسا عن النبي صلى الله عليه وسلم رفع يديه حتى رأيتُ بياض إبطيه .

هكذا علّق هذين الحديثين ولم يسندهما أحدٌ من أصحاب الكتب الستة بالكلّيّة .

وقال البخاري : حدثنا محمد بن أبي بكر ، قال : حدثنا معتمِر ، عن عبيد الله ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم جمعة فقام الناس فصاحوا فقالوا : يارسول الله قَحَط المطرُ ، واحمرَّت الشجر ، وهلكت البهائم ، فادع الله أن يسقينا . فقال : اللهم اسقنا مرتين . وأيم الله ما نرى في السماء قَزَعة من سحاب، فنشأت سحابةٌ وأمطرت ، ونزل عن المنبر فصلى .

---

(١) بشق : قال في النهاية : قال ابن دريد : بشق : أسرع مثل بشك . وقيل : معناه تأخر ، وقيل : حبس . وقيل : مل . وقيل : ضعف . وقال الخطابي : بشق ليس بشيء وإنما هو لثق ، من اللثق : الوحل . وكذا هو في رواية عائشة قالت : فلما رأى لثق الثياب على الناس . . وقال غيره : إنما هو بالباء ، من بشقت الثوب وبشكته إذا قطعته في خفة أي قطع بالمسافر . النهاية ١/ ٩٢ .

فلما انصرف لم تزل تمطر إلى الجمعة التى تليها ، فلما قام النبى صلى الله عليه وسلم يخطب صاحوا إليه : تهدّمت البيوت وانقطعت السبل فادع الله يحبسها عنا . قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : اللهم حوالَيْنا ولا علينا ، فتكشّطت(١) [عن] المدينة فجعلت تمطر ما حولها ولا تمطر بالمدينة قطرة ، فنظرت إلى المدينة وإنها لفى مثل الإكليل .

وقد رواه مسلم من حديث معتمر بن سليمان ، عن عبيد الله وهو ابن عمر العُمَرى به :

* * *

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن أبى عَدِى ، عن حُميد قال : سُئل أنس : هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه ؟ فقال : قيل له يوم جمعة : يارسول الله قَحِط المطر ، وأجدَبت الأرض ، وهلك المال .

قال : فرفع يديه حتى رأيتُ بياضَ إبطيه فاستسقَى ، ولقد رفع يديه فاستسقى ، ولقد رفع يديه وما نرى فى السماء سحابة ، فما قَضينا الصلاةَ حتى إن الشاب قريب الدار لَيُهِمّه الرجوع إلى أهله .

قال : فلما كانت الجمعة التى تليها قالوا : يارسول الله تهدّمت البيوت واحتبست الركبان .

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سُرعة مَلالَة ابن آدم وقال : اللهم حوالينا ولا علينا ، قال : فتكشّطت عن المدينة .

وهذا إسناد ثلاثى على شرط الشيخين ولم يخرجوه .

---

(١) ا : فتكشفت .

وقال البخارى وأبو داود واللفظ له : حدثنا مُسدَّد ، حدثنا حمَّاد بن زيد ، عن عبد العزيز بن صُهَيب ، عن أنس بن مالك ، وعن يونس بن عُبَيد ، عن ثابت ، عن أنس رضى الله عنه قال: أصاب أهلَ المدينة قحطٌ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبَيْنا هو يخطب يوم جمعة إذ قام رجل فقال : يارسول الله هلكت الكُراع[1] ، هلكت الشاء ، فادع الله يسقينا . فمد يده ودعا .

قال أنس : وإن السماء كَمثل الزجاجة ، فهاجت ريحٌ أنشأت سحابا ، ثم اجتمع ، ثم أرسلت السماء عَزَالِيَها[2] فخرجنا نخوض الماء حتى أتينا منازلنا ، فلم تزل تمطر إلى الجمعة الأخرى ، فقام إليه ذلك الرجل أو غيره فقال : يارسول الله تهدمت البيوت فادع الله يحبسه . فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : حوالينا ولا علينا . فنظرت إلى السحاب يتصدَّع حولَ المدينة كأنه إكليل .

فهذه طرق متواترة عن أنس بن مالك لأنها تفيد القطع عند أئمة هذا الشأن .

***

وقال البيهقى : بإسناده من غير وجه إلى أبى معمر سعيد بن أبى خُثَيم الهلالى ، عن مسلم المُلاَئِىّ ، عن أنس بن مالك ، قال : جاء أعرابى فقال :يارسول الله والله لقد أتيناك، ومالنا بعيرٌ يَئِط ولا صبى يَصطبح وأنشد :

أتيناك والعذراء يَدْمِى لَبَانُها ... وقد شُغلت أمُّ الصبىّ عن الطِّفلِ[3]

وألقى بكفيه الفتى لاستكانةٍ ... من الجوع ضعفاً قائما وهو لا يُخْلِي

ولا شىء مما يأكل الناس عندنا ... سوى الحنظل العامِىّ والعِلْهِز الفَسْلِ[4]

---

(١) الكراع : يريد الماشية .

(٢) العزالى : جمع عزلى ، وهى مصب الماء من الراوية .

(٣) اللبان : الصدر .

(٤) العلهز : نبات أو طعام من الدم والوبر كان يؤكل فى المجاعة . والفسل : الرذول .

وليس لنـــا إلا إليك فِرارُنا　　　وأين فرارُ الناس إلا إلى الرُّسْلِ

قال : فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يجر رداءه ، حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم رفع يديه نحو السماء وقال : اللهم اسقنا غيثاً مُغيثا مَريئا مَريعا سَرِيعا غَدَقا َبقَا عاجلا غير رائث[١]، نافعا غير ضار تملأ به الضَّرْع ، وتُنبت به الزرع ، وتحيي به الأرض [بعد موتها][٢] وكذلك تُخرجون .

قال : فوالله مارَدَّ يده إلى نَحْره حتى ألقت السماء بأوراقها .

وجاء أهل البطَانة[٣] يصيحون : يارسُول الله الغرق الغرق . فرفع يديه إلى السماء وقال : اللهم حوالينا ولا علينا ، فانجاب السحاب عن المدينة حتى أحدق بها كالإكليل ، فضحك رسول الله صلى الله عليـه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال : لله دَرّ أبي طالب لو كان حيًّا قرّت عيناه من ينشد قوله ؟

فقام على بن أبي طالب فقال : يارسول الله كأنك أردت قوله :

وأبيض يُسْتَسْقَى الغمامُ بوجهـه　　　ثِمال اليتامى عِصمةٌ للأرامل
يلوذ به الهُـلاّك من آل هاشم　　　فهم عنـــده فى نعمة وفواضل
كذبتم وبيت الله نُبْزَى محمـداً　　　ولمـا نقاتل دونه ونناضل[٤]
ونُسْـلِمه حتى نصرَّع حولَه　　　ونَذْهل عن أبنائنا والحلائل

قال : وقام رجل من بنى كنانة فقال :

لك الحمـدُ والحمـد ممن شَكرْ　　　سُقينـا بوجـــه النبي المطرْ
دعا الله خالقَـــه دعـوة　　　إليه وأشخصَ منـــه البصَرْ
فـــلم يكُ إلا كلَفُّ الرداء　　　وأسرعَ حتى رأينـا الدِّرَرْ

---

(١) المريع : المخصب . والغدق : الكثير . والطبق : الذى يغطى وجه الأرض . والرائث : البطىء .
(٢) من ت .　　　(٣) البطانة : الخارج من المدينة .
(٤) نبزى : نغلب عليه .

رقاق العوالي عمّ البقاع ... أغاث به الله (١) عليا مُضَر

وكان كما قاله عمّه ... أبو طالب أبيض ذو غُرَرْ

به الله يَسْقى بصوب الغمام ... وهـذا العيان كذاك الخبرْ

فمن يشكر الله يَلْقى المزيدَ ... ومن يكفر الله يَلْقى الغِيَرْ

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن يك شاعر يُحْسِن فقد أحسنتَ .

وهذا السياق فيه غرابة ، ولايشبه ماقدمنا من الروايات الصحيحة المتواترة عن أنس، فإن كان هذا هكذا محفوظا فهو قصة أخرى غير ماتقدم والله أعلم .

***

وقال الحافظ البيهقى : أخبرنا أبو بكر بن الحارث الأصبهانى ، حدثنا أبو محمد بن حيَّان ، حدثنا عبد الله بن مُصْعب حدثنا عبد الجبار ، حدثنا مروان بن معاوية ، حدثنا محمد بن أبى ذئب المدنى ، عن عبد الله بن محمد بن عمر بن حاطب الجمحى ، عن أبى وَجْزَة يزيد بن عبيد السُّلمى قال : لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك أتاه وفد بنى فَزارة فيهم بضعة عشر رجلا فيهم خارجة بن الحصين ، والحرّ بن قيس — وهو أصغرهم — ابن أخى عُيَينة بن حصن ، فنزلوا فى دار رَمْلة بنت الحارث من الأنصار ، وقدموا على إبل ضعاف عجاف وهم مُسْنِتون (٢) ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مُقِرِّين بالإسلام ، فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بلادهم قالوا : يارسول الله ، أسْنَتت بلادنا ، وأجدبت أحياؤنا ، وعَريت عيالنا ، وهلكت مواشينا ، فادع ربك أن يغيثنا ، وتشفع لنا إلى ربك ويشفع ربك إليك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سبحان الله ، ويلك ! هذا ماشفعتُ إلى ربى،

---

(١) الرفاق : للماء الرقيق . ا : أغاث الله به . وفى المطبوعة : عليا . وهو تحريف .

(٢) مسنتون : أصابتهم السنة وهى الجدب .

فمن ذا الذى يشفع ربُّنا إليه ؟ لا إله إلا الله وَسِع كرسيّه السموات والأرض وهو يَئِطّ من عظمته وجلاله كما يئط الرَّحْل الحديد (١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله يضحك من شفقتكم وأَزْلكم (٢) وقُرْب غِيَاثكم .

فقال الأعرابى : ويضحك ربنا يارسول الله ؟ قال : نعم . فقال الأعرابى : لن نَعْدَم يارسول الله من ربٍّ يضحك خيراً . فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر وتكلم بكلام ورفع يديه — وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرفع يديه فى شىء من الدعاء إلا فى الاستسقاء — ورفع يديه حتى رُئى بياض إبطيه .

وكان مما حُفظ من دعائه : اللهم اسق بلدك وبهائمك ، وانشر رحمتك وأَحْىِ بلدك الميت ، اللهم اسقنا غيثاً مُغيثا مريئا مريعا طبقا واسعا عاجلا غير آجل نافعا غير ضار ، اللهمّ سُقْياً رحمةٍ ولا سقيا عذاب ولا هَدْم ولا غرَق ولا مَحْق ، اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الأعداء .

فقام أبو لُبَابة بن عبد المنذر فقال يارسول الله إن التمر فى المرابِد . فقال رسول الله : اللهم اسقنا . فقال أبو لبابة : التمر فى المرابد . ثلاث مرات ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اسقنا حتى يقوم أبو لبابة عريانا فيسدّ ثَعْلب (٣) مِرْبَده بإزاره .

قال : فلا والله مافى السماء من قَزَعة ولا سحاب وما بين المسجد وسَلْع من بناء ولا دار فطلعت من وراء سلع سحابة مثل التُّرْس ، فلما توسّطت السماء انتشرت وهم ينظرون ثم أمطرت ، فوالله مارأوا الشمس ستًّا .

(١) المطبوعة : الرجل الجديد . وهو تحريف .
(٢) الأزل : الشدة .
(٣) الثعلب : الجحر يخرج منه ماء المطر من الجرين .

وقام أبو لبابة عريانا يسد ثعلب مِرْبده بإزاره لئلا يخرج التمر منه .

فقال رجل : يارسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل . فصعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر فدعا ورفع يديه حتى رُئى بياض إبطيه ، ثم قال : اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والظِّراب وبطون الأودية ، ومنابت الشجر . فانجابت السحابة عن المدينة كانجياب الثوب .

وهذا السياق يشبه سياق مسلم المُلاَئى عن أنس ، ولبعضه شاهد فى سنن أبى داود ، وفى حديث أبى رَزِين العُقَيلى شاهد لبعضه والله أعلم .



وقال الحافظ أبو بكر البيهقى فى الدلائل : أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن على ابن المؤمّل ، أخبرنا أبو أحمد محمد بن محمد الحافظ ، أخبرنا عبد الرحمن بن أبى حاتم ، حدثنا محمد بن حماد الظِّهرانى ، أخبرنا سهل بن عبد الرحمن المعروف بالسُّدى بن عبدويه ، عن عبد الله بن عبد الله بن أبى أويس المدنى ، عن عبد الرحمن بن حَرْمَلة ، عن سعيد بن المسيِّب ، عن أبى لُبابة بن عبد المنذر الأنصارى قال : استسقى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوم جمعة وقال: اللهم اسقنا . اللهم اسقنا. فقام أبو لبابة فقال: يارسول الله إن التمر فى المرابد ، وما فى السماء من سحاب نراه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اسقنا .

فقام أبو لبابة فقال : يارسول الله إن التمر فى المرابد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اسقنا ، حتى يقوم أبو لبابة يسد ثعلبَ مِرْبده بإزاره . فاستهلت السماء ومطرت ، وصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى [القومُ] أبا لبابةَ يقولون له : ياأبا لبابة ، إن السماء والله لن تُقلع حتى تقوم عريانا فتسد ثعلب مِرْبَدك بإزارك كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : فقام أبو لبابة عريانا يسد ثعلب مربده بإزاره ، فأقلعت السماء .

وهذا إسناد حسن ولم يروه أحد ولا أهل الكتب . والله أعلم .

وقد وقع مثل هذا الاستسقاء فى غزوة تبوك فى أثناء الطريق ، كما قال عبد الله بن وهب : أخبرنى عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبى هلال ، عن عتبة بن أبى عتبة ، عن نافع بن جُبير ، عن عبد الله بن عباس ، أنه قيل لعمر بن الخطاب : حدِّثنا عن شأن ساعة العسرة .

فقال عمر : خرجنا إلى تبوك فى قيظ شديد فنزلنا منزلاً وأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع ، حتى إنْ كان أحدُنا ليذهب فيلتمس الرَّحل فلا يجده حتى يظن أن رقبته ستنقطع ، حتى أنَّ الرجل لينْحر بعيره فيعتصر فَرْثَه فيشربه ثم يجعل ما بقى على كبده .

فقال أبو بكر الصديق : يارسول الله إن الله قد عَوَّدك فى الدعاء خيراً ، فادع الله لنا ، فقال : أوَ تحب ذلك ؟ قال : نعم .

قال : فرفع يديه نحو السماء ، فلم يَرْجعها حتى قالت السماء فأطلّت[1] ، ثم سكَبت فملأوا مامعهم ، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدْها جاوزَت العسكر .

وهذا إسناد جيد قوى ولم يخرجوه .

وقد قال الواقدى : كان مع المسلمين فى هذه الغزوة اثنا عشر ألف بعير ومثلها من الخيل ، وكانوا ثلاثين ألفاً من المقاتلة . قال : ونزل من المطر ماء أغْدَق الأرض حتى صارت الغُدْرَان تسكُب بعضها فى بعض ، وذلك فى حَمَارّة القيظ[2] أى شدة الحرّ البليغ ، فصلوات الله وسلامه عليه .

---

(١) أطلت : أمطرت مطرا خفيفا .

(٢) الأصل : حاة . وهو تحريف .

وكم له عليه السلام من مثل هذا فى غير ما حديث صحيح ولله الحمد .

وقد تقدم أنه لما دعا على قريش حين استعصت أن يسلط الله عليها سبعاً كسبع يوسف فأصابتهم سنة حصّت[1] كل شىء حتى أكلوا العظام والكلاب والعِلْهِز ، ثم أتى أبو سفيان يشفع عنده فى أن يدعو الله لهم ، فدعا لهم فرفع ذلك عنهم .

وقد قال البخارى : حدثنا الحسن بن محمد ، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى ، حدثنا أبى عبد الله بن المثنى ، عن ثمامة بن عبد الله بن أنس ، عن أنس بن مالك ، أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس وقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا[2] قال : فيُسقون .

تفرد به البخارى .

(١) حصت : أهلكت . من الحص وهو الحلق .
(٢) ليست فى ا .

فصل

وأما المعجزات الأرضية :

فمنها ما هو متعلق بالجمادات ، ومنها ما هو متعلق بالحيوانات .

فمن المتعلق بالجمادات: تكثيره الماء فى غير ما مَوْطِن على صفات متنوعة ، سنوردها بأسانيدها إن شاء الله ، وابتدأنا بذلك لأنه أنسب باتباع ما أسلفنا ذكره من استسقائه وإجابة الله له .

قال البخارى : حدثنا عبدالله بن مَسْلَمَة ، عن مالك ، عن إسحاق بن عبدالله بن أبى طلحة ، عن أنس بن مالك ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت(١) صلاة العصر والتمسَ الناسُ الوَضوء فلم يجدوه .

فأُتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فى ذلك الإناء فأمر الناس أن يتوضأوا منه ، فرأيت الماء يَنْبع من تحت أصابعه ، فتوضأ الناس حتى توضأوا من عند آخرهم .

وقد رواه مسلم والترمذى والنسائى من طرقٍ عن مالك به . وقال الترمذى : حسن صحيح .

طريق أخرى عن أنس

قال الإمام أحمد : حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا حَزْم، سمعت الحسن يقول : حدثنا أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم لبعض مخارجه معه ناس من أصحابه ، فانطلقوا يسيرون فحضرت الصلاة ، فلم يجد القوم ما يتوضأون به ، فقالوا : يارسول الله ماتجد ماتتوضأ به. ورأى فى وجوه أصحابه كراهية ذلك ، فانطلق رجل من القوم فجاء بقدح من ماء يسير ، فأخذ نبيّ الله فتوضأ منه ، ثم مدّ أصابعه الأربع على القدح ،

(١) ا : وكانت .

ثم قال : هلموا فتوضأوا . فتوضأ القوم حتى بلغوا فيما يريدون من الوضوء .

قال الحسن : سئل أنس كم بلغوا ؟ قال : سبعين أو ثمانين .

وهكذا رواه البخاري عن عبد الرحمن بن المبارك العَيْشي ، عن حَزْم بن مهران القَطيعي به .

طريق أخرى عن أنس

قال الإمام أحمد : حدثنا ابن أبي عَدِي ، عن حُميد ويزيد قال : أخبرنا حميد المكي ، عن أنس بن مالك قال : نودي بالصلاة فقام كلُّ قريب الدار من المسجد وبقي من كان [أهله[1]] نائي الدار . فأُتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بِمِخْضَب[2] من حجارة فصَغُر أن يبسط كفَّه فيه ، فضم أصابعه قال : فتوضأ بقيتهم .

قال حُميد : وسئل أنس : كم كانوا ؟ قال : ثمانين أو زيادة .

وقد روى البخاري عن عبد الله بن منير ، عن يزيد بن هارون ، عن حميد ، عن أنس بن مالك قال : حضرت الصلاة فقام من كان قريبَ الدار من المسجد يتوضأ وبقي قوم ، فأُتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمِخْضَب من حجارة فيه ماء فوضع كفه ، فصغُر المخضب أن يبسط فيه كفه ، فضم أصابعه فوضعها في المخضب فتوضأ القوم كلهم جميعا .

قلت : كم كانوا ؟ قال : كانوا ثمانين رجلا .

طريق أخرى عنه

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا سعيد إملاء ، عن قَتادة ، عن أنس ابن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بالزَّوْراء[3] فأُتى بإناء فيه ماء لا يَغْمر أصابعه، فأمر

(١) ليست في ا .

(٢) المخضب : إناء يغسل فيه .

(٣) الزوراء : موضع بالمدينة قرب المسجد .

أصحابه أن يتوضأوا فوضع كفه فى الماء ، فجعل الماء يَنْبع من بين أصابعه وأطراف أصابعه حتى توضأ القوم ، قال : فقلت لأنس : كم كنتم ؟ قال : كنا ثلاثمائة .

وهكذا رواه البخارى عن بِنْدار ، عن ابن عَدِى . ومسلم عن أبى موسى ، عن غُنْدَر كلاهما عن سعيد بن أبى عَرُوبة . وبعضهم يقول : عن شعبة . والصحيح سعيد عن قتادة عن أنس ، قال : أُتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإناء وهو فى الزَّوراء فوضع يده فى الإناء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه ، فتوضأ القوم .

قال قتادة فقلت لأنس : كم كنتم ؟ قال ثلاثمائة أو زُهاء ثلاثمائة .

لفظ البخارى .

حديث البرَاء بن عازب فى ذلك

قال البخارى : حدثنا مالك بن إسماعيل ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن البراء بن عازب ، قال : كنا يوم الحديبية أربع عشرة مائة ، والحديبية بئر ، فنزحناها حتى لم نترك فيها قطرة .

فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على شَفِير البئر فدعا بماء ، فمضمض ومجّ فى البئر فمكثنا غيرَ بعيد ثم استقينا حتى روينا ، وروت أو صدَرت رِكَابنا .

تفرد به البخارى إسناداً ومتنا .

حديث آخر عن البراء بن عازب

قال الإمام أحمد : حدثنا عفان وهاشم ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، حدثنا حُميد بن هلال ، حدثنا يونس ــ هو ابن عُبَيدة مولى محمد بن القاسم ــ عن البرَاء قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فأتينا على رَكِيّ (١) ذَمَّة ، يعنى قليلة الماء . قال : فنزل فيها ستة أناس أنا سادسهم [ومعهم] (٢) ماحَةٌ (٣) فأُدليت إلينا دلو قال : ورسول الله

---

(١) الركى : البئر . (٢) من مسند أحمد . الفتح الربانى ٢٢/٦٢ .

(٣) الماحة : جمع مائح وهو الذى ينزل فى البئر إذا قل ماؤها فيملأ الدلو بيده .

صلى الله عليه وسلم على شَفَا الرَّكِى فجعلنا فيها نصفها أو قراب ثلثيها ، فرفعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال البراء : فكِدْتُ [(١)] بإنائى هل أجد شيئا أجعله فى حَلْقى ؟ فما وجدت . فرفعت الدلو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغمس يده فيها ، فقال ماشاء الله أن يقول ، وأعيدت إلينا الدلو بما فيها .

قال : فلقد رأيت أحدنا أخرج بثوب خشية الغرَق . قال : ثم ساحت ، يعنى جرتْ نهراً .

تفرد به الإمام أحمد ، وإسناده جيد قوى ، والظاهر أنها قصة أخرى غير يوم الحديبية والله أعلم] [(٢)] .

حديث آخر عن جابر فى ذلك

قال الإمام أحمد : حدثنا سِنَان بن حاتم ، حدثنا جعفر - يعنى ابن سليمان - حدثنا الجعْد أبو عثمان ، حدثنا أنس بن مالك ، عن جابر بن عبد الله الأنصارى قال : اشتكى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه العطش . قال : فدعا بعُسٍّ [(٣)] فصُبَّ فيه شىء من الماء ، ووضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده وقال : استقُوا . فاستقى الناسُ قال : فكنت أرى العيونَ تنبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

تفرد به أحمد من هذا الوجه .

وفى أفراد مسلم من حديث حاتم بن إسماعيل عن أبى حَزْرَة يعقوب بن مجاهد ، عن عبادة بن الوليد بن عبادة ، عن جابر بن عبد الله فى حديث طويل قال فيه : سِرْنَا مع

---

(١) كدت : احتلت وبالغت فى طلب الماء .
(٢) من ت .
(٣) العس : القدح الضخم .

رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلنا واديا أفْيَح ، فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فاتّبعته بإداوة من ماء ، فنظر رسول الله فلم ير شيئا يستتر به ، وإذا بشجرتين بشاطئ الوادي ، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها ، فقال : انقادي عليّ بإذن الله . فانقادت معه كالبعير المَخْشُوش (١) الذي يصانع قائدَه ، حتى أتى الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها فقال : انقادي عليّ [بإذن الله] فانقادت معه [كذلك] حتى إذا كان بالمَنْصَف مما بينهما لأَم بينهما — يعني جمعهما — فقال : التئما عليّ بإذن الله . فالتأمتا .

قال جابر : فخرجت أُحْضِر (٢) مخافةَ أن يحس رسول الله بقربي فيبتعد ، فجلست أحدِّث نفسي فحانت مني لفتة ، فإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا بالشجرتين قد افترقتا ، فقامت كل واحدة منهما على ساق ، فرأيت رسولَ الله وقف وقفة فقال برأسه هكذا : يمينا وشمالا ، ثم أقبل . فلما انتهى إليّ قال : ياجابر هل رأيتَ مقامي ؟ قلت : نعم يارسول الله . قال : فانطَلِق إلى الشجرتين فاقطَع من كل واحدة منهما غصنا فأقبلْ بهما ، حتى إذا قمت مقامي فأرسل غصنا عن يمينك وغصنا عن شمالك .

قال جابر : فقمت فأخذت حجرا فكسرته وحدَّدْته فانذَلَق (٣) لي ، فأتيت الشجرتين فقطعت من كل واحدة منهما غصنا ، ثم أقبلت حتى قمت مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلت غصنا عن يميني وغصنا عن يساري ، ثم لحقت فقلت : قد فعلت يارسول الله .

قال فقلت : فلم ذاك ؟ قال : إني مررت بقبرين يعذَّبان، فأحببت بشفاعتي أن يُرفع (٤) ذلك عنهما مادام الغصنان رَطْبين .

---

(١) المخشوش : الذي وضع له الخشاش ، وهو عود يجعل في فم البعير لينقاد بسهولة .
(٢) أحضر : أعدو (٣) صحيح مسلم : وحسرته فانذلق . وانذلق : صار محددا .
(٤) صحيح مسلم : أن يرفه .

قال : فأتينا العسكرَ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياجابر ناد : الوضوء .
فقلت : ألا وضوء ألا وضوء ألا وضوء ؟

قال : قلت يارسول الله ماوجدت فى الرَّكْب من قطرة ، وكان رجل من الأنصار يبرِّد لرسول الله فى أشجاب[1] له على حِمَارة[2] من جريد .

قال : فقال لى : انطلق إلى فلان الأنصارى فانظرها هل ترى فى أشجابه من شىء .

قال : فانطلقت إليه فنظرت فيها فلم أجد فيها إلا قطرة فى عَزْلاء[3] شَجْب منها لو أنى أفرغته لشربه يابسُه ، فأتيت رسول الله فقلت : يارسول الله لم أجد فيها إلا قطرة فى عَزْلاء شَجْب منها لو أنى أفرغته لشربه يابسه . قال : اذهب فأتنى به .

فأتيته فأخذه بيده فجعل يتكلم بشىء لاأدرى ماهو ، وغمزنى بيده ثم أعطانيه فقال: ياجابر ناد بجَفْنة . فقلت : ياجفنة الرَّكْب . فأتيت بها تُحمل ، فوضعتها بين يديه ، فقال رسول الله بيده فى الجفنة هكذا فبسطها وفرّق بين أصابعه ثم وضعها فى قعر الجفنة وقال : خذ ياجابر فصُبَّ علىَّ وقل : بسم الله . فصببت عليه وقلت : بسم الله . فرأيت الماء يفور من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم فارت الجفنة ودارت حتى امتلأت ، فقال : ياجابر نادِ من كانت له حاجة بماء .

قال : فأتى الناس فاستقوا حتى رَوَوا ، فقلت : هل بقى أحد له حاجة ؟ فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهى مَلْأَى .

قال : وشكا الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوعَ ، فقال : عسى الله

---

(١) الأشجاب : جمع شجب ، وهو سقاء يخلق نصفه فيتخذ دلوا .
(٢) الحمارة : أعواد تعلق عليها الأسقية .
(٣) العزلاء : مصب الماء من الراوية .

أن يطعمكم . فأتينا سِيفَ البحر فزجَر [1] زَجْرة فألقى دابةً فأَوْرَينا على شقها النار فطبخنا واشتوينا وأكلنا وشبعنا.

قال جابر : فدخلت أنا وفلان وفلان وفلان ، حتى عد خمسة فى مَحاجر عينها مايرانا أحد : حتى خرجنا وأخذنا ضِلَعا من أضلاعها فقوّسناه ، ثم دعونا بأعظم رجل [2] فى الرَّكب وأعظم جَمل فى الركب وأعظم كِفل [3] فى الركب ، فدخل تحتها ما يُطَأطِئُ رأسه .

***

وقال البخارى : حدثنا موسى بن إسمعيل ، حدثنا عبد العزيز بن مسلم ، حدثنا حصين ، عن سالم بن أبى الجعد ، عن جابر بن عبد الله ، قال : عطش الناس يوم الحديبية والنبى صلى الله عليه وسلم بين يديه رَكْوة يتوضأ فجهش الناسُ نحوه .

قال : مالكم ؟ قالوا : ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا مابين يديك . فوضع يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون ، فشربنا وتوضأنا .

قلت : كم كنتم ؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة .

وهكذا رواه مسلم من حديث حُصَين ، وأخرجاه من حديث الأعمش .

زاد مسلم : وشعبة ثلاثتهم عن سالم بن جابر ، وفى رواية الأعمش : كنا أربع عشرة مائة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى [بن حماد] حدثنا أبو عَوانة ، عن الأسود بن قيس ، عن شقيق العَبْدى أن جابر بن عبدالله قال : غزونا أو سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن يومئذ بضع عشر ومائتان فحضرت الصلاة ، فقال رسول الله صلى

(١) زجر : امتلأ . وفى صحيح مسلم : فزخر بالماء . (٢) الأصل : جمل . وما أثبته عن مسلم .
(٣) الكفل : شىء مستدير يتخذ من خرق يوضع على سنام البعير .

الله عليه وسلم : هل فى القوم من ماء ؟ فجاءه رجل يسعى بإداوة فيها شىء من ماء . قال فصبَّه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قدَح .

قال : فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسن الوضوء ثم انصرف وترك القدَح فركِب الناسُ القدحَ تمسَّحوا وتمسحوا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : على رِسْلكم حين سمعهم يقولون ذلك .

قال : فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم كفه فى الماء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله ، ثم قال . أسبغوا الوضوء .

قال جابر : فوالذى ابتلانى ببصرى ! لقد رأيت العيونَ عيون الماء يومئذ تخرج من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رفعها حتى توضأوا أجمعون .

وهذا إسناد جيد تفرد به أحمد وظاهره كأنه قصة أخرى غير ماتقدم .

وفى صحيح مسلم عن سلَمة بن الأكوَع قال : قدِمنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن أربع عشرة مائة أو أكثر من ذلك وعليها خمسون رأسا لاترْويها ، فقعد رسول الله على الرَّكِيَّة فإما دعا وإما بصق فيها . قال : فجاشَتْ فسُقينا واستقينا .

وفى صحيح البخارى من حديث الزهرى ، عن عروة ، عن المِسْوَر ومروان بن الحكم فى حديث صلح الحديبية الطويل . فعدَل عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمَدَ[1] قليل الماء يتبرَّضه تبرُّضاً فلم يلبثه الناس حتى نزَحوه وشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش ، فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فوالله مازال يجيش لهم بالرِّىّ حتى صدَروا عنه .

---

(١) الثمد : الماء القليل . ويتبرضه : يأخذون منه قليلا قليلا .

وقد تقدم الحديث بتمامه فى صلح الحديبية[1]، فأغنى عن إعادته .

وروى ابن إسحاق عن بعضهم أن الذى نزل بالسهم ناجية بن جُنْدَب سائق البُدْن.
قال وقيل : البرّاء بن عازب . ثم رجّح ابن إسحاق الأول .

حديث آخر عن ابن عباس فى ذلك

قال الإمام أحمد : حدثنا حسين الأشقر ، حدثنا أبو كُدَيْنة ، عن عطاء ، عن أبى الضُّحى ، عن ابن عباس: أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وليس فى العسكر ماء ، فأتاه رجل فقال : يارسول الله ليس فى العسكر ماء . قال : هل عندك شىء ؟ قال : نعم ، قال : فَأْتنى .

قال : فأتاه بإناء فيه شىء من ماء قليل . قال : فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابعه على فم الإناء وفتح أصابعه ، قال : فانفجرت من بين أصابعه عيونٌ ، وأمر بلالا فقال : نادِ فى الناس : الوضوء المبارَك .

تفرد به أحمد ، ورواه الطبرانى من حديث عامر الشَّعْبى عن ابن عباس بنحوه .

حديث عن عبد الله بن مسعود فى ذلك

قال البخارى : حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، حدثنا إسرائيل ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : كنا نَعدُّ الآيات بركةً وأنتم تعدونها تخويفا .

كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفَر فقلَّ الماء فقال : اطلبوا فضلةً من ماء، فجاءوا بإناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده فى الإناء ثم قال : حَيَّ على الطهور المبارَك والبركة من الله عز وجل .

---

(١) تقدم ذلك فى الجزء الثالث من السيرة .

قال : فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل .

ورواه الترمذى عن بندار عن ابن أحمد وقال : حسن صحيح .

حديث عن عمران بن حُصَيْن فى ذلك

قال البخارى : حدثنا أبو الوليد ، حدثنا مسلم بن زيد ، سمعت أبا رجاء قال : حدثنا عمران بن حُصَيْن ، أنهم كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مَسِير فأدْلَجوا ليلتهم حتى إذا كان وجه الصبح عَرَّسوا فغلبتهم أعينهم حتى ارتفعت الشمس ، فكان أول من استيقظ من منامه أبو بكر ، وكان لا يوقظ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من منامه حتى يستيقظ ، فاستيقظ عمر ، فقعد أبو بكر عند رأسه فجعل يكبِّر ويرفع حتى استيقظ النبى صلى الله عليه وسلم ، فنزل وصلى بنا الغداة ، فاعتزل رجل من القوم لم يصلِّ معنا .

فلما انصرف قال : يافلان مايمنعك أن تصلى معنا ؟ قال : أصابتنى جَنابة . فأمره أن يتيمم بالصعيد ثم صلى .

وجعلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ركوب بين يديه ، وقد عطشنا عطشا شديدا ، فبينما نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نحن بامرأة سادِلة[1] رجليها بين مَزادتين فقلنا لها : أين الماء ؟ قالت : إنه لاماء . فقلنا : كم بين أهلِك وبين الماء ؟ قالت : يوم وليلة . فقلنا : انطلقى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : وما رسول الله ؟ فلم نملكها من أمرها حتى استقبلنا بها النبى صلى الله عليه وسلم ، فحدَّثَتْه بمثل الذى حدَّثَتنا ، غير أنها حدثته أنها مُؤتِمة[2] فأمر بمزادتيها فمسح فى العَزْلاوَين فشربنا عِطاشا

(١) سادلة : مدلية .
(٢) موتمة : لها أولاد يتامى

أربعين رجلا حتى روينا ، وملأنا كلَّ قِرْبة معنا وإداوة ، غير أنه لم نَسْق بعيراً ، وهى تكاد تنفض من الملْء ، ثم قال: هاتوا ماعندكم . فجمع لها من الكِسَر والتمر حتى أتت أهلها ، قالت : أتيت أسحرَ الناس أو هو نبى كما زعموا ، فهدى الله ذاك الصِّرْم[1] بتلك المرأة فأسلمت وأسلموا .

وكذلك رواه مسلم من حديث سلم بن زَرِين ، وأخرجاه من حديث عوف الأعرابى ، كلاهما عن رجاء العُطَارِدى ـ واسمه عمران بن تيم ـ عن عمران بن حصين به .

وفى رواية لهما فقال لها : اذهبى بهذا معك لعيالك ، واعلمى أنا لم نَرْزأك من مائك شيئا غير أن الله سقانا . وفيه أنه لما فتح العَزلاوين سمّى الله عز وجل .

حديث عن أبى قتادة فى ذلك

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن عبد الله بن رباح ، عن أبى قتادة ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فقال : إنكم إن لاتدركوا الماء غدا تعطشوا . وانطلق سُرعان[2] الناس يريدون الماء ، ولزمتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمالت برسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته فنعس رسول الله صلى الله عليه وسلم فدَعَمْتُه فادَّعم ، ثم مال حتى كاد أن ينْجَفل[3] عن راحلته فدعمته فانتبه فقال :من الرجل ؟ فقلت : أبو قتادة ، قال : منذ كم كان مسيرك ؟ قلت : منذ الليلة ، قال : حَفِظك الله كما حفظتَ رسوله .

ثم قال : لو عَرّسنا . فمال إلى شجرة فنزل فقال[4] انظر هل ترى أحداً ؟ قلت : هذا راكب ، هذان راكبان ، حتى بلغ سبعة . فقال : احفظوا علينا صلاتنا ، فنمنا

---

(١) الصرم : الطائفة من البيوت .
(٢) السرعان : المسرعون .
(٣) ينجفل : يزول .
(٤) ا : فنظر ثم قال .

فما أيقظنا إلا حَرُّ الشمس ، فانتبهنا فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسار وسرنا هُنَيهة ، ثم نزل فقال : أمعكم ماء ؟ قال : قلت : نعم معى مِيضَأة فيها شيء من ماء ، قال: ائت بها . قال : فأتيته بهافقال : مُسُّوا منها مسوا منها. فتوضأ القوم وبقيت جرعة فقال: ازدهر[1] بها ياأباقتادة فإنه سيكون لها نبأ .

ثم أذَّن بلال وصلوا الركعتين قبل الفجر ثم صلوا الفجر ، ثم ركب وركبنا ، فقال بعضهم لبعض : فرّطنا فى صلاتنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماتقولون ؟ إن كان أمْر دنياكم فشأنَكم ، وإن كان أمر دِينكم فإلىَّ . قلنا : يارسول الله فرّطنا فى صلاتنا . فقال : لاتفريط فى النوم ، إنما التفريط فى اليقَظة ، فإذا كان ذلك فصلُّوها ومن الغد وقتها ، ثم قال : صلُّوا بالقوم ، قالوا : إنك قلت بالأمس : إن لاتدركوا الماء غداً تعطشوا ، فالناس بالماء .

قال : فلما أصبح الناس وقد فقدوا نبيهم ، فقال بعضهم لبعض : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالماء . وفى القوم أبو بكر وعمر ، فقالا : أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن ليسبقكم إلى الماء ويخلّفكم ، وإن يطع الناس أبا بكر وعمر يَرْشُدوا ، قالها ثلاثا .

فلما اشتدت الظهيرة رفع لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يارسول الله هلكنا عطشا ، انقطعت الأعناق ، فقال : لاهُلْكَ عليكم ، ثم قال : ياأبا قتادة ائت بالميضأة . فأتيته بها ، فقال : احلُلْ لى غُمَرى ـ يعنى قدَحه ـ فحللته فأتيته به ، فجعل يصب فيه ويسقى الناس ، فازدحم الناس عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياأيها الناس أحسنوا الملأ فكلكم سيَصْدُر عن رىّ

---

(١) ازدهر : احفظ

فشرب القوم حتى لم يبقَ غيرى وغير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصبَّ لى فقال : اشرب ياأبا قتادة . قال : قلت : اشرب أنت يارسول الله . قال : إنّ ساقِيَ القوم آخرهم . فشربت وشرب بعدى، وبقى فى الميضأة نحو مما كان فيها ، وهم يومئذ ثلاثمائة .

قال عبد الله : فسمعنى عِمران بن حُصين وأنا أحدِّث هذا الحديث فى المسجد الجامع فقال : من الرجل ؟ قلت : أنا عبد الله بن رَبَاح الأنصارى ، قال : القوم أعلم بحديثهم، انظر كيف تحدِّث فإنى أحد السبعة تلك الليلة . فلما فرغت قال : ما كنت أحسب أحدا يحفظ هذا الحديث غيرى .

قال حماد بن سلمة : وحدثنا حُمَيد الطويل ، عن بكر بن عبد الله المزنى ، عن عبدالله ابن رباح ، عن أبى قتادة الموصِلى ، عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثله . وزاد : قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عرّس وعليه ليلٌ توسَّد يمينه ،وإذا عرّس الصبحَ وضع رأسه على كفه اليمنى وأقام ساعِده .

وقد رواه مسلم عن شَيبان بن فَرُّوخ ، عن سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن عبد الله بن رباح ، عن أبى قتادة الحارث بن ربعى الأنصارى بطوله وأخرج من حديث حماد ابن سلَمة بسنده الأخير أيضا .

حديث آخر عن أنس يشبه هذا

روى البيهقى من حديث الحافظ أبى يَعْلى الموصلى ؛ حدثنا شيبان ، حدثنا سعيد بن سليمان الضُّبعى ، حدثنا أنس بن مالك ،أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جهز جيشاإلى المشركين فيهم أبو بكر ، فقال لهم : جِدُّوا السير فإن بينكم وبين المشركين ماء إن يسبق المشركون إلى ذلك الماء شقّ على الناس وعطشتم عطشا شديداً أنتم ودوابكم .

قال : وتخلّف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثمانية أنا تاسعهم ، وقال لأصحابه : هل لكم أن نُعرِّس قليلا ثم نلحق بالناس ؟ قالوا : نعم يارسول الله .

فعرّسوا فما أيقظهم إلا حَرُّ الشمس ، فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم واستيقظ أصحابه ، فقال لهم : تقدَّموا واقضوا حاجاتكم . ففعلوا ثم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لهم : هل مع أحد منكم ماء ؟ قال رجل منهم : يارسول الله معى ميضأة فيها شىء من ماء . قال : فجىء بها ، فأخذها نبى الله صلى الله عليه وسلم فمسحها بكفيه ودعا بالبركة فيها وقال لأصحابه تعالوا فتوضأوا . فجاءوا وجعل يصب عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توضأوا كلهم ، فأذَّن رجل منهم وأقام فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم وقال لصاحب الميضأة : ازدَهِر بميضأتك فسيكون لها شأن .

وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الناس وقال لأصحابه : ماتَرَون الناس فعلوا ؟ فقالوا : الله ورسوله أعلم . فقال لهم : فيهم أبو بكر وعمر وسيرشد الناس .

فقدم الناس وقد سبق المشركون إلى ذلك الماء ، فشقّ ذلك على الناس وعطشوا عطشاً شديداً رِكَابُهم ودوابهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين صاحب الميضأة ؟ قالوا : هو هذا يارسول الله . قال : جئنى بميضأتك ، فجاء بها وفيها شىء من ماء ، فقال لهم : تعالَوْا فاشربوا ، فجعل يصب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شرب الناس كلهم وسَقَوا دوابهم وركابهم ، وملأوا ما كان معهم من إداوة وقربة ومزادة .

ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المشركين ، فبعث الله ريحا فضرب وجوه المشركين وأنزل الله نصره وأمكن من أدبارهم فقتلوا مقتلةً عظيمة ، وأسروا أسارى كثيرة ، واستاقوا غنائم كثيرة ، ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وافرين صالحين .

وقد تقدم قريبا عن جابر مايشبه هذا وهو فى صحيح مسلم .

***

وقدَّمنا فى غزوة تبوك ماورواه مسلم من طريق مالك،عن أبى الزبير ، عن أبى الطُّفَيل عن معاذ بن جبل . فذكر حديثَ جَمْع الصلاة فى غزوة تبوك إلى أن قال : وقال — يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم — : إنكم ستأتون غداً إن شاء الله عينَ تبوك ، وإنكم لن تأتوها حتى يُضْحى ضحى النهار ، فمن جاءها فلا يمسَّ من مائها شيئا حتى آتى .

قال : فجئناها وقد سبق إليها رجلان والعين مثل الشِّرَاك تَبِضُّ بشىء ، فسألهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل مسَسْتُما من مائها شيئا ؟ قالا : نعم . فسبَّهما وقال لهما: ماشاء الله أن يقول . ثم غرفوا من العين قليلا قليلا حتى اجتمع فى شىء ، ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه ويديه ثم أعاده فيها ، فجرَت العينُ بماء كثير،فاستقى الناس ثم قالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : يامعاذ يوشك إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد مُلئ جِنانا .

وذكرنا فى باب الوفود من طريق عبد الرحمن بن زياد بن أنْعَم ، عن زياد ابن نعيم الحضرمى ، عن زياد بن الحارث الصُّدَائى فى قصة وفادته . فذكر حديثا طويلا فيه ، ثم قلنا : يارسول الله إن لنا بئراً إذا كان الشتاء وَسِعنا ماؤها واجتمعنا عليها ، وإذا كان الصيف قَلَّ ماؤها فتفرقنا على مياه حَوْلنا ، وقد أسلمنا ، وكل من حولنا عدوٌّ ، فادع الله لنا فى بئرنا فيسعنا ماؤها فنجتمع عليه ولا نتفرق . فدعا بسبع حصيات ففركهن بيده ودعا فيهن ثم قال : اذهبوا بهذه الحصيات فإذا أتيتم البئر فألقوا واحدة واحدة واذكروا الله عز وجل . قال الصُّدَائى : ففعلنا ماقال لنا ، فما استطعنا بعد ذلك أن ننظر إلى قعرها — يعنى البئر — .

وأصل هذا الحديث فى المسند وسنن أبى داود والترمذى وابن ماجه . وأما الحديث بطوله ففى دلائل النبوة للبيهقى رحمه الله .

وقال البيهقى :

باب

ماظهر فى البئر التى كانت بقُبَاء من بركته

أخبرنا أبو الحسن محمد بن الحسين العلوى ، حدثنا أبو حامد بن الشَّرْقى ، أخبرنا أحمد بن حفص بن عبد الله ، أخبرنا أبى ، حدثنى إبراهيم بن طَهْمان ، عن يحيى بن سعيد ، أنه حدثه أن أنس بن مالك أتاهم بقباء فسأله عن بئر هناك ، قال : فدلَلْته عليها ، فقال : لقد كانت هذه وإنّ الرجل لينْضَح على حماره فينزح ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بذَنُوب فسُقِى فإما أن يكون توضأ منه وإما أن يكون تفَل فيه ، ثم أمر به فأعيد فى البئر ، قال : فما نُزِحت بعدُ . قال : فرأيته بالَ ثم جاء فتوضأ ومسح على جنبه ثم صلى .

وقال أبو بكر البزار : حدثنا الوليد بن عمرو بن مسكين ، حدثنا محمد بن عبد الله ابن مثنّى ، عن أبيه ، عن ثُمامة ، عن أنس قال : أتىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلنا فسقيناه من بئر لنا فى دارنا كانت تسمى النَّزُور فى الجاهلية ، فتفل فيها فكانت لا تُنزح بعد .

ثم قال : لا نعلم هذا يُروى إلا من هذا الوجه .

باب تكثيره عليه السلام الأطعمة
للحاجة إليها في غير ما موطن كما سنورده مبسوطا

تكثيره اللبن في مواطن أيضاً :

قال الإمام أحمد : حدثنا رَوْح ، حدثنا عمر بن ذر ، عن مجاهد ، أن أبا هريرة كان يقول : والله إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع ، وإن كنت لأشدُّ الحجَر على بطني من الجوع ، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه ، فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله عز وجل ، ما سألته إلا ليَستتبعني فلم يفعل ، فمر عمر رضي الله عنه فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليستتبعني فلم يفعل .

فمر أبو القاسم صلى الله عليه وسلم فعرف ما في وجهي وما في نفسي ، فقال : أبا هريرة ، قلت له : لبيك يارسول الله ، فقال : الحقْ . واستأذنتُ فأذِن لي فوجدت لبنا في قدَح ، قال : من أين لكمْ هذا اللبن ؟ فقالوا : أهداه لنا فلان أو آل فلان .

قال أبا هِرّ . قلت : لبيّك يارسول الله . قال : انطلقْ إلى أهل الصُّفة فادعهم لي .

قال : وأهل الصفة أضياف الإسلام لم يأووا إلى أهلٍ ولا مال ، إذا جاءت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم هدية أصاب منها وبعث إليهم منها ، وإذا جاءته الصدقة أرسل بها إليهم ولم يُصِبْ منها .

قال : وأحزنني ذلك ، وكنت أرجو أن أصيب من اللبن شَرْبة أتقوّى بها بقية يومي وليلتي ، وقلت : أنا الرسول ، فإذا جاء القوم كنت أنا الذي أعطيهم . وقلت : ما يبقى لي من هذا اللبن ؟ ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بدٌّ .

فانطلقتُ فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا فأذِن لهم ، فأخذوا مجالسهم من البيت ثم قال : أبا

هرّ خذ فأعطهم . فأخذت القدحَ فجعلت أعطيهم فيأخذ الرجل القدح فيشرب حتى يروى ثم يرد القدح ، حتى أتيت على آخرهم ، ودفعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ القدح فوضعه فى يده وبقى فيه فضْلة ، ثم رفع رأسه ونظر إلى وتبسّم وقال :أبا هر . فقلت : لبيك رسول الله . قال : بقيت أنا وأنت . فقلت : صدقت يارسول الله . قال : فاقعد فاشرب .

قال : فقعدت فشربت ، ثم قال لى : اشرب . فشربت ، فما زال يقول لى : اشرب فأشرب حتى قلت: لا والذى بعثك بالحق ما أجد له فىّ مَسْلَكا . قال : ناولنى القدح ، فرددْت إليه القدحَ فشرب من الفضْلة .

ورواه البخارى عن أبى نعيم وعن محمد بن مقاتل ، عن عبد الله بن المبارك . وأخرجه الترمذى عن عبَّاد بن يونس بن بُكَير ، ثلاثتهم عن عمر بن ذرّ . وقال الترمذى : صحيح .

***

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو بكر بن عَيَّاش ، عن زرّ ، عن ابن مسعود قال : كنت أرعى غنما لعقبة بن أبى مُعَيط ، فمر بى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فقال : ياغلام هل من لبن ؟ قال : قلت : نعم ولكن مؤتَمَن . قال : فهل من شاة لم ينزُ عليها الفحل ؟ فأتيته بشاة فمسح ضرعها ، فنزل لبن فحلبه فى إناء ، فشرب وسقى أبا بكر ، ثم قال للضرع : اقلص . فقلص ، قال : ثم أتيته بعد هذا فقلت : يارسول الله علمنى من هذا القول . قال : فمسح رأسى وقال : ياغلام يرحمك الله ، فإنك عليم مُعلَّم .

ورواه البيهقى من حديث أبى عَوانة ، عن عاصم ، عن أبى النَّجُود ، عن زرّ ، عن ابن مسعود ، وقال فيه : فأتيته بعَناق جَذعة فاعتقلها ثم جعل يمسح ضرعها ويدعو ،

وأتاه أبو بكر بجفنة فحلب فيها وسقى أبا بكر ثم شرب ، ثم قال للضرع : اقلُص . فقلص فقلت : يارسول الله علمنى من هذا القول ، فمسح رأسى وقال : إنك غلام معلم .

فأخذت عنه سبعين سورةً مانازعنيها بشَرٌ .

وتقدم فى الهجرة (١) حديث أم مَعْبَد وحَلْبه عليه السلام شاتها ، وكانت عجفاء لا لبن لها ، فشرب هو وأصحابه وغادر عندها إناء كبيرا من لبن حتى جاء زوجها .

وتقدم فى ذكر من كان يخدمه (٢) من غير مواليه عليه السلام المقداد بن الأسود حين شرب اللبن الذى كان قد جاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قام فى الليل ليذبح له شاة ، فوجد لبنا كثيراً فحلب ماملأ منه إناء كبيرا جدا . الحديث .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا زُهَير ، عن أبى إسحاق ، عن ابنة خُبَاب أنها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة فاعتقلها وحلبها ، فقال : ائتنى بأعظم إناء لكم ، فأتيناه بجَفْنة العجين ، فحلب فيها حتى ملأها ، ثم قال : اشربوا أنتم وجيرانكم .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو الحسين بن بشران ببغداد ، أخبرنا إسمعيل بن محمد الصفَّار ، أخبرنا محمد بن الفرج الأزرق ، حدثنا عصمة بن سليمان الخزَّاز ، حدثنا خلَف ابن خليفة عن أبى هاشم الرُّمانى ، عن نافع ـ وكانَتْ له صُحْبَة ـ قال : كُنَّا معَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفَر وكنا زهاء أربعمائةٍ ، فنزلنا فى موضع ليسَ فيه ماء ، فشقَّ ذلك على أصحابه وقالوا : رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أعلم .

قال : فجاءت شُوَيْهة لها قرنان فقامت بين يدَى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلبها فشرب حتى روى وسَقَى أصحابه حتى رووا .

ثم قال : يانافع املكها الليلة وما أراك تملكها .

---

(١) تقدم ذلك فى الجزء الثانى من السيرة .

(٢) سبق ذلك فى الجزء الرابع من السيرة .

قال : فأخذتها فوتدتُ لها وتدا ثم ربطتها بحبل ، ثم قمت فى بعض الليل فلم أر الشاة، ورأيت الحبل مطروحا ، فجئت رسول الله فأخبرته من قبل أن يسألنى فقال : يانافع ذهب بها الذى جاء بها .

قال البيهقى : ورواه محمد بن سعد ، عن خلف بن الوليد - أبى الوليد الأزدى - عن خلف بن خليفة ، عن أبان .

وهذا حديث غريب جدا إسناداً ومتنا .

ثم قال البيهقى : أخبرنا أبو سعيد الماليني ، أخبرنا أبو أحمد بن عدى ، أخبرنا ابن العباس بن محمد بن العباس، حدثنا أحمد بن سعيد ابن أبى مريم ، حدثنا أبو حفص الرياحى، حدثنا عامر بن أبى عامر الخراز ، عن أبيه ، عن الحسن ، عن سعد - يعنى مولى أبى بكر - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : احلب لى تلك العنز .

قال : وعهدى بذلك الموضع لاعنز فيه . قال : فأتيت فإذا العنز حافل ، قال : فاحتلبتُها واحتفظتُ بالعنز وأوصَيتُ بها .

قال : فاشتغلنا بالرحلة ففُقدت فقلت : يارسول الله ، قد فقدت العنز . فقال : إن لها ربًّا .

وهذا أيضا حديث غريب جدا إسنادا ومتنا وفى إسناده من لا يعرف حاله.

وسيأتى حديث الغزالة فى قسم مايتعلق من المعجزات بالحيوانات .

تكثيره عليه السلام السَّمن لأم سُليم

قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا شيبان ، حدثنا محمد بن زياد البُرْجُمىّ ، عن أبى ظِلَال ، عن أنس ، عن أمه قال : كانت لها شاة فجمعت من سمنها فى عُكّة فملأت العكة ثم بعثت بها مع ربيبة فقالت : ياربيبة أبلغى هذه العكة رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يأتدم بها .

فانطلقت بها ربيبة حتى أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يارسول الله : هذه [عكة] سمن بعثت بها إليك أم سليم .

قال : أفرغوا لها عكتها . ففرغت العكة فدُفِعتْ إليها فانطلقت بها وجاءتْ وأمُّ سليم ليست فى البيت ، فعلّقتْ العكة على وتد ، فجاءت أم سُلَيم فرأت العكة ممتلئة تقْطُر ، فقالت أمُّ سُلَيْم : ياربيبةُ أليسَ أمَرْتُك أن تنطلقى بها إلى رسول الله ؟ فقالت : قد فعلت ، فإن لم تصدِّقينى فانطلقى فَسلِى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم .

فانطلقت ومعها ربيبة فقالت : يارسُول الله إنى بعثت معها إليك بعكة فيها سمن .

قال : قد فعلتْ ، قد جاءت . قالت : والذى بعثك بالحق ودين الحق إنهـا لممتلئة تَقْطُر سمنا .

قال : فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياأم سليم أتعجبين أن كان الله أطعمك كما أطعمتِ نبيه ؟ كلى وأطعمى .

قالت : فجئت إلى البيت فقسمت فى قَعْب لنـا وكذا وكذا ، وتركت فيها ما ائتدمنا به شهرا أو شهرين .

حديث آخر فى ذلك

قال البيهقى : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا الأصمّ ، حدثنا عباس الدُّورى ، حدثنا على ابن بحر القَطّان حدثنا خلَف بن خليفة ، عن أبى هاشم الرمانى ، عن يوسف بن خالد ، عن أوس بن خالد ، عن أم أوس البَهْزِية قالت : سَلَيت سمناً لى فجعلته فى عُكّة فأهديته لرسول الله فقبله وترك فى العكة قليلا ونفخ فيها ودعا بالبركة ثم قال : ردوا عليها عكتها .

فردوها عليها وهى مملوءة سمنا .

قالت : فظننت أن رسول الله لم يَقْبلها فجاءت ولها صراخ ، فقالت : يارسول الله إنما سليته لك لتأكله . فعلم أنه قد استجيب له .

فقال : اذهبوا فقولوا لها فلتأ كل سمنها وتدعو بالبركة . فأ كلت بقيـة عمر النبي صلى الله عليـه وسلم وولاية أبي بكر وولاية عمر وولاية عثمان ، حتى كان من أمر على ومعاوية ما كان .

حديث آخر

روى البيهقي عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبـد الجبار ، عن يونس بن بُكير ، عن عبد الأعلى بن المِسْوَر القرشي ، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن أبي هريرة قال : كانت امرأة من دَوْس يقال لها : أم شَريك ، أسلمت في رمضان ، فذكر الحديث في هجرتها وصحبة ذلك اليهودي لها ، وأنها عطشت فأبى أن يسقيها حتى تهوّد ، فنامت فرأت في النوم من يسقيها فاستيقظت وهي ريانة .

فلما جاءت رسول الله قصت عليه القصة ، فخطبها إلى نفسها فرأت نفسها أقل من ذلك وقالت . بل زوّجني من شئت . فزوجها زيداً وأمر لها بثلاثين صاعا ، وقال : كُلوا ولا تكيلوا . وكانت معها عكة سمن هدية لرسول الله ، فأمرت جاريتها أن تحملها إلى رسول الله ، ففُرّغت ، وأمرها رسول الله إذا ردتها أن تعلقها ولا تُوكئها ، فدخلت أم شريك فوجدتها مَلْأى .

فقالت للجارية : ألم آمرك أن تذهبي بها إلى رسول الله ؟ فقالت : قد فعلت ، فذكروا ذلك لرسول الله فأمرهم ألا يوكئوها ، فلم تزل حتى أوْكأتها أمُّ شريك ، ثم كالوا الشعير فوجدوه ثلاثين صاعا لم ينقص منه شيء .

حديث آخر في ذلك

قال الإمام أحمد : حدثنا موسى ، حدثنا ابن لَهيعة ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، أن أم مالك البَهْزية كانت تُهدى في عكة لها سمنا للنبي صلى الله عليـه وسلم ، فبينما بنوها

يسألونها الإدام وليس عندها شيء فعمدت إلى نحيها(١) التى كانت تهدى فيه إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أعصرتيه ؟ فقلت : نعم . قال : لو تركتيه مازال ذلك مقيما .

ثم روى الإمام أحمد بهذا الإسناد عن جابر ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه أتاه رجل يستطعمه فأطعمه شِطْر وَسْق شعير ، فما زال الرجل يأكل منه هو وامرأته وضيف لهم حتى كالوه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لم تكيلوه لأكلتم فيه ولقام لكم .

وقد روى هذين الحديثين مسلم من وجه آخر ، عن أبى الزبير ، عن جابر .

ذكر ضيافة أبى طلحة الأنصارى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وماظهر فى ذلك اليوم من دلالات النبوة فى تكثير الطعام النَّزْر حتى عمَّ مَن هنالك من الضِّيفان وأهل المنزل والجيران

قال البخارى : حدثنا عبد الله بن يوسف ، أخبرنا مالك ، عن إسحاق بن عبد الله ابن أبى طلحة ، أنه سمع أنس بن مالك يقول :

قال أبو طلحة لأم سليم : لقد سمعتُ صوت رسول الله ضعيفا أعرف فيه الجوع ، فهل عندك من شىء ؟ قالت : نعم . فأخرجت أقراصا من شعير ثم أخرجت خِماراً لها فلفت الخبز ببعضه ثم دسَّتْه تحت يدى ولاثَتْنى(٢) ببعضه ، ثم أرسلتنى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : فذهبت به فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ومعه الناس ، فقمت عليهم ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسلك أبو طلحة ؟ فقلت نعم : قال

---

(١) النحى : الزق ، أو ما كان للسمن خاصة . وفى المطبوعة : عكتها .

(٢) لاثتنى : غطتنى .

بطعام ؟ قلت : نعم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه : قوموا .

فانطلقَ وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته ، فقال أبو طلحة : ياأم سُلَيم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والناسُ وليس عندنا مانطعمهم . فقالت : الله ورسوله أعلم . فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو طلحة معه .

فقال رسول الله: هلم ياأم سليم ماعندك . فأتت بذلك الخبز ، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففُتَّ وعصَرت أم سليمُ عكةً فأدَمته ، ثم قال رسول الله فيه ماشاء الله أن يقول ، ثم قال : ائذن لعشرة .فأذِن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا . ثم قال : ائذن لعشرة ،فأذِن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال : ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا . ثم قال : ائذن لعشرة فأكل القوم كلهم والقوم سبعون أو ثمانون رجلا .

وقد رواه البخارى فى مواضع أخر من صحيحه ومسلم من غير وجه عن مالك ، به .

طريق آخر عن أنس بن مالك رضى الله عنه

قال أبو يعلى : حدثنا هُدْبَة بن خالد ، حدثنا مبارك بن فَضَالة ، حدثنا بُكَير وثابت البُنَانى ، عن أنس ، أن أبا طلحة رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم طاوياً فجاء إلى أم سليم فقال : إنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم طاويا فهل عندك من شىء ؟

قالت : ماعندنا إلا نحوٌ من مُدٍّ دقيق شعير . قال : فاعجنيه وأصلحيه عسى أن ندعو رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل عندنا .

قال : فعجَنْته وخَبزَتْه فجاء قرصا فقال : ياأنس ادع رسولَ الله . فأتيت رسول الله ومعه أناس ، قال مبارك : أحسبه قال : بضعة وثمانون .

قال : فقلت : يارسول الله أبو طلحة يدعوك ، فقال لأصحابه : أجيبوا أبا طلحة ، فجئت جزِعاً حتى أخبرته أنه قد جاء بأصحابه. قال بُكَيْر فقَدَّى قومَه . وقال ثابت: قال أبو طلحة : رسول الله أعلمُ بما فى بيتى منى ، وقالا جميعا عن أنس : فاستقبله أبو طلحة فقال : يارسول الله ماعندنا شيء إلا قرص ، رأيتك طاوياً فأمرتُ أمَّ سليم فجعلت لك قرصا .

قال : فدعا بالقرص ودعا بجَفْنة فوضعه فيها وقال : هل من سمن ؟ قال أبو طلحة قد كان فى العكة شيء ، قال : فجاء بها .

قال : فجعل رسول الله وأبو طلحة يَعْصرانها حتى خرج شيء مسَح رسول الله به سبَّابته ، ثم مسح القرص فانتفخ وقال : بسم الله. فانتفخ القرص فلم يزل يصنع كذلك والقرص ينتفخ حتى رأيت القرص فى الجفنة يَميع(١) .

فقال : ادع عشرة من أصحابى ، فدعوت له عشرة ، قال : فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده وسط القرص ، وقال : كلوا بسم الله ، فأكلوا من حوالى القرص حتى شبعوا ، ثم قال ادع عشرة أخرى . فدعوت له عشرة أخرى، فقال : كلوا بسم الله ،فأكلوا من حوالى القرص حتى شبعوا ، فلم يزل يدعو عشرةً عشرةً يأكلون من ذلك القُرص حتى أكل منه بضعة وثمانون من حوالى القرص حتى شبعوا ، وإنّ وسط القرص حيث وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده كما هو .

وهذا إسناد على شرط أصحاب السنن ولم يخرّجوه فالله أعلم .

---

(١) يميع : ينتشر.

طريق أخرى عن أنس بن مالك رضى الله عنه

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن نُمير ، حدثنا سعد ـ يعنى ابن سعيد بن قيس ـ أخبرنى أنس بن مالك قال :

بعثنى أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأَدْعُوه وقد جعل له طعاماً ، فأقبلتُ ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم مع الناس ، قال : فنظر إلىَّ فاستحييت فقلت : أجب أبا طلحة .

فقال للناس قوموا ـ فقال أبو طلحة : يارسول الله إنما صنعت شيئا لك . قال : فمسَّها رسول الله ودعا فيها بالبركة .

ثم قال : أدخلْ نفرا من أصحابى عشرة ، فقال : كلوا فأكلوا حتى شبعوا وخرجوا ، وقال : أدخل عشرة . فأكلوا حتى شبعوا ، فما زال يُدخل عشرة ويخرج عشرة حتى لم يبق منهم أحد إلا دخل فأكل حتى شبع ، ثم هيأها فإذا هى مثلها حين أكلوا منها .

وقد رواه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة ، ومحمد بن عبد الله بن نُمير ، كلاهما عن عبد الله بن نُمير ، وعن سعيد بن يحيى الأموى ، عن أبيه ، كلاهما عن سعد بن سعيد ابن قيس الأنصارى .

طريق أخرى

رواه مسلم فى الأطعمة عن عَبد بن حُميد ، عن خالد بن مَخْلَد ، عن محمد بن موسى ، عن عبد الله بن عبد الله بن أبى طلحة ، عن أنس ، فذكر نحو ما تقدم .

وقد رواه أبو يَعلى الموصلى ، عن محمد بن عباد المكى ، [عن حاتم][1] عن معاوية

---

(١) من ت .

ابن أبي سردد ، عن عبد الله بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أبيه ، عن أبي طلحة فذكره . والله أعلم .

طريق أخرى عن أنس

قال الإمام أحمد : حدثنا على بن عاصم ، حدثنا حُصَين بن عبد الرحمن ، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى ، عن أنس بن مالك قال : أتى أبو طلحة بُمدَّين من شعير فأمر به فصنع طعاما ثم قال لى : يا أنس انطلق ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم فادعه وقد تَعْلم ماعندنا .

قال : فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عنده . فقلت إن أبا طلحة يدعوك إلى طعامه . فقام وقال للناس : قوموا . فقاموا ، فجئت أمشي بين يديه حتى دخلت على أبي طلحة فأخبرته ، قال : فَضَحْتَنَا قلت : إنى لم أستطع أن أردّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمْرَه .

فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم اقعدوا ، ودخل عاشرُ عشرة ، فلما دخل أتى بالطعام تناول فأكل وأكل معه القوم حتى شبعوا ، ثم قال لهم : قوموا ، وليدخل عشرةٌ مكانَكم ، حتى دخل القوم كلهم وأكلوا .

قال : قلت : كم كانوا ؟ قال: كانوا نيفا وثمانين ، قال : وفضل لأهل البيت ما أشبعهم.

وقد رواه مسلم فى الأطعمة عن عمرو الناقد ، عن عبد الله بن جعفر الرّقيّ ، عن عبيد الله بن عمرو ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أنس قال ؛ أمر أبو طلحة أم سليم قال : اصنعى للنبي صلى الله عليه وسلم لنفسه خاصة طعاما يأكل منه ، فذكر نحو ماتقدم .

طريق أخرى عن أنس

قال أبو يعلى : حدثنا شجاع بن مخلد حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبي ؛ سمعت

جرير بن يزيد يحدث عن عمرو بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس بن مالك قال : رأى أبو طلحة رسولَ الله في المسجد مضطجعا يتقلَّب ظهراً لبطن ، فأتى أمَّ سُليم فقال : رأيت رسول الله مضطجعا في المسجد يتقلَّب ظهراً لبطن ، فخبزتْ أم سُليمَ قرصا ، ثم قال لي أبو طلحة : اذهب فادعُ رسولَ الله .

فأتيته وعنده أصحابه فقلت : يارسول الله يدعوك أبو طلحة ، . فقام وقال : قوموا ، قال : فجئت أسعى إلى أبي طلحة فأخبرته أن رسول الله قد كان تبعه أصحابُه ، فتلقَّاه أبو طلحة ، فقال : يارسول الله إنما هو قرص ، فقال : إن الله سيبارك فيه .

فدخل رسول الله وجيء بالقرص في قصعة ، فقال : هل من سمن ؟ فجيء بشيء من سمن فنوَّر القرصَ بإصبعه هكذا ، ورفعها ، ثم صَبَّ وقال : كلوا من بين أصابعى ، فأكل القوم حتى شبعوا ، ثم قال : أدخل عليّ عشرةً ، فأكلوا حتى شبعوا ، حتى أكل القوم فشبعوا وأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو طلحة وأم سليم وأنا حتى شبعنا وفضلت فضلة أُهديت لجيران لنا .

ورواه مسلم في الأطعمة من صحيحه عن حسن الحلواني ، وعن وهب بن جرير بن حازم ، عن عمه جرير بن يزيد ، عن عمرو بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس بن مالك فذكر نحو ماتقدم .

طريق أخرى عن أنس

قال الإمام أحمد : حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا حماد — يعنى ابن زيد — عن هشام ، عن محمد — يعنى ابن سيرين — عن أنس قال : عمدت أمُّ سُليم إلى نصف مُد شعير فطحنته ثم عمدت إلى عُكة كان فيها شيء من سمن فاتخذت منه خَطِيفة[1] .

---

(١) الخطيفة : دقيق يذر عليه اللبن ثم يطبخ .

قال : ثم أرسلتني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فأتيته وهو فى أصحابه فقلت : إن أم سليم أرسلتنى إليك تدعوك ، فقال : أنا ومن معى ، قال : فجاء هو ومن معه .

قال : فدخلت فقلت لأبى طلحة : قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه ، فخرج أبو طلحة فمشى إلى جنب النبي صلى الله عليه وسلم .

قال : يارسول الله إنما هى خَطِيفة اتخذتْها أمُّ سليم من نصف مد شعير .

قال . فدخل فأتى به ، قال : فوضع يده فيها ثم قال : أدخل عشرة ، قال : فدخل عشرة فأكلوا حتى شبعوا ، ثم دخل عشرة فأكلوا ، ثم عشرة فأكلوا ، حتى أكل منها أربعون كلهم أكلوا حتى شبعوا .

قال : وبقيتْ كما هى ، قال : فأكلنا .

وقد رواه البخارى فى الأطعمة عن الصلْت بن محمد ، عن حماد بن زيد ، عن الجعْد أبى عثمان ، عن أنس . وعن هشام بن محمد ، عن أنس . وعن سِنان بن ربيعة ، عن أبى ربيعة ، عن أنس : أن أم سليم عمدت إلى مُدٍّ من شعير جَشَّتْه وجعلت منه خطيفةً وعمدت إلى عُكَّة فيها شىء من سمن فعصرَتْه ثم بعثتني إلى رسول الله وهو فى أصحابه ، الحديث بطوله .

ورواه أبو يعلى الموصلى : حدثنا عمرو ، عن الضحاك ، حدثنا أبى ، سمعت أشْعث الحرَّانى قال : قال محمد بن سيرين : حدثنى أنس بن مالك أن أبا طلحة بلغه أنه ليس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام ، فذهب فأجَّر نفسه بصاع من شعير ، فعمل يومه ذلك فجاء به وأمر أمَّ سليم أن تعمله خطيفة . وذكر الحديث .

طريق أخرى عن أنس رضى الله عنه

قال الإمام أحمد : حدثنا يونس بن محمد، حدثنا حرب بن ميمون ، عن النضر بن أنس، عن أنس بن مالك قال : قالت أم سُليم : اذهب إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم فقل له . إن رأيت أن تتغدّى عندنا فافعل، فجئته فبلّغته ، فقال . ومن عندى ؟ قلت : نعم ، قال انهضوا ، قال : فجئته فدخلت على أم سليم وأنا لدهِش لمن أقبل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فقالت أم سليم : ماصنعتَ يا أنس ؟ فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على إثر ذلك فقال: هل عندك سمن ؟ قالت : نعم ، قد كان منه عندى عكّة فيها شيء من سمن، قال : فأتِ بها . قالت : فجئت بها ففتح رباطها ثم قال : بسم الله اللهم أعظِم فيها البركةَ قال : فقال اقلبيها ، فقلبتها فعصرها نبي الله صلى الله عليه وسلم وهو يسمّى .

فأخذت نقْع قِدْر ، فأكل منها بضع وثمانون رجلا وفضل فضلة ، فدفعها إلى أم سليم فقال : كلى وأطعمى جيرانك .

وقد رواه مسلم فى الأطعمة عن حجاج بن الشاعر ، عن يونس بن محمد المؤدِّب به .

طريق أخرى

قال أبو القاسم البغوى : حدثنا على بن المدينى ، حدثنا عبد العزيز بن محمد الدَّرَاوَرْدِى ، عن عمرو بن يحيى بن عمارة المازنى ، عن أبيه ، عن أنس بن مالك ، أن أمه أم سليم صنعت خَزِيرا [1] فقال أبو طلحة : اذهب يابنى فادع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فجئته وهو بين ظَهْرَانى الناس ، فقلت : إن أبى يدعوك ، قال : فقام وقال الناس : انطلقوا .

قال : فلما رأيته قام بالناس تقدمتُ بين أيديهم ، فجئت أبا طلحة فقلت : ياأبت

---

(١) الخزير : الحساء من الدسم .

قد جاءك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس ، قال : فقام أبو طلحة على البـاب وقال : يارسول الله إنمـا كان شيئا يسيراً . فقال : هلمَّه ، فإن الله سيجعل فيه البركة .

فجاء به فجعل رسول الله يده فيه ، ودعا الله بما شاء أن يدعو ، ثم قال: أدخل عشرة عشرة ، فجاءه منهم ثمانون فأكلوا وشبعوا .

ورواه مسلم فى الأطعمـة عن عَبْد بن حُمَيد ، عن القَعْنَبِىّ ، عن الدَّرَاوَرْدى ، عن يحيى بن عمـارة بن أبى حسن الأنصـارى المـازنى [عن أبيـه][1] عن أنس بن مالك بنحو ماتقدم .

طريق أخرى

ورواه مسلم فى الأطعمة أيضا عن حرْمَلة ، عن ابن وهب ، عن أسامة بن زيدالليثى، عن يعقوب بن عبد الله بن أبى طلحة ، عن أنس كنحو ماتقدم .

قال البيهقى : وفى بعض حديث هؤلاء : ثم أكل رسول الله صلى الله عليـه وسلم وأكل أهلُ البيت وأفضَلوا مابلغ جيرانهم .

***

فهذه طرق متواترة عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه شاهَد ذلك ، على مافيه من اختلاف عنه فى بعض حروفه .

ولـكن أصل القصة متواترة لا محالة كما ترى ، ولله الحمد والمنة . فقد رواه عن أنس ابن مالك : إسحاقُ بن عبد الله بن أبى طلحة ، وبكر بن عبد الله المزَنى ؛ وثابت بن أسلم البُنَانى [والجعد بن عثمان] وسعد بن سعيد أخو يحيى بن سعيد الأنصارى ، وسِنَان بن ربيعة ، وعبد الله بن أبى طلحة ، وعبد الرحمن بن أبى ليلى ، وعمرو بن عبدالله بن أبى طلحة

---

(١) من ت .

ومحمد بن سيرين والنَّضر بن أنس ، ويحيى بن عُمَارة بن أبى حسن ، ويعقوب بن عبد الله ابن أبى طلحة .

وقد تقدم فى غزوة الخندق حديث جابر فى إضافته صلى الله عليه وسلم على صاع من شعير وعَناق[1] ، فعزم عليه السلام على أهل الخندق بكالهم ، فكانوا ألفا أو قريباً من ألف ، فأكلوا كلُّهم من تلك العَناق وذلك الصاع حتى شبعوا وتركوه كما كان ، وقد أسلفناه[2] بسنده ومتنه وطرقه ولله الحمد والمنة .

ومن العجَب الغريب ماذكره الحافظ أبو عبد الرحمن بن محمد بن المنذر المرَوِىّ ـ المعروف بشُكْر ـ فى كتاب « العجائب الغريبة » فى هذا الحديث فإنه أسنده وساقه بطوله وذكر فى آخره شيئا غريبا فقال .

حدثنا محمد بن على بن طَرْخان ، حدثنا محمد بن مسرور ، أنبأنا هاشم بن هاشم ، ويكنى بأبى برْزَة بمكة فى المسجد الحرام ، حدثنا أبو كعب البَدّاح بن سهل الأنصارىّ ـ من أهل المدينة من النافلة الذين نقلهم هارون إلى بغداد ـ سمعت منه بالمصِّيصَة ، عن أبيه سهل بن عبد الرحمن ، عن أبيه عبد الرحمن بن كعب ، عن أبيه كعب بن مالك ، قال : أتى جابرُ بن عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف فى وجهه الجوعَ .

فذكر أنه رجع إلى منزله فذبح داجناً كانت عندهم وطبخها وثرد تحتها فى جَفْنة ، وحملها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره أن يدعو له الأنصار فأدخلهم عليه أرسالا فأكلوا كلهم وبقى مثلُ ما كان ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرهم أن يأكلوا ولا يكسروا عَظْما ، ثم إنه جمع العظام فى وسط الجفنة فوضع عليها يده ثم تكلم بكلام

---

(١) العناق : الأنثى من أولاد المعز .

(٢) تقدم ذلك فى الجزء الثالث من السيرة .

لاأسمعه إلا أنى أرى شفتيه تتحرك ، فإذا الشاة قد قامت تَنْفض أذنيها فقال : خذ شاتك ياجابر بارك الله لك فيها . قال : فأخذتها ومضيت ، وإنها لتنازعنى أذنها حتى أتيت بها البيت ، فقالت لى المرأة : ماهذا ياجابر ؟ فقلت : هذه والله شاتنا التى ذبحناها لرسول الله ، دعا الله فأحياها لنا . فقالت: أنا أشهد أنه رسول الله ، أشهد أنه رسول الله ، أشهد أنه رسول الله .

حديث آخر عن أنس فى معنى ماتقدم

قال أبو يعلى الموصلى والباغندِىّ : حدثنا شَيبان ، حدثنا محمد بن عيسى بَصْرِىّ ـ وهو صاحب الطعام ـ حدثنا ثابت البُنَانى قلت لأنس بن مالك : ياأنس أخبرنى بأعجب شىء رأيته ، قال : نعم ياثابت . خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فلم يعِبْ علىّ شيئا أسأتُ فيه ، وإن نبى الله صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب بنت جحش قالت لى أمى : ياأنس إن رسول صلى الله عليه وسلم أصبح عروسا ولا أدرى أصبَح له غداء ، فهلم تلك العُكّة . فأتيتها بالعكة وبتمر فجعلت له حَيْسا ، فقالت : ياأنس اذهب بهذا إلى نبى الله وامرأته .

فلما أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بتَوْر[1] من حجارة فيه ذلك الحَيْس قال : دعه ناحيةَ البيت وادع لى أبا بكر وعمر وعليا وعثمان ونفراً من أصحابه ، ثم ادع لى أهلَ المسجد ومن رأيتَ فى الطريق .

قال : فجعلت أتعجب من قلة الطعام ومن كثرة مايأمرنى أن أدعو الناس ، وكرهت أن أعصيه ، حتى امتلأ البيت والحجرة ، فقال : ياأنس هل ترى من أحد ؟ فقلت : لايارسول الله ، قال : هات ذلك التَّوْر ، فجئت بذلك التور فوضعته قدامه ، فغمس

(١) التور : إناء يشرب فيه .

ثلاث أصابع فى التَّور فجعل التمر يرْبُو فجعلوا يتغذون ويخرجون حتى إذا فرغوا أجمعون وبقى فى التَّور نحو ماجئت به ، فقال : ضَعْه قـدام زينب . فخرجت وأسقفتُ عليهم بابا من جريد .

قال ثابت : قلنا : ياأبا حمزة كم ترى كان الذين أكلوا من ذلك التَّور ؟ قـال : أحسب واحداً وسبعين ، أو اثنين وسبعين .

وهذا حديث غريب من هذا الوجه ولم يخرجوه .

حديث آخر عن أبى هريرة فى ذلك

قال جعفر بن محمد الفِرْيَابى : حدثنا عثمان بن أبى شيبة ، حدثنا حاتم بن إسماعيل ، عن أنيس بن أبى يحيى ، عن إسحاق بن سالم ، عن أبى هريرة ؛ قال خرج علىَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أدع لى أصحابك من أصحاب الصُّفة . فجعلت أتتبّعهم رجـلا رجلا ، فجمعتهم فجئنا بابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنّا فأذن لنا .

قال أبو هريرة : فوضعت بين أيدينا صَحْفة أظن أن فيها قدر مُدّ من شعير ، قال : فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها يده وقال : كلوا بسم الله ، قال : فأكلنا ماشئنا ثم رفعنا أيدينا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وضعت الصحفة : والذى نفسى بيده ماأمسَى فى آل محمد طعام ليس ترونه .

قيل لأبى هريرة : قدرَ كم كانت حين فرغتم منها ؟ قال : مثلها حين وضعت إلا أن فيها أثر الأصابع .

وهذه قصة غير قصة أهل الصُّفة المتقدمة فى شربهم اللبن كما قدمنا .

حديث آخر عن أبى أيوب فى ذلك

قال جعفر الفِرْيَابىّ : حدثنا أبو سلمة يحيى بن خلف ، حدثنا عبد الأعلى ، عن سعيد

الجريرى ، عن أبي الورد ، عن أبى محمد الحضرمى ، عن أبى أيوب الأنصارى ، قال : صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبى بكر طعاما قدر مايكفيهما فأتيتهما به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهب فادع لى ثلاثين من أشراف الأنصار .

قال : فشق ذلك على ، ماعندى شىء أزيده ، قال: فكأنى تثاقلت ، فقال : اذهب فادع لى ثلاثين من أشراف الأنصار ، فدعوتهم فجاءوا .

فقالوا : اطعموا.

فأكلوا حتى صدروا ثم شهدوا أنه رسول الله ثم بايعوه قبل أن يخرجوا. ثم قال : اذهب فادع لى ستين من أشراف الأنصار .

قال أبو أيوب : فوالله لأنا بالستين أحرد(1) منى بالثلاثين . قال : فدعوتهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تربعوا . فأكلوا حتى صدروا ثم شهدوا أنه رسول الله وبايعوه قبل أن يخرجوا

قال : فاذهب فادع لى تسعين من الأنصار ، قال : فلأنا أحرد بالتسعين والستين منى بالثلاثين ، قال : فدعوتهم فأكلوا حتى صدروا ، ثم شهدوا أنه رسول الله وبايعوه قبل أن يخرجوا ، قال : فأكل من طعامى ذلك مائة وثمانون رجلا كلهم من الأنصار .

وهذا حديث غريب جداً إسنادا ومتنا . وقد رواه البيهقى من حديث محمد بن أبى بكر المقدمى عن عبد الأعلى به .

قصة أخرى فى تكثير الطعام فى بيت فاطمة

قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا سهل بن الحنظلية ، حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنى ابن لهيعة ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام أياما

---

(1) أحرد : أبخل وأضيق .

لم يَطْعَم طعاما حتى شقّ ذلك عليه ، فطاف فى منازل أزواجه فلم يصبْ عند واحدة منهن شيئا .

فأتى فاطمة فقال : يا بنية هل عندك شىء آكله فإنى جائع ؟ فقالت : لا والله بأبى أنت وأمى .

فلما خرج من عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت إليها جارة لها برغيفين وقطعة لحم ، فأخذته منها فوضعته فى جفنة لها وغطّت عليها وقالت : والله لأوثرنّ بهذا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على نفسى ومن عندى . وكانوا جميعا محتاجين إلى شُبعة طعام ، فبعثت حَسنا أو حُسينا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع إليها .

فقالت : له بأبى أنت وأمى قد أتى اللهُ بشىء فخبّأته لك . قال : هلمى يا بنية . فكشفت عن الجفنة فإذا هى مملوءة خبزا ولحما ، فلما نظرت إليها بُهِتَتْ وعرفت أنها بركة من الله ، فحمدت الله وصلّت على نبيه صلى الله عليه وسلم وقدمته إلى رسول الله ، فلما رآه حمد الله ، وقال : من أين لك هذا يا بنية ؟ قالت : يا أبت هو من عند الله ، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب .

فحمد الله وقال : الحمد لله الذى جعلك يا بنية شبيهة سيدة نساء بنى إسرائيل ، فإنها كانت إذا رزقها الله شيئا فسئلت عنه قالت : هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى على ، ثم أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلىّ وفاطمة وحسن وحسين ، وجميع أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته جميعا حتى شبعوا .

قالت : وبقيت الجفنة كما هى ، فأوسعت بقيتها على جميع جيرانها ، وجعل الله فيها بركةً وخيرا كثيرا .

وهذا حديث غريب أيضا إسنادا ومتنا .

وقد قدمنا فى أول البعثة حين نزل قوله تعالى : « وأنْذِر عشيرتَك الأقربين[1] » حديثَ ربيعة بن ماجد ، عن على فى دعوته عليه السلام بنى هاشم — وكانوا نحوا من أربعين — فقدَّم إليهم طعاما من مُد فأكلوا حتى شبعوا وتركوه كما هو ، وسقاهم من عُسٍ[2] شرابا حتى روَوْا وتركوه كما هو ثلاثة أيام متتابعة ، ثم دعاهم إلى الله كما تقدم[3] .

قصة أخرى فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الإمام أحمد : حدثنا على بن عاصم ، حدثنا سليمان التَّيْمى ، عن أبى العلاء بن الشِّخِّير ، عن سَمُرَة بن جُنْدَب قال: بينما نحن عند النبى صلى الله عليه وسلم إذ أُتى بقَصْعة فيها ثريد ، قال: فأكل وأكل القوم، فلم يزالوا يتداولونها إلى قريب من الظهر ، يأكل قومٌ ثم يقومون ويجىء قوم فيتعاقبونه .

قال : فقال له رجل : هل كانت تُمَدّ بطعام ؟ قال : أمّا من الأرض فلا ، إلا أن تكون كانت تُمَدّ من السماء .

ثم رواه أحمد ، عن يزيد بن هارون ، عن سليمان ، عن أبى العلاء ، عن سمرة ، أن رسول الله أُتى بقصعة فيها ثريد فتعاقبوها إلى الظُّهر من غَدْوة ، يقوم ناس ويقعد آخرون .

قال له رجل : هل كانت تُمَدُّ ؟ فقال له : فمن أين؟ — تعجَّب — ما كانت تُمَدّ إلا من ها هنا . وأشار إلى السماء .

وقد رواه الترمذى والنسائى أيضا من حديث معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن أبى

(١) سورة الشعراء . (٢) العس : القدح الضخم .

(٣) سبق ذلك فى الجزء الأول من السيرة .

العلاء — واسمه يزيد بن عبدالله بن الشخير — عن سمرة بن جندب به .

قصة قصعة بيت الصديق

ولعلها هي القصعة المذكورة في حديث سمرة والله أعلم

قال البخاري : حدثنا موسى بن إسمعيل ، حدثنا معتمر ، عن أبيه ، حدثنا أبو عثمان، أنه حدثه عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما : أن أصحاب الصفة كانوا أناسا فقراء وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال مرة : من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس أو سادس . أو كما قال .

وإن أبا بكر جاء بثلاثة ، وانطلق النبي صلى الله عليه وسلم بعشرة ، وأبو بكر بثلاثة قال : فهو أنا وأبي وأمي . ولا أدري هل قال : امرأتي وخادم من بيتنا وبيت أبي بكر ، وإن أبا بكر تعشى عند النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم لبث حتى صلى العشاء ، ثم رجع فلبث حتى تعشى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

فجاء بعد ما مضى من الليل ما شاء الله ، قالت له امرأته : ما حبسك عن أضيافك أو ضيفك ؟ قال : أو ما عشيتيهم ؟ قالت : أبوا حتى تجيء ، قد عرضوا عليهم فغلبوهم ، فذهبت فاختبأت فقال : يا غنثر[1] فجدع وسب وقال : كلوا [في رواية أخرى لا هنيئا[2]] وقال : لا أطعمه أبدا والله ما كنا نأخذ من لقمة إلا ربا من أسفلها أكثرُ منها حتى شبعوا وصارت أكثر مما كانت قبل .

فنظر أبو بكر فإذا هي شيء أو أكثر ، فقال لامرأته [في رواية أخرى: ما هذا[2]] يا أخت بني فراس ؟ قالت : لا وقرة عيني هي الآن أكثر مما قبل بثلاث مرار .

فأكل منها أبو بكر وقال : إنما كان الشيطان — يعني يمينه — ثم أكل منها لقمة ثم

---

(١) الغنثر : شتم ، كالجاهل أو الأحمق أو اللئيم . وجدع : دعا بالجدع وهو قطع الأنف أو الأذن .
(٢) من ت .

حملها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأصبحت عنده وكان بيننا وبين قوم عهد فمضى الأجل فعرّفنا[1] اثنى عشر رجلا مع كل رجل منهم أناس ، الله أعلم كم مع كل رجل غير أنه بعث معهم ، قال : فأكلوا منها أجمعون أو كما قال [وغيرهم يقول : فتفرقنا] .

هذا لفظه وقد رواه فى مواضع أخر من صحيحه ، ومسلم من غير وجه ، عن أبى عثمان عبد الرحمن بن مُلّ النهدى ، عن عبد الرحمن بن أبى بكر .

حديث آخر عن عبد الرحمن بن أبى بكر فى هذا المعنى

قال الإمام أحمد : حدثنا حازم ، حدثنا معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن أبى عثمان ، عن عبد الرحمن بن أبى بكر أنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هل مع أحد منكم طعام ؟ فإذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه فعجن .

ثم جاء رجل مُشْرِكٌ مُشْعَانٌ[1] طويل بغنم يسوقها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أبيعاً أم عطية ! أو قال : أم هدية ؟ قال : لا ، بل بَيْع . فاشترى منه شاة فصُنعت ، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بسواد البطن أن يُشْوَى .

قال : وأيم الله مامن الثلاثين والمائة إلا قد حَزّ له رسول الله صلى الله عليه وسلم حُزّة من سواد بطنها ، إن كان شاهدا أعطاه إياه ، وإن كان غائبا خبأ له .

قال : وجعل منها قصعتين . قال : فأكلنا منها أجمعون وشبعنا وفضل فى القصعتين فحملناه على البعير ، أو كما قال .

وقد أخرجه البخارى ومسلم من حديث معتمر بن سليمان .

حديث آخر فى تكثير الطعام فى السفر

قال الإمام أحمد : حدثنا فَزارة بن عمر ، أخبرنا فليح ، عن سُهيل بن أبى صالح ،

---

(١) ا : فتفرقنا ، وهى احدى روايات مسلم حديث ٢٠٥٧ . ومعنى عرفنا : جعلنا عرفاء .

(١) المشعان : الثائر الرأس

عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها فأرْمَل (١) فيها المسلمون واحتاجوا إلى الطعام ، فاستأذنوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في نَحْرِ الإبل فأذِن لهم ، فبلغ ذلك عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه .

قال : فجاء فقال : يارسول الله إبلهم تَحْملهم وتبلّغهم عدوّهم ينحرونها ؟ ادع يارسول الله بغُبَرات (٢) الزاد فادع الله عز وجل فيها بالبركة .

قال : أجل ، فدعا بغُبَرات الزاد فجاء الناس بما بقي معهم ، فجمعه ثم دعا الله عز وجل فيه بالبركة ودعاهم بأوعيتهم فملأها وفضل فضلٌ كثير .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أني عبد الله ورسوله ، ومن لقي الله عز وجل بهما غيرَ شاكٍّ دخل الجنة .

وكذلك رواه جعفر الفِرْيابي ، عن أبي مُصْعَب الزهري ، عن عبد العزيز بن أبي حازم ، عن سهيل به .

ورواه مسلم والنسائي جميعا عن أبي بكر بن أبي النَّضْر ، عن أبيه عن عبيد الله الأشجعي ، عن مالك بن مِغْوَل ، عن طلحة بن مُصرِّف ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة به .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي : حدثنا زهير ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح سعيد ، أو عن أبي هريرة ـ شك الأعمش ـ قال : لما كانت غزوة تبوك أصاب الناس مجاعةٌ فقالوا : يارسول الله لو أذِنت لنا فنحرنا نواضحنا فأكلنا وادَّهنا ؟ فقال : افعلوا .

فجاء عمر فقال : يارسول الله إن فعلوا قلَّ الظَّهر ، ولكن ادعُهم بفضل أزوادهم

---

(١) أرمل : فني طعامه .　　(٢) الغبرات : البقايا .

ثم ادع لهم عليها بالبركة لعل الله أن يجعل فى ذلك البركة .

فأمر رسول الله بنِطَع فبُسط ودعا بفضل أزوادهم . قال : فجعل الرجل يجىء بكف التمر والآخر بالكِسْرة ، حتى اجتمع على النِّطع شىء من ذلك يسير ، فدعا عليهم بالبركة ثم قال : خذوا فى أوعيتكم ، فأخذوا فى أوعيتهم حتى ماتركوا فى العسكر وعاء إلا ملأوه وأكلوا حتى شبعوا وفضلت فَضْلة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، لا يلقى الله بها عبدٌ غير شاكٍّ فتحتجب عنه الجنةُ .

وهكذا رواه مسلم أيضا عن سهل بن عثمان وأبى كُرَيب ، كلاهما عن أبى معاوية ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى سعيد وأبى هريرة فذكر مثله .

حديث آخر فى هذه القصة

قال الإمام أحمد : حدثنا على بن إسحاق ، حدثنا عبد الله ــ هو ابن المبارك ــ أنبأنا الأوزاعى ، أخبرنا المطَّلب بن حَنْطَب المخزومى ، حدثنى عبد الرحمن بن أبى عَمْرة الأنصارى ، حدثنى أبى قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة ، فأصاب الناس مخمصة فاستأذن الناسُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نحر بعض ظهورهم وقالوا : يبلِّغنا الله به .

فلما رأى عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد همّ أن يأذن لهم فى نحر بعض ظهورهم ، قال : يارسول الله كيف بنا إذا نحن لقينا العدو غدا جياعا رجّالا ؟ ولكن إن رأيت يارسول الله أن تدعو لنا ببقايا أزوادهم وتجمعها ثم تدعو الله فيها بالبركة فإن الله سيبلِّغنا بدعوتك ، أو سيبارك لنا فى دعوتك .

فدعا النبىُّ صلى الله عليه وسلم ببقايا أزوادهم ، فجعل الناس يجيئون بالحَثْية من الطعام

وفوقَ ذلك ، فكان أعلاهم من جاء بصاع من تمر ، فجمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قام فدعا ماشاء الله أن يدعو ، ثم دعا الجيشَ بأوعيتهم وأمرهم أن يحتثوا ، فما بقى فى الجيش وعاء إلا ملأوه ، وبقى مثله .

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنى رسول الله ، لا يَلقى الله عبدٌ يؤمن بهما إلا حُجِبت عنه النار يوم القيامة .

وقد رواه النسائى من حديث عبد الله بن المبارك بإسناده نحو ماتقدم.

حديث آخر فى هذه القصة

قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا أحمد بن المعلّى الأدَمى ، حدثنا عبد الله بن رجاء ، حدثنا سعيد بن سَلَمة ، حدثنى أبو بكر ـ أظنه من ولد عمر بن الخطاب ـ عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبى ربيعة ، أنه سمع أبا خُنَيس الغِفارى أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تِهامة حتى إذا كنا بعُسْفان جاءه أصحابه فقالوا : يارسول الله جهَدنا الجوعُ فأْذن لنا فى الظَّهر أن نأكله .

قال : نعم . فأُخبر بذلك عمر بن الخطاب فجاء رسولَ الله فقال : يانبيَّ الله ماصنعت؟ أمرتَ الناسَ أن ينحروا الظَّهر فعلام يركبون ؟ قال : فما ترَى يابن الخطاب ؟ قالَ : أرى أن تأْمُرَهم أن يأتُوا بفَضْل أزوادِهم فتَجمَعه فى ثوب ثم تدعو لهم ، فأمرهم فجمعوا فضلَ أزوادهم فى ثوب ثم دعا لهم ثم قال : ائتوا بأوعيتكم ، فملأ كل إنسان وعاءه .

ثم أذَّن بالرحيل ، فلما جاوز مُطِروا فنزل ونزلوا معه وشربوا من ماء السماء ، فجاء ثلاثة نفر فجلس اثنان مع رسول الله وذهب الآخر مُعْرِضا ، فقال رسول الله : ألا أخبركم

عن النفر الثلاثة ؟ أمّا واحد فاستحى من الله فاستحى الله منه ، وأما الآخر فأقبل تائبا فتاب الله عليه ، وأما الآخر فأعرَض فأعرض الله عنه .

ثم قال البزّار : لانعلم روى أبو خُنَيس إلا هذا الحديث بهذا الإسناد .

وقد رواه البيهقى عن الحسين بن بشران ، عن أبى بكر الشافعى : حدثنا إسحاق ابن الحسن الحرَزى ، أخبرنا أبو رجاء ، حدثنا سعيد بن سلَمة ، حدثنى أبو بكر بن عمرو ابن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله ابن أبى ربيعة أنه سمع أبا خُنَيس الغِفَارى . فذكره .

حديث آخر عن عمر بن الخطاب فى هذه القصة

قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا ابن هشام ـ محمد بن يزيد الرفاعى ـ ، حدثنا ابن فضل حدثنا يزيد ـ وهو ابن أبى زياد ـ عن عاصم بن عبيد الله بن عاصم ، عن أبيه ، عن جده عمر ـ قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة فقلنا : يارسول الله إن العدو قد حضر وهم شِباع والناس جياع .

فقالت الأنصار : ألا ننحر نواضحنا فنطعمها الناس .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كان معه فضل طعام فليجئ به . فجعل الرجل يجيء بالمد والصاع وأقل وأكثر ، فكان جميع مافى الجيش بضعا وعشرين صاعا ، فجلس النبى صلى الله عليه وسلم إلى جنبه فدعا بالبركة ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم خذوا ولا تنتهبوا . فجعل الرجل يأخذ فى جِرَابه وفى غرَارته ، وأخذوا فى أوعيتهم حتى إن الرجل ليربط كمّ قميصه فيملؤه ، ففرغوا والطعام كما هو .

ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم : أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، لا يأتى بها عبد مُحِقّ إلا وقاه الله حرّ النار .

ورواه أبو يعلى أيضا عن إسحاق بن إسماعيل الطالقانى ، عن جرير ، عن يزيد بن

أبي زياد فذكره . وما قبله شاهد له بالصحة كما أنه مُتابِــع لما قبله والله أعلم.

حديث آخر عن سَلَمة بن الأكْوَع في ذلك

قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا محمد بن بشّار ، حدثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي القارئ ، حدثنا عكرمة بن عمار ، عن إياس بن سلمة ، عن أبيه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليــه وسلم في غزوة خيبر فأمرنا أن نجمع ما في أزوادنا ـ يعني من التمر ـ فبسط نِطعا نشَرْنا عليه أزوادنا .

قال : فتمطَّيتُ فتطاولت فنظرت فحزَرْته كَرِبْضة شاة[(١)] ونحن أربع عشرة مائة قال : فأكلنا . ثم تطاولتُ فنظرت فحزَرْته كرِبْضة شاة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل من وَضوء ؟ قال : فجاء رجل بنقطة في إداوته ، قال : فقبضها فجعلها في قَدح ، قال : فتوضأنا كلنا نُدَغْفِقها دَغْفقة[(٢)] ونحن أربع عشرة مائة قال : فجــاء أناس فقالوا : يارسول الله ألا وَضوء ؟ فقـــال : قد فرغ الوضوء .

وقد رواه مسلم عن أحمد بن يوسف السُّلَمي ، عن النضر بن محمد ، عن عِكْرمة بن عمار ، عن إياس ، عن أبيه سلمة ، وقال : فأكلنا حتى شبعنا ثم حشَوْنا جُرُبنا .

وتقدم ماذكره ابن إسحاق في حفر الخندق حيث قال : حدثني سعيد بن ميناء أنه قد حُدِّث أن ابنةً لبشير بن سعد ـ أخت النعمان بن بَشِير ـ قالت : دعتني أمي عَمْرة بنت رَوَاحة فأعطتني حَفْنة من تمر في ثوبي ثم قالت : أيْ بنية ، اذهبي إلى أبيك وخالك عبد الله بغدائهما .

قالت : فأخذتُها فانطلقت بها ، فمررت برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألتمس

(١) حزرته : قدرته . والربضة : اسم هيئة ، أي مقدار ربوضها .
(٢) ندغفق : نصبه صباً كثيراً .

أبى وخالى ، فقال : تعالى يابنية . ماهذا معك ؟ قالت : قلت يارسول الله هذا تمر بعثتنى به أمى إلى أبى بشير بن سعد وخالى عبد الله بن رَواحة يتغديانه فقال : هاتيــه . قالت : فصبَبْته فى كفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملأتهما ، ثم أمر بثوب فبسط له ثم دعا بالتمر فنبذ فوق الثوب ، ثم قال لإنسان عنده : اصرخ فى أهل الخندق أن هلم إلى الغداء . فاجتمع أهل الخندق عليه ، فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد حتى صدَر أهلُ الخندق عنه وإنه ليَسْقط من أطراف الثوب .

قصة جابر ودَيْن أبيه وتكثيره عليه السلام التمر

قال البخارى فى دلائل النبوة : حدثنا أبو نُعيْم ، حدثنا زكريا ، حدثنى عامر ، حدثنى جابر أن أباه توفى وعليه دَيْن ، فأتيتُ النبىَّ صلى الله عليه وسلم فقلت : إن أبى ترك عليه دينا ، وليس عندى إلا مايُخْرِج نخلُه ، ولا يَبْلغ مايخرج سنينَ ماعليه . فانطلقَ مَعِى لكيلا يُفْحِش علىَّ الغُرماء . فمَشَى حول بَيْدر [1] من بيادر التمر فدعا ، ثم آخر ، ثم جلس عليه فقال : انزعوه ، فأوفاهم الذى لهم وبقى مثل ما أعطاهم .

هكذا رواه هنا مختصرا . وقد أسنده من طرق عن عامر بن شُراحيل الشَّعْبى عن جابر به .

وهذا الحديث قد روى من طرق متعددة عن جابر بألفاظ كثيرة وحاصلها : أنه ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعائه له ومشيه فى حائطه ، وجلوسه على تمره ، وَفَّى الله دَيْنَ أبيه ، وكان قد قُتل بأُحُد ، وجابر كان لايرجو وفاءه فى ذلك العام ولا مابعده ، ومع هذا فَضل له من التمر أكثر ، فوق ما كان يؤمله ويرجوه ، ولله الحمد والمنة .

---

(١) البيدر : الموضع الذى يجمع فيه التمر أو الطعام .

قصة سَلْمان

[في تكثيره صلى الله عليه وسلم تلك القطعة من الذهب لوفاء دينه في مكاتبته .

قال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، حدثني يزيد بن أبي حبيب — رجل من عبد القيس — عن سلمان ، قال : لما قلت : وأين تقع هذه من الذي عليّ يارسول الله ؟ أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلبها على لسانه ثم قال : خذها فأوْفِهم منها . فأخذتها فأوفيتهم منها حقهم أربعين أوقية [1]] .

ذكر مِزْود أبي هريرة وتمره

قال الإمام أحمد : حدثنا يونس ، حدثنا حماد — يعني ابن زيد — عن المهاجر ، عن أبي العالية عن أبي هريرة قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بتمرات فقال : ادع الله لي فيهن بالبركة . قال : فصفّهن بين يديه ثم دعا فقال لي : اجعلهن في مِزْوَد [2] وأدخل يدك ولا تنثره .

قال فحملت منه كذا كذا وَسْقا في سبيل الله ونأكل ونطعم وكان لايفارق حَقْوى [3] فلما قُتل عثمان رضي الله عنه انقطع عن حَقْوى فسقط .

ورواه الترمذي ، عن عمران بن موسى القَزَّاز البصري ، عن حماد بن زيد ، عن المهاجر ، عن أبي مَخْلَد ، عن رفيع أبي العالية ، عنه ، وقال الترمذي : حسن غريب من هذا الوجه .

طريق أخرى عنه

قال الحافظ أبو بكر البيهقي : أخبرنا أبو الفتح هلال بن محمد بن جعفر الحفّار ، أخبرنا الحسين بن يحيى بن عباس القَطّان ، حدثنا حَفْص بن عمر ، حدثنا سهل بن زياد

---

(١) من ت .

(٢) المزود : وعاء الزاد . (٣) الحقو : معقد الإزار . وفي ا : حقوى .

أبو زياد ، حدثنا أيوب السَّختيانى ، عن محمد بن سيرين ، عن أبى هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة فأصابهم عَوزٌ من الطعام ، فقال : ياأبا هريرة عندك شىء ؟ قال : قلت شىء من تمر فى مِزْود لى ، قال : جئ به .

قال : فجئت بالمزْوَد ، قال : هات نِطْعا . فجئت بالنِّطْع فبسطته ، فأدْخَل يده فقبض على التمر فإذا هو واحد وعشرُون ، فجعل يضع كل تمرة ويسمّى ، حتى أتى على التمر فقال به هكذا فجمّعه .

فقال : ادع فلانا وأصحابه . فأكلوا حتى شبعوا وخرجوا ، ثم قال : ادع فلانا وأصحابه . فأكلوا حتى شبعوا وخرجوا ، ثم قال : ادع فلانا وأصحابه فأكلوا وشبعوا وخرجوا . ثم قال : ادع فلانا وأصحابه فأكلوا وشبعوا وخرجوا ، وفضَل .

ثم قال لى : اقعد ، فقعدت فأكل وأكلت ، قال : وفضل تمر فأدخلته فى المِزْود ، وقال لى : ياأبا هريرة إذا أردت شيئا فأدخل يدك وخذه ولا تَكْفِ[1] فيُكفَى عليك .

قال : فما كنت أريد تمرا إلا أدخلت يدى ، فأخذت منه خمسين وَسْقا فى سبيل الله .

قال : وكان معلقًا خلف رَحْلى فوقع فى زمن عثمان فذهب .

طريق أخرى عن أبى هريرة فى ذلك

روى البيهقى من طريقين عن سهل بن أسلم العدَوى ، عن يزيد بن أبى منصور ، عن أبيه ، عن أبى هريرة قال : أُصبتُ بثلاث مصيبات فى الإسلام لم أُصب بمثلهن : موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت صُوَيحبه ، وقتل عثمان ، والمِزْود .

قالوا : وما المزود ياأبا هريرة قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فقال : ياأبا هريرة أمعك شىء ؟ قال : قلت : تمر فى مزود . قال : جئ به . فأخرجتُ تمرا

---

(١) لاتكفى : لاتقلب المزود لتستخرج مافيه .

فأتيته به ، قال : فمسّه ودعا فيه ثم قال : ادع عشرة . فدعوت عشرة فأكلوا حتى شبعوا ثم كذلك حتى أكل الجيش كله وبقى تمر معى فى المزود ، فقال : يا أبا هريرة إذا أردت أن تأخذ منه شيئا فأدخل يدك فيه ولا تكفه .

قال : فأكلتُ منه حياةَ النبى صلى الله عليه وسلم ، وأكلت منه حياة أبى بكر كلّها ، وأكلت منه حياةَ عمرَ كلّها ، وأكلتُ منه حياةَ عثمانَ كلّها ، فلما قُتِلَ عثمان انتهبَ مافى يدى وانتُهبَ المِزْود ، ألا أخبركم كَمْ أكلتُ منه ؟ أكلت منه أكثرَ من مائتى وَسْق .

طريق أخرى

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر ، حدثنا إسمعيل – يعنى ابن مسلم – عن أبى المتوكل ، عن أبى هريرة قال : أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من تمر فجعلته فى مِكتل فعلّقناه فى سقف البيت ، فلم نزل نأكل منه حتى كان آخره إصابة أهل الشام حيث أغاروا بالمدينة .

تفرد به أحمد .

حديث عن العِرْباض بن سارية فى ذلك

رواه الحافظ ابن عساكر فى ترجمته من طريق محمد بن عمر الواقدى

حدثنى ابن أبى سَبْرة عن موسى بن سعد ، عن العِرْباض قال : كنت ألزم بابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحَضَر والسفر ، فرأينا ليلةً ونحن بتبوك أو ذهبنا لحاجة فرجعنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تعشّى ومن عنده ، فقال : أين كنت منذ الليلة ؟ فأخبرته ، وطلع جُعَال بن سُرَاقة وعبد الله بن مَعْقل المزنى ، فكنا ثلاثة كلنا جائع فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت أم سلمة فطلب شيئا نأكله فلم يجده ، فنادى بلالا :

هل من شيء ؟ فأخذ الجرب يَنْقُفها (١) فاجتمع سبع تمرات فوضعها فى صَحْفة ووضع عليهن يده وسمّى الله وقال : كلوا باسم الله ، فأكلنا . فأحصيتِ أربعا وخمسين تمرة ، كلما أعدُّها ونواها فى يدى الأخرى وصاحباى يصنعان ما أصنع ، فأكل كل منهما خمسين تمرة ، ورفعنا أيدينا فإذا التمرات السبع كما هن ، فقال : يابلال ارفعهن فى جرابك .

فلما كان الغد وضعهن فى الصحفة وقال : كلوا بسم الله ، فأكلنا حتى شبعنا وإنا العشرة ثم رفعنا أيدينا وإنهن كما هن سبع ، فقال: لولا أنى أستحى من ربى عز وجل لأكلت من هذه التمرات حتى نرِد إلى المدينة عن آخرنا ، فلما رجع إلى المدينة طلع غليم من أهل المدينة فدفعهن إلى ذلك الغلام فانطلق يَلُوكهن (٢)] .

حديث آخر

روى البخارى ومسلم من حديث أبى أسامة ، عن هشام بن عُرْوة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت له : لقد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فى بيتى شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير فى رَفّ لى ، فأكلت منه حتى طال علىّ فكِلْتُهُ ففنِى .

حديث آخر

روى مسلم فى صحيحه ، عن سلمة بن شَبِيب ، عن الحسن بن أعْيَن ، عن مَعْقِل ، عن أبى الزبير ، عن جابر : أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فأطعمه شطر وَسْق شعيرٍ ، فما زال الرجل يأكل منه وامرأته وضيفهما حتى كاله ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : لو لم تَكِلْه لأكلتم منه ولقام لكم .

وبهذا الإسناد عن جابر ، أن أم مالك كانت تُهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عُكّتها سمناً ، فيأتيها بنوها فيسألون الأُدْم وليس عندها شيء ، فتعمد

---

(١) ينقفها : يشقها . (٢) من ت .

إلى التى كانت تهدى فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتجد فيه سمنا ، فما زال يقيم لها أُدْم بيتها حتى عصرتها .

فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أعصرتيها ؟ قالت : نعم ، فقال لو تركتيها مازالت قائمة .

وقد رواها الإمام أحمد عن موسى ، عن ابن لَهِيعة ، عن أبى الزبير عن جابر .

حديث آخر

قال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو جعفر البغدادى ، حدثنا يحيى ابن عثمان بن صالح ، حدثنا حسان بن عبد الله ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا يونس بن يزيد حدثنا ابن إسحاق ، عن سعيد بن الحارث بن عكرمة ، عن جده نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، أنه استعان رسولَ اللهِ فى التزويج فأنكحه امرأة فالتمس شيئا فلم يجده ، فبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبا رافع وأبا أيوب بدرعه فرهناها عند رجل من اليهود بثلاثين صاعا من شعير ، فدفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه .

قال : فطَعِمْنا منه نصفَ سنة ، ثم كِلْناه فوجدناه كما أدخلناه .

قال نوفل : فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لو لم تَكِلْه لأكلت منه ماعشت .

حديث آخر

قال الحافظ البيهقى فى الدلائل : أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصفهانى ، أخبرنا أبو سعيد بن الأعرابى ، حدثنا عباس بن محمد الدُّورِىّ ، أخبرنا أحمد بن عبد الله بن يونس ، أخبرنا أبو بكر بن عَيَّاش ، عن هشام ـ يعنى ابن حسان ـ عن ابن سيرين ، عن أبى هريرة ، قال : أتى رجلٌ أهلَه فرأى مابهم من الحاجة ، فخرج إلى البَرِّية فقالت

امرأته : اللهم ارزقنا ما نعتجن ونختبز .

قال : فإذا الجفنة مَلْأى خميراً والرَّحا تَطْحن والتَّنّور ملأى خبزاوشِوَاء .

قال : فجاء زوجها فقال : عندكم شيء ؟ قالت : نعم رزق الله ، فرفع الرحا فكنس ماحوله ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: لو تركها لدارت إلى يوم القيامة .

وأخبرنا على بن أحمدبن عبدان ،أخبرنا أحمد بن عُبيدالصَّفّار ، حدثنا أبو إسماعيل الترمذى ، حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح ، حدثنى الليث بن سعد، عن سعيد بن أبى سعيدٍ المَقْبُرى عَنْ أبى هريرة ، أن رجلاً من الأنصار كان ذا حاجة فخرج وليس عند أهله شيء .

فقالتْ امرأتُه : لَوْ حرَّكتُ رَحاىَ وجعلتُ فى تنُّورى سَعفَاتٍ فسمِعَ جيرانى صوتَ الرحا ورأَوُا الدخانَ فظنُّوا أن عندنا طعاماً وليس بنا خَصَاصة .فقامت إلى تنورها فأوقدته وقعدت تُحرِّك الرحا .

قال : فأقبل زوجها وسمع الرحا فقامت إليه لتفتح له الباب ، فقال : ماذا كنت تطحنين ؟ فأخبرته ، فدخلا وإن رحاها لَتدور وتصبُّ دقيقا ، فلم يبقَ فى البيت وعاء إلا مُلِئْ ، ثم خرجت إلى تنورها فوجدته مملوءا خبزا ، فأقبل زوجها فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، قال : فما فعلت الرحا ؟ قال : رفعتها ونفضتها .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو تركتموها مازالت لكم حياتى ، أو قال حياتكم .

وهذا الحديث غريب سندا ومتنا (١) .

---

(١) الحق أن الاحتفاء بأمثال هذه الروايات التى تناقض السنن الكونية والأسباب التى رتبها الله سبحانه لعباده يخلو عن المعنى ولا قيمة له فى مجال الدلائل ، وقدكان الأولى الإضراب عن هذه الغرائب ، مادامت قد فقدت حظها من الثبوت .

حديث آخر

وقال مالك عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضافه ضيفٌ كافرٌ فأمر له بشاة فحلبت فشرب حِلَابها ثم أخرى فشرب حلابها ، ثم أخرى فشرب حلابها حتى شرب حلاب سبع شياه .

ثم إنه أصبح فأسلم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر له بشاة فحلبت فشرب حلابها ، ثم أمر له بأخرى فلم يَسْتَتِمَّها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن المسلمَ يشرب في مِعًا واحدٍ والكافرَ يَشربُ في سبعةِ أمعاء .

ورواه مسلم من حديث مالك .

حديث آخر

قال الحافظ البيهقي : أخبرنا على بن أحمد بن عَبْدان ، حدثنا أحمد بن عبيد الصفّار ، حدثني محمد بن الفضل بن حاتم ، حدثنا الحسين بن عبد الأول ، حدثنا حفص بن غِياث حدثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : ضاف النبيَّ صلى الله عليه وسلم أعرابيٌّ .

قال : فطلب له شيئا فلم يجد إلا كسرة في كُوَّة . قال : فجزأها رسول الله صلى الله عليه وسلم أجزاء ودعا عليها وقال : كل . قال فأكل فأفضل . قال فقال : يا محمد إنك لَرجل صالح . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أسْلِم . فقال : إنك لرجل صالح .

ثم رواه البيهقي من حديث سهل بن عثمان ، عن حفص بن غياث ، بإسناده نحوه .

حديث آخر

قال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو على الحسين بن على

الحافظ . قال : وفيما ذكر عبدان الأهوازى ، حدثنا محمد بن زياد البُرْجِى ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن مِسْعَر ، عن زبيد ، عن مُرة ، عن عبد الله بن مسعود قال : أضاف النبيَّ صلى الله عليه وسلم ضيفٌ ، فأرسل إلى أزواجه يبتغى عندهن طعاما فلم يجد عند واحدة منهن شيئا.

قال : اللهم إنى أسألك من فضلك ورحمتك فإنه لا يملكها إلا أنت . قال : فأهديت له شاة مَصْلِيّة [1] فقال : هذا من فضل الله ونحن ننتظر الرحمة .

قال أبو على : حدثنيه محمد بن عَبْدان الأهوازى عنه ، قال : والصحيح عن زبيد مرسلا ، حدثناه محمد بن عبدان ، حدثنا أبى ، حدثنا الحسن بن الحارث الأهوازى ، أخبرنا عبيد الله بن موسى ، عن مِسْعَر ، عن زبيد . فذكره مرسلا .

حديث آخر

قال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الرحمن السُّلَمى ، حدثنا أبو عمر بن حمدان ، أخبرنا الحسن بن سفيان ، حدثنا إسحاق بن منصور ، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن ، حدثنا عمرو بن بشر بن السَّرْح ، حدثنا الوليد بن سليمان ابن أبى السائب ، حدثنا واثلة بن الخطاب ، عن أبيه ، عن جده وَاثِلة بن الأسْقَع قال : حضر رمضانُ ونحن فى أهل الصُّفة فصُمْنا فكنا إذا أفطرنا أتى كلَّ رجل منا رجلٌ من أهل البيعة فانطلق به فعشَّاه ، فأتت علينا ليلة لم يأتنا أحد وأصبحنا صياماً ، وأتت علينا القابلة فلم يأتنا أحدٌ ، فانطلقنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه بالذى كان من أمْرنا ، فأرسل إلى كل امرأة من نسائه يسألها هل عندها شىء ، فما بقيتْ منهن امرأة إلا أرسلت تُقْسِم ما أمسى فى بيتها ما يأكل ذو كبد .

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : فاجتمعوا . فدعا وقال : اللهم إنى أسألك

---

(١) المصلية : المشوية .

من فضلك ورحمتك فإنها بيدك لا يملكها أحد غيرك

فلم يكن إلا ومستأذنٌ يستأذن ، فإذا بشاة مَصْلِية ورُغُف ، فأمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعت بين أيدينا فأكلنا حتى شبعنا .

فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا سألنا الله من فضله ورحمته ، فهذا فَضْله وقد ادّخر لنا عنده رحمته .

حديث الذّراع

قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، حدثنا يحي بن إسحاق ، حدثني رجل من بنى غفار فى مجلس سالم بن عبد الله ، حدثنى فلان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُتِىَ بطعام من خبز ولحم فقال : ناولنى الذراعَ فنوول ذراعا . قال يحي : لاأعلمه إلا هكذا . ثم قال : ناولنى الذراع . فنوول ذراعا فأكلها ثم قال : ناولنى الذراع . فقال : يارسول الله إنما هما ذراعان ، فقال : وأبيك لو سكتَّ مازلتُ أُناوَل منها ذراعا ما دعوت به .

فقال سالم : أما هذه فلا ، سمعت عبدالله بن عمر يقول :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم .

هكذا وقع إسناد هذا الحديث ، وهو عن مُبْهَم عن مثله ، وقد روى من طرق أخرى .

قال الإمام أحمد : حدثنا خَلَف بن الوليد ، حدثنا أبو جعفر – يعنى الرازى – عن شَرحبيل ، عن أبى رافع مولى النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : أُهديت له شاة فجعلها فى القدر فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ماهذا ياأبا رافع ؟ قال : شاة أهديت لنا يارسول الله فطبختها فى القدر .

فقال : ناولنى الذراع يا أبا رافع . فناولته الذراع ، ثم قال : ناولنى الذراع الآخر . فناولته الذراع الآخر ، ثم قال : ناولنى الذراع الآخر ، فقال : يارسول الله إنما للشاة ذراعان .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما إنك لو سكتَّ ، ثم دعا بماء فمضمض فاه وغسل أطراف أصابعه ، ثم قام فصلى ثم عاد إليهم فوجد عندهم لحما باردا فأكل ثم دخل المسجد فصلى ولم يمسّ ماء .

طريق أخرى عن أبى رافع

قال الإمام أحمد : حدثنا مُؤمَّل ، حدثنا حماد ، حدثنى عبد الرحمن بن أبى رافع ، عن عمته ، عن أبى رافع قال : صُنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة مَصْلِية فأتى بها فقال لى : يا أبا رافع ناولنى الذراع ، فناولته ، ثم قال : يا أبا رافع ناولنى الذراع . فناولته . ثم قال : يا أبا رافع ناولنى الذراع . فقلت : يارسول الله وهل للشاة إلا ذراعان ؟! فقال : لو سكتَّ لناولتنى منها مادعوت به .

قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الذراع .

قلت : ولهذا لما علمت اليهود عليهم لعائن الله بخيبر سمّوه فى الذراع فى تلك الشاة التى أحضرتها زينب اليهودية ، فأخبره الذراع بما فيه من السمّ ، لما نَهس منه نَهْسَة ، كما قدَّمنا ذلك فى غزوة خيبر مبسوطا .

طريق أخرى

قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا زيد بن الحباب ، حدثنى فائِد مولى عبيد الله بن أبى رافع ، قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق

بشاة في مِكْتَل فقال : ياأبا رافع ناولني الذراع .فناولته ، ثم قال : ياأبا رافع ناوِلني الذراع فناولته ، ثم قال : ياأبا رافع ناولني الذراع .

فقلت : يارسول الله ألِلشّاة إلا ذِرَاعان ؟ فقال : لوسكتَّ ساعةً ناوَلْتنيه ما سألتُك .

فيه انقطاع من هذا الوجه .

وقال أبو يعلى أيضا :حدثنا محمد بن أبي بكر المُقَدَّمي، حدثنا فُضَيل بن سليمان، حدثنا فائد مولى عبيد الله ، حدثني عبيد الله ، أن جدته سلمى أخبرته أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث إلى أبي رافع بشاة ، وذلك يوم الخندق فيما أعلم ، فصَلّاها أبو رافع ليس معها خبز، ثم انطلق بها ، فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم راجعا من الخندق ، فقال : ياأبا رافع ضع الذي معك . فوضعه ثم قال : ياأبا رافع ناولني الذراع، فناولته ، ثم قال : ياأبارافع ناولني الذراع . فناولته ، ثم قال : ياأبا رافع ناولني الذراع ، فقلت : يارسول الله هل للشاة غير ذراعين ؟ فقال : لو سَكَتَّ لنا وَلّتني ماسألتُك .

وقد روى من طريق أبي هريرة .

قال الإمام أحمد : حدثنا الضحاك ، حدثنا ابن عجلان ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، أن شاة طُبخت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعطني الذراع . فناولته إياه ، فقال: أعطني الذراع فناولته إياه ، ثم قال : أعطني الذراع . فقال : يارسول الله إنما للشاة ذراعان ، قال : أما إنك لو التمستَها لوجدتَها .

حديث آخر

قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، عن دُكَين بن سعيد الخثعمي ، قال : أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن أربعون وأربعمائة نسأله الطعام ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم

لعمر : قم فأعطهم ، فقال : يارسول الله ما عندى إلا ما يَقِيظُنى والصِّبْية ، قال وكيع : القيظ فى كلام العرب أربعة اشهر .

قال : قم فأعطهم ، قال : يارسول الله سمعاً وطاعة .

قال : فقام عمر وقمنا معه ، فصعد بنا إلى غرفة له فأخرج المفتاح من حُجْزته ففتح الباب ، قال دكين : فإذا فى الغرفة من التمرشبيه بالفَصِيل الرابض ، قال شأنكم . قال : فأخذ كلُّ رجل منّا حاجَته ما شاء ثم التفتَ وإنّى لمن آخِرِهم فكأنّا لَمْ نَرْزَأْ منه تمرة .

ثم رواه أحمد عن محمد ويعلى ابنَى عبيد ، عن إسماعيل — وهو ابن أبى خالد — عن قيس — وهو ابن أبى حازم — عن دُكين به .

ورواه أبو داود عن عبد الرحيم بن مُطرف الرّؤاسى ، عن عيسى بن يونس ، عن إسماعيل به .

حديث آخر

قال على بن عبد العزيز : حدثنا أبو نُعَيم ، حدثنا حَشْرج بن نُبَاتة ، حدثنا أبو نَضْرة ، حدثنى أبو رجاء قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل حائطا لبعض الأنصار فإذا هو برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تجعل لى إن أرويت حائطك هذا ؟ قال : إنى أجْهَد أن أرْويه فما أطيق ذلك . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : تجعل لى مائة تمرة أختارها من تمرك ؟ قال : نعم .

فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغَرْب (١) ، فما لبث أن أرْوَاه حتى قال الرجل :

---

(١) الغرب : الدلو العظيمة .

غرقتْ حائطى . فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم من تمره مائة تمرة .

قال فأكل هو وأصحابه حتى شبعوا ثم رد عليه مائة تمرة ، كما أخذها .

هذا حديث غريب أورده الحافظ ابن عساكر فى دلائل النبوة من أول تاريخه بسنده عن على بن عبد العزيز البغَوى ، كما أوردناه .

وقد تقدم فى ذكر إسلام سَلْمان الفارسى ما كان من أمر النخيل التى غرسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الكريمة لسلمان فلم يهلك منهن واحدة ، بل أنجب الجميع وكن ثلاثمائة [1] وما كان من تكثيره الذهب حين قلّبه على لسانه الشريف حتى قضى منه سلمان ما كان عليه من نجوم كتابته وعتَق رضى الله عنه وأرضاه .

---

(١) سبق ذلك فى الجزء الأول من السيرة .

باب انقياد الشجر لرسول الله صلى الله عليه وسلم

قد تقدم الحديث الذى رواه مسلم من حديث حاتم بن إسمعيل ، عن أبى حَزْرة يعقوب بن مجاهد ، عن عبادة بن الوليد بن عبادة ، عن جابر بن عبد الله قال : سرنا مع النبى صلى الله عليه وسلم حتى نزلنا واديا أَفْيح ، فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته فاتبعه بإداوة من ماء فنظر فلم ير شيئا يستتر به ، وإذا شجرتان بشاطئ الوادى فانطلق إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها ، وقال : انقادى علىّ بإذن الله . فانقادت معه كالبعير المَخْشُوش الذى يصانع قائده ، حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها وقال : انقادى علىّ بإذن الله ، فانقادت معه كالبعير المخشوش الذى يصانع قائده ، حتى بالمنتصف إذا كان فيما بينهما لأم بينهما - يعنى جمعهما - وقال : التئما علىّ بإذن الله فالتأمتا .

قال جابر : فخرجت أحضر مخافة أن يحس بقربى فيبتعد ، فجلست أحدث نفسى ، فحانت منى لفتة فإذا أنا برسول الله مُقْبل ، وإذا الشجرتان قد افترقتا وقامت كل واحدة منهما على ساق ، فرأيت رسول الله وقف وقفة وقال برأسه هكذا يمينا وشمالا .

وذكر تمام الحديث فى قصة الماء وقصة الحوت الذى دسره [١] البحر كما تقدم [٢] ولله الحمد والمنة .

حديث آخر

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن أبى سفيان - وهو طلحة

---

(١) دسره : ألقاه .

(٢) سبق ذلك فى هذا الجزء ص ١٨٠ - ١٨١

ابن نافع – عن أنس قال : جاء جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو جالس حزين قد خُضِّب بالدماء ضَرَبَه(١) بعض أهل مكة .

قال : فقال له : مالك ؟ فقال : فعل بي هؤلاء وفعلوا ، قال : فقال له جبريل : أتحب أن أريك آية ؟ قال : فقال : نعم .

قال : فنظر إلى شجرة من وراء الوادي فقال : ادع تلك الشجرة . فدعاها قال : فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه ، فقال : مُرْها فلترجع . فأمرها فرجعت إلى مكانها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حَسْبي .

وهذا إسناد على شرط مسلم ، ولم يروه إلا ابن ماجه عن محمد بن طَرِيف ، عن أبي معاوية .

حديث آخر

روى البيهقي من حديث حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن أبي رافع ، عن عمر ابن الخطاب أن رسول الله كان على الحَجُون كئيبا لما آذاه المشركون ، فقال : اللهم أرني اليوم آية لا أبالي من كذّبني بعدها .

قال فأُمِرَ فنادى شجرةً من قِبل عَقَبة المدينة ، فأقبلت تَخُدّ(٢) الأرضَ حتى انتهت إليه ، قال : ثم أمرها فرجعت إلى موضعها .

قال : فقال : ما أبالي من كذّبني بعدها من قومي

ثم قال البيهقي : أخبرنا الحاكم وأبو سعيد بن عمرو ، قالا : حدثنا الأصم ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بكير ، عن مبارك بن فضالة ، عن الحسن قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بعض شِعاب مكة وقد دخله من الغم ما شاء الله من تكذيب قومه إياه .

---

(١) غير ا من ضربة .

(٢) تخد : تشق .

فقال : يارب أرِنى ما أطمئن إليه ويذهب عنى هذا الغَم . فأوحى الله إليـه : ادع إليك أىَّ أغصان هذه الشجرة شئتَ .

قال : فدعا غصنا فانتزع من مكانه ثم خَدَّ فى الأرض حتى جاء رسول الله صلى الله عليـه وسلم فقال له رسول الله : ارجع إلى مكانك ، فرجع فَحَمِـد الله رسولُ الله وطَابَتْ نفسه .

وكان قد قال المشركون : أفَضَلْتَ أباك وأجدادك يامحمد ؟ ! فأنزل الله : « أَفَغَيْرَ الله تَأْمُرُونِّى أَعْبُدُ أيُّها الجاهلون (١) » الآيات .

قال البيهقى : وهذا المرسَل يشهد له ماقبله .

حـديث آخر

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن أبى ظَبْيَان ـ وهو حُصَين بن جُنْدَب ـ عن ابن عباس ، قال : أتى النبىَّ صلى الله عليه وسلم رجلٌ من بنى عامر فقال : يارسول الله أرنى الخاتم الذى بين كتفيك فإنى من أطَبِّ الناس .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أريك آية ؟ قال : بلى . قال : فنظر إلى نخلة فقال : ادع ذلك العِذق ، (٢) فدعاه فجاء يَنْقِز (٢) بين يديه .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارجع ، فرجع إلى مكانه .

فقال العامرىّ : يا آل بنى عامر ، مارأيتُ كاليوم رجلا أسْحَرَ من هذا .

هكذا رواه الإمام أحمد .

وقد أسنده البيهقى من طريق محمد بن أبى عبيدة ، عن أبيه ، عن الأعمش ، عن أبى ظبيان ، عن ابن عباس ، قال : جاء رجل من بنى عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) سورة الزمر .

(٢) العذق : النخلة بما عليها .

(١) ينقز : يثب .

فقـال : إن عندى طِبًّا وعلما فما تشتكى ؟ هل يريبك من نفسك شىء إلى ماتدعو ؟

قال : أدعو إلى الله والإسلام .

قال : فإنك لتقول قولا فهل لك من آية ؟ قال : نعم ، إن شئت أريتك آية . وبين يديه شجرة ، فقال لغصن منها : تعال ياغصن . فانقطع الغصن من الشجرة ثم أقبل يَنْقز حتى قام بين يديه ، فقـال : ارجع إلى مكانك فرجع .

فقال العامرى : يا آل عامر بن صعصعة لا ألومك على شىء قلته أبدا .

[وهذا يقتضى أنه سالَمَ الأمرَ ولم يُجِب من كل وجه (1)] .

وقد قال البيهقى: أخبرنا أبو الحسن على بن أحمد بن عبدان ،أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار حدثنا ابن أبى قماش ، حدثنا ابن عائشة ، عن عبد الواحد بن زياد ، عن الأعمش ، عن سالم بن أبى الجعد ، عن ابن عباس قال : جاء رجل إلى رسول الله فقال : ماهـذا الذى يقول أصحابك .

قال : وحَوْل رسول الله أعذاق وشجر، قال : فقال رسول الله : هل لك أن أريك آية ؟ قال : نعم . قال : فدعا عِـذْقا منها فأقبل يَخُدّ الأرضَ حتى وقف بين يديه يَخُدُّ الأرضَ ويسجد ويرفع رأسه حتى وقف بين يديه ثم أمره فرجع .

قال العـامرى وهو يقول : يا آل عامر بن صعصعة ! والله لا أكذّبه بشىء يقوله أبدا .

طريق أخرى فيها أن العامرى أسلم

قال البيهقى : أخبرنا أبو نصر بن قتادة ، أخبرنا أبو على حامد بن محمد بن الرّفّاء ، أخبرنا على بن عبدالعزيز ، حدثنا محمد بن سعيد بن الأصبهانى، أخبرنا شريك ، عن سِمَاك، عن أبى ظَبيان ، عن ابن عباس قال : جاء أعرابى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: بِمَ أعرف أنك رسول الله .

---

(١) من ت .

قال : أرأيت إن دعوتُ هذا العِذْق من هذه النخلة أتشهد أنى رسول الله ؟

قال : نعم .

قال فدعا العذقَ ، فجعل العذقُ ينزل من النخلة حتى سقط فى الأرض فجعل ينْقُز حتى أتى رسولَ الله ، ثم قال له : ارجع . فرجع حتى عاد إلى مكانه ، فقال : أشهد أنك رسول الله . وآمن .

قال البيهقى : رواه البخارى فى التاريخ عن محمد بن سعيد الأصبهانى .

قلت : ولعله قال أولًا إنه سِحْر ، ثم تبصَّر لنفسه فأسلم وآمن لما هداه الله عز وجل والله أعلم .

حديث آخر عن ابن عمر فى ذلك

قال الحاكم أبو عبد الله النيسابورى : أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله الورّاق ، أخبرنا الحسين بن سفيان ، أخبرنا أبو عبد الرحمن عبدالله بن عمر بن أبّان الجعفى ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن أبى حيّان ، عن عطاء ، عن ابن عمر قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفَر فأقبل أعرابى فلما دنا منه قال له رسول الله : أين تريد ، قال : إلى أهلى . قال : هل لك إلى خير ؟ قال ماهو ؟ قال : تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله .

قال : هل من شاهد على ماتقول ؟ قال : هذه الشجرة . فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى على شاطىء الوادى فأقبلت تخُدّ الأرضَ خدًّا ، فقامت بين يديه ، فاستشهدها ثلاثا فشهدت أنه كما قال ، ثم إنها رجعت إلى منبتها ورجع الأعرابى إلى قومه ، فقال : إنْ يتبعونى أتيتك بهم وإلا رجعت إليك وكنت معك .

وهذا إسناد جيد ولم يخرجوه ولا رواه الإمام أحمد والله أعلم .

باب

حنين الجذع شوقاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشفقاً من فراقه

وقد ورد من حديث جماعة من الصحابة بطرق متعددة تفيد القَطْع عند أئمة هذا الشأن وفرسان هذا الميدان .

الحديث الأول عن أُبَىّ بن كعب رضى الله عنه

قال الإمام أبو عبدالله بن محمد بن إدريس الشافعى رحمه الله : حدثنا إبراهيم بن محمد، قال : أخبرنى عبدالله بن محمد بن عقيل ، عن أبى الطفيل بن أُبَىّ بن كعب عن أبيه قال : كان النبىّ صلى الله عليه وسلم يصلِّى إلى جذع نخلة إذ كان المسجد عَرِيشاً ، وكان يخطب إلى ذلك الجذع .

فقال رجل من أصحابه : يا رسول الله هل لك أن نجعل لك منبراً تقوم عليه يوم الجمعة فتُسْمع الناس خطبتك ؟ قال : نعم .

فصنع له ثلاث درجات هنّ اللاتى على المنبر ، فلما صُنع المنبر ووضع موضعه الذى وضعه فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بدا النبى صلى الله عليه وسلم أن يقوم على ذلك المنبر فيخطب عليه ، فمرّ إليه ، فلما جاوز ذلك الجذع الذى كان يخطب إليه خار حتى تصدّع وانشق ، فنزل النبى صلى الله عليه وسلم لما سمع صوت الجِذْع فمسحه بيده ثم رجع إلى المنبر ، فلما هُدِم المسجد أخذ ذلك الجذْع أُبَىٌّ بن كعب رضى الله تعالى عنه ، فكان عنده حتى بلى وأكلته الأرضة وعاد رُفاتا .

وهكذا رواه الإمام أحمد بن حنبل ، عن زكريا بن عدى ، عن عبيد الله بن عمرو الرّقى ، عن عبدالله بن محمد ين عقيل ، عن الطفيل ، عن أبى بن كعب فذكره . وعنده:

فمسحه بيده حتى سكن ثم رجع إلى المنبر، وكان إذا صلى صلى إليه. والباقي مثله.

وقد رواه ابن ماجه، عن إسماعيل بن عبد الله الرقى، عن عبيد الله بن عمرو الرقى به.

الحديث الثانى عن أنس بن مالك رضى الله عنه

قال الحافظ أبو يعلى الموصلى: حدثنا أبو خَيْثَمة، حدثنا عمر بن يونس الحنفى: حدثنا عكرمة بن عمار، حدثنا إسحاق بن عبدالله بن أبى طلحة، حدثنا أنس بن مالك أن رسول الله كان يوم الجمعة يسند ظهره إلى جِذْع منصوب فى المسجد يخطب الناس.

فجاءه رُومِىٌّ فقال: ألا أصنع لك شيئا تقعد عليه كأنك قائم؟ فصنع له منبراً درجتان ويقعد على الثالثة.

فلما قعد نبى الله على المنبر خار كخُوَار الثور ارتجَّ لخُوَاره حزنا على رسول الله، فنزل إليه رسول الله من المنبر فالتزمه وهو يَخُور، فلما التزمه سكت. ثم قال: والذى نفس محمد بيده لو لم ألتزمه لما زال هكذا حتى يوم القيامة حزناً على رسول الله. فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن.

وقد رواه الترمذى، عن محمود بن غَيْلان، عن عمر بن يونس به وقال: صحيح غريب من هذا الوجه.

طريق أخرى عن أنس

قال الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده: حدثنا هُدْبَة، حدثنا حماد، عن ثابت، عن أنس، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يخطب إلى جذع نخلة، فلما اتخذ المنبر تحوّل إليه، فحنّ فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احتضنه فسكن، وقال: لو لم أحتضنه لحنّ إلى يوم القيامة.

وهذا رواه ابن ماجه ، عن أبي بكر بن خَلَّاد ، عن بَهْز بن أسد ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس . وعن حماد ، عن عمار بن أبي عمار ، عن ابن عباس به .

وهذا إسناد على شرط مسلم .

طريق أخرى عن أنس

قال الإمام أحمد : حدثنا هاشم ، حدثنا المبارك ، عن الحسن ، عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خَطب يوم الجمعة يُسند ظَهره إلى خَشبة ، فلما كَثُرَ الناس قال : ابنُوا لِي منبراً — أراد أن يُسْمِعهم — فبنوا له عتبتين ، فتحول من الخشبة إلى المنبر .

قال : فأخْبَرَ أنس بن مالك أنه سمع الخشبة تَحِنُّ حنينَ الواله . قال : فما زالت تَحنُّ حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنبر ، فمشى إليها فاحتضنها فسكنت .

تفرد به أحمد .

وقد رواه أبو القاسم البغوى ، عن شَيْبان بن فَرُّوخ ، عن مبارك بن فَضالة ، عن الحسن ، عن أنس ، فذكره وزاد : فكانَ الحسَن إذا حَدَّث بهذا الحديث بَكَى ثم قال : ياعباد الله الخشَبة تحنُّ إلى رسول الله شوقاً إليه لمكانه من الله ، فأنتم أحَقُّ أنْ تَشتاقوا إلى لقائه .

وقد رواه الحافظ أبو نعيم من حديث الوليد بن مسلم ، عن سالم بن عبد الله الخيَّاط عن أنس بن مالك . فذكره .

طريق أخرى عن أنس

قال أبو نُعيم : حدثنا أبو بكر بن خَلَّاد ، حدثنا الحارث بن محمد بن أبي أسامة ، حدثنا يعلى بن عبَّاد ، حدثنا الحكَم ، عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يخطب إلى جذع ، فحنّ الجذع فاحتضنه وقال : لو لم أحتضنه لحنّ إلى يوم القيامة .

الحـديث الثالث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما

قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا عبد الواحد بن أيمن ، عن أبيه ، عن جابر قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جذع نخلة .

قال : فقالت امرأة من الأنصار ـ وكان لها غلام نجار ـ : يارسول الله إن لي غلاماً نجاراً أفآمره أن يتخذ لك منبراً تخطب عليه ؟ قال : بلى .

قال : فاتخذ له منبراً ، قال : فلما كان يوم الجمعة خطب على المنبر قال : فأنّ الجـذعُ الذي كان يقوم عليه كما يَئِنّ الصبي .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن هذا [1] بكى لما فقد من الذِّكر .

هكذا رواه أحمد .

وقد قال البخاري : حدثنا عبد الواحد بن أيمن ، قال : سمعت أبي ، عن جابر بن عبد الله : أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخـلة ، فقالت امرأة من الأنصار [أو رجل] [2] : يارسول الله ألا نجعل لك منبراً ؟ قال : إن شئتم . فجعلوا له منبراً ، فلمـا كان يوم الجمعـة دفع إلى المنبر ، فصاحت النخلة صياحَ الصبي ، ثم نزل النبي صلى الله عليه وسلم فضمها إليه تئن أنينَ الصبي الذي يُسَـكَّن .

قال : كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذِّكر عندها .

وقد ذكره البخاري في غير ما موضع من صحيحه من حديث عبد الواحد بن أيمن ، عن أبيه ، وهو أيمن الحبشي المـكي مولى ابن أبي عَمْرة المخزومي ، عن جابر به .

طريق أخرى عن جابر

قال البخاري : حدثنا إسماعيل ، حدثني أخي ، عن سليمان بن بلال ، عن يحيى بن

---

(١) ا : فإن الجذع .   (٢) ليست في ا .

سعيد ، حدثنى حفص بن عُبيد الله بن أنس بن مالك ، أنه سمع جابر بن عبد الله الأنصارى يقول : كان المسجد مسقوفا على جذوع من نخل ، فكان النبى صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها ، فلما صُنع له المنبر (١) وكان عليه ، فسمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العِشَار ، حتى جاء النبى صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها فسكنت .

تفرَّد به البخارى.

طريق أخرى عنه

قال الحافظ أبو بكر البزَّار ، حدثنا محمد بن المثنَّى ، حدثنا أبو المساوِر ، حدثنا أبو عَوانة ، عن الأعمش ، عن أبى صالح — وهو ذَكْوان — عن جابر بن عبد الله ، وعن أبى إسحاق ، عن كُرَيب ، عن جابر قال : كانت خشَبة فى المسجد يخطب إليها النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : لو اتخذنا لك مثل الكرسى تقوم عليه ؟ ففعل فحنَّت الخشبة كما تحن الناقة الخَلُوج (٢) ، فأتاها فاحتضنها فوضع يده عليها فسكنت .

قال أبو بكر البزار : وأحسب أنا (٣) قد حُدِّثناه عن أبى عوانة عن الأعمش ، عن أبى صالح عن جابر ، وعن أبى إسحاق عن كُرَيب عن جابر بهذه القصة التى رواها أبو المُساوِر عن أبى عَوانة . وحدَّثناه محمد بن عثمان بن كَرامة ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن سعيد بن أبى كُرَيب ، عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه.

والصواب إنما هو سعيد بن أبى كُرَيب ، وكُرَيب خطأ ، ولا يُعلم يَرْوى عن سعيد ابن أبى كُرَيب إلا أبو إسحاق .

قلت : ولم يخرجوه من هذا الوجه وهو جيِّد .

---

(١) ا : قام .

(٢) الخلوج : الناقة التى اختلج عنها ولدها فقلَّ لبنها .

(٣) ا : وأحسب أبا كل

طريق أخرى عن جابر

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن سعيد بن أبى كُرَيب ، عن جابر بن عبد الله قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يخطب إلى خشبة فلما جُعل له منبر حَنَّت حنين الناقة فأتاها فوضع يده عليها فسكنت .

تفرد به أحمد .

طريق أخرى عن جابر

قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا محمد بن مَعْمَر ، حدثنا محمد بن كثير ، حدثنا سليمان بن كثير ، عن الزُّهرى ، عن سعيد بن المسيِّب ، عن جابر بن عبد الله ، قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يقوم إلى جذع قبل أن يُجعل له المنبر فلما جعل [له] [1] المنبر حن الجذع حتى سمعنا حنينه ، فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده عليه فسكن .

قال البزار : لا نعلم رواه عن الزهرى إلا سليمان بن كثير .

قلت : وهذا إسناد جيد رجاله على شرط الصحيح ، ولم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة .

وقال الحافظ أبو نُعَيم فى الدلائل : ورواه عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن الزهرى عن رجل سماه عن جابر . ثم أورده من طريق أبى عاصم [2] بن على، عن سليمان بن كثير ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب عن جابر مثله .

ثم قال : حدثنا أبو بكر بن خَلَّاد ، حدثنا أحمد بن على الخرَّاز ، حدثنا عيسى بن المساوِر ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن الأوزاعى ، عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة ،

---

(١) من ا .　　(٢) ا : طريق عاصم

عن جابر ، أن رسول الله كان يخطب إلى جذع فلما بنى المنبر حن الجذع فاحتضنه فسكن ، وقال : لو لم أحتضنه لحنَّ إلى يوم القيامة .

ثم رواه من حديث أبى عوانة ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن جابر ، وعن أبى إسحاق ، عن كريب ، عن جابر ، مثله .

طريق أخرى عن جابر رضى الله عنه

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا ابن جُرَيج ، ورَوْح قال : حدثنا ابن جريج : أخبرنا أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا خَطب يستند إلى جذع نخلة من سَوارِى المسجد ، فلما صُنع له منبره واستوى عليه فاضطربت تلك السارية كحنين الناقة حتى سمعها أهل المسجد ، حتى نزل إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتنقها فسكنت ، وقال رَوْح : فسكنت .

وهذا إسناد على شرط مسلم ولم يُخَرِّجوه .

طريق أخرى عن جابر

قال الإمام أحمد : حدثنا ابن أبى عَدِى ، عن سليمان ، عن أبى نَضْرة ، عن جابر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم فى أصل شجرة ، أو قال : إلى جذع ، ثم اتخذ منبراً قال : فحنَّ الجذع ، قال جابر : حتى سمعه أهل المسجد حتى أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسحه فسكن ، فقال بعضهم : لو لم يأته لحنَّ إلى يوم القيامة .

وهذا على شرط مسلم ، ولم يروه إلا ابن ماجه ، عن بُكَير[1] بن خلف ، عن ابن أبى عدى ، عن سليمان التيمى ، عن أبى نَضْرة المنذر بن مالك بن قطعة [العبدى البصرى ، عن جابر به][2] .

---

(١) ا : بكر
(٢) ليست فى ا

الحديث الرابع عن سهل بن سعد

قال أبو بكر بن أبي شَيبة : حدثنا سفيان بن عُيَينة ، عن أبي حازم ، قال : أتوا سهلَ بن سعد فقالوا من أي شيء منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستند إلى جِذْع في المسجد يصلى إليه إذا خطب ، فلما اتخذ المنبر فصعد حنّ الجذع حتى أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوطَّنه حتى سكَن .

وأصل هذا الحديث في الصحيحين ، وإسناده على شرطهما ، وقد رواه إسحاق بن راهويه ، [وابن أبي فُدَيك] عن عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد ، عن أبيه ، عن جده .

ورواه عبد الله بن نافع ، وابن وهب ، عن عبد الله بن عمر ، عن ابن عباس بن سهل ، عن أبيه ، فذكره .

ورواه ابن لَهِيعة ، عن عمارة بن عرفة ، عن [ابن][1] عباس بن سهل بن سعد ، عن أبيه ، بنحوه .

الحديث الخامس عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد، عن عمار بن أبي عمار ، عن ابن عباس [رضي الله عنهما] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب إلى جذع قبل أن يُتخذ المنبر ، فلما اتخذ المنبر وتحوّل إليه حنّ عليه فأتاه فاحتضنه فسكن ، قال : لو لم أحتضنه لحنّ إلى يوم القيامة .

---

(١) ليست في ا .

وهذا الإسناد على شرط مسلم ولم يروه إلا ابن ماجه من حديث حماد بن سلمة .

الحديث السادس عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

قال البخاري : حدثنا محمد [بن المثنى ، حدثنا يحيى][1] بن كثير أبو غسان ، حدثنا أبو حفص [واسمه عمر] بن العلاء ـ أخو أبي عمرو بن العلاء ـ قال : سمعت نافعا ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحنّ الجذع فأتاه فمسح يده عليه .

وقال عبد الحميد : أخبرنا عثمان بن عمر ، أخبرنا معاذ بن العلاء ، عن نافع بهذا .

ورواه أبو عاصم ، عن ابن أبي روّاد ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، هكذا ذكره البخاري .

وقد رواه الترمذي ، عن عمرو بن علي الفَلّاس ، عن عثمان بن عمرو ، ويحيى ابن كثير ، عن أبي غسان العنبري ، كلاهما عن معاذ بن العلاء به ، وقال : حسن صحيح غريب .

قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المِزّي في أطرافه : ورواه علي بن نصر بن علي الجَهْضَمي وأحمد بن خالد الخَلّال وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي [في آخرين] عن عثمان بن عمر ، عن معاذ بن العلاء قال : وعبد الحميد هذا ـ يعني الذي ذكره البخاري ـ يقال : إنه عَبْد ابن حُمَيد والله أعلم .

قال شيخنا : وقد قيل إن قول البخاري : عن أبي حفص واسمه عمرو بن العلاء ، وَهْمٌ ، والصواب معاذ بن العلاء كما وقع في رواية الترمذي .

---

(١) ليست في ا

قلت : وليس هذا ثابتا فى جميع النسخ ، ولم أر فى النسخة[1] التى كتبتُ منها تسميته بالكلّية والله أعلم .

وقد روى هذا الحديث الحافظ أبو نعيم من حديث عبد الله بن رجاء ، عن عبيد الله بن عمر ، ومن حديث أبى عاصم ، عن ابن أبى رَوَّاد ، كلاهما عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال تميم الدارِى ألا تتخذ لك منبرا . فذكر الحديث .

طريق أخرى عن ابن عمر رضى الله عنه

قال الإمام أحمد : حدثنا حسين ، حدثنا خلف ، عن أبى خَبّاب ـ وهو يحيى بن أبى حَيّة ـ عن أبيه ، عن عبد الله بن عمر قال : كان جذعُ نخلةٍ فى المسجدِ يُسْنِد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ظهرَهُ إليه إذا كانَ يومُ جمعة أو حدَث أمر يريد أن يكلم الناس فقالوا : ألا نجعل لك يارسول الله [شيئا][2] كقدر قيامك ؟ قال : لا عليكم أن تفعلوا ، فصنعوا له منبراً ثلاث مَراق ، قال : فجلس عليه .

قال : فخار الجذعُ كما تخُور البقرةُ جزَعاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتزمه ومسَحه حتى سكن . تفرد به أحمد .

الحديث السابع عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه

قال [عَبْد بن حميد][3] الليثى : حدثنا على بن عاصم ، عن الجريرى ، عن أبى نَضْرة العَبْدى ، حدثنى أبو سعيد الخدرى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة إلى جذع نخلة : فقال له الناس : يارسول الله إنه قد كثر الناس ـ يعنى المسلمين وإنهم ليحبون أن يروك ، فلو اتخذت منبرا تقوم عليه ليراك الناس ؟ قال : نعم ، من يجعل لنا هذا المنبر ؟ فقام إليه رجل فقال : أنا . قال : تجعله ؟ قال : نعم ، ولم يقل : إن شاء

---

(١) المطبوعة : النسخ .

(٢) ليست فى ا .

(٣) ا : عبد الرحمن بن حيد .

الله . قال : ما اسمك ؟ قال : فلان . قال : اقعد . فقعد ثم عاد فقال : من يحمل لنا هذا المنبر ؟ فقام إليه رجل فقال : أنا . قال : تحمله ؟ قال : نعم ، ولم يقل : إن شاء الله ، قال ما اسمك ؟ قال : فلان ، قال : اقعد . فقعد .

ثم عاد فقال : من يحمل لنا هذا المنبر ؟ فقام إليه رجل فقال : أنا ، قال :تحمله؟ قال: نعم ، ولم يقل : إن شاء الله ، قال : ما اسمك ؟ قال : فلان ، قال اقعد . فقعد .

ثم عاد فقال : من يحمل لنا هذا المنبر ؟ فقام إليه رجل فقال : أنا ، قال تحمله ؟ قال : نعم إن شاء الله ، قال : ما اسمك ؟ قال :إبراهيم قال: احمله ..

فلما كان يوم الجمعة اجتمع الناس للنبي صلى الله عليه وسلم فى آخر المسجد فلما صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فاستوى عليه استقبل الناسَ ، وحَنَّت النخلة حتى أسمعتنى وأنا فى آخر المسجد ، قال : فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنبر فاعتنقها ، فلم يزل حتى سكَنَت ثم عاد إلى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن هذه النخلة إنما حَنَّت شوقاً إلى رسول الله ، لَمَّا فارقها ، فوالله لو لم أنزل إليها فأعتنقها لما سكَنَتْ إلى يوم القيامة .

وهذا إسناد على شرط مسلم ، ولكن فى السياق غرابة. والله تعالى أعلم .

طريق أخرى عن أبى سعيد

قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا مسروق بن المرْزبانى ، حدثنا زكريا ، عن مُجَالِد ، عن أبى الوَدَّاك وهو جبر بن نَوْف ، عن أبى سعيد قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يقوم إلى خشبة يتوكأ عليها يخطب كل جمعة حتى أتاه رجل من الروم فقال : إن شئت جعلت لك شيئا إذا قعدت عليه كنت كأنك قائم . قال : نعم .

قال : فجعل له المنبر ، فلما جلس عليه حنت الخشبة حنينَ الناقة على ولدها، حتى نزل النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها ، فلما كان الغد رأيتها قد حُوِّلت ، فقلنا :

ماهذا ؟ قالوا : جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر البارحة فحولوها .

وهذا غريب أيضا .

الحديث الثامن عن عائشة رضى الله عنها

رواه الحافظ من حديث على بن أحمد الحوّار ، عن قَبيصة ، عن حِبَّان بن على ، عن صالح بن حبان ، عن عبد الله بن بُرَيْدَة ، عن عائشة . فذكر الحديث بطوله وفيه أنه خيّره بين الدنيا والآخرة ، فاختار الجذعُ الآخرةَ وغار حتى ذهب فلم يُعرف .

هذا حديث غريب إسناداً ومتنا .

الحديث التاسع عن أم سلمة رضى الله عنها

روى أبو نُعَيم من طريق شريك القاضى وعمرو بن أبى قيس ومُعَلّى بن هلال ، ثلاثتهم عن عمار الدُّهْنى (١) ، عن أبى سَلَمة بن عبد الرحمن ، عن أم سلمة قالت : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم خشبة يستند إليها إذا خطب ، فصنع له كرسىّ أو منبر فلمّا فقدَتْه خارَتْ كما يخور الثور ، حتى سمع أهلُ المسجد ، فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكنَتْ .

هذا لفظ شَريك ، وفى رواية مُعَلّى بن هلال : أنها كانت من دَوْم

وهذا إسناد جيد ولم يخرجوه .

وقد روى الإمام أحمد والنسائى من حديث عمار الدُّهنِىّ عن أبى سلمة ، عن أم سلمة ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوائم منبرى فى زواية فى الجنة .

وروى النسائى أيضا بهذا الإسناد : مابين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة .

فهذه الطرق من هذه الوجوه تفيد القطع بوقوع ذلك عند أئمة هذا الفن ، وكذا من تأمّلها

---

(١) المطبوعة : الذهبي . وهو تحريف . وهو عمار بن معاوية الدهنى ، نسب إلى دهن بن معاوية وهو بطن من بجيلة . اللباب ١/٤٣٤ .

وأنعم فيها النظر والتأمل مع معرفته بأحوال الرجال . وبالله المستعان .

وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرني أبو أحمد ابن أبي الحسن ، حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ، قال : قال أبي – يعني أبا حاتم الرازي – قال عمرو بن سَوّاد ، قال لي الشافعي : ما أعطى الله نبيا ما أعطى محمدا صلى الله عليه وسلم فقلت له : أعطى عيسى إحياء الموتى . فقال : أعطى محمد الجذع الذي كان يخطب إلى جنبه حتى هُيّئ له المنبر ، فلما هيّئ له المنبر حنّ الجذع حتى سمع صوته ، فهذا أكبر من ذلك .

باب

تسبيح الحصى فى كفه عليه الصلاة والسلام

قال الحافظ أبو بكر البيهقى : أخبرنا أبو الحسن على بن أحمد بن عَبْدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفّار ، حدثنا الكُدَيْمى ، حدثنا قريش بن أنس ، حدثنا صالح بن أبى الأخضر ، عن الزهرى ، عن رجل يقال له سُوَيد بن يزيد السلمى ، قال : سمعت أبا ذر يقول : لا أذكر عثمانَ إلا بخير بعد شيء رأيته .

كنت رجلا أتبع خَلواتِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأيته يوما جالسا وحده ، فاغتنمت خَلْوته فجئت حتى جلست إليه فجاء أبو بكر فسلَّم عليه ثم جلس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء عمر فسلم وجلس عن يمين أبى بكر ثم جاء عثمان فسلم ثم جلس عن يمين عمر .

وبينَ يدَىْ رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع حصَيَات ، أو قال : تسع حصيات ، فأخذهن فى كفه فسبَّحن حتى سمعت لهن حَنِيناً كحنين النَّحْل ، ثم وضعهن فخرسن ثم أخذهن فوضعهن فى كف أبى بكر فسبَّحْن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النَّحْل ، ثم وضعهن فخرسن ، ثم تناولهن فوضعهن فى يد عمر فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النَّحْل ، ثم وضعهن فخرسن ، ثم تناولهن فوضعهن فى يد عثمان فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ، ثم وضعهن فخرسن ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : هذه خلافة النبوة .

قال البيهقى : وكذلك رواه محمد بن يسار ، عن قريش ، بن أنس عن صالح بن أبى

الأخضر ، وصالح لم يكن حافظا ، والمحفوظ [رواية شعيب بن (١)] أبى حمزة عن الزهرى ، قال : ذكر الوليد بن سُوَيد [هذا الحديث عن أبى ذر هكذا ، قال البيهقى : وقد قال محمد بن يحيى الذُّهْلى فى الزهريات التى جمع فيها أحاديث الزهرى : حدثنا أبو اليمان ، حدثنا شعيب قال : ذكر الوليد بن سويد (٢)] أن رجلا من بنى سُلَيم كبير السن كان ممن أدرك أبا ذَرّ بالرَّبْذة ذكر أنه بينما هو قاعد يوما فى ذلك المجلس وأبو ذر فى المجلس إذ ذكر عثمان بن عفان ، يقول السُّلَمى : فأنا أظن أن فى نفس أبى ذر على عثمان مَعْتَبة لإنزاله إياه بالرَّبْذة ، فلما ذُكر له عثمان عرض له أهل العلم بذلك ، وهو يظن أن فى نفسه عليه معتبة .

فلما ذكره قال : لا تقل فى عثمان إلا خيرا ، فإنى أشهد لقد رأيت منه منظرا وشهدت منه مشهدا لا أنساه حتى أموت ، كنت رجلا ألتمس خَلَوات النبى صلى الله عليه وسلم لأسمع منه أو لآخذ عنه ، فهَجَّرت يوما من الأيام ، فإذا النبى صلى الله عليه وسلم قد خرج من بيته ، فسألت عنه الخادم فأخبرنى أنه فى بيت . فأتيته وهو جالس ليس عنده أحد من الناس ، وكأنى حينئذ أرى أنه فى وَحْى ، فسلمت عليه فرد السلام ، ثم قال : ما جاء بك ؟ فقلت : جاء بى الله ورسوله . فأمرنى أن أجلس فجلست إلى جنبه ، لا أسأله عن شىء ولا يذكره لى ، فمكثت غير كثير .

فجاء أبو بكر يمشى مسرعا فسلم عليه فرد السلام ثم قال : ماجاء بك ؟ قال : جاء بى الله ورسوله . فأشار بيده أن اجلس ، فجلس إلى رَبْوة مقابلَ النبى صلى الله عليه وسلم بينه وبينها الطريق ، حتى إذا استوى أبو بكر جالسا فأشار بيده فجلس إلى جنبى عن يمينى .

ثم جاء عمر ففعل مثل ذلك ، وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك ،

---

(١) من ا . (٢) سقط من ا .

وجلس إلى جنب أبي بكر على تلك الربوة .

ثم جاء عثمان فسلم فرد السلام وقال : ماجاء بك ؟ قال : جاء بي الله ورسوله ، فأشار إليه بيده فقعد إلى الربوة ثم أشار بيده فقعد إلى جنب عمر .

فتكلم النبي صلى الله عليه وسلم بكلمة لم أفقه أولها غير أنه قال : قليل مايبقين ، ثم قبض على حصيات سبع أو تسع أو قريب من ذلك، فسبّحن في يده حتى سُمع لهن حنين كحنين النّحل في كف النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم ناولهن أبا بكر وجاوزني فسبحن في كف أبي بكر كما سبحن في كف النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم أخذهن منه فوضعهن في الأرض فخرَسْن فصِرْن حَصًى ، ثم ناولهن عمر فسبّحن في كفه كما سبحن في كف أبي بكر ، ثم أخذهن فوضعهن في الأرض فخرسن ، ثم ناولهن عثمان فسبحن في كفه نحو ما سبحن في كف أبي بكر وعمر ، ثم أخذهن فوضعهن في الأرض فخرسن .

قال الحافظ ابن عساكر : رواه صالح بن أبي الأخضر ، عن الزهري ، فقال : عن رجل يقال له سُوَيد بن يزيد السلمي ، وقول شعيب أصح ، [وقال أبو نعيم في كتاب دلائل النبوة : وقد روى داود بن أبي هند ، عن الوليد بن عبد الرحمن الجَرَشي ، عن جُبَير بن نُفَير ، عن أبي ذر مثله . ورواه شَهر بن حَوْشَب وسعيد بن المسيَّب عن أبي سعيد . قال : وفيه عن أبي هريرة][1] . وقد تقدم مارواه البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل .

حديث آخر في ذلك

روى الحافظ البيهقي من حديث عبد الله بن عثمان بن إسحاق بن سعد بن أبي وقاص ، قال : حدثني أبو أمي مالك بن حمزة بن أبي أُسَيد الساعديّ ، عن أبيه ،

---

(١) ليست في ا .

عن جده أبي أُسَيد الساعدى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب : يا أبا الفضل لا تَرِم[1] منزلك غدا أنت وبنوك حتى آتيكم ، فإن لى فيكم حاجةً . فانتظروه حتى جاء بعد ما أضحى .

فدخل عليهم فقال : السلام عليكم . فقالوا : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته .

قال : كيف أصبحتم ؟ قالوا : أصبحنا بخير نحمد الله .

فكيف أصبحتَ بأبينا وأمنا أنت يارسول الله ؟ قال : أصبحت بخير أحمد الله .

فقال لهم : تقارَبوا تقاربوا يَزْحف بعضكم إلى بعض . حتى إذا أمْكنوه اشتمل عليهم بملاءته وقال : يارب هذا عمى وصِنْو أبى ، وهؤلاء أهل بيتى فاسترْهم من النار كسَتْرى إياهم بملاءتى هذه .

وقال : فأمَّنَتْ أُسْكُفَّة الباب وحوائط البيت فقالت : آمين آمين آمين .

وقد رواه أبو عبد الله بن ماجه فى سننه مختصرا عن أبى إسحاق إبراهيم بن عبد الله ابن حاتم الهرَوى ، عن عبد الله بن عثمان بن إسحاق بن سعد بن أبى وقاص الوَقَّاصى الزهرى ، روى عنه جماعة ، وقد قال ابن مَعِين : لا أعرفه ، وقال أبو حاتم : يروى أحاديث مُشْبِهة .

حديث آخر

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن أبى بُكَير ، حدثنا إبراهيم بن طَهْمَان ، حدثنى سِمَاك بن حَرْب ، عن جابر بن سَمُرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى لأَعرف حجرا بمكة كان يُسَلِّم علىَّ قبل أن أبعث ، إنى لأعرفه الآن .

---

(١) لا ترم : لا تبرح .

رواه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة ، عن يحيى بن أبى بكير به .

ورواه أبو داود الطيالسى ، عن سليمان بن معاذ ، عن سِماك به .

حديث آخر

قال الترمذى : حدثنا عَبّاد بن يعقوب الكوفى ، حدثنا الوليد بن أبى ثور ، عن السُّدى ، عن عَبّاد بن أبى يزيد ، عن على أبى طالب ، قال : كنت مع النبىّ صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله .

ثم قال : وهذا حديث حسن غريب .

وقد رواه غير واحد عن الوليد بن أبى ثَوْر ، وقالوا : عن عَبّاد بن أبى يزيد ، منهم فَرْوة بن أبى الفرّاء .

ورواه الحافظ أبو نُعيم من حديث زياد بن خَيْثمة ، عن السُّدى ، عن أبى عمارة الخَيْوانى ، عن على قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل لايمر على شجر ولا حجر إلا سلَّم عليه .

وقدّمنا فى المبعث أنه عليه السلام لمّا رجع وقد اوحى إليه جعل لا يمر بحجر ولا شجر ولا مَدَر ولا شىء إلا قال له : السلام عليك يا رسول الله .

وذكرنا فى وقعة بدر ووقعة حنين رَمْيَه عليه السلام بتلك القبضة من التراب ، وأمره أصحابه أن يتبعوها بالحملة الصادقة فيكون النصر والظفر والتأييد عقب ذلك سريعا .

أما فى وقعة بدر فقد قال الله تعالى فى سياقها فى سورة الأنفال : « وما رَمَيْتَ إذ رميت ولكن الله رمى » الآية

وأما فى غزوة حنين فقد ذكرناه فى الحديث بأسانيده وألفاظه بما أغنى عن إعادته ها هنا ولله الحمد والمنة .

حديث آخر

ذكرنا فى غزوة الفتح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل المسجد الحرام فوجد الأصنام حول الكعبة فجعل يَطْعنها بشىء فى يده ويقول : « جاء الحقُّ وزَهَق الباطلُ إن الباطل كان زَهُوقا ، قل جاء الحق وما يُبْدِئُ الباطلُ وما يُعيد » .

وفى رواية أنه جعل لا يُشير إلى صنم منها إلا خَرَّ لقفاه ، وفى رواية : إلا سقط .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضى ، قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا بحر بن نصر وأحمد بن عيسى اللَّخمى ، قالا : حدثنا بشر بن بكر ، أخبرنا الأوزاعى ، عن ابن شهاب ، أنه قال : أخبرنى القاسم بن محمد ابن أبى بكر الصديق ، عن عائشة قالت : دخل علىَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مستترة بِقِرَام[1] فهتكه ثم قال : إن أشدَّ الناس عذابا يوم القيامة الذين يُشَبِّهون بخَلْق الله .

قال الأوزاعى : وقالت عائشة : أُتِى[2] رسول الله صلى الله عليه وسلم بتُرْس فيه تمثال عُقَاب فوضع عليه يده فأذهبه الله عز وجل .

---

(١) القرام : ثوب ملون من صوف فيه نقوش .

(٢) ا : أتانى .

باب ما يتعلق بالحيوانات من دلائل النبوة

قصة البعير النادّ وسجوده له وشكواه إليه صلوات الله وسلامه عليه

قال الإمام أحمد : حدثنا حسين ، حدثنا خلف بن خليفة ، عن حفص - هو ابن عمر - عن عمه أنس بن مالك ، قال : كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يَسْنُون(١) عليه وأنه استصعب عليهم فمنعهم ظهره، وإن الأنصار جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : إنه كان لنا جمل نَسْنِي عليه وأنه استصعب علينا ومنعنا ظَهره ، وقد عطش الزرع والنخل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : قوموا .

فقاموا فدخل الحائط والجمل فى ناحيته ، فمشى النبى صلى الله عليه وسلم نحوه ، فقالت الأنصار : يارسول الله إنه قد صار مثل الكلب الكَلِب وإنا نخاف عليك صَوْلته . فقال : ليس علىّ منه بأس .

فلما نظر الجمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل نحوه حتى خرّ ساجدا بين يديه ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بناصيته أذلّ ما كانت قط ، حتى أدخله فى العمل .

فقال له أصحابه : يارسول الله هذه بهيمة لاتَعقِل تسجد لك ! ونحن أحق أن نسجد لك . فقال : لايَصْلح لبشَر أن يسجد لبشر ، ولو صَلُح لبشر أن يسجد لبشر لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها من عِظَم حقه عليها ، والذى نفسى بيده لو كان من قدَمه إلى مَفْرِق رأسه قرحة تَنْبَجِسُ(٢) بالقيح والصديد ثم استقبلته فلحسته(٣) ماأدّت حقه .

---

(١) يسنون : يسقون .

(٢) غير ا : تنفجر .

(٣) ا : تلحسه

وهذا إسناد جيد ، وقد روى النسائي بعضه من حديث خلف بن خليفة به .

رواية جابر في ذلك

قال الإمام أحمد : حدثنا مُصْعَب بن سلّام سمعته من أبي مرتين ، حدثنا الأَجْلَح ، عن الذيَّال بن حَرْمَلة ، عن جابر بن عبد الله قال : أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفَر حتى إذا دفعنا إلى حائط من حيطان بني النجار ، إذا فيه جمل لا يدخل الحائط أحدٌ إلا شَدَّ عليه .

قال : فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء حتى أتى الحائط فدعا البعير فجاء واضعا مِشْفَره إلى الأرض حتى برك بين يديه .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هاتوا خِطاما[1] . فخطمه ودفعه إلى صاحبه .

قال : ثم التفت إلى الناس فقال : إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أني رسول الله إلا عاصِي الجن والإنس .

تفرد به الإمام أحمد ، وسيأتي عن جابر من وجه آخر بسياق آخر إن شاء الله وبه الثقة .

رواية ابن عباس

قال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا بِشْر بن موسى ، حدثنا يزيد بن مهران أخو خالد الخبَّار ، حدثنا أبو بكر بن عَيَّاش ، عن الأجلح ، عن الذيَّال بن حَرملة ، عن ابن عباس قال : جاء قوم إلى رسول الله قالوا : يارسول الله إن لنا بعيرا قد نَدَّ في حائط . فجاء إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : تَعَال . فجاء مُطأطئا رأسه حتى خطمه وأعطاه أصحابه .

---

(١) ا : خاطما .

فقال له أبو بكر الصديق : يارسول الله ، كأنه عَلِم أنك نبي .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بين لابتَيْها أحدٌ إلا يعلمُ أنّي نبي الله إلا كفَرة الجن والإنس .

وهذا من هذا الوجه عن ابن عباس غريب جدا ، والأشبه رواية الإمام أحمد عن جابر ، اللهم إلا أن يكون الأجلح قد رواه عن الذيّال ، عن جابر ، وعن ابن عباس والله أعلم .

طريق أخرى عن ابن عباس

قال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا العباس بن الفضل الأسْفَاطي ، حدثنا أبوعَون الزيادي ، حدثنا أبو عَزّة الدبّاغ ، عن أبي يزيد المديني ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رجلا من الأنصار كان له فَحْلان فاغتلَما فأدخلهما حائطا فسدّ عليهما الباب .

ثم جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يدعو له ، والنبي قاعد معه نفر من الأنصار ، فقال : يانبي الله إني جئت في حاجة ، فإن فحلين لي اغتلما ، وإني أدخلتهما حائطا وسددتُ عليهما الباب ، فأحب أن تدعو لي أن يسخّرهما الله لي . فقال لأصحابه : قوموا معنا .

فذهب حتى أتى الباب فقال : افتح . فأشفق الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم . فقال : افتح . ففتح الباب فإذا أحد الفحلين قريبا من الباب ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم سجدَ له ، فقال رسولُ الله : ائت بشيء أشدُّ رأسَه وأُمكِّنُك منه ، فجاء بخِطَام فشد رأسه وأمكنه منه ، ثم مشى إلى أقصى الحائط إلى الفحل الآخر ، فلما رآه وقع له ساجدا . فقال للرجل : ائتني بشيء أشد رأسه . فشد رأسه وأمكنه منه ، فقال : اذهب فإنهما لا يعصيانك .

فلما رأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك قالوا : يارسول الله هـذان خلان سجدا لك ، أفلا نسجد لك ؟

قال: لا آمر أحدا أن يسجد لأحد ، ولو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها .

وهذا إسناد غريب ومتن غريب .

[ورواه الفقيه أبو محمد عبد الله بن حامد فى كتابه دلائل النبوة ، عن أحمد بن حمدان السِّجْزى ، عن عمر بن محمد بن بَجِير البجترى ، عن بشر بن آدم ، عن محمد بن عون أبى عون الزيادى به .

وقد رواه أيضا من طريق مكى بن إبراهيم ، عن فائدٍ أبى الوَرْقاء ، عن عبد الله بن أبى أوْفَى عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحو ماتقدم عن ابن عباس .

رواية أبى هريرة

قال أبو محمد عبد الله بن حامد الفقيه : أخبرنا أحمد بن حمدان ، أنبأنا عمر بن محمد ابن بجير ، حدثنا يوسف بن موسى ، حدثنا جرير ، عن يحيى بن عبيد الله ، عن أبيه ، عن أبى هريرة قال : انطلقنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ناحيـة فأشرفنا إلى حائط فإذا نحن بناضح ، فلما أقبل الناضحُ رفع رأسه فبَصُر برسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع جِرَانه [1] على الأرض ، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: فنحن أحق أن نسجد لك من هذه البهيمة . فقال : سبحان الله ، أدون الله ! ما ينبغى لأحد أن يسجد لأحد دون الله ، ولو أمرت أحداً أن يسجد لشىء من دون الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها [2]] .

---

(١) الجران : مقدم عنق البعير من مذبحه إلى منحره .   (٢) من ت .

رواية عبد الله بن جعفر فى ذلك

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا مهدى بن ميمون ، عن محمد بن أبى يعقوب ، عن الحسن بن سعد ، عن عبد الله بن جعفر ، حدثنا بَهْز وعفان قالا : حدثنا مهدى ، حدثنا محمد بن أبى يعقوب ، عن الحسن بن سعد — مولى الحسن بن على — عن عبد الله بن جعفر قال : أردفنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم خلفه فأسرّ إلى حديثا لا أخبر به أحدا أبدا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب ما استتر به فى حاجته هَدَف أو حائش[1] نخل ، فدخل يوما حائطا من حيطان الأنصار فإذا جمل قد أتاه فجَرْجر[2] وذَرَفت عيناه .

وقال بَهز وعفان : فلما رأى رسول الله حَنّ وذرفت عيناه ، فمسح رسول الله سَرَاته وذِفْراه[3] فسكن .

فقال : من صاحب الجمل ؟ فجاء فتى من الأنصار قال : هو لى يا رسول الله ، فقال : أما تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملّككها الله لك ؟ : إنه شكا إلىّ أنك تُجيعه وتُدْئبه[4] .

وقد رواه مسلم من حديث مهدى بن ميمون به .

رواية عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها فى ذلك

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد وعفان قالا : حدثنا حماد — هو ابن سلمة — عن على بن زيد ، عن سعيد بن المسيّب ، عن عائشة أن رسول الله صلى الله وسلم كان فى نفر من المهاجرين والأنصار فجاء بعير فسجد له ، فقال أصحابه : يا رسول الله تسجد لك البهائم والشجر ، فنحن أحق أن نسجد لك . فقال : اعبدوا ربكم وأكرموا أخاكم ،

---

(١) الحائش: جماعة النخل ، لا مفرد له .
(٢) جرجر : ردد صوته فى حنجرته .
(٣) السراة : الظهر . والذفرى : العظم الشاخص خلف الأذن .
(٤) تدئبه : تتعبه .

ولو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرتُ المرأةَ أن تسجد لزوجها ، ولو أمرها أن تنقل من جبل أصفر إلى جبل أسود ومن جبل أسود إلى جبل أبيض كان ينبغى لها أن تفعله .

وهذا الإسناد على شرط السنن ، وإنما روى ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة عن عفـان عن حماد به : لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها إلى آخـره :

رواية يَعْلى بن مُرة الثقفى ، أو هى قصة أخرى

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو سلمة الخزاعى ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن عاصم بن بَهْدلة ، عن حسين ، عن أبى جبيرة ، عن يعلى بن سيَّابة قال : كنت مع النبى صلى الله عليـه وسلم فى مَسِير له فأراد أن يقضى حاجته فأمر وَدِيَّتين [1] فانضمت إحـداهما إلى الأخـرى ، ثم أمرهما فرجعتا إلى منابتهما ، وجاء بعـير فضرب بجِرَّانه إلى الأرض ثم جَرْجَر حتى ابتلّ ما حوله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :أتدرون مايقول البعير . إنه يزعم أن صاحبه يريد نحره .

فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أواهبه أنت لى ؟ فقال: يارسول الله مالى مالٌ أحب إلىّ منه . فقال : استوص به معروفا . فقال : لاجَرم لا أكرم مالا لى كرامتَه يارسول الله .

قال : وأتى على قبر يعذَّب صاحبـه فقال : إنه يعـذَّب فى غير كبير . فأمر بجريدة فوضعت على قبره . وقال : عسى أن يخفَّف عنه مادامت رَطْبة .

طريق أخرى عنه

قال الإمام أحمد : حـدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا مَعمر عن عطاء بن السائب ، عن

(١) الودى : صغار النخل .

عبد الله بن جعفر ، عن يعلى بن مُرّة الثقفى ، قال : ثلاثة أشياء رأيتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بينا نحن نسير معه إذ مررنا ببعير يُسْنَى عليه ، فلما رآه البعير جَرْجَر ووضع جِرانه فوقف عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال أين صاحب هذا البعير ؟ فجاء ، فقال : بِعْنيه ، فقال : لا بل أهبه لك فقال : لا بل بعنيه . قال : لا بل نهبه لك إنه لأهل بيت مالهم معيشة غيره . قال : أمَا إذ ذكرت هذا من أمره فإنه شكا كثرةَ العمل وقلةَ العلف فأحسنوا إليه .

قال : ثم سِرْنا فنزلنا منزلا فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءت شجرة تشق الأرض حتى غشيته ثم رجعت إلى مكانها ، فلما استيقظ ذكرتُ له ، فقال : هى شجرة استأذنت ربها عز وجل فى أن تسلِّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لها .

قال : ثم سِرْنا فمررنا بماء فأتته امرأة بابن لها به جِنّة ، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بمنخره فقال : اخرج إنى محمد رسول الله . قال : ثم سرنا فلما رجعنا من سفرنا مررنا بذلك الماء فأتته امرأة بجزر (١) ولبن ، فأمرها أن تردَّ الجزر وأمر أصحابه فشربوا من اللبن ، فسألها عن الصبي فقالت : والذى بعثك بالحق نبياً مارأينا منه رَيْباً بعدك .

طريق أخرى عنه

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن نُمَير ، حدثنا عثمان بن حكيم ، أخبرنى عبد الرحمن بن عبد العزيز ، عن يَعْلى بن مرة قال : لقد رأيت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا مارآها أحد قبلى ، ولا يراها أحد بعدى : لقد خرجت معه فى سفر حتى إذا كنا ببعض الطريق مررنا بامرأة جالسة معها صبى لها فقالت : يارسول الله هذا صبى أصابه بلاء وأصابنا منه بلاء ، يؤخذ فى اليوم ما أدرى كم مرة .

---

(١) الجزر : ما يذبح من الشاه .

قال : ناولينيه ، فرفعته إليه فحملته بينه وبين واسطة الرَّحْل ، ثم فغَرَ فاهُ فنفث فيه ثلاثا وقال : بسم الله أنا عبد الله ، اخسأْ عدوّ الله . ثم ناولها إياه ، فقال : القينا فى الرَّجْعة فى هذا المكان ، فأخبرينا مافعل .

قال : فذهبنا ورجعنا فوجدناها فى ذلك المكان معها شِيَاه ثلاث ، فقال : مافعل صبيك ؟ فقالت : والذى بعثك بالحق ما حَسَسْنا منه شيئا حتى الساعة . فاجتَزِرْ هذه الغنم . قال : انزل فخذ منها واحدة وردَّ البقية .

قال : وخرجت ذات يوم إلى الجبَّانة حتى إذا برزنا قال : ويحك انظر هل ترى من شىء يوارينى ؟ قلت : ما أرى شيئا يواريك إلا شجرة ما أُراها تواريك . قال : فما بقُرْبها ؟ قلت : شجرة مثلها أو قريب منها . قال : فاذهب إليهما فقل : إن رسول الله يأمركما أن تجتمعا بإذن الله . قال : فاجتمعتا فبرز لحاجته ثم رجع ، فقال : اذهب إليهما فقل لهما : إن رسول الله يأمركما أن ترجع كل واحدة منكما إلى مكانها . فرجعت .

قال : وكنت معه جالسا ذات يوم إذ جاء جمل نَجِيب حتى ضرب[(١)] بجِرَانه بين يديه ثم ذَرفت عيناه ، فقال : ويحك انظر لمن هذا الجمل إن له لشأنا . قال : فخرجت ألتمس صاحبه فوجدته لرجل من الأنصار فدعوته إليه فقال : ماشأن جملك هذا ؟ فقال وما شأنه ؟ قال : لاأدرى والله ما شأنه ، عملنا عليه ونضَحْنا عليه حتى عجز عن السقاية فائتمرنا البارحة أن ننحره ونقسم لحمه .

قال : فلا تفعل ، هبه لى أو بعنيه . فقال : بل هو لك يارسول الله ، فوسَمه بِسِمَة الصدقة ثم بعث به .

طريق أخرى عنه

قال الإمام أحمد : حدثنا وَكِيع ، حدثنا الأعمش ، عن المِنْهال بن عَمْرو ، عَنْ يَعْلى

---

(١) المطبوعة : صوى .

ابن مُرَّة الثقفى ، عن أبيـه ، ولم يقل مُرَّة عن أبيـه ، أن امرأة جاءت إلى رسول الله معها صبي لها به لَمَم[1] ، فقال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : اخرج عـدوّ الله أنا رسول الله .

قال : فبرئ ، قال : فأهدت إليه كبشين وشيئا من أقط وشيئا من سمن ، قال : فقال رسول الله : خـذ الأقط والسمن وأحدَ الـكبشين ورُدَّ عليها الآخر ، ثم ذكر قصة الشجرتين كما تقدم .

وقال أحمد : حدثنا أسود ، حدثنا أبو بكر بن عَيَّاش ، عن حبيب بن أبي عمرة ، عن المنهال بن عمرو ، عن يعلى قال : ماأظن أن أحداً من الناس رأى من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا دونَ مـارأيت . فذكر أمْرَ الصبي والنخلتين وأمْر البعير ، إلا أنه قال : ما لبعيرك يشكوك ؟ زعم أنك سانَيْته حتى إذا كبِر تريد تنحره .

قال : صدقت والذى بعثك بالحق قد أردت ذلك ، والذى بعثك بالحق لاأفعل .

طريق أخرى عنه

روى البيهقى عن الحاكم وغيره عن الأصم : حدثنا عباس بن محمد الدُّورى ، حدثنا حمدان بن الأصبهانى ، حدثنا يزيد ، عن عمرو بن عبد الله بن يَعْلى بن مُرة ، عن أبيه ، عن جده قال : رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أشياء مارآها أحـد قبلى . كنت معه فى طريق مكة فمرّ بامرأة معها ابن لها به لَمَم مارأيت لمما أشدَّ منه ، فقالت : يارسول الله ابنى هذا كما ترى . فقال إن شئتِ دعوتُ له . فدعا له .

ثم مضى فمر على بعيرٍ نادٍّ جِرانه يرغو ، فقال : علىَّ بصاحب هـذا البعيرِ . فجيء

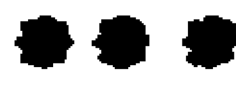
(٢) غير ا : عن يعلى بن مرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أتته امرأة بابن لها قد أصابه لمم .

به ، فقال : هـذا يقول : نَتَجْتُ عندهم فاستعملونى حتى إذا كبرتُ عندهم أرادوا أن ينحَرونى .

قال : ثم مضى ورأى شجرتين متفرقتين فقال لى : اذهب فرْهما فليجتمعا لى . قال : فاجتمعتا فقضى حاجته .

قال : ثم مضى فلما انصرف مرّ على الصبي وهو يلعب مع الغلمان وقد ذهب مابه وهيأت أمه أكبشا فأهدت له كبشين ، وقالت : ماعاد إليه شىء من اللَّمَم .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : مامن شىء إلا ويعلم أنى رسول الله ، إلا كفرة أو فسقة الجن والإنس .



فهذه طرق جيدة متعددة تفيد غلبة الظن أو القطع عند المتبحّرين ، أن يعلى بن مُرَّة حدث بهذه القصة فى الجملة ، وقد تفرد بهذا كله الإمام أحمد دون أصحاب الكتب الستة ولم يرو أحد منهم شيئا سوى ابن ماجه فإنه روى عن يعقوب بن حميد بن كاسب ، عن يحيى بن سُلَيْم ، عن ابن خُثَيم عن يونس بن خَبَّاب[1] ، عن يعلى بن مُرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا ذهب إلى الغائط أبعَد .

وقد اعتنى الحافظ أبو نُعَيم بحديث البعير فى كتابه « دلائل النبوة » وطرقه من وجوه كثيرة .

ثم أورد حديث عبد الله بن قرط الثمالى قال : جيء رسول الله صلى الله عليه وسلم بست ذَود فجعلن يزدلفن إليه بأيتهن يبدأ ، وقد قدمت الحديث فى حجة الوداع .

قلت : قد أسلفنا عن جابر بن عبد الله نحو قصة الشجرتين ، وذكرنا آنفا عن غير

(١) كان رافضيا قال يحيى بن سعيد : كان كذابا ، وقال ابن معين : رجل سوء ضعيف ، وقال ابن حبان : لا تحل الرواية عنه ، وقال البخارى : منكر الحديث . ميزان الاعتدال ٤/٤٧٩ .

واحد من الصحابة نحواً من حديث الجمل لكن بسياق يشبه أن يكون غير[1] هذا فالله أعلم .

وسيأتى حديث الصبى الذى كان يُصْرَع ودعاؤه عليه السلام له وبرؤه فى الحال من طرق أخرى .

وقد روى الحافظ البيهقى عن أبى عبد الله الحاكم وغيره ، عن أبى العباس الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُكَير ، عن إسماعيل بن عبد الملك ، عن أبى الزبير ، عن جابر ، قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد البراز تباعد حتى لا يراه أحد ، فنزلنا منزلا بفلَاة من الأرض ، ليس فيها عَلَم ولا شجر ، فقال لى : ياجابر خذ الإداوة وانطلق بنا . فملأت الإداوة ماء وانطلقنا ، فمشينا حتى لا نكاد نرى ، فإذا شجرتان بينهما أذرع . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياجابر انطلق فقل لهذه الشجرة : يقول لك رسول الله : الحقى بصاحبتك حتى أجلس خلفكما ، ففعلت فرجعت فلحقت بصاحبتها ، فجلس خلفهما حتى قضى حاجته .

ثم رجعنا فركبنا رواحلنا فسِرْنا كأنما على رءوسنا الطير تظلنا ، وإذا نحن بامرأة قد عرَضت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يارسول الله ، إن ابنى هذا يأخذه الشيطان كل يوم ثلاث مرات لا يدَعه ، فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتناوله فجعله بينه وبين مقدمة الرّحل فقال : اخسأ عدوّ الله ، أنا رسول الله . وأعاد ذلك ثلاث مرات ، ثم ناولها إياه .

فلما رجعنا وكنا بذلك الماء عرضت لنا تلك المرأة ومعها كبشان تقودهما والصبى

---

(١) الأصل : عن هذا .

تحمله ، فقالت : يارسول الله اقبل منى هديتى ، فوالذى بعثك بالحق إنْ عاد إليه بعدُ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خذوا أحدهما وردوا الآخر .

قال : ثم سرنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بيننا، فجاء جمل نادٌّ ، فلما كان بين السِّماطين خرَّ ساجدا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياأيها الناس من صاحب هذا الجمل ؟ فقال فتية من الأنصار : هو لنا يارسول الله ، قال : فما شأنه ؟ قالوا : سَنَوْنا عليه منذ عشرين سنة ، فلما كبرت سنه وكانت عليه شُحَيمة أردنا نحره لنقسمه بين غِلمتنا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبيعونيه ؟ قالوا : يارسول الله هو لك . قال : فأحسنوا إليه حتى يأتيه أجله .

قالوا : يارسول الله نحن أحق أن نسجد لك من البهائم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاينبغى لبشر أن يسجد لبشر ، ولو كان ذلك كان النساء لأزواجهن .

وهذا إسناد جيد رجاله ثقات.

وقد روى أبو داود ، وابن ماجه ، من حديث إسماعيل بن عبد الملك بن أبي الصفراء ، عن أبي الزبير ، عن جابر أن رسول الله كان إذا ذهب للمذهبَ أبعدَ .

ثم قال البيهقى : وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا الحسين بن على بن زياد ، حدثنا أبو حُمَة ، حدثنا أبو قُرَّة عن زياد ـ هو ابن سعد ـ عن أبي الزبير ، أنه سمع يونس بن خَبَّاب الكوفى يحدث أنه سمع أبا عبيدة يحدث عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان فى سفر إلى مكة فذهب إلى الغائط وكان يبعد حتى لايراه أحد ، قال : فلم يجد شيئا يتوارى به ، فبصُر بشجرتين . فذكر قصة الشجرتين وقصة الجمل بنحو من حديث جابر .

قال البيهقى : وحديث جابر أصح .

قال : وهذه الرواية ينفرد بها زمعة بن صالح ، عن زياد - أظنه ابن سعد - عن أبي الزبير .

قلت : وقد يكون هذا أيضا محفوظاً ، ولا ينافي حديث جابر ويعلى بن مرة ، بل يشهد لها ، ويكون هذا الحديث عند أبي الزبير محمد بن مسلم بن تَدْرُس المكي عن جابر وعن يونس بن خباب ، عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه . والله أعلم .

وروى البيهقي من حديث معاوية بن يحيي الصيرفي - وهو ضعيف - عن الزهري ، عن خارجة بن زيد ، عن أسامة بن زيد ، حديثا طويلا نحو سياق حديث يعلى بن مرة وجابر بن عبد الله .

وفيه قصة الصبي الذي كان يُصْرَع ومجيء أمه بشاة مشوية فقال : ناولينى الذراع . فناولته ، ثم قال : ناولينى الذراع فناولته ، ثم قال : ناولينى الذراع . فقلت : كم للشاة من ذراع ؟ فقال : والذي نفسي بيده لو سَكَتِّ لناولتينى مادعوت .

ثم ذكر قصة النخلات واجتماعهما وانتقال الحجارة معهما حتى صارت الحجارة رجماً خلف النخلات . وليس في سياقه قصة البعير ، فلهذا لم يورده بلفظه وإسناده وبالله المستعان .

[وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة غَيْلان بن سلمة الثقفي بسنده إلى يعلى بن منصور الرازي ، عن شَبيب بن شيبة ، عن بشر بن عاصم ، عن غَيْلان بن سلمة ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأينا عجبا . فذكر قصة الشجرتين واستتاره بهما عند الخلاء ، وقصة الصبي الذي كان يُصْرَع ، وقوله : بسم الله أنا رسول الله ، اخرج عدوّ الله فعوفي .

ثم ذكر قصة البعيرين النادّين وأنهما سجدا له بنحو ما تقدم في البعير الواحد ، فلعل هذه قصة أخرى ، والله أعلم [1]] .

(١) من ت .

وقد ذكرنا فيما سلف (١) حديث جابر وقصة جمله الذى كان قد أُعْيِىَ ، وذلك مرجعهم من تبوك وتأخره فى أخريات القوم ، فلحقه النبىُّ صلى الله عليه وسلم فدعا له وضربه فسار سيرا لم يسر مثله حتى جعل يتقدم أمام الناس.

وذكرنا شراءه عليه السلام منه وفى ثمنه اختلاف كثير وقع من الرواة لا يضر أصل القصة كما بيناه .

وتقدم (٢) حديث أنس فى ركوبه عليه السلام على فرس أبى طلحة حين سمع الناس صوتا بالمدينة فركب ذلك الفرس ، وكان يبطئ ، وركب الفرسان نحو ذلك الصوت ، فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجع بعد ما كشف ذلك الأمر ، فلم يجد له حقيقة .

وكان قد ركبه عُرْياً لا شىء عليه وهو متقلد سيفا ، فرجع وهو يقول : لن تُراعوا لن تراعوا ، ماوجدنا من شىء ، وإن وجدناه لبَحْراً . أى لسابقا .

وكان ذلك الفرس يُبَطَّأ قبل تلك الليل ، فكان بعد ذلك لا يجارَى ولا يُكشف له غبار ، وذلك كله ببركته عليه الصلاة والسلام .

حديث آخر غريب فى قصة البعير

قال الشيخ أبو محمد عبد الله بن حامد الفقيه فى كتابه « دلائل النبوة » وهو مجلد كبير حافل كثير الفوائد : أخبرنى أبو على الفارسى ، حدثنا أبو سعيد ، عن عبد العزيز ابن شهلان القوّاس ، حدثنا أبو عمر وعثمان بن محمد بن خالد الراسبىّ ، حدثنا عبدالرحمن ابن على البصرى ، حدثنا سلامة بن سعيد بن زياد بن أبى هند ارازى ، حدثنى أبى ، عن أبيه عن جده ، حدثنا غنيم بن أوس ـ يعنى الرازى ـ قال : كنا جلوسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل بعير يعدو حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) سبق ذلك فى الجزء الرابع من السيرة (٢) سبق ذلك فى ص ٢٩

فزعا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيها البعير اسكن ، فإن تك صادقا فلك صدقك وإن تك كاذبا فعليك كذبك ، مع أن الله تعالى قد أمّن عائذنا ، ولا يخاف لائذنا .

قلنا : يارسول الله مايقول هذا البعير ؟ قال : هذا بعير هم أهله بنحره فهرب منهم فاستغاث بنبيكم .

فبينا نحن كذلك إذ أقبل أصحابه يتعادَوْن فلما نظر إليهم البعير عاد إلى هامَة رسول الله صلى الله عليه فقالوا : يارسول الله هذا بعيرنا هرب منا منذ ثلاثة أيام فلم نلقَه إلا بين يديك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يشكو مُرَّ الشكاية ، فقالوا : يارسول الله مايقول ؟ قال : يقول إنه ربِّى فى إبلكم جواراً وكنتم تحملون عليه فى الصيف إلى موضع الكلأ فإذا كان الشتاء رحلتم إلى موضع الدفء . فقالوا : قد كان ذلك يارسول الله ، فقال : ماجزاء العبد الصالح من مَواليه ؟ قالوا : يارسول الله فإنا لانبيعه ولا ننحره ، قال: فقد استغاث فلم تغيثوه ، وأنا أوْلَى بالرحمة منكم ، لأن الله نزع الرحمة من قلوب المنافقين وأسكنها فى قلوب المؤمنين .

فاشتراه النبى صلى الله عليه وسلم بمائة درهم ، ثم قال : أيها البعير انطلق فأنت حرّ لوجه الله . فرغَا على هامة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله : آمين . ثم رغا الثانية فقال : آمين . ثم رغا الثالثة فقال : آمين ، ثم رغا الرابعة فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقلنا : يارسول الله مايقول هذا البعير ؟ قال : يقول : جزاك الله أيها النبى عن الإسلام والقرآن خيراً . قلت: آمين ، قال : سكَّن الله رُعْب أمتك يوم القيامة كما سكنتَ رعبى. قلت : آمين . قال : حقَن الله دماء أمتك من أعدائها كما حقنت دمى ، قلت : آمين . قال : لاجعل الله بأسها بينها ، فبكيت وقلت : هذه خصال سألت ربى فأعطانيها

ومنعنى واحدة ، وأخبرنى جبريل عن الله أن فناء أمتك بالسيف ، فجرى القلم بما هو كائن .

قلت : هذا الحديث غريب جداً ، لم أر أحداً من هؤلاء المصنفين فى الدلائل أورده سوى هذا المصنف ، وفيه غرابة ونكارة فى إسناده ومتنه أيضاً . والله أعلم .

حديث فى سجود الغنم له صلى الله عليه وسلم

قال أبو محمد عبد الله بن حامد أيضاً : قال يحيى بن صاعد : حدثنا محمد بن عوف الحِمْصى ، حدثنا إبراهيم بن العلاء الزبيدى ، حدثنا عبّاد بن يوسف الكندى أبو عثمان ، حدثنا أبو جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس بن مالك قال : دخل النبى صلى الله عليه وسلم حائطا للأنصار ومعه أبو بكر وعمر ورجل من الأنصار ، وفى الحائط غنم فسجدت له .

فقال أبو بكر : يارسول الله كنا نحن أحق بالسجود لك من هذه الغنم ، فقال : إنه لاينبغى أن يسجد أحد لأحد ، ولو كان ينبغى لأحد أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها .

[غريب وفى إسناده من لايُعرف (١)].

قصة الذئب وشهادته بالرسالة

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا القاسم بن الفضل الحُدَّانى ، عن أبى نضرة ، عن أبى سعيد الخدرى قال : عدا الذئب على شاة فأخذها فطلبه الراعى فانتزعها منه ، فأقعى الذئب على ذنبه فقال : ألا تتقى الله ؟ تنزع منى رزقاً ساقه الله إلى ؟ فقال : ياعجبى ذئب يُقعى على ذنبه يكلمنى كلامَ الإنس !

(١) من ت .

فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجب من ذلك ؟ محمد صلى الله عليه وسلم بيثرب يخبر الناسَ بأنباء ماقد سبق .

قال : فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها إلى زاوية من زواياها ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودي : الصلاة جامعة .

ثم خرج فقال للراعي : أخبرهم . فأخبرهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدَق ، والذي نفس محمد بيده لاتقوم الساعة حتى يكلم السباعُ الإنسَ ، ويكلم الرجلَ عذبةُ سوطه ، وشِرَاكُ نعله ، ويخبره فخذه بما أحدثَ أهله بعده.

وهذا إسناد على شرط الصحيح .

وقد صححه البيهقي ولم يروه إلا الترمذي من قوله : والذي نفسي بيده لاتقوم الساعة حتى يكلم السباعُ الإنس . إلى آخره ، عن سفيان بن وكيع ، عن أبيه ، عن القاسم ابن الفضل .

ثم قال : وهذا حديث حسن غريب صحيح لانعرفه إلا من حديث القاسم ، وهو ثقة مأمون عند أهل الحديث وَثَّقَه يحيي وابن مهدي .

طريق أخرى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو اليمان ، حدثني شعيب ، حدثني عبد الله بن أبي حسين ، حدثني شَهْر أن أبا سعيد الخدري حدثه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : بينما أعرابي في بعض نواحي المدينة في غنم له عدَا عليه الذئب فأخذ شاةً من غنمه ، فأدركه الأعرابي فاستنقذها منه وهَجْهَجه [1] فعانده الذئب يمشي ثم أقعى مُستذفراً [2] بذنبه يخاطبه فقال : أخذتَ رزقا رزقنيه الله .

---

(١) هجهجه : صاح به .　　(٢) مستذفراً : جاعلا ذنبه بين رجليه .

قال : واعجباً من ذئب مُقْعٍ مُسْتَذفرٍ بذَنبه يخاطبنى ! فقال : والله إنك لتترك أعجبَ من ذلك . قال : وما أعجبُ من ذلك ؟ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النخلتين بين الحرّتين يحدث الناس عن أنباء ماقد سبق وما يكون بعد ذلك .

قال : فنَعَق الأعرابى بغنمه حتى ألجأها إلى بعض المدينة ثم مشى إلى النبى صلى الله عليه وسلم حتى ضرب عليه بابه .

فلما صلى النبى صلى الله عليه وسلم قال : أين الأعرابى صاحب الغنم ؟ فقام الأعرابى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : حَدِّث الناس بما سمعتَ وبما رأيت ، فحدث الأعرابىُّ الناس بما رأى من الذئب وما سمع منه .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم عند ذلك : صدَق ، آياتٌ تكون قبل الساعة ، والذى نفسى بيده لاتقوم الساعة حتى يخرج أحدكم من أهله فيخبره نعله أو سوطه أو عصاه بما أحدث أهلُه بعده .

وهذا على شرط أهل السنن ولم يخرجوه.

وقد رواه البيهقى من حديث النُّفَيْلى قال : قرأت على مَعْقل بن عبد الله عن شَهْر بن حَوْشَب ، عن أبى سعيد فذكره .

ثم رواه الحاكم وأبو سعيد بن عمرو ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُكَير ، عن عبد الحميد بن بهرام ، عن شهر بن حَوْشَب ، عن أبى سعيد . فذكره .

ورواه الحافظ أبو نعيم من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن تميم ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيَّب ، عن أبى سعيد فذكره .

حديث أبى هريرة فى ذلك

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن أشعث بن عبد الملك ، عن

شهر بن حَوْشَب، عن أبي هريرة ، قال : جاء ذئب إلى راعي غنم فأخذ منها شاة فطلبه الراعي حتى انتزعها منه .

قال : فصعد الذئب على تلّ فأقعى فاستذفر وقال : عمدتَ إلى رزق رزقنيه الله عز وجل انتزعتَه مني .

فقال الرجل : لله إنْ رأيتُ كاليوم ذئبا يتكلم .

فقال الذئب : أعجب من هذا رجلٌ في النخلات بين الحرّتين يخبركم بما مضى وما هو كائن بعدكم .

وكان الرجل يهوديا ، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وخبّره فصدّقه النبي صلى الله عليه وسلم .

ثم قال رسول الله : إنها أمارة من أمارات بين يدي الساعة ، قد أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى تحدّثه نعلاه وسوطه بما أحدثه أهلُه بعده .

تفرد به أحمد وهو على شرط السنن ولم يخرجوه ، ولعل شَهْر بن حَوْشَب قد سمعه من أبي سعيد وأبي هريرة أيضا والله أعلم .

حديث أنس في ذلك

قال أبو نُعَيم في دلائل النبوة(١) : حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ، حدثنا محمد بن يحيى بن مَنْدَه ، حدثنا على بن الحسن بن سالم ، حدثنا الحسين الرفّا ، عن عبد الملك بن عمير ، عن أنس ح ، وحدثنا سليمان — هو الطبراني — : حدثنا عبد الله بن محمد بن ناجِيَة حدثنا هشام بن يونس اللُّؤلؤى ، حدثنا حسين بن سليمان الرفّا ، عن عبدالملك بن عمير ، عن أنس بن مالك قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فشردَتْ عليّ غنمي ، فجاء الذئب فأخذ منها شاة ، فاشتد الرِّعاء خلفه ، فقال : طُعْمة أطعمنيها الله تنزعونها مني ؟

(١) ليس في دلائل النبوة المطبوع .

قال : فبُهِت القوم ، فقال : ما تعجبون من كلام الذئب وقد نزل الوحيُ على محمد . فمن مُصَدِّق ومكذب .

ثم قال أبو نُعَيم : تفرّد به حسين بن سليمان عن عبد الملك .

قلت : الحسين بن سليمان الرفا هذا يقال له الطَّلحى ، كوفى أورد له ابن عَدِى عن عبد الملك بن عمير أحاديث ثم قال : لايتابَع عليها .

حديث ابن عمر فى ذلك

قال البيهقى : أخبرنا أبو سعد الماليني ، أخبرنا أبو أحمد بن عَدِى ، حدثنا عبد الله ابن أبى داود السِّجِستانى ، حدثنا يعقوب بن يوسف بن أبى عيسى ، حدثنا جعفر بن حسن ، أخبرنى أبو حسن ، حدثنا عبد الرحمن بن حَرْمَلة ، عن سعيد بن المسيِّب قال : قال ابن عمر : كان راعٍ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذْ جاء الذئب فأخذ شاةً ووثب الراعى حتى انتزعها مِنْ فِيه ، فقال له الذئب : أماتتقى الله أن تمنعنى طُعْمة أطعمنيها الله تنزعها منى ؟ فقال له الراعى : العجب من ذئب يتكلم ! فقال الذئب : أفلا أدلك على ماهو أعجب من كلامى ؟ ذلك الرجل فى النخل يخبر الناس بحديث الأولين والآخرين أعجب من كلامى .

فانطلق الراعى حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره وأسلم .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : حَدِّثْ به الناسَ .

قال الحافظ ابن عَدِى : قال لنا أبو بكر بن أبى داود : وَلَدُ هذا الراعى يقال لهم : بنو مُكَلِّم الذئب ، ولهم أموال ونَعَم ، وهم من خُزاعة ، واسم مُكَلِّم الذئب أُهْبَان ، قال : ومحمد بن أشعث الخُزَاعِى من وَلَدِه .

قال البيهقى : فدل على اشتهار ذلك ، وهذا مما يقوِّى الحديث .

وقد روى من حديث محمد بن إسماعيل البخارى فى التاريخ ، حدثنى أبو طلحة ، حدثنى سفيان بن حمزة الأسلمى ، سمع عبدَ الله بن عامر الأسلمى ، عن ربيعة بن أوس ، عن أنس بن عمرو ، عن أُهْبان بن أوس قال : كنت فى غنم لى . فكلّمه الذئب وأسلَم .

قال البخارى : إسناده ليس بالقوى .

ثم روى البيهقى عن أبى عبد الرحمن السُّلَمى ، سمعت الحسين بن أحمد الرازى ، سمعت أبا سليمان المُقرِئ يقول : خرجت فى بعض البلدان على حمار ، فجعل الحمار يَحيد بى عن الطريق فضربت رأسه ضربات ، فرفع رأسه إلى وقال لى : اضرب ياأبا سليمان فإنما على دماغك هو ذا يَضرب .

قال : قلت له : كلّمك كلاماً يُفهم ؟ قال : كما تكلمنى وأكلمك .

حديث آخر عن أبى هريرة فى الذئب على وجه آخر

وقد قال سعيد بن مسعود : حدثنا حِبّان بن على ، حدثنا عبد الملك بن عُمَير ، عن أبى الأوس الحارثى عن أبى هريرة قال : جاء الذئب فأقعَى بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم وجعل يُبَصْبِص بذَنبه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا وافِد الذئاب ، جاء ليسألكم أن تجعلوا له من أموالكم شيئا . قالوا : والله لانفعل . وأخذ رجل من القوم حجرا فرماه فأدبَر الذئب وله عُواء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الذئب ، وما الذئب !

وقد رواه البيهقى عن الحاكم ، عن أبى عبد الله الأصبهانى ، عن محمد بن مَسْلَمة ، عن يزيد بن هارون ، عن شعبة ، عن عبد الملك بن عُمَير ، عن رجل به .

ورواه الحافظ أبو بكر البزار ، عن محمد بن المثنَّى ، عن غُنْدَر ، عن شعبة ، عن عبد

الملك بن عمير ، عن رجل ، عن مكحول ، عن أبى هريرة . فذكره ، وعن يوسف بن موسى ، عن جرير بن عبد الحميد ، عن عبد الملك بن عُمَير ، عن أبى الأوْبَر ، عن أبى هريرة قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً صلاة الغَداة ثم قال : هذا الذئب وما الذئب ! جاءكم يسألكم أن تعطوه أو تُشْركوه فى أموالكم . فرماه رجل بحجر فرّ أو ولى وله عُوَاء .

وقال محمد بن إسحاق عن الزهرى، عن حمزة بن أبى أُسَيد ، قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل من الأنصار بالبقيع فإذا الذئب مفترشا ذراعيه على الطريق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا جاء يستَفْرض فافرضوا له . قالوا : ترى رأيك يارسول الله . قال :من كل سائمة شاة فى كل عام . قالوا : كثير ، قال :فأشار إلى الذئب أن خالِسْهم . فانطلق الذئب .

رواه البيهقى .

وروى الواقدى عن رجل سماه ، عن المطَّلب بن عبد الله بن حَنْطَب قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المدينة إذ أقبل ذئب فوقف بين يديه ، فقال . هذا وافِد السباع إليكم فإن أحببتم أنْ تفرضوا له شيئا لايَعْدُوه إلى غيره ، وإن أحببتم تركتموه واحترزتم منه فما أخذ فهو رزقه . فقالوا : يارسول الله ماتطيب أنفسنا له بشىء . فأومأ إليه بأصابعه الثلاث : أن خالِسْهم . قال : فولّى وله عُواء .

وقال أبو نُعَيم : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا معاذ بن المثنى ، حدثنا محمد ابن كثير ، حدثنا سفيان ، حدثنا الأعمش ، عن شَمر بن عطية ، عن رجل من مزينة، أن جهينة قال : أتت وفود الذئاب قريب من مائة ذئب حين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأَقْعَيْن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذه وفود الذئاب ، جئنكم

يسألنكم لتفرضوا لهن من قوت طعامكم وتأمنوا على ماسواه . فشكوا إليه الحاجة ، قال : فأذِنوهم . قال : فخرجن ولهن عواء .

[وقد تكلم القاضى عياض على حديث الذئب ، فذكر عن أبى هريرة وأبى سعيد وعن أهبان بن أوس وأنه كان يقال له : مكلم الذئب ، قال : وقد روى ابن وهب أنه جرى مثل هذا لأبى سفيان بن حرب ، وصفوان بن أمية ، مع ذئب وجداه أخذ صبيا ، فدخل الصبي الحرم فانصرف الذئب فعجبا من ذلك ، فقال الذئب : أعجبُ من ذلك محمد ابن عبد الله بالمدينة يدعوكم إلى الجنة وتدعونه إلى النار . فقال أبو سفيان : واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة ليتركنها أهلوها[1]] .

قصة الوحش الذى كان فى بيت النبى صلى الله عليه وسلم
وكان يحترمه عليه السلام ويوقره ويجله

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو نُعيم ، حدثنا يونس ، عن مجاهد قال : قالت عائشة رضى الله عنها : كان لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحش ، فإذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لعب واشتد ، وأقبلَ وأدبَر ، فإذا أحسَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل ربض فلم يترَمْرَم مادام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى البيت كراهيةَ أن يؤذيه .

ورواه أحمد أيضا عن وَكِيع ،وعن قَطن ، كلاهما عن يونس ـ وهو ابن أبى إسحاق السَّبيعى ـ وهذا الإسناد على شرط الصحيح . ولم يخرجوه وهو حديث مشهور . والله أعلم .

قصة الأسد

وقد ذكرنا فى ترجمة سَفِينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه حين انكسرت

(١) من ت . وهو فى الشفا ٢٦٥ .

بهم السفينة فركب لوحاً منها حتى دخل جزيرة فى البحر فوجـد فيها الأسد ، فقال له : ياأبا الحارث إنى سفينة مَوْلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فضرب منكبي وجعل يحاذينى حتى أقامنى على الطريق ، ثم همْهَم ساعةً فرأيت أنه يُوَدّعنى .

وقال عبد الرزاق : حدثنا مَعْمَر ، عن الحجَبى ، عن محمد بن المنكدر ، أن سَفِينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطأ الجيش بأرض الروم ، أو أسر فى أرض الروم، فانطلق هاربا يلتمس الجيش ، فإذا هو بالأسد ، فقال : ياأبا الحارث إنى مَوْلَى رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، كان من أمرى كيت وكيت . فأقبل الأسد يبصبصه حتى قام إلى جنبه ، كلما سمع صوته أهوى إليه ، ثم أقبل يمشى إلى جنبه ، فلم يزل كذلك حتى أبلغه الجيش ، ثم رجع الأسد عنه .

رواه البيهقى .

حديث الغزالة

قال الحافظ أبو نُعَيم الأصبهانى رحمه الله فى كتابه دلائل النبوة : حدثنا سليمان بن أحمد ـ إملاء ـ حدثنا محمد بن عثمان بن أبى شيبة ، حـدثنا إبراهيم بن محمد بن ميمون ، حـدثنا عبد الكريم بن هلال الجعفى [عن صالح][1] المُرِّى ، عن ثابت البُنَانى ، عن أنس بن مالك قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم قد اصطادوا ظَبْية فشدوها على عمود فُسْطاط ،فقالت : يارسول الله ، إنى أُخذت وَلِى خِشْفان ، فاستأذن لى أرضعهما وأعود إليهم .

فقال : أين صاحب هـذه ؟ فقال القوم : نحن يارسول الله . قال : خَلُّوا عنها حتى

---

(١) سقطت من ا .

تأتى خِشْفيها ترضعهما وترجع إليكم. فقالوا : من لنا بذلك ؟ قال أنا . فأطلقوها فذهبت فأرضعت ثم رجعت إليهم فأوثقوها .

فمرّ بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أين أصحاب هذه ؟ فقالوا : هو ذا نحن يارسول الله ، فقال : تبيعونيها ؟ فقالوا : هى لك يارسول الله . فقال : خَلُّوا عنها ، فأطلقوها فذهبت .

وقال أبو نعيم : حدثنا أبو أحمد محمد بن أحمد الغِطْريفىّ – من أصله – حدثنا أحمد ابن موسى بن أنس بن نصر بن عبيد الله بن محمد بن سيرين بالبصرة ، حدثنا زكريا بن يحيى بن خَلَّاد ، حدثنا حَبَّان بن أغلب بن تميم ، حدثنا أبى ، عن هشام بن حَسَّان [عن الحسن] ، عن ضَبّة بن محصن ، عن أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت: بَيْنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجر من الأرض إذا هاتف يهتف : يارسول الله ، يارسول الله . قال : فالتفت فلم أر أحداً .

قال : فمشيت غير بعيد فإذا الهاتف : يارسول الله ، يارسول الله . قال : فالتفت فلم أر أحداً ، وإذا الهاتف يهتف بى ، فاتبعت الصوت وهجمت على ظبية مشدودة فى وثاق ، وإذا أعرابى مُنْجَدل فى شَمْلة نائم فى الشمس .

فقالت الظبية : يارسول الله ، إن هذا الأعرابى صادَنى قبلُ ، ولى خِشْفان فى هذا الجبل ، فإن رأيت أن تطلقنى حتى أرضعهما ثم أعود إلى وَثَاقى ؟ قال : وتفعلين ؟ قالت: عذبنى الله عذاب العَشَّار[1] إن لم أفعل .

فأطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فمضت فأرضعت الخشفين وجاءت . قال : فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوثقها إذ انتبه الأعرابى ، فقالت : بأبى أنت وأمى

---

(١) العشار : صاحب المكوس التى يأخذ العشر من الأموال .

يارسول الله ، إنى أصبتها قُبيلاً ، فلك فيها من حاجة ؟ قال : قلت : نعم ، قال : هى لك ؛ فأطلقها فخرجت تعدو فى الصحراء فرحاً وهى تضرب برجليها فى الأرض وتقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله .

قال أبو نعيم : وقد رواه آدم بن أبى إياس قال : حدثنى حيّ الصدوق نوح بن الهيثم ، عن حَبَّان بن أغلب ، عن أبيه ، عن هشام بن حسان ولم يجاوزه به .

[وقد رواه أبو محمد عبد الله بن حامد الفقيه فى كتابه دلائل النبوة من حديث إبراهيم بن مهدى ، عن ابن أغلب بن تميم ، عن أبيه عن هشام بن حسّان عن الحسن ابن ضبة بن أبى سلمة به][1] .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقى : [أنبأنى أبو عبد الله الحافظ - إجازة - أخبرنا أبو جعفر محمد بن على بن دُحَيم الشيبانى][2] ، حدثنا أحمد بن حازم ابن أبى عروة الغفارى ، حدثنا على بن قادم ، حدثنا أبو العلاء خالد بن طَهمان ، عن عطية ، عن أبى سعيد قال : مر النبى صلى الله عليه وسلم بظبية مربوطة إلى خِباء فقالت : يارسول الله خَلّنى حتى أذهب فأرضع خِشْفَىّ ثم أرجع فتربطنى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صَيد قوم ورَبيطة قوم !

قال : فأخذ عليها فحلفت له ، قال : فخلّها ، فما مكثت إلا قليلا حتى جاءت وقد نفضت ما فى ضرعها ، فربطها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتى خباء أصحابها ، فاستوهبها منهم فوهبوها له فخلّها .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو تعلم البهائم من الموت ما تعلمون ، ما أكلتم منها سميناً أبداً .

---

(١) من ت . (٢) سقطت من ا .

قال البيهقي : وروي من وجه آخر ضعيف : أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن القاضي ، أخبرنا أبو على حامد بن محمد الهَرَوِيّ ، حدثنا بشر بن موسى ، حدثنا أبو حفص عمر بن على ، حدثنا يعلى بن إبراهيم الغزالى ، حدثنا الهيثم بن حماد ، عن أبى كثير ، عن يزيد ابن أرقم قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فى بعض سِكَك المدينة ، قال : فمررنا بخباء أعرابى فإذا ظبية مشدودة إلى الخباء فقالت : يارسول الله ، إن هذا الأعرابى اصطادنى ، وإن لى خشفين فى البَرّية ، وقد تعقّد اللبن فى أخلافى ، فلا هو يذبحنى فأستريح ، ولا هو يدعنى فأرجع إلى خشفيّ فى البرية .

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن تركتك ترجعين ؟ قالت نعم وإلا عذبنى الله عذاب العَشّار . قال : فأطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تلبث أن جاءت تَمْحص [1] ، فشدها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخباء ، وأقبل الأعرابى ومعه قربة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتبيعنيها ؟ قال : هى لك يارسول الله . فأطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال زيد بن أرقم : فأنا والله رأيتها تُسَبّح فى البَرّية . وهى تقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

ورواه أبو نعيم : حدثنا أبو على محمد بن أحمد بن الحسن بن مطر ، حدثنا بشر بن موسى . فذكره .

قلت : وفى بعضه نَكَارة [2] والله أعلم .

---

(١) تمحص : تعدو.

(٢) روى حديث الظبية البيهقى من طرق من حديث أبى سعيد ، وضعفه جماعة من الأئمة . وذكره القاضى عياض فى الشفاء بلا سند عن أم سلمة . ورواه أبو نعيم فى الدلائل بإسناد فيه مجاهيل . قال السخاوى : حديث الغزالة اشتهر على الألسنة وفى المدائح النبوية وليس له كما قال ابن كثير أصل ، ومن نسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقد كذب .

وقد ذكرنا فى باب تكثيره عليه السلام اللبن حديث تلك الشاة التى جاءت وهى فى البرية ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسنَ بن سعيد مولى أبى بكر أن يحلبها فحلبها ، وأمره أن يحفظها فذهبت وهو لا يشعر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذهب بها الذى جاء بها .

وهو مروى من طريقين عن صحابيين كما تقدم والله أعلم .

حديث الضب على مافيه من النَّكارة والغرابة

قال البيهقى : أخبرنا أبو منصور أحمد بن على الدامِغَانىّ من ساكنى قرية نامين من ناحيةَ بَيْهَق ـ قراءة عليه من أصل كتابه ـ حدثنا أبو أحمد عبد الله بن عَدِى الحافظ ـ فى شعبان سنة اثنتين وثلاثمائة ـ حدثنا محمد بن على بن الوليد السُّلَمى ، حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا معمر بن سليمان ، حدثنا كَهْمَس ، عن داود بن أبى هند ، عن عامر عن ابن عمر ، عن عمر بن الخطاب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى مَحْفل من صحابه إذ جاء أعرابى من بنى سُلَيم قد صاد ضَبًّا وجعله فى كمه ليذهب به إلى رحله فيشويه ويأكله .

فلما رأى الجماعة قال : ماهذا ؟ قالوا : هذا الذى يذكر أنه نبى . فجاء فشق الناس فقال : واللات والعزى ماشَملت السماء (١) على ذى لَهجة أبغضَ إلىَّ منك ، ولا أمقتَ منك ، ولولا أن يسمّينى قومى عَجُولا لعَجِلْت عليك فقتلتك فسرَرْت بقتلك الأسودَ والأحمر والأبيض وغيرهم .

فقال عمر بن الخطاب : يارسول الله ، دعنى فأقوم فأقتله . قال : ياعمر أما علمت أن الحليم كاد أن يكون نبيا .

---

(١) الرواية فى الوفا لابن الجوزى ١/٣٣٦ : ما سلت على ذى مهجة . وفى شرح المواهب عند الدار قطنى : ما اشتملت النساء على ذى لهجة أكذب إلى منك .

ثم أقبل على الأعرابى وقال : ماحملك على أن قلت ماقلت وقلت غير الحق ولم تكرمنى فى مجلسى ؟

قال : وتكلمنى أيضا ؟ ـ استخفافا برسول الله صلى الله عليه وسلم ـ واللات والعزى لا آمنت بك أو يؤمن بك هذا الضب ـ وأخرج الضب من كمه وطرحه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياضب . فأجابه الضب بلسان عربى مبين يسمعه القوم جميعا : لبيك وسعديك يازين من وافى القيامة .

قال : من تعبد ياضب ؟ قال : الذى فى السماء عرشه ، وفى الأرض سلطانه ، وفى البحر سبيله ، وفى الجنة رحمته ، وفى النار عقابه .

قال : فمن أنا ياضب ؟ فقال : رسول رب العالمين وخاتم النبيين ، وقد أفلح من صدقك ، وقد خاب من كذبك .

فقال الأعرابى : والله لا أتبع أثراً بعد عين ، والله لقد جئتك وما على ظهر الأرض أبغض إلىَّ منك ، وإنك اليوم أحب إلىَّ من والدى ومن عينى ومنى ، وإنى لأحبك بداخلى وخارجى ، وسرى وعلانيتى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله .

فقال رسول الله : الحمد لله الذى هداك بى ، إن هذا الدين يعلو ولا يُعلَى ولا يُقبَل إلا بصلاة ، ولا تقبل الصلاة إلا بقرآن . قال : فعلِّمنى ، فعلمه قل هو الله أحد .

قال : زدنى فما سمعت فى البسيط ولا فى الوجيز أحسن من هذا .

قال : يا أعرابى إن هذا كلام الله ، ليس بشعر ، إنك إن قرأت قل هو الله أحد مرة كان لك كأجر من قرأ ثلث القرآن ، وإن قرأتها مرتين كان لك كأجر من قرأ ثلثى القرآن ، وإذا قرأتها ثلاث مرات كان لك كأجر من قرأ القرآن كله .

قال الأعرابى : نعم الإله إلهنا . يقبل اليسير ويعطى الجزيل . فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : ألك مال؟ فقال : ماق بنى سليم قاطبة رجل هو أفقر منى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : أعطوه . فأعطوه حتى أبطروه .

قال : فقام عبد الرحمن بن عوف فقال : يارسول الله ، إن له عندى ناقة عُشَراء ، دون البُخْتية وفوق الأغرى (١) ، تَلحَق ولا تُلحَق أهديت إلى يوم تبوك ، أتقرّبُ بها إلى الله عز وجل فأدفعها إلى الأعرابى ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفت ناقتك ، فأصفُ مالَك عند الله يوم القيامة ؟ قال : نعم . قال : لك ناقة من دُرَّة جَوْفاء قوائمُها من زَبَرْجَد أخضر وعُنُقها من زَبَرْجد أصفر عليها هَوْدَج ، وعلى الهودج السندس والاستبرق ، وتمر بك على الصراط كالبرق الخاطف ، يَغْبِطك بها كل من رآك يوم القيامة ، فقال عبد الرحمن : قد رضيت .

فخرج الأعرابى فلقيه ألف أعرابى من بنى سليم على ألف دابة ، معهم ألف سيف وألف رمح ، فقال لهم : أين تريدون ؟ قالوا : نذهب إلى هذا الذى سفَّه آلهتنا فنقتله . قال : لاتفعلوا ، أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وحدثهم الحديث . فقالوا بأجمعهم : نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ثم دخلوا ، فقيل لرسول الله ، فتلقَّاهم بلا رداء ، ونزلوا عن رَكْبهم يقبِّلون حيث وَلُوا منه وهم يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله .

ثم قالوا : يارسول الله : مُرْنا بأمرك . قال : كونوا تحت راية خالد بن الوليد . فلم يؤمن من العرب ولا من غيرهم ألف غيرهم .

قال البيهقى : قد أخرجه شيخنا أبو عبد الله الحافظ فى المعجزات بالإجازة عن أبى أحمد بن عدى الحافظ .

---

(١) الأغرى : كل مولود ، أو المهزول .

قلت ، ورواه الحافظ أبو نعيم فى الدلائل عن أبى القاسم بن أحمد الطبرانى – إملاء وقراءة – : حدثنا محمد بن على بن الوليد السلمى البصرى أبو بكر بن كنانة ، فذكر مثله .

[ورواه أبو بكر الإسماعيل عن محمد بن على بن الوليد السلمى][(١)] .

قال البيهقى : روى فى ذلك عن عائشة ، وأبى هريرة ، وما ذكرناه هو أمثل الأسانيد فيه وهو أيضا ضعيف [(٢)] ، والحمل فيه على هذا السلمى ، والله أعلم .

[حديث الحمار

وقد أنكره غير واحد من الحفاظ الكبار . فقال أبو محمد بن عبد الله بن حامد : أخبرنا أبو الحسن أحمد السحركى ، حدثنا عمر بن محمد بن بجير ، حدثنا أبو جعفر محمد بن يزيد – إملاء – أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عقبة بن أبى الصهباء ، حدثنا أبو حذيفة عن عبد الله بن حبيب الهذلى ، عن أبى عبد الرحمن السلمى ، عن أبى منظور قال : لما فتح الله على نبيه صلى الله عليه وسلم خيبر أصابه من سهمه أربعة أزواج بغال وأربعة أزواج خفاف ، وعشر أواق ذهب وفضة ، وحمار أسود ، ومِكْتَل .

قال : فكلم النبى صلى الله عليه وسلم الحمارَ فكلمه الحمار ، فقال له : ما اسمك ، قال : يزيد بن شهاب ، أخرج الله من نسل جدى ستين حماراً كلهم لم يركبهم إلا نبى ، لم يبق من نسل جدى غيرى ، ولا من الأنبياء غيرك ، وقد كنت أتوقعك أن تركبنى ، قد كنت قبلك لرجل يهودى ، وكنت أعْثر به عمداً ، وكان يجيع بطنى ويضرب ظهرى ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : سميتك يَعْفُور ، يايعفور ، قال : لبيك ، قال : تشتهى الإناث ؟ قال : لا .

---

(١) سقطت من ا .

(٢) حديث الضب هذا مشهور على الألسنة ولكنه غريب ضعيف . قال المزى : لا يصح إسنادا ولامتنا ، وهو مطعون فيه وقيل إنه موضوع وانظر شرح المواهب ١٤٨/٤ – ١٤٩ .

فكان النبي صلى الله عليه وسلم يركبه لحاجته ، فإذا نزل عنه بعث به إلى باب الرجل فيأتى الباب فيقرعه برأسه فإذا خرج إليه صاحب الدار أومأ إليه أن أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قبض النبي صلى الله عليه وسلم جاء إلى بئر كان لأبى الهيثم بن التَّيِّهان فتردَّى فيها فصارت قبره جزعا منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم] (١) .

حديث الحُمْرة وهو طائر مشهور

قال أبو داود الطيالسى : حدثنا المسعُودى ، عن الحسن بن سعد ، عن عبد الرحمن ابن عبد الله بن مسعود ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فدخل رجل غَيْطة فأخرج بيضةَ حمرة ، فجاءت الحمرة ترف على رسول الله وأصحابه ، فقال : أيكم فجَع هذه ؟ فقال رجل من القوم : أنا أخذت بيضتَها ، فقال : ردّه رده رحمةً بها .

وروى البيهقى عن الحاكم وغيره عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا أبو معاوية ، عن أبى إسحاق الشَّيبانى ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه قال : كنا مع رسول الله فى سفر فمررنا بشجرة فيها فرخا حُمَّرة فأخذناهما .

قال : فجاءت الحمرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى تَفرش (٢) ، فقال : من فجع هذه بفرخيها ؟ قال : فقلنا : نحن ، قال : ردوهما . فرددناهما إلى موضعهما فلم ترجع .

حديث آخر فى ذلك وفيه غرابة

قال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ومحمدُ بن الحسين بن داود العلَوى ، قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأموى ، حدثنا محمد بن عبيد بن عُتبة الكِندى ،

(١) من ت . وقد كان الأولى الإضراب صفحا عن هذه الروايات الظاهرة الاختلاق ، وفى الصدق غنية عن الكذب .

(٢) تفرش : ترفرف .

حدثنا محمد بن الصّلت ، حدثنا حِبَّان ، حدثنا أبو سعيد البقال ، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلى وسلم إذا أراد الحاجة أبعدَ .

قال : فذهب يوماً فقعد تحت سَمُرة ونزع خُفَّيه ، قال : ولبس أحدهما ، فجاء طير فأخذ الخف الآخر فحلّق به فى السماء . فانسلّت منه أسودٌ سالخ [1] ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذه كرامة أكرمنى الله بها ، اللهم إنى أعوذ بك من شر [ما] [2] مشى على رجليه ، ومن شر ما مشى على بطنه .

حـديث آخر

قال البخارى : حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا معاذ ، حدثنى أبى ، عن قَتَادة قال : حدثنا أنسُ بن مالك أن رجلين من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم خرجا من عنـد النبى صلى الله عليه وسلم ومعهما مثل المصباحين بين أيديهما ، فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد حتى أتى أهله .

وقال عبدالرزاق : أخبرنامَعْمر ، عن ثابت ، عن أنس ، أن أُسَيدبن حُضَير الأنصارى ورجلا آخر من الأنصار تحدثا عند النبى صلى الله عليه وسلم فى حاجة لهماحتى ذهب من الليل ساعة ، وهى ليلة شديدة الظلمة حتى خرجا ن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقلبان ، وبيد كل واحد منهما عُصية ، فأضاءت عصى أحدهما لهما حتى مشيا فى ضوئها ، حتى إذا افترقت بهما الطريق أضاءت للآخر عصاه حتى أتى كل واحد منهما فى ضـوء عصاه حتى بلغ أهله .

وقد علّقه البخارى . فقال : وقال مَعْمَر فذكره . وعلقه البخارى أيضا عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس : أن عباد بن بشر وأسيد بن حضير خرجا من عند النبى صلى الله عليه وسلم ، فذكر مثله .

(١) الأسود : الحية العظيمة والسالخ : ذو سلاح وهو ناب الحية .
(٢) من : ا .

وقد رواه النسائى عن أبى بكر بن نافع عن بشر بن أسيد ، وأسنده البيهقى من طريق يزيد بن هارون كلاهما عن حماد بن سلمة به .

حديث آخر

قال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهانى ، حدثنا أحمد بن مهران ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، أخبرنا كامل بن العلاء عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، قال : كنا نصلّى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء وكان يصلى فإذا سجد وثب الحسنُ والحسين على ظهره ، فإذا رفع رأسه أخذهما فوضعهما وضعاً رفيقاً ، فإذا عاد عادا .

فلما صلى جعل واحداً هاهنا وواحدا هاهنا ، فجئته فقلت : يارسول الله ألا أذهب بهما إلى أمهما ؟ فبرقت برْقة فقال : الحقا بأمكما . فما زالا يمشيان فى ضوئها حتى دخلا .

حديث آخر

قال البخارى فى التاريخ : حدثنى أحمد بن حجاج ، حدثنا سفيان بن حمزة ، عن كثير ابن يزيد ، عن محمد بن حمزة بن عمرو الأسلمى ، عن أبيه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفرّقنا فى ليلة ظلماء دَحِسَة [1] ، فأضاءت أصابعى حتى جمعوا عليها ظَهرهم وما هلك منهم ، وإن أصابعى لَتنير .

ورواه البيهقى من حديث إبراهيم بن المنذر الحزامى . عن سفيان بن حمزة . [ورواه الطبرانى من حديث إبراهيم بن حمزة الزهرى ، عن سفيان بن حمزة [2]] به .

حديث آخر

قال البيهقى : حدثنا أبو عبد الله [الحافظ] [2] ، حدثنا أبو محمد بن أحمد بن عبدالله

---

(١) الدحسة : الشديدة الظلمة .

(٢) سقط من أ .

للدنى[1]، حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمى ، حدثنا أبو كُرَيب ، حدثنا زيد بن الحُباب ، حدثنا عبد الحميد بن أبى عبس الأنصارى من بنى حارثة ، أخبرنى ميمون بن زيد بن أبى عبس ، أخبرنى أبى ، أنّ أباعبس ، كان يصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات ثم يرجع إلى بنى حارثةَ ، فخرج فى ليلة مظلمة مَطِيرة ، فنوِّر له فى عصاه حتى دخل دار بنى حارثة.

قال البيهقى : أبو عبس ممن شهد بَدْراً .

قلت : وروينا عن يزيد بن الأسود وهو من التابعين أنه كان يشهد الصلاة بجامع دمشق من جسرين ، فربما أضاءت له إبهامُ قدمه فى الليلة المظلمة .

وقد قدمنا فى قصة إسلام الطفيل بن عمرو الدَّوْسى بمكة قبل الهجرة[2] ، وأنه سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم آية يدعو قومه بها ، فلما ذهب إليهم وانهبط من الثَّنِيَّة أضاء له نور بين عينيه . فقال : اللهم [لا] يقولوا : هو مُثْلَة. فحوَّله الله إلى طرف سَوْطه حتى جعلوا يرونه مثل القنديل .

حديث آخر فيه كرامة لتميم الدارى

روى الحافظ البيهقى من حديث عفان بن مسلم ، عن حماد بن سلمة ، عن الجريرى ، عن معاوية بن حَرْمَل قال : خرجت نار بالحرة فجاء عمر إلى تميم الدارى فقال : قم إلى هذه النار .

قال : ياأمير المؤمنين ومن أنا وما أنا ؟ قال : فلم يزل به حتى قام معه .

قال : وتبعتهما ، فانطلقا إلى النار ، فجعل تميم يحوشها بيديه حتى دخلت الشِّعب ودخل تميم خلفها .

(١) ا : المزنى . (٢) سبق ذلك فى الجزء الأول من السيرة.

قال : فجعل عمر يقول : ليس من رأى كمن لم ير . قالها ثلاثا .

حديث فيه كرامة لولى من هذه الأمة

وهى معدودة من المعجزات لأن كل ما ثبت[1] لولى فهو معجزة لنبيه .

قال الحسن بن عروة[2] : حدثنا عبد الله بن إدريس ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى سَبْرة النَّخَعى ، قال : أقبل رجل من اليمن فلما كان ببعض الطريق نَفَق حماره ، فقام فتوضأ ثم صلى ركعتين ثم قال : اللهم إنى جئت من الدفينة مجاهداً فى سبيلك وابتغاء مرضاتك ، وأنا أشهد أنك تحيي الموتى وتبعث من فى القبور ، لا تجعل لأحد علىّ اليوم مِنّة ، أطلب إليك اليوم أن تبعث حمارى ، فقام الحمار ينفض أذنيه .

قال البيهقى : هذا إسناد صحيح .

ومثل هذا يكون كرامة لصاحب الشريعة .

قال البيهقى : وكذلك رواه محمد بن يحيى الذهلى وغيره ، عن محمد بن عبيد ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن الشَّعْبى ، وكأنه عند إسماعيل عنهما . والله أعلم .

طريق أخرى

قال أبو بكر بن أبى الدنيا فى كتاب « من عاش بعد الموت » : حدثنا إسحاق بن إسماعيل وأحمد بن بَجِير وغيرهما قالوا : حدثنا محمد بن عبيد ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن الشعبى ، أن قوما أقبلوا من اليمن متطوعين فى سبيل الله فنفق حمار رجل منهم فأرادوه أن ينطلق معهم فأبى ، فقام فتوضأ وصلى ثم قال : اللهم إنى جئت من الدفينة مجاهداً فى سبيلك وابتغاء مرضاتك ، وإنى أشهد أنك تحيي الموتى وتبعث من فى القبور ، لاتجعل لأحد علىّ منة ، فإنى أطلب إليك أن تبعث لى حمارى .

---

(١) غير ا : يثبت . (٢) ا : ابن عرفة .

ثم قام إلى الحمار ، فقام الحمار ينفض أذنيه فأسرجه وألجمه ، ثم ركبه وأجراه فلحق بأصحابه ، فقالوا له : ماشأنك ؟ قال : شأنى أن الله بعث حمارى .

قال الشعبى : فأنا رأيت الحمار بيع أو يباع فى الكناسة ـ يعنى بالكوفة ـ

قال ابن أبى الدنيا : وأخبرنى العباس بن هشام ، عن أبيه ، عن جده ، عن مسلم ابن عبد الله بن شَريك النَّخَعى ، أن صاحب الحمار رجل من النَّخَع ، يقال له نُبَاتة بن يزيد ، خرج فى زمن عمر غازيا ، حتى إذا كان بلقى عميرة نفق حماره فذكر القصة ، غير أنه قال : فباعه بعدُ بالكناسة .

فقيل له : تبيع حمارك وقد أحياه الله لك ؟ قال : فكيف أصنع

وقد قال رجل من رهطه ثلاثة أبيات فحفظت هذا البيت :

ومنا الذى أحْيى الإله حماره وقد مات منه كل عضو ومِفْصَلِ

وقد ذكرنا فى باب رضاعه[1] عليه السلام ، ما كان من حمارة حليمة السعدية وكيف كانت تسبق الركب فى رجوعها لما ركب معها عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رضيع ، وقد كانت أذَمَّت[2] بالركب فى مسيرهم إلى مكة . وكذلك ظهرت بركته عليهم فى شارِفهم ـ وهى الناقة التى كانوا يحلبونها ـ وشياههم وسمنهم وكثرة ألبانها ، صلوات الله وسلامه عليه .

قصة أخرى مع قصة العلاء بن الحضرمى

قال أبو بكر بن أبى الدنيا : حدثنى خالد بن خِدَاش بن عَجْلان المهلَّبى وإسماعيل بن بَشَّار قالا : حدثنا صالح المرِّى ، عن ثابت البُنَانى ، عن أنس بن مالك قال : عُدْنا شابا من الأنصار ، فما كان بأسرع من أن مات فأغمضناه ومددنا عليه الثوب .

---

(١) تقدم ذلك فى الجزء الأول من السيرة .

(٢) أذمت : أبطأت .

وقال بعضنا لأمه : احتسبيه ، قالت : وقد مات ؟ قلنا : نعم . فمدت يديها إلى السماء وقالت : اللهم إنى آمنت بك ، وهاجرت إلى رسولك ، فإذا نزلت بى شدة دعوتك ففرّجتها ، فأسألك اللهم لاتحمل علىّ هذه المصيبة .

قال : فكشف الثوب عن وجهه فما برحنا حتى أكلنا وأكل معنا .

وقد رواه البيهقى عن أبى سعيد الماليني ، عن ابن عدى ، عن محمد بن طاهر بن أبى الدّميل ، عن عبد الله بن عائشة ، عن صالح بن بشير المزنى - أحد زهاد البصرة وعُبّادها - مع لين فى حديثه عن أنس . فذكر القصة وفيه أن أم السائب كانت عجوزاً عمياء .

قال البيهقى : وقد روى من وجه آخر مرسل - يعنى فيه انقطاع - عن ابن عدى[1] وأنس بن مالك .

ثم ساقه من طريق عيسى بن يونس ، عن عبد الله بن عون ، عن أنس قال : أدركت فى هذه الأمة ثلاثا لوكانت فى بنى إسرائيل لمَا تقاسمها الأمم ، قلنا : ماهى ياأبا حمزة ؟ قال : كنا فى الصُّفة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتته امرأة مهاجرة ومعها ابن لها قد بلغ ، فأضاف المرأة إلى النساء وأضاف ابنها إلينا ، فلم يلبث أن أصابه وباء المدينة فمرض أياما ثم قُبض ، فغمضه النبى صلى الله عليه وسلم وأمر بجهازه ، فلما أردنا أن نغسله قال : ياأنس ائت أمه فأعلمها ، فأعلمتها ، قال : فجاءت حتى جلست عند قدميه فأخذت بهما ثم قالت : [اللهم إنى أسلمت لك طوعا ، وخالفتُ الأوثانَ زهداً ، وهاجرت لك رغبة][2] اللهم لاتُشمت بى عبدَة الأوثان ، ولا تحمّلنى من هذه المصيبة مالا طاقة لى بحملها .

قال : فوالله ما انقضى كلامها حتى حرك قدميه وألقى الثوب عن وجهه وعاش

---

(١) ا : عن ابن عون .　　(٢) سقط من ا .

حتى قبض الله رسوله صلى الله عليه وسلم وحتى هلكت أمه .

قال : ثم جهز عمر بن الخطاب جيشا واستعمل عليهم العلاء بن الحضرمى .

قال أنس : وكنت فى غزاته فأتينا مغازينا فوجدنا القوم قد بدروا بنا فعفوا آثار الماء ، والحر شديد ، فجهدنا العطش ودوابنا وذلك يوم الجمعة ، فلما مالت الشمس لغروبها صلى بنا ركعتين ثم مد يده إلى السماء ، وما نرى فى السماء شيئاً .

قال : فوالله ماحط يده حتى بعث الله ريحاً وأنشأ سحاباً وأفرغت حتى ملأت الغُدُر والشِّعاب ، فشربنا وسقينا ركابنا واستقينا .

ثم أتينا عدونا وقد جاوزوا خليجاً فى البحر إلى جزيرة ، فوقف على الخليج وقال : ياعلى ، ياعظيم ، ياحليم يا كريم . ثم قال : أجيزوا بسم الله .

قال : فأجزنا مايبلّ الماء حوافر دوابنا ، فلم نلبث إلا يسيراً فأصبنا العدو عليه فقتلنا وأسرنا وسبّينا ، ثم أتينا الخليج ، فقال مثل مقالته ، فأجزنا مايبل الماء حوافرَ دوابنا .

قال : فلم نلبث إلا يسيراً حتى رُمِى فى جنازته ، قال : فحفرنا له وغسلناه ودفناه ، فأتى رجل بعد فراغنا من دفنه فقال : من هذا ؟ فقلنا : هذا خير البشر ، هذا ابن الحضرمى .

فقال : إن هذه الأرض تلفظ الموتى ، فلو نقلتموه إلى ميل أو ميلين ، إلى أرض تقبل الموتى . فقلنا : ما جزاء صاحبنا أن نعرضه للسباع تأكله . قال : فاجتمعنا على نبشه ، فلما وصلنا إلى اللحد إذا صاحبنا ليس فيه ، وإذا اللحد مدَّ البصر نور يتلألأ قال : فأعدنا التراب إلى اللحد ثم ارتحلنا .

قال البيهقى رحمه الله : وقد روى عن أبى هريرة فى قصة العلاء بن الحضرمى فى استسقائه ومشيهم على الماء دون قصة الموت بنحو من هذا .

وذكر البخارى فى التاريخ لهذه القصة إسناداً آخر ، وقد أسنده ابن أبى كُرَيب ، عن محمد بن فضيل ، عن الصَّلْت بن مطر العجلى ، عن عبد الملك بن سهم ، عن سهم ، ابن مِنْجاب قال : غزونا مع العلاء بن الحضرمى ، فذكره . وقال فى الدعاء : ياعليم ، ياحليم ، ياعلى ، ياعظيم ، إنا عبيدك وفى سبيلك نقاتل عدوك ، اسقنا غيثاً نشرب منه ونتوضأ ، فإذا تركناه فلا تجعل لأحد فيه نصيباً غيرنا .

وقال فى البحر : اجعل لنا سبيلاً إلى عدوك . وقال فى الموت : أخف جثتى ولا تُطْلع على عورتى أحداً فلم يُقْدَر عليه . والله أعلم .

قصة أخرى

قال البيهقى : أخبرنا الحسين بن بشران ، أخبرنا إسماعيل الصفار ، حدثنا الحسن ابن على بن عثمان ، حدثنا ابن نُمَير ، عن الأعمش ، عن بعض أصحابه قال : انتهينا إلى دجلة وهى مادّةٌ والأعاجم خلفها ، فقال رجل من المسلمين : بسم الله . ثم اقتحم بفرسه فارتفع على الماء ، فقال الناس : بسم الله . ثم اقتحموا فارتفعوا على الماء فنظر إليهم الأعاجم وقالوا : ديوان ديوان ، ثم ذهبوا على وجوههم .

قال : فما فقد الناس إلا قَدحاً كان معلقاً بعذَبة سِرْج ، فلما خرجوا أصابوا الغنائم فاقتسموها فجعل الرجل يقول : من يبادل صفراء ببيضاء ؟

قصة أخرى

قال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الرحمن السُّلَمى ، أخبرنا أبو عبدالله بن محمد السرى ، حدثنا أبو العباس السراج ، حدثنا الفضل بن سهل وهارون بن عبد الله قالا : حدثنا أبو النضر ، حدثنا سليمان بن المغيرة أن أبا مسلم الخولانى جاء إلى دجلة وهى ترمى بالخشب من مدها ، فمشى على الماء والتفت إلى أصحابه وقال : هل تفقدون من متاعكم شيئاً فندعوا الله عز وجل ؟

قال البيهقى : هذا إسناد صحيح .

قلت : وقد ذكرنا قصة مسلم الخولانى ـ واسمه عبد الله بن ثوب ـ مع الأسود العَنْسى حين ألقاه فى النار فكانت عليه برداً وسلاماً كما كانت على الخليل إبرٰهيم عليه السلام .

قصة زيد بن خارجة وكلامه بعد الموت

وشهادته بالرسالة لمحمد صلى الله عليه وسلم وبالخلافة لأبى بكر الصديق ثم لعمر ثم لعثمان رضى الله عنهم .

قال الحافظ أبو بكر البيهقى : أخبرنا أبو صالح بن أبى طاهر العنبرى ، أخبرنا جَدِّى يحيى بن منصور القاضى ، حدثنا أبو على بن محمد بن عمرو بن كشمرد ، أخبرنا القَعْنبى ، أخبرنا سليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيّب ، أن زيد بن خارجة الأنصارى ثم من بنى الحارث بن الخزرج توفى زمن عثمان بن عفان فسُجّى بثوبه ، ثم إنهم سمعوا جَلْجلة فى صدره ثم تكلم ثم قال : أحمد أحمد فى الكتاب الأول ، صدَق صدق ، أبو بكر الصديق الضعيف فى نفسه القوى فى أمر الله ، فى الكتاب الأول ، صدق صدق ، عمر بن الخطاب القوى الأمين فى الكتاب الأول ، صدَق صدَق ، عثمان بن عفان على منهاجهم ، مضت أربع وبقيت ثنتان أتت بالفتن ، وأكل الشديد الضعيف. وقامت الساعة وسيأتيكم عن جيشكم خبر ، بئر أريس ، وما بئر أريس .

قال يحيى : قال سعيد : ثم هلك رجل من بنى خَطمة فسجّى بثوبه ، فسُمع جلجلة فى صدره ، ثم تكلم فقال : إن أخا بنى الحارث بن الخزرج صدق صدق .

ثم رواه البيهقى عن الحاكم عن أبى بكر بن إسحاق ، عن موسى بن الحسن ، عن القعنبى فذكره وقال : هذا إسناد صحيح وله شواهد .

ثم ساقه من طريق أبى بكر عبد الله بن أبى الدنيا فى كتاب « من عاش بعد الموت » :

حدثنا أبو مسلم عبد الرحمن بن يونس ، حدثنا عبد الله بن إدريس ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، قال : جاء يزيد بن النعمان بن بشير إلى حلقة القاسم بن عبد الرحمن بكتاب أبيه النعمان بن بشير — يعنى إلى أمه — بسم الله الرحمن الرحيم من النعمان بن بشير إلى أم عبد الله بنت أبى هاشم ، سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، فإنك كتبت إلىّ لأكتب إليك بشأن زيد بن خارجة ، وإنه كان من شأنه أنه أخذه وجع فى حلقه — وهو يومئذ من أصح الناس أو أهل المدينة — فتوفى بين صلاة الأولى وصلاة العصر فأضجعناه لظَهره وغشّيناه ببردين وكِساء .

فأتانى آت فى مقامى ، وأنا أسبح بعد المغرب فقال : إن زيداً قد تكلم بعد وفاته ، فانصرفت إليه مسرعاً ، وقد حضره قوم من الأنصار ، وهو يقول أو يقال على لسانه : الأوسط أجلَد الثلاثة الذى كان لا يبالى فى الله لومة لائم ، كان لا يأمر الناس أن يأكل قويُّهم ضعيفهم ، عبد الله أمير المؤمنين صدق صدق كان ذلك فى الكتاب الأول .

ثم قال : عثمان أمير المؤمنين وهو يعافى الناس من ذنوب كثيرة ، خلت اثنتان وبقى أربع ، ثم اختلف الناس وأكل بعضهم بعضا فلا نظام وأنتجت الأكماء [1] ، ثم ارعوى المؤمنون وقال : كتاب الله وقدَره ، أيها الناس : أقبلوا على أميركم واسمعوا وأطيعوا ، فمن تولى فلا يعهدن دماً وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، الله أكبر هذه الجنة وهذه النار ، ويقول النبيون والصديقون : سلام عليكم : ياعبد الله بن رواحة هل أحسستَ لى خارجة لأبيه [2] وسعداً الذين قُتلا يوم أحد ؟ « كلاّ إنّها لظَى نزّاعة للشّوَى تدعو من أدبر وتولّى وجمع فأوعى » .

ثم خفَت صوتُه ، فسألت الرهط عما سبقنى من كلامه ، فقالوا : سمعناه يقول : أنصتوا أنصتوا ، فنظر بعضنا إلى بعض فإذا الصوت من تحت الثياب .

---

(١) الأكماء : الأرض التى أكل كل مافيها .

(٢) كذا بالأصل

قال : فكشفنا عن وجهه فقال : هذا أحمد رسول الله ، سلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته .

ثم قال : أبو بكر الصديق الأمين ، خليفة رسول الله كان ضعيفاً فى جسمه ، قويا فى أمر الله صدق صدق وكان فى الكتاب الأول .

ثم رواه الحافظ البيهقى عن أبى نصر بن قتادة عن أبى عمرو بن بجير [(١)] عن على ابن الحسين [بن الجنيد [(٢)]] عن المعافى بن سليمان ، عن زهير بن معاوية ، عن إسماعيل بن أبى خالد فذكره وقال : هذا إسناد صحيح .

وقد روى هشام بن عمار فى كتاب البعث عن الوليد بن مسلم ، عن عبد الرحمن ابن يزيد بن جابر قال : حدثنى عمير بن هانئ ، حدثنى النعمان بن بشير قال : توفى رجل منا يقال له : خارجة بن زيد فسجينا عليه ثوبا ، فذكر نحو ماتقدم [(٣)]] .

قال البيهقى : وروى ذلك عن حبيب بن سالم ، عن النعمان بن بشير وذكر بئر أريس كما ذكرنا فى رواية ابن المسيب .

قال البيهقى : والأمر فيها أن النبى صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتماً فكان فى يده ، ثم كان فى يد أبى بكر من بعده ، ثم كان فى يد عمر ، ثم كان فى يد عثمان حتى وقع منه فى بئر أريس بعد مامضى من خلافته ست سنين ، فعند ذلك تغيرت عماله ، وظهرت أسباب الفتن كما قيل على لسان زيد بن خارجة .

قلت : وهى المرادة من قوله مضت اثنتان وبقى أربع وبقى اثنتان ، على اختلاف الرواية والله أعلم .

وقد قال البخارى فى التاريخ : زيد بن خارجة الخزرجى الأنصارى شهد بدراً ، توفى زمن عثمان وهو الذى تكلم بعد الموت .

---

(١) ا : عمرو بن نجيد . (٢) سقطت من المطبوعة . (٣) زيادة من ت .

قال البيهقى : وقد روى فى التكلم بعد الموت عن جماعة بأسانيد صحيحة والله أعلم .

قال ابن أبى الدنيا : حدثنا خلف بن هشام البزار ، حدثنا خالد الطحّان ، عن حصين ، عن عبد الله بن عبيد الأنصارى أن رجلا من بنى سلمة تكلم فقال : محمد رسول الله ، أبو بكر الصديق ، عثمان اللين الرحيم .

قال : ولا أدرى إيش قال فى عمر .

كذا رواه ابن أبى الدنيا فى كتابه .

وقد قال الحافظ البيهقى : أخبرنا أبو سعيد بن أبى عمرو ، حدثنا أبو العباس محمد ابن يعقوب ، حدثنا يحيى بن أبى طالب ، أخبرنا على بن عاصم ، أخبرنا حصين بن عبد الرحمن ، عن عبد الله بن عبيد الأنصارى قال : بينما هم يثوّرون القتلى يوم صفين أو يوم الجمل ، إذ تكلم رجل من الأنصار من القتلى ، فقال : محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان الرحيم ثم سكت .

[وقال هشام بن عمار فى كتاب البعث :

باب
فى كلام الأموات وعجائبهم

حدثنا الحكم بن هشام الثقفى ، حدثنا عبد الحكم بن عمير ، عن رِبْعى بن خِرَاش العبسى ، قال : مرض أخى الربيع بن خراش فمرّضته ثم مات فذهبنا نجهزه ، فلما جئنا رفع الثوب عن وجهه ثم قال : السلام عليكم ، قلنا : وعليك السلام ، قَدِمتَ ؟ قال : بلى ولكن لقيت بعدكم ربى ولقينى بروح وريحان ورب غير غضبان ، ثم كسانى ثيابا من سندس أخضر ، وإنى سألته أن يأذن لى أن أبشركم فأذن لى ، وإن الأمر كما ترون ، فسَدِّدوا وقاربوا ، وبَشّروا ولا تنفروا . فلما قالها كانت كحصاة وقعت فى ماء .

ثم أورد بأسانيد كثيرة فى هذا الباب وهى آخر كتابه][1] .

قال البيهقى : أخبرنا على بن أحمد بن عبدان ، حدثنا محمد بن يونس الكُدَيْمى ، حدثنا شاصُونة بن عبيد أبو محمد اليمانى ـ وانصرفنا من عدن بقرية يقال لها الحَرْدة ـ حدثنى مُعْرِض بن عبد الله بن معرض بن مُعَيْقيب اليمانى ، عن أبيه ، عن جده قال : حججت حجة الوداع فدخلت داراً بمكة فرأيت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه مثل دارة القمر ، وسمعت منه عجباً ، جاءه رجل بغلام يوم ولد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أنا ؟ قال : أنت رسول الله ، قال : صدقت ، بارك الله فيك . ثم قال : إن الغلام لم يتكلم بعد ذلك حتى شب ، قال أبى : فكنا نسميه مبارك اليمامة ، قال شاصونة : وقد كنت أمرّ على مَعْمَر فلا أسمع منه .

قلت : هذا الحديث مما تكلم الناس فى محمد ابن يونس الكُدَيمى بسببه وأنكروه

(١) من ت .

عليه واستغربوا شيخه هذا ، وليس هذا مما ينكر عقلا ولا شرعاً ، فقد ثبت فى الصحيح فى قصة جُرَيج العابد أنه استنطق ابنَ البَغِى ، فقال له : ياباسوس [1] ابن من أنت ؟ قال : ابن الراعى ، فعلم بنو إسرائيل براءة جريج مما كان نسب إليه . وقد تقدم ذلك .

على أنه قد روى هذا الحديث من غير طريق الكُدَيْمى ، إلا أنه بإسناد غريب أيضاً .

قال البيهقى : أخبرنا أبو سعد عبد الملك بن أبى عثمان الزاهد ، أخبرنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن جُمَيع الغَسَّانى ـ بثغر صَيْدا ـ ، حدثنا العباس بن محبوب بن عثمان ابن عبيد أبو الفضل ، حدثنا أبى ، حدثنا جدى شاصُونَة بن عُبيد ، حدثنى مُعْرِض بن عبد الله بن مُعَيقيب [عن أبيه] [2] عن جده . قال : حججت حجة الوداع فدخلت داراً بمكة ، فرأيت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه كدارة القمر ، فسمعت منه عجباً أتاه رجل من أهل اليمامة بغلام يوم ولد وقد لفه فى خرقة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياغلام من أنا ؟ قال : أنت رسول الله ، فقال له : بارك الله فيك . ثم إن الغلام لم يتكلم بعدها .

قال البيهقى : وقد ذكره شيخنا أبو عبد الله الحافظ ، عن أبى الحسن على بن العباس الوراق ، عن أبى الفضل أحمد بن خلف بن محمد المقرى القَزْوينى ، عن أبى الفضل العباس بن محمد بن شاصُونة به .

قال الحاكم : وقد أخبرنى الثقة من أصحابنا عن أبى عمر الزاهد قال : لما دخلت

(١) المطبوعة : يا أبا يونس .
(٢) سقطت من ا .

اليمن دخلتُ حَرْدة . فسألت عن هذا الحديث فوجدتـخيها لشاصونة عَقِباً ، وُحملت إلى قبره فزرته .

قال البيهقى : ولهذا الحديث أصل من حديث الكوفيين بإسناد مرسل يخالفه فى وقت الكلام .

ثم أورد من حديث وَكيع ، عن الأعمش ، عن شَمر بن عطية ، عن بعض أشياخه أن النبى صلى الله عليه وسلم أُتى بصبِىّ قد شَبَّ لم يتكلم قط ، قال : من أنا ؟ قال : أنت رسول الله .

ثم روى عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُكَير ، عن الأعمش ، عن شمر بن عطية ، عن بعض أشياخه قال : جاءت امرأة بابن لها قد تحرك فقالت : يارسول الله ، إن ابنى هذا لم يتكلم منذ ولد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أدنيه منى . فأدنته منه ، فقال : من أنا ؟ فقال : أنت رسول الله .

قصة الصبى الذى كان يُصْرع فدعا له عليه السلام فبرأ

وقد تقدم ذلك من رواية أسامة بن زيد وجابر بن عبد الله ويَعْلَى بن مُرة الثقفى مع قصة الجمل الحديث بطوله .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن فَرْقد السَّنْجى ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس أن امرأة جاءت بولدها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يارسول الله إن به لَمَماً وإنه يأخذه عند طعامنا فيفسد علينا طعامنا .

قال : فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره ودعا له فثَعَّ ثَعَّةً فخرج منه مثل الجرو الأسود يسعى .

تفرد به أحمد .

وفَرْقد السَّنجى رجل صالح ولكنه سيء الحفظ ، وقد روى عنه شعبة وغير واحد

واحتُمل حديثه ، ولما رواه هاهنا شاهد مما تقدم . والله أعلم .

وقد تكون هذه القصة هي ما[1] سبق إيرادها ، ويحتمل أن تكون أخرى غيرها . والله أعلم .

حديث آخر في ذلك

قال أبو بكر البزار : حدثنا محمد بن مرزوق ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا صدقة ـ يعني ابن موسى ـ حدثنا فرقد ، يعني السَّبَخي[2] ـ عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فجاءته امرأة من الأنصار فقالت : يارسول الله إن هذا الخبيث قد غلَبني .

فقال لها : إن تصبري على ما أنت عليه تجيئين يوم القيامة ليس عليك ذنوب ولا حساب .

قالت : والذي بعثك بالحق لأصبرن حتى ألقى الله . قالت : إني أخاف الخبيثَ أن يجرِّدني ، فدعا لها فكانت إذا خشيت أن يأتيها تأتي أستار الكعبة فتعلق بها وتقول له : اخسأ . فيذهب عنها .

قال البزار : لا نعلمه يُروى بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه ، وصدقة ليس به بأس ، وفَرْقَد حدَّث عنه جماعةٌ من أهل العلم ، منهم شعبة وغيره ، واحتُمل حديثه على سوء حفظه فيه .

طريق أخرى عن ابن عباس

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن عمران أبي بكر ، حدثنا عطاء بن أبي رباح ، قال قال لي ابن عباس : ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ قلت : بلى . قال هذه السوداء

(١) المطبوعة : كما . (٢) الأصل : السنجي . وهو تحريف ، والتصويب من ميزان الاعتدال ٣/٣٤٥

أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : إنى أُصْرَع وأنـكشف فادع الله لى .

قال : إن شئت صبرتِ ولك الجنة ، وإن شئت دعوت الله لك أن يعافيك .

قالت : لا بل أصبر فادع الله ألا أنـكشف ولا ينـكشف عنى ، قال : فدعا لها .

وهكذا رواه البخارى عن مُسَدَّد عن يحيى ـ وهو ابن سعيد القطان ـ وأخرجه مسلم عن القَوارِيرى ، عن يحيى القطان وبشر بن الفضل ، كلاهما عن عمران بن مسلم أبى بكر الفقيه البصرى ، عن عطاء بن أبى رباح ، عن ابن عباس فذكر مثله .

ثم قال البخارى : حدثنا محمد ، حدثنا مَخْلَدَ ، عن ابن جُرَيج ، قال : أخبرنى عطاء أنه رأى أمّ زُفَر تلك امرأة طويلة سوداء على ستر الـكعبة .

وقد ذكر الحافظ ابن الأثير فى الغاية أن أم زفر هذه كانت مَشَّاطة خديجة بنت خويلد قديما ، وأنها عُمِّرت حتى أدركها عطاء بن أبى رباح فالله أعلم .

حـديث آخر

قال البيهقى : أخبرنا على بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد ، حدثنا محمد ابن يونس ، حدثنا قُرَّة بن حبيب الضوِّى ، حدثنا إياس بن أبى تميمة ، عن عطاء عن أبى هريرة ، قال : جاءت الحمَّى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يارسول الله ابعثنى إلى أحب قومك إليك أو أحب أصحابك إليك ، شكَّ قُرَّة .

فقال : اذهبى إلى الأنصار . فذهبت إليهم فصرعتهم . فجاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يارسول الله قد أتت الحمى علينا فادع الله لنا بالشفاء . فدعا لهم فـكُشفت عنهم .

قال : فاتبعته امرأة . فقالت : يارسول الله ادع الله لى ، فإنى لمن الأنصار فادع الله لى كما دعوتَ لهم . فقال : أيهما أحب إليك أن أدعو لك فيـكشف عنك ، أو تصبرين وتجب لك الجنة ؟

فقالت : لا والله يارسول الله بل أصبر ثلاثا ولا أجعل والله لجنته خَطَراً [١] .

محمد بن يونس الكُدَيمى ضعيف [٢] .

وقد قال البيهقى : أخبرنا على بن أحمد بن عبدان ،أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار ، حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل ، حدثنا أبى ، حدثنا هشام بن لاحق سنة خمس وثمانين ومائة ـ حدثنا عاصم الأحول ، عن أبى عثمان النَّهْدى ، عن سلمان الفارسى ، قال : استأذنت الحمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : من أنت ؟ قالت : أنا الحمى ، أبْرى اللحم ، وأمصّ الدم ، قال : اذهبى إلى أهل قُباء ، فأتتهم فجاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اصفرت وجوههم ، فشكوا إليه الحمى فقال لهم : ماشئتم إن شئتم دعوت الله فيكشف عنكم ، وإن شئتم تركتموها فأسقطتْ ذنوبكم . قالوا : بل نَدَعها يارسول الله .

وهـذا الحديث ليس هو فى مسند الإمام أحمد ، ولم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة [٣] .

وقد ذكرنا فى أول الهجرة دعاءه عليه السلام لأهل المدينة أن يُذهب حُماها إلى الجُحْفة ، فاستجاب الله له ذلك ؛ فإن المدينة كانت من أوبأ أرض الله فصححها الله ببركة حلوله بها ، ودعائه لأهلها صلوات الله وسلامه عليه .

حديث آخر فى ذلك

قال الإمام أحمد : حدثنا رَوْح ، حدثنا شُعبة ، عن أبى جعفر المدِينى ، سمعت عمارة

---

(١) الخطر : العدل أو المثل .

(٢) الحق أن منهج ابن كثير العلمى فى فحص الأحاديث من جهة السند ، هو الذى أوسع صدره لذكر هذه الروايات ، وإلا فإنها بمتونها تناقض العقل وتجنح إلى الخرافة ، وماأغنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمثال هذه الأكاذيب .

(٣) بل هو ظاهر الوضع بعيد عن العقل .

ابن خزيمة بن ثابت يحدث عن عثمان بن حنيف : أن رجلا ضريراً أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ادع الله أن يعافيني .

فقال : إن شئتَ أخرتُ ذلك فهو أفضل لآخرتك ، وإن شئت دعوت لك .

قال : لا ، بل ادع الله لي .

قال : فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتوضأ ويصلي ركعتين ، وأن يدعو بهذا الدعاء : اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، يامحمد إني أتوجه بك في حاجتي هذه فتُقضَى وتُشفِّعني فيه وتُشفِّعه فيّ .

قال : فكان يقول هذا مراراً . ثم قال بعد : أحْسب أن فيها أن تشفّعني فيه . قال : ففعل الرجل فبرأ .

وقد رواه أحمد أيضاً عن عثمان بن عمرو عن شعبة به . وقال : اللهم شفعه فيّ ، ولم يقل الأخرى ، وكأنها غلط من الراوي والله أعلم .

وهكذا رواه الترمذي والنسائي عن محمود بن غَيلان ، وابن ماجه ، عن أحمد بن منصور بن سَيّار ، كلاهما عن عثمان بن عمرو .

وقال الترمذي : حسن صحيح غريب لانعرفه إلا من حديث ابن جعفر الخطَميّ .

ثم رواه أحمد أيضا عن مؤمّل بن حماد بن سلمة بن أبي جعفر الخطمي ، عن عمارة ابن خزيمة ، عن عثمان بن حُنيف . فذكر الحديث .

وهكذا رواه النسائي عن محمد بن معمر ، عن حبان ، عن حماد بن سلمة به .

ثم رواه النسائي عن زكريا بن يحيي ، عن محمد بن المثنّى ، عن معاذ بن هشام ، عن أبيه ، عن أبي جعفر ، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، عن عمه عثمان بن حنيف .

وهذه الرواية تخالف ماتقدم ، ولعله عند أبي جعفر الخطمي من الوجهين والله أعلم .

وقد روى البيهقي والحاكم من حديث يعقوب بن سفيان ، عن أحمد بن شَبيب ، عن سعيد الحَنْظَلِيّ ، عن أبيه ، عن رَوْح بن القاسم ، عن أبي جعفر المدِيني ، عن أبي أمامة بن سهل بن حُنيف ، عن عمه عثمان بن حنيف قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءه رجل ضرير ، فشكا إليه ذهاب بصره ، فقال : يارسول الله ليس لى قائد وقد شق عليّ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائت الميضأة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل : اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، يامحمد إنى أتوجه بك إلى ربى فينجَلى بصرى ، اللهم فشفّعه فى وشفعنى فى نفسى .

قال عثمان : فوالله ماتفرقنا ، ولا طال الحديث بنا حتى دخل الرجل كأنه لم يكن به ضُرّ قط .

قال البيهقي : ورواه أيضا هشام الدَّسْتُوائى ، عن أبي جعفر ، عن أبي أمامة بن سهل ، عن عمه عثمان بن حنيف .

حديث آخر

قال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا عبد العزيز بن عمر ، حدثني رجل من بنى سُلَامان بن[1] سعد ، عن أبيه ، عن خاله أو أن خاله أو خالها حبيب بن مُرَيْط حدثها ، أن أباه خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعيناه مُبْيضّتان لايبصر بهما شيئا أصلا ، فسأله : ماأصابك ؟ فقال كنت أرعى جملا لى فوقعت رجلى على بطن حية فأُصبتُ ببصرى .

قال : فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عينيه فأبصر ، فرأيته وإنه ليُدخل الخيطَ

(١) المطبوعة : وبى ، وهو تحريف .

فى الإبرة وإنه لابن ثمانين سنة ، وإن عينيه لمبيضّتان .

قال البيهقى : كذا فى كتابه : وغيره يقول ، حبيب بن مُدْرِك .

قال : وقد مضى فى هـذا المعنى حديث قَتادة بن النعمان أنه أصيبت عينه فسالت حدَقته فردّها رسول الله إلى موضعها ، فكان لايدرى أيهما أصيبت .

قلت : وقد تقدم ذلك فى غزوة أحد .

وقد ذكرنا فى مقتل أبى رافع مَسْحه بيده الكريمة على رجْل عبد الله[1] بن عتيك ـ وقد انكسرت ساقه ـ فبرأ من ساعته .

وذكر البيهقى بإسناده : أنه صلى الله عليه وسلم مسح يد محمد بن حاطب ـ وقد احترقت يده بالنار ـ فبرأ من ساعته .

وأنه عليه السلام نفث فى كف شُرَحْبيل الجُعْفى فذهبت من كفه سَلْعة كانت به .

قلت : وتقدم فى غزوة خيبر تَفْله فى عينى على وهو أرْمَد فبرأ .

وروى الترمذى عن علىٍّ حديثه فى تعليمه عليه السلام ذلك الدعاء لحفظ القرآن لحفظه .

وفى الصحيح أنه قال لأبى هريرة وجماعة : من يبسط رداءه اليوم فإنه لاينسى شيئا من مقالتى .

قال : فبسطته فلم أنس شيئا من مقالته تلك .

فقيل : كان ذلك حفظاً من أبى هريرة لكل ماسمعه منه فى ذلك اليوم ، [وقيل][2] : وفى غيره . فالله أعلم .

---

(١) كذا فى ت وهو الصواب . وفى ا : جابر بن عتيك .
(٢) سقطت من : ا .

ودعا لسعد بن أبي وقاص فبرأ .

وروى البيهقي أنه دعا لعمه أبي طالب في مَرْضة مرضها ، وطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو له ربه فدعا له فبرأ من ساعته .

والأحاديث في هذا كثيرة جداً يطول استقصاؤها .

وقد أورد البيهقي من هذا النوع كثيرا طيبا أشرنا إلى أطراف منه ، وتركنا أحاديث ضعيفة الإسناد واكتفينا بما أوردنا عما تركنا . وبالله المستعان .

حديث آخر

ثبت في الصحيحين من حديث زكريا بن أبي زائدة ، زاد مسلم : والمغيرة كلاهما عن شَراحِيل الشَّعبي ، عن جابر بن عبد الله ، أنه كان يسير على جمل قد أعْيا ، فأراد أن يَسيِّبه[1] .

قال : فلحقني رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربه ودعا لي ؛ فسار سيراً لم يَسِر مثله ، وفي رواية فما زال بين يدي الإبل قدامها حتى كنت أحبس خِطامه فلا أَقْدر عليه ، فقال : كيف ترى جملك ؟ فقلت : قد أصابته بركتك يارسول الله .

ثم ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتراه منه .

واختلف الرواة في مقدار ثمنه على روايات كثيرة ، وأنه استثنى حُمْلانه إلى المدينة ، ثم لما قدم المدينة جاءه بالجمل فنقده ثمنه[2] وزاده ثم أطلق له الجملَ أيضاً ، الحديث بطوله .

حديث آخر

روى البيهقي واللفظ له ، وهو في صحيح البخاري من حديث حسن بن محمد المرْوَزي

---

(١) يسيبه : يتركه ولا يركبه .

(٢) أ : الثمن .

عن جرير بن حازم، عن محمد بن سيرين، عن أنس بن مالك، قال: فزع الناسُ فركِب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فرساً لأبي طلحة بطيئا ثم خرج يركض وحده، فركب الناس يركضون خلفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: لن تراعوا إنه لبَحْر، قال فوالله ماسُبق بعد ذلك اليوم.

حديث آخر

قال البيهقي: أخبرنا أبو بكر القاضي، أخبرنا حامد بن محمد المرَوى، حدثنا على ابن عبد العزيز، حدثنا محمد بن عبد الله الرَّقاشي، حدثنا رافع بن سلمة بن زياد، حدثنى عبد الله بن أبي الَجعْد، عن جُعَيل الأشجعي، قال: غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض غزواته وأنا على فرس لى عجفاء ضعيفة.

قال: فكنت فى أخريات الناس، فلحقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال: سِرْ ياصاحب الفرس، فقلت: يارسول الله عجفاء ضعيفة. قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم مِخْفَقَةً(١) معه فضربها بها وقال: اللهم بارك له.

قال: فلقد رأيتنى أمسك برأسها أن تقدُم الناسَ، ولقد بعت من بطنها باثنى عشر ألفا.

ورواه النسائى عن محمد بن رافع، عن محمد بن عبد الله الرقاشي فذكره.

وهكذا رواه أبو بكر بن أبي خيثمة، عن عبيد بن يعيش، عن زيد بن الُحباب، عن رافع بن سلمة الأشجعي فذكره.

وقال البخارى فى التاريخ: وقال رافع بن زياد بن الجعد بن أبي الجعد: حدثنى أبي عبدالله ابن أبي الجعدِ أخى سالم، عن جعيل فذكره.

(١) المخفقة: السوط.

حديث آخر

قال البيهقى : أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان ببغداد ، أخبرنا أبو سهل بن زياد القطان ، حدثنا محمد بن شاذَان الجوهرى ، حدثنا زكريا بن عَدِى ، حدثنا مروان ابن معاوية ، عن يزيد بن كَيْسان ، عن أبى حازم ، عن أبى هريرة قال : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إنى تزوجت امرأة .

فقال : هلا[1] نظرت إليها فإن فى أعين الأنصار شيئا ؟ قال : قد نظرت إليها . قال : على كم تزوجتها ؟ فذكر شيئا .

قال : كأنهم ينحتون الذهب والفضة من عُرض هذه الجبال ، ما عندنا اليوم شىء نعطيكه ، ولكن سأبعثك فى وجهٍ تُصيب فيه ، فبعث بعثاً إلى بنى عبس وبعث الرجل فيهم ، فأتاه فقال : يارسول الله أعيَتْنى ناقتى أن تنبعث .

قال : فناوله رسول الله صلى الله عليه وسلم يده كالمعتمد عليه القيام ، فأتاها فضربها برجله .

قال أبو هريرة : والذى نفسى بيده لقد رأيتها تسبق به القائد .

رواه مسلم فى الصحيح ، عن يحيى بن مَعين ، عن مروان.

حديث آخر

قال البيهقى : أخبرنا أبو زكريا بن أبى إسحاق المزكى ، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب ، حدثنا أبو أحمد محمد بن عبد الوهاب ، أخبرنا أبو جعفر بن عون ، أخبرنا أبو جعفر بن عون ، أخبرنا الأعمش ، عن مجاهد ، أن رجلا اشترى بعيرا فأتى رسول الله

(١) ا : هل .

صلى الله عليه وسلم فقال : إنى اشتريت بعيراً فادع الله أن يبارك لى فيه فقال : اللهم بارك له فيه .

فلم يلبث إلا يسيرا أن نفق ، ثم اشترى بعيرا آخر فأتى به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنى اشتريت بعيرا فادع الله أن يبارك لى فيه . فقال : اللهم بارك له فيه ، فلم يلبث حتى نفق .

ثم اشترى بعيرا آخر فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله قد اشتريت بعيرين فدعوتَ الله أن يبارك لى فيهما فادع الله أن يَحْملنى عليه . فقال : اللهم احمله عليه . فمكث عنده عشرين سنة .

قال البيهقى : وهذا مرسل ودعاؤه عليه السلام صار إلى أمر الآخرة فى المرتين الأوليين .

حديث آخر

قال الحافظ البيهقى : أخبرنا أبو عبد الرحمن السُّلَمى ، أخبرنا إسماعيل بن عبد الله الميكالى ، حدثنا على بن سعيد العسكرى ، أخبرنا أبو أمية عبدالله بن محمد بن خَلَّاد الواسطى ، حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا المسلم بن سعيد ، حدثنا خُبَيب بن عبد الرحمن ابن حَبيب بن إساف ، عن أبيه ، عن جده حبيب بن إساف ، قال أتيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، أنا ورجل من قومى فى بعض مغازيه فقلنا : إنا نشتهى أن نشهد معك مشهداً .

قال : أسلمتم ؟ قلنا : لا ، قال : فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين .

قال : فأسلمنا ، وشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابتنى ضربة على عاتقى فجافتنى(١) ، فتعلقتُ يدِى ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفل فيها وألزقها فالتأمت وبرأت وقتلت الذى ضربنى

---

(١) جافتنى : بلغت جوفى .

ثم تزوجتُ ابنة الذى قتله وضربنى ، فكانت تقول: لا عدمتُ رجلا وشحك هذا الوشاح.

وأقول : لا عدمتِ رجلا أعجل أباكِ إلى النار .

وقد روى الإمام أحمد هذا الحديث عن يزيد بن هارون بإسناده مثله ولم يذكر : « فتفل فيها فبرأت » .

حديث آخر

ثبت فى الصحيحين من حديث أبى النضر هاشم بن القاسم ، عن وَرْقاء بن عمر اليشكرى ، عن عبدالله بن يزيد ، عن ابن عباس ، قال : أتى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الخلاء فوضعت له وَضُوءا فلما خرج قال : من صنع هذا ؟ قالوا : ابن عباس ، قال : اللهم فقِّهه فى الدين .

وروى البيهقى عن الحاكم وغيره ، عن الأصمّ ، عن عباس الدّورى ، عن الحسن بن موسى الأشْيَب ، عن زهير ، عن عبد الله بن عثمان بن خُثيم ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وضعَ يدَه على كتفى — أو قال : منكبى. شك سعيد — ثم قال : اللهم فقّهه فى الدين وعلّمه التأويل .

وقد استجاب الله لرسوله صلى الله عليه وسلم هذه الدعوة فى ابن عمه ، فكان إماماً يُهتدى بهداه ويُقتدى بسنَاه فى علوم الشريعة ، ولا سيما فى علم التأويل وهو التفسير ، فإنه انتهت إليه علومُ الصحابة قَبله ، وما كان عَقَله من كلام ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد قال الأعمش ، عن أبى الضُّحَى ، عن مسروق قال : قال عبد الله بن مسعود : لو أن ابن عباس أدرك أسناننا ماعاشره أحدٌ منّا .

وكان يقول لهم : نعمَ تَرجمان القرآن ابنُ عباس .

هذا وقد تأخرت وفاة ابن عباس عن وفاة عبد الله بن مسعود بيضع وثلاثين سنة ، فما ظنك بما حَصَّله بعده فى هذه للدة .

وقد روينا عن بعض أصحابه أنه قال : خطبَ الناسَ ابنُ عباس فى عشيةِ عرفة ففسر لهم سورة البقرة ، أو قال سورةً ، فَفَسَّرَها تفسيراً لو سمعه الرومُ والترك والديلم لأسلموا . رضى الله عنه وأرضاه .

حديث آخر

ثبتَ فى الصحيح أنه عليه السلام دعا لأنس بن مالك بكثرة المالِ والولدِ ، فكان كذلك حتى روى الترمذى ، عن محمود بن غَيْلان ، عن أبى داود الطيالسى ، عن أبى خَلدة ، قال : قلت لأبى العالية : سمع أنس من النبى صلى الله عليه وسلم .

فقال : خدَمه عشر سنين ودعا له ، وكان له بستان يحمل فى السنة الفاكهة مرتين ، [وكان فيه ريحان يجىء منه ريح المسك][1] .

وقد روينا فى الصحيح أنه ولِد له لصُلْبه قريبٌ من مائة أو ماينيف عليها .

وفى رواية : أنه صلى الله عليه وسلم ، قال : اللهم أطِلْ عمره ، فعمَّر مائةً .

وقد دعا صلى الله عليه وسلم لأم سُلَيم ولأبى طلحة فى غابر ليلتهما ، فولدت له غلاماً سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ، فجاء من صُلبه تسعة كلهم قد حفظ القرآن ، ثبت ذلك فى الصحيح .

وثبت فى صحيح مسلم من حديث عِكْرمة بن عمار ، عن أبى كَثير العَنْبَرى ،

---

(١) سقط من : ا .

عن أبى هريرة أنه سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو لأمّه فيهديها الله فدعا لها .

فذهب أبو هريرة فوجد أمه تغتسل خلف الباب فلما فرغت قالت : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، فجعل أبو هريرة يبكى من الفرح .

ثم ذهب فأعلم بذلك رسول الله ، وسأل منه أن يدعو لها أن يحببهما الله إلى عباده المؤمنين فدعا لهما ، فحصل ذلك .

قال أبو هريرة : فليس مؤمن ولا مؤمنة إلا وهو يحبّنا .

وقد صدَق أبو هريرة فى ذلك رضى الله عنه وأرضاه ، ومن تمام هذه الدعوة أن الله شهر ذِكْرَه فى أيام الجمَع حيث يذكره الناس بين يدى خطبة الجمعة، وهذا من التقييض القَدَرى والتقدير المنوى .

وثبت فى الصحيح أنه عليه السلام ، دعا لسعد بن أبى وقاص وهو مريض فعوفى ، ودعا له أن يكون مجابَ الدعوة ، فقال : اللهم أجب دعوتَه ، وسدِّد رَمْيته ، فكان كذلك ، فنِعْمَ أميرُ السرايا والجيوش كان .

وقد دعا على أبى سُعدة أسامة بن قتادة حين شهد فيه بالزُّور بطول العمر وكثرة الفقر والتعرض للفتن ، فكان ذلك ، فكان إذا سئل ذلك الرجل يقول : شيخ كبير مفتون أصابتنى دعوة سعدٍ .

وثبت فى صحيح البخارى وغيره أنه صلى الله عليه وسلم دعا للسائب بن يزيد ومسح بيده على رأسه فطال عمرُه حتى بلغ أربعاً وتسعين سنة وهو تام القامة معتدل ، ولم يَشِبْ منه موضعٌ أصابت يدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومُتّع بحواسه وقوله .

وقال أحمد : حدثنا جرير بن عمارة[1]، حدثنا عروة بن ثابت ، حدثنا علىّ بن أحمد، حدثنى أبو زيد الأنصارى ، قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ادنُ منى ، فمسح بيده على رأسى ثم قال : اللهم جَمِّله وأدِمْ جماله .

قال : فبلغ بضعا ومائة ـ يعنى سنة ـ ومافى لحيته بياض إلا نبذة يسيرة ، ولقد كان منبسط الوجه لم ينقبض وجهه حتى مات .

قال السُّهيلى : إسناد صحيح موصول .

ولقد أورد البيهقى لهذا نظائر كثيرة فى هذا المعنى ، تشفى القلوب ، وتحصّل المطلوب .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عارِم ، حدثنا مُعتمِر ، وقال يحيى بن مَعِين : حدثنا عبد الأعلى ، حدثنا معتمِر ـ هو ابن سليمان ـ قال : سمعت أبى يحدِّث عن أبى العلاء قال : كنت عند قَتادة بن مُلْحَان فى موضعه الذى مات فيه ، قال : فمرَّ رَجُل فى مُؤَخَّر الدارِ ، قال : فرأيته فى وجه قتادة .

وقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مسح وجهه ، قال : وكنت قَلَّ ما رأيته إلا ورأيت كأن على وجهه الدِّهان .

وثبت فى الصحيحين أنه عليه السلام دعا لعبد الرحمن بن عوف بالبركة حين رأى عليه ذلك الدرع من الزعفران لأجل العُرس ، فاستجاب الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ففتح له فى المتجر والمغانم حتى حصل له مال جزيل بحيث إنه لما مات صولحت امرأة من نسائه الأربع عن ربع الثُّمن على ثمانين ألفاً .

وثبت فى الحديث من طريق شَبِيب بن غَرْقَد أنه سمع الحىّ يخبِرون عن عروة بن أبى الجعد المازنى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاه ديناراً ليشترى له به شاة

---

(١) المطبوعة : بن عمير .

فاشترى به شاتين وباع إحداهما بدينار وأتاه بشاة ودينار ، فقال له : بارك الله لك فى صفقة يمينك .

وفى رواية : فدعا له بالبركة فى البيع، فكان لو اشترى التراب لربح فيه .

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن يوسف ، أخبرنا ابن وهب ، حدثنا سعيد بن أبى أيوب ، عن أبى عقيل أنه كان يخرج به جده عبد الله بن هشام إلى السوق فيشترى الطعام فيلقاه ابن الزبير وابن عمر فيقولان : أشركنا فى بيعك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا لك بالبركة . فيشركهم فربما أصاب الراحلة كما هى فيبعث بها إلى المنزل .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو سعد المالينى ، أخبرنا ابن عَدى ، حدثنا على بن محمد ابن سليمان الحلبى[1] ، حدثنا محمد بن يزيد المستملى ، حدثنا شَبابة بن عبد الله ، حدثنا أيوب بن سَيّار عن محمد بن المنكدر ، عن جابر ، عن أبى بكر ، عن بلال قال : أذّنتُ فى غَداة باردة فخرج النبىّ صلى الله عليه وسلم فلم ير فى المسجد واحداً .

فقال : أين الناس ؟ فقلت : منعهم البردُ .

فقال : اللهم أذهب عنهم البردَ . فرأيتهم يتروّحون .

ثم قال البيهقى : تفرد به أيوب بن سَيّار . ونظيره قد مضى فى الحديث المشهور عن حذيفة فى قصة الخندق .

حديث آخر

قال البيهقى : أخبرنا أبو عبدالله الحافظ ، أخبرنا عبد العزيز بن عبد الله ، عن محمد بن عبدالله الأصبهانى - إملاء - أخبرنا أبو إسماعيل الترمذى، عن محمد بن إسماعيل، حدثنا عبدالعزيز

(١) المطبوعة : الحلبى .

ابن عبدالله الأُوَيْسى ، حدثنا على بن أبى على اللَّهَبى (١) ، عن أبى ذئب ، عن نافع ، عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وعمر بن الخطاب معه ، فعرضت له امرأة ، فقالت : يارسول الله إنى امرأة مسلمة مُحْرِمة ومعى زوج لى فى بيتى مثل المرأة .

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : ادْعى لى زَوْجَك ، فدعته وكان خرازاً .

فقال له : ماتقول فى امرأتك ياعبد الله ؟ فقال الرجل : والذى أكرمك ماجَفَّ رأسى منها . فقالت امرأته : جاء مرةً واحدة فى الشهر .

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتبغضينه ؟ قالت : نعم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أدْنِيا رءوسكما . فوضع جبهتها على جبهة زوجها ثم قال : اللهم ألِّف بينهما وحَبِّب أحدهما إلى صاحبه .

ثم مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق النمط ومعه عمر بن الخطاب ، فطلعت المرأة تحمل أدماً على رأسها ، فلما رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم طرحته وأقبلت فقبلت رجليه .

فقال : كيف أنت وزوجك ؟

فقالت : والذى أكرمك ماطارفٌ ولا تالدٌ أحبّ إلى منه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشهد أنى رسول الله .

فقال عمر : وأنا أشهد أنك رسول الله .

قال أبو عبد الله : تفرد به على بن [أبى] على اللَّهَبى وهو كثير الرواية للمناكير .

قال البيهقى : وقد روى يوسف بن محمد بن المنكدر ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله — يعنى هذه القصة — إلا أنه لم يذكر عمر بن الخطاب .

---

(١) نسبة إلى أبى لهب عم النبى صلى الله عليه وسلم ، حجازى من أولاد أبى لهب ، يحدث عن الثقات بالموضوعات لا يجوز الاحتجاج به . اللباب ٣/٧٣ .

حديث آخر

قال أبو القاسم البغوى : حدثنا كامل بن طلحة ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا على ابن زيد بن جُدْعان ، عن أبى الطفيل ، أن رجلا ولد له غلامٌ فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا له بالبركة وأخذ بجبهته فنبتت شعرة فى جبهته كأنها هُلْبَة (١) فرس ، فشبَّ الغلام ، فلما كان زمنُ الخوارج أجابهم فسقطت الشعرة عن جبهته ، فأخذه أبوه فحبسه وقيَّده مخافة أن يلحق بهم .

قال : فدخلنا عليه فوعظناه وقلنا له : ألم تر إلى بركة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقعت ؟ فلم نزل به حتى رجع عن رأيهم .

قال : فردَّ الله تلك الشعرة إلى جبهته إذ تاب .

وقد رواه الحافظ أبو بكر البيهقى ، عن الحاكم وغيره ، عن الأصم ، عن أبى أسامة الكلبى عن سُرَيج بن مسلم ، عن أبى يحيى إسماعيل بن إبراهيم التَّيمى ، حدثنى سَيْف بن وهب ، عن أبى الطُّفيل ، أن رجلا من بنى ليث يقال له : فِرَاس بن عمرو أصابه صداع شديد فذهب به أبوه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلسه بين يديه ، وأخذ بجِلْدة بين عينيه فجذَبها حتى تبعَّضت (٢) فنبتت فى موضع أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم شعرة ، وذهب عنه الصداع فلم يُصدع وذكر بقية القصة فى الشعرة كنحو ما تقدم .

حديث آخر

قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا هاشم بن القاسم الحُدَّانى ، حدثنا يَعْلَى بن الأشدق ، سمعتُ عبد الله بن حراد العقيلى ، حدثنى النابغة — يعنى الجَعْدى — قال :

(١) الهلب : الشعر كله ، أو ما غلظ منه أو شعر الذنب .

(٢) تبعضت : تجزأت .

أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشدته من قولى :

بلغنا السماء عِفةً وتكرُّماً   وإنا لنرجو فوقَ ذلك مَظْهَرا

قال : أين المظهر ياأبا ليلى ؟ قال : قلت : أى الجنة . قال : أجل إن شاء الله . قال أنشدنى . فأنشدته من قولى :

ولا خيرَ فى حِلْم إذا لم يكن له   بَوادر تحمِى صَفْوه أن يُكدَّرا

ولا خير فى جهل إذا لم يكن له   حليمٌ إذا ما أورد الأمرَ أصْدَرا

قال أحسنتَ لا يَفْضض الله فاك .

هكذا رواه البزار إسناداً ومتناً .

وقد رواه الحافظ البيهقى من طريق أخرى فقال : أخبرنا أبو عثمان سعيد بن محمد بن محمد بن عَبْدان ، أخبرنا أبو بكر بن محمد بن المؤمّل ، حدثنا جعفر بن محمد بن سوار ، حدثنا إسماعيل بن عبد الله بن خالد السكّرى الرقى ، حدثنى يعلى بن الأَشْدق ، قال : سمعت النابغة ـ نابغة بنى جَعْدَة ـ يقول : أنشدتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم هذا الشعر ، فأعجبه :

بلغنا السماء مجدُنا وتُراثنا   وإنا لنرجوفوق ذلك مَظْهَرا

فقال : أين المظهر ياأبا ليلى ؟ قلت : الجنة . قال كذلك إن شاء الله :

ولا خيرَ فى حِلْم إذا لم يكن له   بَوادرُ تحمِى صَفْوه أن يكدَّرا

ولا خير فى جهل إذا لم يكن له   حَليم إذا ما أورد الأمرَ أصدَرا

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أجَدْتَ لا يفضض الله فاك .

قال يعلى : فلقد رأيته ولقد أتى عليه نَيِّف ومائة سنة وما ذهب له سِنّ .

قال البيهقى : وروى عن مجاهد بن سليم ، عن عبد الله بن جرّاد سمعت نابغة يقول : سمعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أنشد من قولى :

بلغنا السماء عفةً وتكرّما ... وإنا لنرجو فوق ذلك مَظهرا

ثم ذكر الباقي بمعناه ، قال : فلقد رأيت سِنّه كأنها البَرَد وللنَّهَل ماسقط له سِن ولا انفلت.

حديث آخر

قال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو بكر القاضي ، وأبو سعيد بن يوسف أبي عمرو ، قالا : حدثنا الأصمّ ، حدثنا عباس الدُّورى ، حدثنا على بن بحر القَطّان ، حدثنا هاشم ابن يوسف ، حدثنا مَعْمَر ، حدثنا ثابت ، وسليمان التيمى عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نظر قِبلَ العراق والشام واليمن ـ لا أدرى بأيتهن بدأ ـ ثم قال : اللهم أقبل بقلوبهم إلى طاعتك وحُطّ من أوزارهم .

ثم رواه عن الحاكم ، عن الأصم ، عن محمد بن إسحق الصَّغَانِيّ ، عن على بن بحر ابن سَرِىّ ، فذكره بمعناه .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا عمران القطان ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، عن زيد بن ثابت ، قال : نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم قِبلَ اليمن فقال : اللهم أقْبِل بقلوبهم . ثم نظر قِبلَ الشام فقال : اللهم أقبل بقلوبهم . ثم نظر قبل العراق فقال : اللهم أقبل بقلوبهم ، وبارك لنا فى صاعنا ومُدّنا .

وهكذا وقع الأمر ، أسلم أهلُ اليمن قَبلَ أهل الشام ، ثم كان الخير والبركة قِبلَ العراق ، ووعِد أهلُ الشام بالدوام على الهداية والقيام بنصرة الدين إلى آخر الأمر .

وروى أحمد فى مسنده : لاتقوم الساعة حتى يتحول خِيَار أهل العراق إلى الشام ، ويتحول شِرار أهل الشام إلى العراق .

فصــــل

وروى مسلم ، عن أبي بكر بن أبي شيبة عن زيد بن الحبَاب ، عن عِكرمة بن عمار حدثني إياس بن سلمة بن الأكوع أن أباه حدثه أن رجلا أكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله ، فقال له : كُلْ بيمينك . قال : لا أستطيع . قال : لا استطعت ، مايمنعه إلا الكِبْر قال : فما رفعها إلى فيه .

وقد رواه أبو داود الطيالسي ، عن عكرمة ، عن إياس ، قال : أبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرَ بن راعي العير وهو يأكل بشماله فقال : كل بيمينك . قال : لا أستطيع ، قال : لا استطعتَ . قال : فما وصلت يده إلى فيه بعد .

وثبت في صحيح مسلم من حديث شعبة ، عن أبي حمزة ، عن ابن عباس ، قال : كنت ألعب مع الغلمان فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختبأت منه ، فجاءني فحطَّأني خطوة أو خطوتين وأرسلني إلى معاوية في حاجة ، فأتيته وهو يأكل ، فقلت : أتيته وهو يأكل ، فأرسلني الثانية فأتيته وهو يأكل ، فقلت : أتيته وهو يأكل ، فقال : لا أشبع الله بطنه !

وقد روى البيهقي عن الحاكم ، عن علي بن حماد ، عن هشام بن علي ، عن موسى بن إسماعيل ، حدثني أبو عَوانة ، عن أبي حمزة : سمعت ابن عباس قال : كنت ألعب مع الغلمان فإذا رسول الله قد جاء فقلت : ماجاء إلا إليَّ ، فذهبت فاختبأت على باب ، فجاء فحطَّأني حَطْأةً وقال : اذهب فادع لي معاوية وكان يكتب[1] الوحي .

قال : فذهبت فدعوته له فقيل : إنه يأكل ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : إنه يأكل ، فقال : اذهب فادعه لي فأتيته الثانية ، فيل إنه يأكل . فأتيت

(١) ت يثبت . (٢) حطاني : ضربني بيده مبسوطة بين الكتفين . وفي الأصل : فخطاني خطوة . وهو تحريف ، وما أثبته من صحيح مسلم .

رسول الله فأخبرته فقال فى الثانية : لا أشبع الله بطنه (١) ، قال : فما شبع بعدها .

قلت : وقد كان معاوية رضى الله عنه لا يشبع بعدها ، ووافقته هذه الدعوة فى أيام إمارته فيقال : إنه كان يأكل فى اليوم سبع مرات طعاماً بلحم .

وكان يقول : والله لا أشبع وإنما أعْيَى .

وقدمنا فى غزوة تبوك أنه مرّ بين أيديهم وهم يصلون غلام فدعا عليه فأقعد فلم يقم بعدها .

وجاء من طرق أوردها البيهقى أن رجلا حاكى النبى صلى الله عليه وسلم فى كلام واختلج بوجهه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كن كذلك . فلم يزل يختلج ويرتعش مدةَ عمره حتى مات .

وقد ورد فى بعض الروايات أنه الحكم بن أبى العاص ، أبو مروان بن الحكم فالله أعلم .

وقال مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن جابر بن عبد الله ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة بنى أنمار ، فذكر الحديث فى الرجل الذى عليه ثَوْبان قد خَلَقا ، وله ثوبان فى العُنْبَة ، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبسهما ثم ولَّى فقال رسول الله : ماله ؟ ضرَب الله عنقه ؟ فقال الرجل : فى سبيل الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فى سبيل الله ، فقُتل الرجل فى سبيل الله .

وقد ورد من هذا النوع كثير .

وقد ثبت فى الأحاديث الصحيحة بطرق متعددة عن جماعة من الصحابة تفيد القطع كما سنوردها قريبا فى باب فضائله صلى الله عليه وسلم : أنه قال : اللهم من سَبَبْتــه

---

(١) ت لا أشبعه الله .

أو جلدته أو لعنته وليس لذلك أهلاً فاجعل ذلك قُرْبة له تقربه بها عندك يوم القيامة .

وقد قدمنا فى أول البعثة حديثَ ابن مسعود فى دعائه صلى الله عليه وسلم على أولئك النفر السبعة ، الذين أحدهم أبو جهل بن هشام وأصحابه ، حين طَرحوا على ظهره عليه السلام سَلا الجزُور ، وألقته عنه ابنته فاطمة ، فلما انصرف قال : اللهم عليك بقريش ، اللهم عليك بأبى جهل بن هشام ، وشَيبة بن ربيعة ، وعُتبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، ثم سمّى بقية السبعة .

قال ابن مسعود : فوالذى بعثه بالحق لقد رأيتهم صَرْعَى فى القَليب قليب بدر . الحديث .

وهو متفق عليه .

حديث آخر

قال الإمام أحمد : حدثنى هشام ، حدثنا سليمان ـ يعنى ابن المغيرة ـ عن ثابت ، عن أنس بن مالك قال : كان منا رجل من بنى النجار قد قرأ البقرة وآل عمران ، وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلق هارباً حتى لحق بأهل الكتاب .

قال : فرفعوه وقالوا : هذا كان يكتب لمحمد ، وأعجبوا به ، فما لبث أن قصَم الله عنقه فيهم .

فحفروا له فوَاروه ، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها ، ثم عادوا فحفروا له وواروه ، فأصبحت الأرض قد نبذَته على وجهها فتركوه منبوذاً .

ورواه مسلم عن محمد بن رافع ، عن أبى النضر هاشم بن القاسم به .

طريق أخرى عن أنس

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هرون ، حدثنا حُميد ، عن أنس ، أن رجلا كان

يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم وكان قد قرأ البقرة وآل عمران .

وكان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران عزّ فينا ـ يعني عَظُم ـ فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُملي عليه : غفوراً رحيما . فيكتب : عليماً حكيما .

فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم : اكتب كذا وكذا فيقول : أكتب كيف شئتُ . ويُملي عليه : عليماً حكيما ،فيكتب : سميعاً بصيراً ، فيقول : أكتب كيف شئتُ.

قال : فارتد ذلك الرجل عن الإسلام فلحق بالمشركين ، وقال : أنا أعلمكم بمحمد ، وإني كنت لاأكتب إلا ماشئت .

فمات ذلك الرجل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنّ الأرض لاتقبله .

قال أنس : فحدثني أبو طلحة أنه أتى الأرضَ التي مات فيها ذلك الرجل فوجده منبوذا .

فقال أبو طلحة : ماشأن هذا الرجل ؟ قالوا : قد دفناه مِراراً فلم تقبله الأرض .

وهذا على شرط الشيخين ولم يخرجوه .

طريق أخرى عن أنس

وقال البخاري : حدثنا أبو معمر ، حدثنا عبد الرزاق[1] ، حدثنا عبد العزيز ، عن أنس بن مالك قال : كان رجل نصراني فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران ، وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فعاد نصرانياً ، وكان يقول : لايدري محمد إلا ما كتبتُ له . فأماته الله فدفنوه فأصبح وقد لفظته الأرض .

فقالوا : هذا فعل محمد وأصحابه ، لمّا هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فألقوه .

فحفروا له فأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا ، فأصبحوا وقد لفظته الأرض ، فعلموا أنه ليس من الناس . فألقوه .

---

(١) ا : عبد الوارث : وهو تحريف

باب

المسائل التى سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجاب عنها بما يطابق الحقّ للوافق لما تشهد به الكتب المتقدمة للوروثة عن الأنبياء قبله

قد ذكرنا فى أول البعثة ماتعنّتت به قريش وبعثت إلى يهود للدينة يسألونهم عن أشياء يسألون عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقالوا : سَلُوه عن الروح ، وعن أقوام ذهبوا فى الدهر فلا يُدْرَى ماصنعوا ، وعن رجل طَوّاف فى الأرض بلَغ للشارقَ وللغارب .

فلما رجعوا سألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله عز وجل قوله تعالى : « ويسألونك عن الرُّوح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » .

وأنزل سورة الكهف يشرح فيها خبر الفِتْية الذين فارقوا دينَ قومهم وآمنوا بالله العزيز الحميد ، وأفْردوه بالعبادة ، واعتزلوا قومهم ، ونزلوا غاراً وهو الكهف ، فناموا فيه ، ثم أيقظهم الله بعد ثلاثمائة سنة وتسع سنين ، وكان من أمرهم ما قصّ الله علينا فى كتابه العزيز .

ثم قصّ خبر الرجلين للؤمن والكافر ، وما كان من أمرهما .

ثم ذكر خبر موسى والخضر وما جرى لهما من الحكم وللواعظ .

ثم قال : « ويسألونك عن ذى القَرْنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً » ، ثم شرح ، ثم ذكر خبره وما وصل إليه من للشارق وللغارب ، وما عمل من للصالح فى العالم .

وهذا الإخبار هو الواقع فى الواقع ، وإنما يوافقه من الكتب التى بأيدى أهل

الكتاب ما كان منها حقاً ، وأما ما كان مُحرَّفاً مبدلاً فذاك مَردود .

فإن الله بعث محمداً بالحق وأنزل عليه الكتاب ليبين الناس ما اختلفوا فيه من الأخبار والأحكام .

قال الله تعالى بعد ذكر التوراة والإنجيل : « وأنزلنا إليك الكتابَ بالحق مصدِّقاً لما بين يديه من الكتاب ومُهَيمناً عليه[1] » .

وذكرنا فى أول الهجرة قصة إسلام عبدالله بن سلَام ، وأنه قال: لما قدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفلَ[2] الناس إليه فكنت فيمن انجفل ، فلما رأيت وجهه قلت[3] : إن وجهه ليس بوجه كذَّاب .

فكان أول ما سمعته يقول : أيها الناس ، أفشوا السلام ، وصِلُوا الأرحامَ وأطعموا الطعام ، وصَلُّوا بالليل والناس نِيَام ، تدخلوا الجنة بسلام .

وثبت فى صحيح البخارى وغيره من حديث إسماعيل بن عطية وغيره ، عن حُميد ، عن أنس ، قصة سؤاله رسول الله صلى الله عليه وسلم [عن] ثلاثٍ لا يعلمهن إلا نبى : ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟

وما يَنزِع الولدَ إلى أبيه وإلى أمه ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخبرنى بهنَّ جبريل آنفاً ، ثم قال : أما أول أشراط الساعة فنار تَحْشر الناسَ من المشرق إلى المغرب .

وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادةُ كبد الحوت .

وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزَع الولد إلى أبيه ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزَع الولد إلى أمه .

وقد رواه البيهقى عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس

---

(١) سورة المائدة . (٢) انجفل : اجتمع . (٣) ت : علمت .

ابن بُكَير ، عن أبى مَعْشَر ، عن سعيد المقبُرى ، فذكر مُساءلة عبد الله بن سلاَم إلا أنه قال : فسأله عن السواد الذى فى القمر ، بدَل أشراط الساعة .

فذكر الحديث إلى أن قال : وأما السواد الذى فى القمر فإنهما كانا شمسين فقال الله عزوجل : « وجعَلْنا الليلَ والنهارَ آيتين فمحوْنا آيةَ الليل [1] » فالسواد الذى رأيت هو المحْو . فقال عبد الله بن سلام : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

حديث آخر فى معناه

قال الحافظ البيهقى : أخبرنا أبو زكريا يحيى بن إبراهيم المزكّىّ ، أخبرنا أبو الحسن — أحمد بن محمد بن عَبْدَروس — حدثنا عثمان بن سعيد ، أخبرنا الربيع بن نافع ، أبو توبة حدثنا معاوية بن سلام ، عن زيد بن سلام ، أنه سمع أبا سلام يقول : أخبرنى أبو أسماء الرَّحَبى أن ثَوْبان حدَّثه قال : كنت قائما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه حَبْر من أحبار اليهود فقال : السلام عليك يامحمد . فدفعتُه دفعة كاد يُصْرع منها .

قال : لم تدفعنى ؟ قال : قلت : ألا تقول : يارسول الله ؟ قال : إنما سميته باسمه الذى سمّاه به أهله .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن اسمى الذى سمانى به أهلى محمد .

فقال اليهودى : جئت أسألك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ينفعك شىء إن حدَّثتك ؟ قال : أسمع بأذنى . فنكت بعود معه ، فقال له : سَلْ .

فقال له اليهودى : أين الناسُ يوم تُبدَّل الأرض غير الأرض والسموات ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فى الظُّلمة دون الجسر .

قال : فمن أول الناس إجازةً ؟ فقال : فقراء المهاجرين .

---

(١) سورة الإسراء .

قال اليهودى : فما تُحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال : زيادة كبد الحوت .

قال : وما غـذاؤهم على إثره ؟ قال : يُنْحَر لهم ثور الجنـة الذى كان يأكل من أطرافها .

قال : فما شرابهم عليه ؟ قال : من عين فيها تسمّى سَلْسبيلا .

قال : صدقتَ .

قال : وجئتُ أسألك عـن شىء لايعلمه أحـد من الأرض إلا نبى أو رجل أو رجلان.

قال : ينفعك إن حدّثتك ؟ قال : أسمع بأذنى . قال : جئت أسألك عن الولد .

قال : ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا فعلا منىُّ الرجل منى المرأة أذكرا بإذن الله ، وإذا علا منىُّ المرأة منىَّ الرجل أنثاً بإذن الله .

فقال اليهودى : صدقتَ وإنك لنبى . ثم انصرف .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : إنه سألنى عنه وما أعلم شيئا منه حتى أتانى الله به .

وهكذا رواه مسلم عن الحسن بن على الُحلْوانى ، عن أبى توبة الربيع بن نافع به .

وهذا الرجل يحتمل أن يكون هو عبد الله بن سلام ، ويحتمل أن يكون غيره والله أعلم .

حـديث آخر

قال أبو داود الطيالسى : حدثنا عبد الحميد بن بَهْرام، عن شهْر بن حَوْشَب ، حدثنى ابن عباس قال : حضرت عصابةٌ من اليهود يوما عند رسول الله صلى الله عليـه وسلم فقالو : يارسول الله حَدِّثنا عن خِلاَل نسألك عنها لايعلمها إلا نبى .

قال : سلُونى عما شئتم ، ولـكن اجعلوا لى ذمةَ الله وما أخذ يعقوب على بنيه ،

إن أنا حدثتكم بشيء تعرفونه صدقاً لتتابعنيّ على الإسلام .

قالوا : لك ذلك . قال : سَلُوا عما شئتم .

قالوا : أخبرنا عن أربع خِلاَل ثم نسألك : أخبرنا عن الطعام الذى حرّم إسرائيل على نفسه من قَبل أن تنزل التوراة . وأخبرنا عن ماء الرجل كيف يكون الذكر منه حتى يكون ذكراً ، وكيف تكون الأنثى حتى تكون أنثى . وأخبرنا عن هذا النبي فى النوم ، ومن وليك من الملائكة .

قال : فعليكم عهدُ الله لئن أنا حدثتكم لتتابعُنّى ؟ فأعطوه ماشاء من عهد وميثاق .

قال : أنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى ، هل تعلمون أن إسرائيل -يعقوب- مرض مرضاً شديدا طال سُقْمه فيه ، فنذر لله نذراً لئن شفاه اللهُ من سقمه ليحرّمن أحبّ الشراب إليه وأحب الطعام إليه ، وكان أحبُّ الشراب إليه ألبان الإبل ، وأحب الطعام إليه لُحْمان الإبل ؟

قالوا : اللهم نعم .

فقال رسول الله : اللهم اشهد عليهم .

قال : فأنشدكم الله الذى لا إله إلا هو ، الذى أنزل التوراة على موسى ، هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض ، وأن ماء المرأة رقيق أصفر ، فأيهما علاَ كان له الولد والشَّبه بإذن الله ، فإن علا ماء الرجل ماء المرأة كان ذكراً بإذن الله ، وإن علا ماء المرأة ماء الرجل كان أنثى بإذن الله .

قالوا : اللهم نعم . قال رسول الله : اللهم اشهد عليهم .

قال : وأنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو ، الذى أنزل التوراة على موسى ، هل تعلمون أن هذا النبي تنام عيناه ولا ينام قلبه ؟

قالوا ، اللهم نعم . قال : اللهم اشهد عليهم .

قالوا : أنت الآن حَدِّثنا عن وليك من الملائكة فعندها نجامعك أو نفارقك .

قال : وليىّ جبريل عليه السلام ، ولم يبعث الله نبيا قط إلا وهو وليّه .

قالوا : فعندها نفارقك ، ولو كان وليّك غيره من الملائكة لبايعناك وصدقناك .

قال : فما يمنعكم أن تصدِّقوه ؟

قالوا : إنه عدوُّنا من الملائكة .

فأنزل الله عز وجل : « قُلْ من كان عدوّاً لجبريل فإنه نزَّله على قلبك بإذن الله[1] » الآية ، ونزلت : « فباءوا بغضَب على غضب [2] » الآية .

حديث آخر

قال الإمام أحمد ، حدثنا يزيد ، حدثنا شُعبة ، عن عمرو بن مُرّة ، سمعت عبد الله بن سلَمة يحدث عن صفوان بن عَسّال المرادِيّ ، قال : قال يهودى لصاحبه : اذهب بنا إلى هذا النبي حتى نسأله عن هذه الآية ، « ولقد آتينا موسى تسع آيات بيّنات[3] » .

فقال : لاتقل له شيئا ، فإنه لو سمعك لصارت له أربع أعين ، فسألاه : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لاتشركوا بالله شيئا ، ولا تَسرقوا ، ولا تَزْنوا ، ولا تقتلوا النفسْ التى حَرَّم الله إلا بالحق ، ولا تَسحَروا ، ولا تأكلوا الرِّبا ، ولا تمشوا ببرىء إلى ذى سلطان ليقتله ، ولا تقذفوا مُحْصَنة ، أوقال : لاتفرّوا من الزحف ـ شُعبة الشاكُّ ـ وأنتم يامعشر يهود عليكم خاصة أن لاتَعْدُوا فى السَّبت .

قال : فقبَّلا يديه ورجليه وقالا : نشهد أنك نبى .

---

(١) سورة البقرة (٢) سورة البقرة
(٣) سورة الإسراء .

قال : فما يمنعكما أن تتبعانى ؟ قالا : إن داود عليه السلام دعا أن لا يزال من ذريته نبى ، وإنا نخشى إن أسلمنا أن تقتلنا يهود .

وقد رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه وابن جرير والحاكم والبيهقى من طرق عن شعبة به ، وقال الترمذى : حسن صحيح .

قلت : وفى رجاله من تُكلِّم فيه ، وكأنه اشتبه على الراوى التسع الآيات بالعشر الكلمات .

وذلك أن الوصايا التى أوصاها الله إلى موسى وكلَّمه بها ليلةَ القدر بعد ماخرجوا من ديار مصر وشعب بنى إسرائيل حول الطور حضور ، وهارون ومن معه وقوف على الطور أيضاً ، وحينئذ كلم الله موسى تكليما آمراً له بهذه العشر كلمات ، وقد فُسِّرت فى هذا الحديث .

وأما التسع الآيات فتلك دلائل وخوارق عادات أيِّد بها موسى عليه السلام ، وأظهرها الله على يديه بديار مصر ، وهى العصا واليد والطُّوفان والجراد والقُمَّل والضفادع والدم والجدْب ونقص الثمرات .

وقد بسطتُ القول على ذلك فى التفسير بما فيه الكفاية . والله أعلم .

فصل

وقد ذكرنا فى التفسير عند قوله تعالى فى سورة البقرة « قل إن كانت لكم الدارُ الآخرة عندَ الله خالصةً من دون الناس فتمنَّوا الموتَ إن كنتم صادقين ، ولن يتمنَّوه أبداً بما قدَّمت أيديهم والله عليمٌ بالظالمين » ومثلها فى سورة الجمعة وهى قوله : « قل يا أيها الذين هادُوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دُون الناس فتمنَّوا الموتَ إن كنتم صادقين ، ولا يتمنَّونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليمٌ بالظالمين .

وذكرنا أقوال المفسرين فى ذلك ، وأن الصواب أنه دعاهم إلى المباهلة وأن يدعوا بالموت على المبطل منهم أو المسلمين ، فنكلوا عن ذلك لعلمهم بظلم أنفسهم ، وأن الدعوة تنقلب عليهم ، ويعود وبالُها إليهم .

وهكذا دعا النصارى من أهل نجران حين حاجُّوه فى عيسى بن مريم ، فأمره الله أن يدعوهم إلى المباهلة فى قوله : « فمن حاجَّكَ فيه من بعدِ ماجاءك من العِلْم فقل تعالَوا نَدْعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسَنا وأنفسَكم ثم نَبْتَهِل فنجعل لعنَةَ الله على الكاذبين[1] » .

وهكذا دعا على المشركين على وجه المباهلة فى قوله : « قُلْ من كان فى الضلالة فليَمْدُدْ له الرحمنُ مَدًّا »[2] وقد بسطنا القول فى ذلك عند هذه الآيات فى كتابنا التفسير بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة .

حديث آخر يتضمن اعترافَ اليهود بأنه رسول الله

ويتضمن تحاكمهم إليه ورجوعهم إلى مايحْكم به ، ولكن بقصدٍ منهم مذموم

وذلك أنهم ائتمروا بينهم أنه إن حكَم بما يوافق هواهم اتبعوه، وإلا فاحذروا ذلك، وقد ذمهم الله فى كتابه العزيز على هذا القصد .

قال عبد الله بن المبارك : حدثنا مَعْمَر ، عن الزهرى قال : كنت جالساً عند سعيد ابن المسيّب ، وعند سعيد رجل وهو يوقّره ، وإذا هو رجل من مُزَينة ، كان أبوه شهد الحديبية وكان من أصحاب أبى هريرة .

قال : قال أبو هريرة : كنت جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء نفر من اليهودِ ــ وقد زنا رجلٌ منهم وامرأة ــ فقال بعضهم لبعض : اذهبوا بنا إلى هذا النبى

---

(١) سورة آل عمران . (٢) سورة مريم .

فإنه نبي بُعث بالتخفيف ، فإن أفتانا حدًا دون الرَّجْم فعلناه واحتججنا عند الله حين نَلْقاه بتصديق نبي من أنبيائه .

قال مرة عن الزُّهري : وإن أمَرنا بالرَّجم عصَيناه ، فقد عصينا الله فيما كتب علينا من الرجم في التوراة .

فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد في أصحابه فقالوا : يا أبا القاسم ماترى في رجل منا زنا بعد ما أُحصن ؟ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يَرْجع إليهم شيئاً ، وقام معه رجال من المسلمين ،حتى أتوا بيت مِدْراس اليهود فوجدوهم يتدارسون التوراة

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : يامعشر اليهود ، أنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى ، ماتجدون في التوراة من العقوبة على من زنا إذا أحصن ؟

قالوا : نُجَبِّيه ، والتجبيه أن يحملوا اثنين على حمار فيولّوا ظهرَ أحدهما ظهر الآخر .

قال : وسكت حبرهم وهو فتى شاب ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتاً ألظَّ به[1] النِّشْدَة .

فقال حبرهم : أما إذ نشَدْتَهم فإنا نجد في التوراة الرجمَ على من أحصن .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : فما أول ماترخَّصتم أمرَ الله عز وجل ؟ فقال : زنا رجل منا ذو قرابة بملك من ملوكنا ، فأُخِّرَ عنه الرجم ، فزنا بعده آخر في أسرة من الناس ، فأراد ذلك الملك أن يرجمه فقام قومُه دونه فقالوا : لا والله لا نرجمه حتى يرجمَ فلاناً ابن عمه ، فاصطلحوا بينهم على هذه العقوبة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإنى أحكم بما حُكم في التوراة. فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهما فرُجِما .

(١) ألظ : أعاد عليه .

قال الزهرى : وبلغنا أن هذه الآية نزلت فيهم : « إنا أنزلنا التوراة فيها هُدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادُوا »[1] وله شاهد فى الصحيح عن ابن عمر .

قلت : وقد ذكرنا ماورد فى هذا السياق من الأحاديث عند قوله تعالى . « ياأيها الرسول لا يَحْزُنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنّا بأفواهم ولم تؤمن قلوبُهم ، ومن الذين هادوا سمّاعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك ، يحرّفون الكلم عن مواضعه يقولون إن أوتيتم هذه فخذوه » يعنى الجلد والتحميم الذى اصطلحوا عليه وابتدعوه من عند أنفسهم ، يعنى إن حكم لكم محمد بهذا فخذوه ، « وإن لم تؤتَوه فاحذروا » ، يعنى وإن لم يحكم لكم بذلك فاحذروا قبوله . قال الله تعالى : « ومن يُرِد الله فتنتَه فلن تملك له من الله شيئا ، أولئك الذين لم يرد الله أن يطهّر قلوبهم ، لهم فى الدنيا خِزْى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » إلى أن قال : « وكيف يحكّمونك وعندهم التوراة فيها حُكم الله ثم يتولّون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين »[2] .

فذمهم الله تعالى على سوء ظنهم وقَصْدهم بالنسبة إلى اعتقادهم فى كتابهم ، وأن فيه حكم الله بالرجم ، وهم مع ذلك يعلمون صحته ، ثم يَعْدلون عنه إلى ماابتدعوه من التحميم والتّجْبِيه .

وقد روى هذا الحديث محمد بن إسحاق ، عن الزهرى قال : سمعت رجلا من مزينة يحدّث سعيدَ بن المسيّب أن أبا هريرة حدثهم فذكره ، وعنده : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن صُوريا : أنشدك بالله وأذكّرك أيامه عند بنى إسرائيل : هل تعلم أن الله حكم فيمن زنا بعد إحصانه بالرجم فى التوراة ؟ فقال : اللهم نعم ، أما والله ياأبا القاسم إنهم يعرفون أنك نبى مرسل ، ولكنهم يحسدونك .

---

(١) سورة المائدة ٤٤ .　　(٢) سورة المائدة ٤٣ .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بهما فرجما عند باب مسجده فى بنى تميم عند مالك بن النجار .

قال : ثم كفر بعد ذلك ابن صوريا ، فأنزل الله : « ياأيها الرسول لايَحْزُنْك الذين يُسارعونَ فى الكفر » الآيات .

وقد ورد ذكر عبد الله بن صُوريا الأعور فى حديث ابن عُمَير وغيره بروايات صحيحة قد بيناها فى التفسير .

حديث آخر

قال حماد بن سلمة : حدثنا ثابت ، عن أنس أن غلاماً يهودياً كان يخدم النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فمرض فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يَعُوده ، فوجد أباه عند رأسه يقرأ التوراة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يايهودى ، أنشدك بالله الذى أنزل التوراة على موسى ، هل تجدون فى التوراة نَعْتى وصفتى ومَخْرجى ؟ فقال : لا .

فقال الفتى : بلى والله يارسول الله ، إنا نجد فى التوراة نعتك وصفتك ومخرجك ، وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله .

فقال النبي لأصحابه : أقيموا هذا من عند رأسه ، وَلُوا أخاكم .

ورواه البيهقى من هذا الوجه بهذا اللفظ .

حديث آخر

قال أبو بكر بن أبى شَيبة ، حدثنا عفان ، حدثنا حمّاد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن أبى عبيدة بن عبد الله ، عن أبيه قال : إن الله ابتعث نبيه صلى الله عليه وسلم لإدخال رجل الجنة ، فدخل النبى صلى الله عليه وسلم كنيسةً وإذا يهودى يقرأ التوراة ، فلما أتى على صفته أمسكَ .

قال : وفى ناحيتها رجل مريض ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : مالكم أمسكتم .

فقال المريض : إنهم أتوا على صفة نبيّ فأمسكوا .

ثم جاء المريض يحبو حتى أخذ التوراة وقال : ارفع يدك ، فقرأ حتى أتى على صفته فقال : هذه صفتك وصفة أمتك ، أشهد أن لا إله إلا الله وأنك [1] رسول الله ، ثم مات، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لُوا أخاكم .

حديث آخر

إن النبي صلى الله عليه وسلم : وقف على مِدْرَاس اليهود فقال : يامعشر يهود أسلموا فوالذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنى رسول الله إليكم .

فقالوا : قد بلّغت يا أبا القاسم . فقال : ذلك أريد .

فصل

فالذى يُقطع به من كتاب الله وسنة رسوله ، ومن حيث المعنى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بَشّرت به الأنبياء قبله ، وأتباع الأنبياء يَعلمون ذلك ، ولكن أكثرهم يكتمون ذلك ويُخفُونه .

قال الله تعالى : « الذين يَتّبعون الرسولَ النبيّ الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويُحِلّ لهم الطيبات ويُحرّم عليهم الخبائثَ ويَضَع عنهم إصْرهم والأغلال التى كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعَزّروه ونصروه واتبعوا النورَ الذى أُنزل معه أولئك هم المفلحون . قل ياأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا الذى له مُلك السموات والأرض لا إله إلا هو يُحْيِى ويميت فآمِنوا بالله

---

(١) المطبوعة : وأشهد أن محمدا .

ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون »[1] .

وقال تعالى : « والذين آتيناهم الكتابَ يَعلمون أنه مُنزّل من ربك بالحق[2] »

وقال تعالى : « الذين آتيناهم الكتاب يَعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإنّ فريقاً منهم ليَكتمون الحقّ وهم يعلمون[2] » .

وقال تعالى : « وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم ؟ فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولّوا فإنما هم في شقاق[3] » وقال تعالى : « هذا بلاغٌ للناس ولينذَروا به[4] » .

وقال تعالى : « لأنذركم به ومن بلَغ[5] » وقال تعالى : « ومن يَكفر به من الأحزابِ فالنارُ مَوْعِده[6] » . وقال تعالى : « ليُنْذِر من كان حيّاً ويحقّ القولُ على الكافرين[7] » .

فذكر تعالى بعثته إلى الأميين وأهل الكتاب وسائر الخلق من عَربهم وعجمهم ، فكلٌّ من بلغه القرآن فهو نذير له .

قال صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده لايسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ولا يؤمن بي إلا دخل النار » .

رواه مسلم .

وفي الصحيحين : « أُعطيت خمسا لم يُعطَهن أحدٌ من الأنبياء قبلي : نُصرتُ بالرعب مَسيرةَ شهر ، وأُحِلّت لي الغنائم ولم تَحِلّ لأحد قبلي ، وجُعلت لي الأرض مسجداوطهوراً وأعطيت الشفاعة[8] ، وكان النبي يُبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس عامة» .

وفيهما : « بُعثتُ إلى الأسود والأحمر » .

---

(١) سورة الأعراف . (١) سورة الأنعام . (٢) سورة البقرة
(٣) سورة آل عمران . (٤) سورة إبراهيم . (٥) سورة الأنعام
(٦) سورة هود (٧) سورة يس . (٨) كانت في الأصل : السماحة .

قيل : إلى العرب والعجم ، وقيل : إلى الإنس والجن ، والصحيح أعمّ من ذلك .

والمقصود أن البشارات به صلى الله عليه وسلم موجودة فى الكتب الموروثة عن الأنبياء قبله ، حتى تناهت النبوة إلى آخر أنبياء بنى إسرائيل ، وهو عيسى بن مريم ، وقد قام بهذه البشارة فى بنى إسرائيل ، وقصّ الله خبره فى ذلك فقال تعالى : « وإذ قال عيسى بن مريم يابنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مُصَدِّقاً لما بين يدىّ من التوراة ومبشّراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد »[1] .

فإخبار محمد صلوات الله وسلامه عليه بأن ذِكْره موجود فى الكتب المتقدّمة ، فيما ورد عنه من الأحاديث الصحيحة كما تقدم ، وهو مع ذلك من أعقل الخلق باتفاق الموافق والمفارق ، يدل على صِدْقه فى ذلك قطعاً ، لأنه لو لم يكن واثقا بما أخبر به من ذلك ، لكان ذلك من أشد المنفِّرات عنه ، ولا يُقْدم على ذلك عاقل ، والفَرْض أنه من أعقل الخلق حتى عند من يخالفه ، بل هو أعقلهم فى نفس الأمر .

ثم إنه قد انتشرت دعوته فى المشارق والمغارب ، وعمّت دولةُ أمته أقطار الآفاق عموماً لم يحصل لأمة من الأمم قبلها ، فلو لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم نبيا ، لكان ضرره أعظم من كل أحد ، ولو كان كذلك لحذّر عنه الأنبياء أشد التحذير ، ولنفروا أممهم منه أشد التنفير ، فإنهم جميعهم قد حذّروا من دعاة الضلالة فى كتبهم ، ونهوا أممهم عن اتباعهم والاقتداء بهم ، ونصوا على المسيح الدجال ، الأعور الكذاب ، حتى قد أنذر نوح — وهو أول الرسل — قومَه .

ومعلوم أنه لم ينص نبي من الأنبياء على التحذير من محمد ، ولا التنفير عنه ، ولا الإخبار عنه بشيء خلاف مدحه ، والثناء عليه ، والبشارة بوجوده ، والأمر باتباعه ، والنهى عن مخالفته والخروج عن طاعته .

---

(١) سورة الصف .

قال الله تعالى : « وإذ أخذ الله ميثاقَ النبيين لمَا آتيتكم من كتاب وحِكمة ثم جاءكم رسولٌ مُصدِّقٌ لما معكم لتُؤمننَّ به ولتنصرنه ؟ قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصْرى ؟ قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ، فمن تولَّى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون [1] » .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : مابعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لئن بُعث محمد وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به وليتبعنه .

رواه البخارى .

***

وقد وجِدت البشاراتُ به صلى الله عليه وسلم فى الكتب المتقدمة ، وهى أشهر من أن تُذكر ، وأكثر من أن تحصر .

وقد قدمنا قبل مولده عليه السلام طرفاً صالحاً من ذلك [2] ، وقررنا فى كتاب التفسير عند الآيات المقتضية لذلك آثاراً كثيرة ، ونحن نورد هاهنا شيئاً مما وجد فى كتبهم التى يعترفون بصحتها ، ويتدينون بتلاوتها ، مما جمعه العلماء قديماً وحديثاً ممن آمن منهم ، واطلع على ذلك من كتبهم التى بأيديهم .

ففى السِّفْر الأول من التوراة التى بأيديهم فى قصة إبراهيم الخليل عليه السلام مامضمونه وتعريبه : « إن الله أوحى إلى إبراهيم عليه السلام ، بعد ماسلَّمه من نار النمروذ : أن قم فاسلك الأرض مشارقها ومغاربها لولدك » .

فلما قصَّ ذلك على سارة طمعت أن يكون ذلك لولدها منه ، وحرصت على إبعاد هاجَر وولدها ، حتى ذهب بهما الخليل إلى برِّية الحجاز وجبال فاران ، وظن إبراهيم عليه السلام أن هذه البشارة تكون لولده إسحاق ، حتى أوحى الله إليه مامضمونه :

---

(١) سورة آل عمران . (٢) سبق ذلك فى الجزء الأول من السيرة .

«أما ولدك إسحاق فإنه يُرزق ذريةً عظيمة ، وأما ولدك إسماعيل فإنى باركته وعظَّمته ، وكثرت ذريته ، وجعلت من ذريته ماذ ماذ ، يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم ، وجعلت فى ذريته اثنى عشر إماما ، وتكون له أمّة عظيمة » .

وكذلك بشّرت هاجر حين وضعها الخليل عند البيت فعطشتْ وحزنت على ولدها وجاء الملكُ فأنبع زمزم ، وأمرها بالاحتفاظ بهذا الولد ، فإنه سيولد له منه عظيم ، له ذريةٌ عددَ نجوم السماء .

ومعلوم أنه لم يولد من ذرية إسماعيل ، بل من ذرية آدم ، أعظمُ قدراً ولا أوسع جاهاً، ولا أعلى منزلة ، ولا أجل منصباً ، من محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى استولت دولة أمته على المشارق والمغارب ، وحكموا على سائر الأمم .

وهكذا فى قصة إسماعيل من السِّفر الأول : أن ولد إسماعيل تكون يده على كل الأمم ، وكل الأمم تحت يده وبجميع مساكن إخوته يَسْكن .

وهذا لم يكن لأحد يَصْدق على الطائفة إلا لمحمد صلى الله عليه وسلم .

وأيضاً فى السِّفر الرابع فى قصة موسى : «أن الله أوحى إلى موسى عليه السلام : أن قل لبنى إسرائيل : سأقيم لهم نبيا من أقاربهم مثلك ياموسى ، وأجعل وحيى بفيه وإياه تتبعون »[1] .

وفى السفر الخامس — وهو سفر الميعاد : أن موسى عليه السلام خطب بنى إسرائيل فى آخر عمره — وذلك فى السنة التاسعة والثلاثين من سِنى التِّيه — وذكَّرهم بأيام الله وأياديه عليهم ، وإحسانه إليهم .

وقال لهم فيما قال : واعلموا أن الله سيبعث لكم نبياً من أقاربكم مثل ما أرسلنى إليكم،

---

(١) المطبوعة : تسمعون .

يأمركم بالمعروف ، وينهاكم عن المنكر ، ويحل لكم الطيبات ، ويحرم عليكم الخبائث ، فمن عصاه فله الخزى فى الدنيا، والعذاب فى الآخرة» .

وأيضا فى آخر السفر الخامس وهو آخر التوراة التى بأيديهم : « جاء الله من طُور سِيناء ،وأشرق من ساعِير ، واستعلَن من جبال فاران ،وظهر من ربَوات قُدْسه، عن يمينه نور ، وعن شماله نار، عليه تجتمع الشعوب» .

أى جاء أمر الله وشَرْعه من طور سيناء —وهو الجبل الذى كلم الله موسى عليه السلام عنده — وأشرق من ساعير وهى جبال بيت المقدس — المحلة التى كان بها عيسى بن مريم عليه السلام —واستعلن أى ظهر وعلا أمره من جبال فاران ، وهى جبال الحجاز بلا اخلاف، ولم يكن ذلك إلا على لسان محمد صلى الله عليه وسلم .

فذكر تعالى هذه الأماكن الثلاثة على الترتيب الوقوعى ، ذكَر مَحِلّة موسى ، ثم عيسى ، ثم بلد محمد صلى الله عليه وسلم. ولمّا أقسم تعالى بهذه الأماكن الثلاثة ذكر الفاضل أولا ، ثم الأفضل منه ، ثم الأفضل منه ، على قاعدة القسَم فقال تعالى : «والتين والزيتون» والمراد بها محلة بيت المقدس ، حيث كان عيسى عليه السلام « وطُور سِينين » وهو الجبل الذى كلم الله عليه موسى « وهذا البلدِ الأمين » وهو البلد الذى ابتعث منه محمداً صلى الله عليه وسلم.

قاله غير واحد من المفسرين فى تفسير هذه الآيات الكريمات .

وفى زبور داود عليه السلام صفة هذه الأمة بالجهاد والعبادة ، وفيه مثلٌ ضَرَبه لمحمد صلى الله عليه وسلم ، بأنه ختام القبة المبنية ، كما ورد به الحديث فى الصحيحين : « مثَلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى داراً فأكملها إلا موضع لَبِنة ، فجعل الناس يُطِيفون بها ويقولون : هلّا وضِعت هذه اللبنة ؟» .

ومصداق ذلك أيضاً فى قوله تعالى « ولـكنْ رسولَ الله وخاتَم النبيين » .

وفى الزبور صفة محمد صلى الله عليـه وسلم بأنه ستنبسط نبوته ودعوته وتَنفُذ كلمته من البحر إلى البحر ، وتأتيه الملوك من سائر الأقطار طائعين بالقرابين والهـدايا ، وأنه يخلّص المضطَرّ ، ويكشف الضرّ عن الأمم ، وينقذ الضعيف الذى لا ناصر له ، ويُصَلَّى عليه فى كل وقت ، ويبارك الله عليه فى كل يوم ، ويدُوم ذكْره إلى الأبد » .

وهذا إنما ينطبق على محمد صلى الله عليه وسلم .

***

وفى صحف شَعْيا فى كلام طويل فيه معاتبة لبنى إسرائيل ، وفيه : « فإنى أبعث إليكم وإلى الأمم نبياً أمّياً ليس بفظ ولا غَليظ القلب ولا سَخّاب فى الأسواق ، أسدِّده لـكل جميل ، وأهَبُ له كلّ خُلق كريم ، ثم أجعل السّـكينة لباسه ، والبِرّ شعاره ، والتقوى فى ضميره ، والحـكمَةَ معْقوله ، والوفاء طبيعته، والعدل سيرتَه ، والحقّ شريعتَه ، والهدَى مِلّته ، والإسلام دِينه ، والقرآنَ كتابه ، أحمدُ اسمه ، أهدى به من الضلالة ، وأرفع به بعد الخَمالة ، وأجمع به بعد الفُرقة ، وأؤلّف به بين القلوب المختلفة ، وأجعل أمته خيرأمة أُخرجت للناس ، قرابينهم دماؤهم ، أناجيلهم فى صدورهم ، رُهْباناً بالليل ، لُيوثا بالنهار « ذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .

وفى الفصل الخامس[1] من كلام شَعيا : « يَدُوس الأمَم كدَوْس البيَادر ، ويُنزل البلاء بمشركى العرب ، وينهزمون قدامه » .

وفى الفصل السادس والعشرين منه : « لتَفرح أرضُ البادية العطشَى ، ويعطَى أحمد محاسن لبنان، ويرون جلال الله ببَهْجَته »[2] .

---

(١) ت : الناشر .　　(٢) المطبوعة : بهجته .

وفى صحف إلياس عليه السلام : «وأنه خرج مع جماعة من أصحابه سائحا ، فلما رأى العربَ بأرض الحجاز قال لمن معه : انظروا إلى هؤلاء فإنهم هم الذين يملكون حصونكم العظيمة . فقالوا : يانبى الله فما الذى يكون معبودهم ؟ فقال : يعظّمون ربَّ العزة فوق كل رابية عالية » .

ومن صحف حِزْقِيل : «إن عبدى خيرتى أُنزل عليه وَحْيِى ، يُظْهر فى الأمم عَدْلى ، اخترته واصطفيتُه لنفسى ، وأرسلته إلى الأمم بأحكام صادقة » .

ومن كتاب النبوّات : « أن نبيًّا من الأنبياء مرّ بالمدينة فأضافه بنو قُرَيظة والنضير ، فلما رآهم بكى ، فقالوا له : ما الذى يبكيك يانبى الله ؟ فقال : نبى يبعثه الله من الحرَم(١) يخرب دياركم ويسبى حريمكم » .

قال : فأراد اليهود قتله فهرب منهم .

ومن كلام حزقيل عليه السلام : « يقول الله : من قَبل أن صورتك فى الأحشاء قدّستك وجعلتك نبيا ، وأرسلتك إلى سائر الأمم » .

وفى صحف شعيا أيضا ، مَثل مضروب لمكة شرّفها الله : « افرحى ياعاقر بهذا الولد الذى يهبه لك ربك ، فإن ببركته تتسع لك الأماكن ، وتُثَبّت أوتادك فى الأرض وتعلو أبواب مساكنك ، ويأتيك ملوك الأرض عن يمينك وشمالك بالهدايا والتقادِم ، وولدك هذا يرث جميع الأمم ويملك سائر المدن والأقاليم ، ولا تخافى ولا تحزنى فما بقى يلحقك ضيم من عدو أبدا ، وجميع أيام ترمُّلك تنسينها » .

وهذا كله إنما حصل على يدى محمد صلى الله عليه وسلم . وإنما المراد بهذه العاقر مكة ثم صارت كما ذكر فى هذا الكلام لا محالة .

---

(١) المطبوعة : من الحرة .

ومن أراد من أهل الكتاب أن يَصْرِف هذا ويتأوله على بيت المقدس فهذا[1] لا يناسبه من كل وجه والله أعلم .

وفى صحف أرميا : « كوكبٌ ظهر من الجنوب ، أشعته صواعق ، سهامه خوارق ، دُكَّت له الجبال » .

وهذا المراد به محمد صلى الله عليه وسلم .

وفى الإنجيل يقول عيسى عليه السلام : إنى مُرْتَقٍ إلى جَنات العُلَى ، ومرسل إليكم الفارْقَليط روح الحق يعلمكم كلَّ شىء ، ولم يَقُل شيئا من تلقاء نفسه » .

والمراد بالفارقليط محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وهذا كما تقدم عن عيسى أنه قال: « ومبَشِّراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمدُ » .

وهذا باب متسع ، ولو تقصينا جميع ماذكره الناس لطال هذا الفصل جداً ، وقد أشرنا إلى نُبَذ من ذلك يهتدى بها من نوَّر الله بصيرتَه وهداه إلى صراطه المستقيم ، وأكثر هذه النصوص يَعْلمها كثير من علمائهم وأحبارهم ، وهم مع ذلك يتكاتمونها ويُخفونها .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، ومحمد بن موسى بن الطُّفيل قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن عبيد الله بن أبى داود المنادى ، حدثنا يونس بن محمد المؤدِّب ، حدثنا صالح بن عمر ، حدثنا عاصم بن كُلَيب ، عن أبيه ، عن الفَلَتان ابن عاصم قال : كنا جلوسا عند النبى صلى الله عليه وسلم ، إذ شخص ببصره إلى رجل فدعاه ، فأقبل رجل من اليهود مجتمع عليه قميص وسراويل ونعلان ، فجعل يقول : يارسول الله . فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أتشهد أنى رسول الله ؟ فجعل لايقول شيئا إلا قال : يارسول الله . فيقول : أتشهد أنى رسول الله ؟ فيأبى .

(١) الأصل : وهنا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتقرأ التوراة ؟ قال : نعم ، قال : والإنجيل ؟ قال : نعم ، والفرقانَ ورب محمد لو شئت لقرأته .

قال : فأنشدك بالذى أنزل التوراة والإنجيل وأشياء خلقه بها ،[1] تجدنى فيهما ؟

قال : نجد مثلَ نَعْتك ، يخرج من مَخْرَجك ، كنا نرجو أن يكون فينا ، فلما خرجت رأينا أنك هو ، فلما نظرْنا إذا أنت لستَ به .

قال : من أين ؟ قال : نجد من أمتك سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ، وإنما أنتم قليل .

قال : فهلَّل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبرَّ ، وهلل وكبر ، ثم قال : والذى نفس محمد بيده إننى لأنا هو ، وإن من أمتى لأكثر من سبعين ألفا وسبعين وسبعين .

حديث فى جوابه صلى الله عليه وسلم
لمن سأل عما سأل قبل أن يسأله عن شىء منه

قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا الزبير بن عبد السلام عن أيوب بن عبد الله بن مُكْرَز ـ ولم يسمعه منه[2] ـ قال : حدثنى جلساؤه وقد رأيته عن وابصة الأسدى . وقال عفان : حدثنا غير مَرّة ولم يقل : حدثنى جلساؤه . قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أريد أن لا أدَع شيئاً من البرّ والإثم إلا سألته عنه ، وحوله عصابة من المسلمين يَسْتفتونه ، فجعلت أتخطاهم .

فقالوا : إليك وابصة عن رسول الله . فقلت : دعونى فأدنوَ منه ، فإنه أحب الناس إلى أن أدنوَ منه .

---

(١) المطبوعة : وأنشأ خلقه بها . وهو تحريف .   (٢) ا : منى .

قال : دَعُوا وابصة ، ادْنُ ياوابصة ، مرتين أو ثلاثا .

قال : فدنوت منه حتى قعدت بين يديه فقال : ياوابصة أُخْبِرُكَ أم تسألنى ؟ فقلت: لا . بل أخبرنى .

فقال ، جئتَ تسأل عن البر والإثم ؟ فقلت : نعم ، فجمع أنامله فجعل يَنْكت بهن فى صدرى ويقول : ياوابصة استفتِ قلبك واستفت نفسك ، ثلاث مرات ، البرُّ ما اطمأنت إليه النفس والإثم ما حاك فى النفس وتردَّد فى الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوْك .

باب

ما أخبر به صلى الله عليه وسلم من الكائنات المستقبلة فى حياته وبعده ،
فوقعت طِبْق ما أخبر به سواء بسواء

وهذا باب عظيم لا يمكن استقصاء جميع ما فيه لكثرتها ، ولكن نحن نشير إلى طُرف منها وبالله المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم. وذلك منتزَع من القرآن ومن الأحاديث .

أما القرآن فقال تعالى فى سورة المزّمل — وهى من أوائل ما نزل بمكة — « عَلِم أنْ سيكونُ منكم مَرضى وآخرون يَضربون فى الأرض يَبتغون من فَضْل الله وآخرون يقاتِلون فى سبيل الله » .

ومعلوم أن الجهاد لم يُشرَع إلا بالمدينة بعد الهجرة .

وقال تعالى فى سورة اقتربَ — وهى مكية — « أمْ يقولون نحن جَميعٌ مُنْتَصِر سيُهزَمُ الجمع ويولّون الدُّبر » .

ووقع هذا يوم بدر ، وقد تلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خارج مِن العَريش ، ورماهم بقبضة من الحصباء فكان النصر والظَّفَر ، وهذا مِصْداق ذلك .

وقال تعالى : « تَبّتْ يدَا أبى لهب وتَبَّ ، ما أغنَى عنه مالُه وما كسَب ، سيَصْلَى ناراً ذات لهب ، وامرأته حَمّالةَ الحطب فى جِيدها حَبْل مِن مَسَد » .

فأخبر أن عمه عبد العُزّى بن عبد المطلب الملقّب بأبى لهب سيدخل النار هو وامرأته ، فقدَّر الله عز وجل أنهما ماتا على شِرْكهما لم يُسْلما ، حتى ولا ظاهراً ، وهذا من دلائل النبوة الباهرة .

وقال تعالى : « قل لئن اجتمعت الإنسُ والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضُهم لبعض ظهيراً » .

وقال تعالى فى سورة البقرة : « وإنْ كنتم فى رَيْب مما نَزَّلنا على عَبْدنا فأْتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دُون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا » الآية

فأخبر أن جميع الخليقة لو اجتمعوا وتعاضَدوا وتناصروا وتعاونوا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن فى فصاحته وبلاغته ، وحلاوته وإحْكام أحكامه ، وبيان حلاله وحرامه ، وغير ذلك من وجوه إعجازه ، لمَا استطاعوا ذلك ، ولما قدَروا عليه ، ولا على عَشْر سور منه ، بل ولا سورة ، وأخبر أنهم لن يفعلوا ذلك أبدا ، « ولن » لنفى التأبيد فى المستقبل .

ومثل هذا التحدِّى ، وهذا القطع ، وهذا الإخبار الجازم ، لا يَصْدر إلا عن واثق بما يخبر به ، عالم بما يقوله ، قاطع أن أحداً لا يمكنه أن يعارضه ، ولا يأتى بمثل ماجاء به عن ربه عز وجل .

وقال تعالى : « وعَد الله الذين آمنوا منكم وعَملوا الصالحات ليَسْتخلفنَّهم فى الأرض كما استخلَفَ الذين من قَبْلهم وليمكنَنَّ لهم دِينهم الذى ارتَضَى لهم وليُبَدِّلنَّهم من بعدِ خَوْفهم أمْناً » الآية .

وهكذا وقع سواء بسواء ، مكَّن الله هذا الدين وأظهره ، وأعلاه ونشره فى سائر الآفاق ، وأنفذه وأمضاه

وقد فسر كثير من السلف هذه الآية بخلافة الصديق ، ولا شك فى دخوله فيها ، ولكن لا تختص به ، بل تعمّه كما تعم غيره .

---

(١) سورة النور .

كما ثبت فى الصحيح « إذا هلك قيصر فلا قيصرَ بعده ، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده .

[والذى نفسى بيده[1]] لتُنفقن كنوزهما فى سبيل الله.

وقد كان ذلك فى زمن الخلفاء الثلاثة أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم وأرضاهم.

وقال تعالى : « هو الذى أرسلَ رسولَه بالهدَى ودِينِ الحق ليُظهره على الدِّين كله ولو كرِه المشركون[2] » .

وهكذا وقع وعمَّ هذا الدِّينُ ، وغلب وعلا على سائر الأديان ، فى مشارق الأرض ومغاربها ، وعلَتْ كلمته فى زمن الصحابة ومن بعدهم ، وذَلَّت لهم سائر البلاد ، ودانَ لهم جميعُ أهلها ، على اختلاف أصنافهم ، وصار الناس إما مُؤْمن داخل فى الدين ، وإما مُهادنٌ باذِل الطاعة والمال ، وإما محارِب خائف وَجل من سَطوة الإسلام وأهله .

وقد ثبت فى الحديث : إن الله زَوَى[3] لى مشارق الأرض ومغاربها ، وسَيَبلغ مُلْك أمتى مازوى لى منها .

وقال تعالى : « قل للمخلَّفين من الأعراب ستُدْعَون إلى قوم أُولى بَأسٍ شَديدٍ تُقَاتِلونهمْ أو يُسْلمون[4] » الآية .

وسواء كان هؤلاء هَوازن أو أصحاب مُسَيلمة ، أو الروم ، فقد وقع ذلك .

وقال تعالى « وعَدكم الله مغانمَ كثيرة تأخذونها فعجَّل لكم هذه وكَفَّ أيدى الناس عنكم ولتكون آيةً للمؤمنين ويهديكم صراطاً مستقيماً ، وأخرى لم تَقْدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شىء قديراً[5] » .

---

(١) سقط من : ا .
(٢) سورة الفتح .
(٣) زوى . جمع .
(٤) سورة الفتح .
(٥) سورة الفتح .

وسواء كانت هـذه الأخرى خيبر أو مكة فقد فُتحت وأخذت كما وقع به الوعد سواء بسواء.

وقال تعالى: «لقد صدَق الله رسولَه الرؤيا بالحق لتدْخُلن المسجدَ الحرام إن شاء الله آمنين مُحلِّقين رءوسكم ومقصِّرين لاتخافون فَعلِم مالم تَعلموا فجعَل من دون ذلك فتحاً قريبا[1]».

فكان هذا الوعد فى سنة الحُدَيبية عام سِت، ووقع إنجازه فى سنة سبع، عام عُمْرة القضاء. كما تقدم[2].

وذكرنا هناك الحديث بطوله. وفيه أن عمر قال: يارسول الله ألم تكن تخبرنا أنا سنأتى البيتَ ونطوف به؟ قال: بلى، أفأخبرتُك أنك تأتيه عامَك هذا؟ قال: لا. قال فإنك تأتيه وتَطُوف به.

وقال تعالى: «وإذ يَعِدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودُّون أن غير ذاتِ الشوكة تكون لكم[3]».

وهذا الوعد كان فى وقعة بدر، لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة ليأخذ عِيرَ قريش، فبلغ قريشاً خروجُه إلى عِيرهم، فنفروا فى قريب من ألف مقاتل.

فلما تحقق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قدومهم وَعَده الله إحدى الطائفتين أن سيُظفره بها، إما العير وإما النفير، فودَّ كثير من الصحابة — ممن كان معه — أن يكون الوعدُ للعير، لما فيه من الأموال وقلة الرجال، وكرهوا لقاء النَّفير لما فيه من العَدد والعُدَد، فخار الله لهم وأنجز لهم وعده فى النفير، فأوقع بهم بأسه الذى لايُرَدّ،

---

(١) سورة الفتح ٢٧.
(٢) تقدم ذلك فى الجزء الثالث من السيرة.
(٣) سورة الأنفال ٧.

فقُتِل من سَراتهم سبعون وأُسِر سبعون وفادَوا أنفسَهم بأموال جزيلة ، فجمع لهم بين خَيْرى الدنيا والآخرة ، ولهذا قال تعالى : « ويريد الله أن يُحِقَّ الحقَّ بكلماته ويَقْطع دابرَ الكافرين » وقد تقدم بيان هذا فى غزوة بدر .

وقال تعالى : « ياأيها النبى قُلْ لمن فى أيديكم من الأسْرَى إن يَعلم الله فى قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أُخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم(١) » .

وهكذا وقع ، فإن الله عوَّض من أسلم منهم بخير الدنيا والآخرة .

ومن ذلك ماذكره البخارى أن العباس جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله أعطِنى ، فإنى فادَيْتُ نفسى ، وفاديت عَقِيلا .

فقال له : خذ . فأخذ فى ثوب مقداراً لم يمكنه أن يقلّه ، ثم وضع منه مرة بعد مرة حتى أمكنه أن يحمله على كاهله ، وانطلق به ، كما ذكرناه فى موضعه مبسوطاً(٢) .

وهذا من تصديق هذه الآية الكريمة .

وقال تعالى : « وإن خِفتم عَيلةً فسوف يُغنيكم الله من فَضْله إن شاء(٣) » الآية .

وهكذا وقع، عوَّضهم الله عما كان يَفْدو إليهم مع حجاج المشركين ، بما شرَعه لهم من قتال أهل الكتاب، وضَرْب الجِزْية عليهم، وسَلْب أموال من قُتل منهم على كفره، كما وقع بكفار أهل الشام من الروم ومَجُوس الفُرس ، بالعراق وغيرها من البلدان التى انتشر الإسلام على أرجائها ، وحكم على مدائنها وفَيْفائها .

قال تعالى : « هو الذى أرسل رسوله بالهدَى ودِين الحق ليُظْهره على الدين كله ولو كره المشركون » .

وقال تعالى : « سيَحْلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتُعْرضوا عنهم، فأعرضوا عنهم إنهم رِجْس(٤) » الآية .

---

(١) سورة الأنفال ٧٠ .
(٢) انظر صفحة ٧٥ من هذا الكتاب
(٣) سورة التوبة ٢٨ .
(٤) سورة التوبة ٩٥ .

وهكذا وقع ، لما رجع صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك كان قد تخلّف عنه طائفة من المنافقين ، فجعلوا يحلفون بالله لقد كانوا معذورين فى تخلفهم ، وهم فى ذلك كاذبون ، فأمر الله رسوله أن يُجْرى أحوالَهم على ظاهرها ، ولا يفضحهم عند الناس ، وقد أطلعه الله على أعيان جماعة منهم أربعة عشر رجلا . كما قدمناه لك فى غزوة تبوك (١) ، فكان حُذَيفة بن اليمَان ممن يَعْرفهم بتعريفه إياه صلى الله عليه وسلم .

وقال تعالى : «وإن كادوا لَيَستفزونك من الأرض لِيُخْرِجوك منها وإذاً لا يَلْبثون خِلافَك إلا قليلا » (٢) .

وهكذا وقع ، لما اشتوروا عليه لِيُثْبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه من بين أظهُرِهم ، ثم وقع الرأى على القتل ، فعنـد ذلك أمر الله رسوله بالخروج من بين أظهرهم ، فخرج هو وصديقه أبو بكر ، فكَمنا فى غار ثَوْر ثلاثاً ، ثم ارتحلا بعدها ، كما قدمنا (٣) .

وهذا هو المراد بقوله : « إلا تَنْصُروه فقد نَصَره الله إذ أخرَجه الذين كفروا ثانىَ اثنين إذ هما فى الغارِ إذ يقول لصاحبه لا تَحْزَن إن الله معنا ، فأنزل الله سَكِينته عليه وأيدَه بجنـود لم تَروها وجعل كلمةَ الذين كفروا السُّفلى وكلمةُ الله هى العليـا والله عزيز حكيم (٤) » .

وهو ا راد من قوله : « وإذ يمـكر بك الذين كفروا ليُثْبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خيرُ الما كرين (٥) » .

ولهذا قال : « وإذاً لا يلبثون خلافك إلا قليلا » .

وقد وقع كما أخبر ، فإن الملأ الذين اشتوروا على ذلك لم يلبثوا بمـكة بعد هجرته صلى الله عليه وسلم إلا ريثما استقر رِكابه الشريف بالمدينـة وتابَعه المهاجرون والأنصار ،

(١) سبق ذلك فى الجزء الرابع من السيرة.
(٢) سورة الإسراء ٧٦ .
(٣) سبق ذلك فى الجزء الثانى من السيرة .
(٤) سورة التوبة ٤٠ .
(٥) سورة الأنفال ٣٠.

ثم كانت وقعة بدر فقُتلت تلك النفوس، وكُسرت تلك الرءوس ، وقد كان صلى الله عليه وسلم يَعْلَم ذلك قبل كونه من إخبار الله له بذلك .

ولهذا قال سعد بن معاذ لأُمَيّة بن خَلَف : أمَا إني سمعت محمداً صلى الله عليه وسلم يذكر أنه قاتِلك . فقال : أنت سمعته ؟ قال : نعم . قال : فإنه والله لا يَكْذب . وسيأتى الحديث فى بابه .

وقد قدمنا أنه عليه السلام جعل يشير لأصحابه قَبل الوقعة إلى مَصارع القتلى ، فما تعدَّى أحدٌ منهم موضعه الذى أشار إليه ، صلوات الله وسلامه عليه .

وقال تعالى : « الٓمٓ غُلبت الروم فى أدْنَى الأرض وهم من بعدِ غَلَبهم سيُغْلبون فى بضع سنين لله الأمر من قبلُ ومن بعدُ ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم . وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون [1] » .

وهذا الوعد وقع كما أخبر به ، وذلك أنه لما غَلبت فارسُ الرومَ فرح المشركون ، واغتمّ بذلك المؤمنون ، لأن النصارى أقربُ إلى الإسلام من المجوس فأخبَر اللهُ رسوله صلى الله عليه وسلم بأن الرومَ ستَغْلب الفُرسَ بعد هذه المدة بسبع سنين ، وكان من أمْر مُراهنة الصديق رءوسَ المشركين على أن ذلك سيقع فى هذه المدة ، ما هو مشهور كما قررنا فى كتابنا التفسير .

فوقع الأمر كما أخبر به القرآن ، غَلبت الرومُ فارسَ بعد غلبهم غلباً عظيما جداً ، وقصتهم فى ذلك يطول بسطها ، وقد شرحناها فى التفسير بما فيه الكفاية ولله الحمد والمنة .

---

(١) سورة الروم ١–٦

وقال تعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبيّن لهم أنه الحق أو لم يَكْفِ بربك أنه على كل شىء شهيد [١] » .

وكذلك وقع ، أظهر الله من آياته ودلائله فى أنفس البشَر وفى الآفاق بما أوقعه من البأس [٢] بأعداء النبوة ومخالفى الشرع ، ممن كذّب به من أهل الكتابين والمجوس والمشركين ، مادلّ ذوى البصائر والنُّهى على أن محمداً رسول الله حقاً ، وأن ما جاء به من الوحى عن الله صِدقٌ ، وقد أوقع له فى صدور أعدائه وقلوبهم رعباً ومهابة وخوفاً .

كما ثبتَ عنه فى الصحيحين أنه قال : نُصِرْتُ بالرُّعْب مَسِيرة شهر .

وهذا من التأييد والنصر الذى آتاه الله عز وجل ، وكان عدوّه يخافه وبينه وبينه مسيرة شهر .

وقيل : كان إذا عزم على غزو قوم أُرعبوا قبل مجيئه إليهم ، ووروده عليهم بشهر ، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين .

فصل

وأما الأحاديث الدالة على إخباره بما وقع كما أخبر ، فمن ذلك ما أسلفناه فى قصة الصحيفة التى تعاقدت فيها بطونُ قريش ، وتمالأوا على بنى هاشم وبنى المطلب ألا يُؤْووهم ، ولا يناكحوهم ، ولا يبايعوهم ، حتى يُسْلموا إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فدخلت بنو هاشم وبنو المطلب ، بمسْلمهم وكافرهم شِعْبَ أبى طالب أُرْغمين لذلك ممتنعين منه أبداً ، مابقُوا دائماً ، ما تناسلوا وتعاقبوا .

---

(١) سورة فصلت ٥٣ . (٢) الأصل : الناس . وهو تحريف .

وفى ذلك عمل أبو طالب قصيدته اللامية التى يقول فيها :

كذبتم وبيت الله نُبزَى محمداً ولما نُقاتلْ دونه ونُناضلِ
ونُسْلِمه حتى نُصَرَّع حوله ونَذْهل عن أبنائنا والحلائلِ
وما تَرْكُ قومٍ لا أبالك سيداً يَحُوط الذِّمارَ غير ذَرْبٍ مواكلِ
وأبيضَ يُستسقى الغمامُ بوجهه ثِمَالِ اليتامى عِصْمة للأَرامل
يلوذ به الهُلّاكُ من آل هاشم فهم عنده فى نعمة وفواضلِ

وكانت قريش قد علَّقت صحيفة التعاقد[1] فى سقف الكعبة ، فسلَّط الله عليها الأَرضة فأكلت مافيها من أسماء الله ، لئلا يجتمع بما فيها من الظلم والفجور وقيل : إنها أكلت مافيها إلا أسماء الله عز وجل .

فأخبر بذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمَّه أبا طالب ، فجاء أبو طالب إلى قريش فقال : إن ابن أخى قد أخبرنى بخبر عن صحيفتكم ، بأن[2] الله قد سلَّط عليها الأَرَضة فأكلتها إلا ما فيها من أسماء الله ، أو كما قال . فأحْضِروها ، فإن كان كما قال وإلا أسلمتُه إليكم .

فأنزلوها ففتحوها فإذا الأمر كما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعند ذلك نقَضوا حُكمها ودخلت بنو هاشم وبنو المطلب مكة ، ورجعوا إلى ما كانوا عليه قبل ذلك ، كما أسلفنا ذكره[3] ولله الحمد .

ومن ذلك حديث خَبَّاب بن الأَرَتّ حين جاء هو وأمثاله من المستضعفين يستنصرون النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو[4] مُتَوَسِّد رداءه فى ظل الكعبة فيدعو لهم لما هم فيه من العذاب والإهانة ، فجلس محمراً وجهه وقال : إن من كان قبلكم كان أحدُهم يُشَق

---

(١) المطبوعة : الزعامة .
(٢) المطبوعة : فإن . وهو تحريف .
(٣) تقدم ذلك فى الجزء الثانى من السيرة .
(٤) غير ا : يتوسد .

بإثنتين مايَضُره ذلك عن دِينه ، والله ليُتمنّ الله هذا الأمر ولـكنكم تستعجلون .

ومن ذلك الحديث الذى رواه البخارى : حدثنا محمد بن العلاء ، حدثنا حماد[٢] بن أسامة ، عن بُرَيْد[١] بن عبـد الله بن أبى بُردة ، عن أبيه ، عن جده أبى بُرْدة ، عن أبى موسى ، أراه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : رأيت فى المنام أنى أهاجر من مكة إلى أرض فيها نخل ، فذهب وَهْلِى[٣] إلى أنها اليمامة أو هَجَر ، فإذا هى المدينة يَثْرب ، ورأيت فى رؤياى هذه أنى هززْت سيفا فانقطع صدره ، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد ، ثم هززته أخرى فعاد أحسنَ ما كان ، فإذا هو ماجاء به من الفتح واجتماع المؤمنين ، ورأيت فيها بقراً والله خير ، فإذا هم المؤمنون يوم أحد ، وإذا الخير ماجاء الله به من الخير وثواب الصدق الذى أتانا بعد يوم بدر .

***

ومن ذلك قصة سعد بن معاذ مع أمية بن خلف حين قدِم عليه مكة .

قال البخارى : حدثنا أحمد بن إسحاق ، حدثنا عُبَيدالله بن موسى ، حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله بن مسعود قال : انطلق سعد بن معاذ معتمراً فنزل على أمية بن خلف ، أبى صَفوان ، وكان أمية إذا انطلق إلى الشام فمرّ بالمدينة نزل على سعد ، فقال أمية لسعد : انتظر حتى إذا انتصف النهار وغفَل الناسُ انطلقتَ فطفْتَ .

فبينا سعد يطوف فإذا أبو جهل ، فقال : مَن هـذا الذى يطوف بالكعبة ؟ فقال سعد : أنا سعد .

---

(١) البخارى : حدثنا أبو أسامة .

(٢) الأصل : يزيد . وهو تحريف والتصويب من صحيح البخارى ٢/٢٢١

(٣) وهل : ظن .

فقال أبو جهل : تطوف بالكعبة آمناً ، وقد آويتم محمداً وأصحابه ؟ فقال : نعم فتلاحيا[1] بينهما .

فقال أمية لسعد : لاترفع صوتك على أبي الحكم فإنه سيد أهل الوادى .

ثم قال سعد : والله لئن منعتنى أن أطوف بالبيت لأقطعن متجرك بالشام .

قال : فجعل أمية يقول لسعد : لاترفع صوتك . وجعل يمسكه ، فغضب سعد فقال: دعنا عنك ، فإنى سمعت محمداً صلى الله عليه وسلم يزعم أنه قاتلك . قال: إياى ؟ قال : نعم. قال : والله مايكذب محمد إذا حدث .

فرجع إلى امرأته فقال : أما تعلمين ماقال لى أخى اليثربى ؟ قالت : وماقال لك ؟ قال: زعم أنه سمع محمداً يزعم أنه قاتلى . قالت : فوالله مايكذب محمد .

قال : فلما خرجوا إلى بدر وجاء الصريخ ، قالت له امرأته : ماذكرت ماقال لك أخوك اليثربى ؟ قال : فأراد ألا يخرج .

فقال له أبو جهل : إنك من أشراف الوادى ، فسر يوما أو يومين . فسار معهم فقتله الله .

وهذا الحديث من أفراد البخارى ، وقد تقدم بأبسط من هذا السياق[2] .

* * *

ومن ذلك قصة أبى بن خلف الذى كان يعلف حصانا له، فإذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنى سأقتلك عليه . فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أنا أقتلك إن شاء الله . فقتله يوم أحد كما قدمنا بسطه[3] .

ومن ذلك إخباره عن مصارع القتلى يوم بدر ، كما تقدم الحديث فى الصحيح أنه

(١) تلاحيا : تشاتما وتخاصما .

(٢) تقدم ذلك فى الجزء الثانى من السيرة فى غزوة بدر .

(٣) تقدم ذلك فى الجزء الثالث من السيرة .

جعل بشير قَبل الوقعة إلى محلها ويقول : هذا مَصرع فلان غداً إن شاء الله ، وهذا مصرع فلان . قال : فو الذى بعثه بالحق ماحادَ أحدٌ منهم عن مكانه الذى أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن ذلك قوله لذلك الرجل الذى كان لايترك للمشركين شاذّة ولا فاذّة إلا اتبعها فقَرَاها بسيفه ، وذلك يوم أُحد ، وقيل : خيبر وهو الصحيح ، وقيل : فى يوم حنين .

فقال الناس : ماأغنَى أحدٌ اليوم ماأغنى فلان . يقال : إنه قُزْمان . فقال : إنه من أهل النار .

فقال بعض الناس : أنا صاحِبه . فاتبعه ، فجُرح فاستعجل الموتَ فوضع ذُبَاب سيفه فى صدره ثم تحامَل عليه حتى أنفذَه ، فرجع ذلك الرجل فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . فقال : وماذاك ، فقال : إن الرجل الذى ذكرتَ آنفاً كان من أمره كيت وكيت ، فذكر الحديث كما تقدم .

* * *

ومن ذلك إخباره عن فتح مدائن كسرى وقصور الشام وغيرها من البلاد يوم حفر الخندق ، لما ضرب بيده الكريمة تلك الصخرة فبرَقت من ضربة ، ثم أخرى ، ثم أخرى كما قدمناه .

ومن ذلك إخباره صلى الله عليه وسلم عن ذلك الذراع أنه مسموم ، فكان كما أخبر به ، اعترف اليهود بذلك ، ومات مَن أكل معه ـ بِشْرُ بن البرَاء بن مَعْرور ـ

ومن ذلك ماذكره عبد الرزاق ، عن مَعْمَر أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم : اللهم نَجِّ أصحابَ السفينة ، ثم مكث ساعة ، ثم قال : قد استمرت ، والحديث بتمامه فى دلائل النبوة للبيهقى ، وكانت تلك السفينة قد أشرفت على الغرق وفيها الأشعريون الذين قدِموا عليه وهو بخيبر .

ومن ذلك إخباره عن قبر أبى رِغَال ، حين مرّ عليه وهو ذاهب إلى الطائف وأن معه غصناً من ذهب ، فحفروه فوجدوه كما أخبر ، صلوات الله وسلامه عليه .

رواه أبو داود من حديث أبى إسحاق ، عن إسماعيل بن أمية ، عن بجير بن أبى بجير ، عن عبد الله بن عمرو به .

ومن ذلك قوله عليه السلام للأنصار ، لما خطبهم تلك الخطبة مُسَلِّياً لهم عما كان وقع فى نفوس بعضهم من الإيثار عليهم فى القِسمة لمّا تألّف قلوبَ من تألف من سادات العرب ورءوس قريش ، وغيرهم ، فقال : أمَا ترضَون أن يذهب الناسُ بالشاة والبعير ، وتذهبون برسول الله تَحُوزونه إلى رِحَالكم ؟

وقال : إنكم ستجِدون بعدى أثَرَةً فاصبروا حتى تَلْقونى على الحوض .

وقال : إن الناس يَكْثُرون وتَقِلّ الأنصار .

وقال لهم فى الخطبة قبل هذه على الصَّفا : بل المَحْيا محياكم ، والممات مَماتكم .

وقد وقع جميع ذلك كما أخبر به سواء بسواء .

* * *

وقال البخارى : حدثنا يحيى بن بُكَير ، حدثنا الليث ، عن يونس ، عن ابن شهاب قال : وأخبرنى سعيد بن المسيّب ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذى نفس محمد بيده لتُنفقنّ كنوزهما فى سبيل الله .

ورواه مسلم عن حَرْمَلة ، عن أبى وهب ، عن يونس به .

وقال البخارى : حدثنا قَبِيصة ، حدثنا سفيان ، عن عبد الملك بن عُمَير ، عن جابر بن سَمُرة رفَعه : إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده .

وقال : لتُنفقُنّ كنوزهما فى سبيل الله .

وقد رواه البخارى أيضا ومسلم من حديث جرير .

وزاد البخارى : وابن عَوانة ، ثلاثتهم عن عبد الملك بن عُمَير به .

وقد وقع مِصْداق ذلك بعده فى أيام الخلفاء الثلاثة أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، استوثقت هذه الممالك فتحاً على أيدى المسلمين ، وأُنفقت أموال قيصر ملك الروم ، وكسرى ملك الفرس ، فى سبيل الله .

وفى هذا الحديث بشارة عظيمة للمسلمين ، وهى أن مُلك فارس قد انقطع فلا عودة له ، وملك الروم للشام قد زال عنها ، فلا يملكوها بعد ذلك ، ولله الحمد والمنة .

وفيه دلالة على صحة خلافة أبى بكر وعمر وعثمان ، والشهادة لهم بالعدل ، حيث أُنفقت الأموال المغنومة فى زمانهم فى سبيل الله على الوجه المرضى الممدوح .

* * *

وقال البخارى : حدثنا محمد بن الحكَم ، حدثنا النَّضر ، حدثنا إسرائيل ، حدثنا سعد الطائى ، أخبرنا مُحِل بن خليفة ، عن عَدِىّ بن حاتم ، قال : بينا أنا عند النبى صلى الله عليه وسلم إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقةَ ، ثم أتاه آخر فشكا إليه قَطْعَ السبيل .

فقال : ياعَدىّ هل رأيت الحيرة ؟ قلت : لم أرَها ، وقد أُنبئت عنها.

قال: فإن طالت بك حياة لترينّ الظَّعينة(١) ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة ماتخاف أحداً إلا الله عز وجل . قلت فيما بينى وبين نفسى : فأين دُعَّارُ طيىء الذين قد سعَّروا(٢) البلادَ ؟

ولئن طالت بك حياة لتُفتَحن كنوزُ كسرى. قلت كسرى بن هرمز ؟ قال : كسرى ابن هرمز .

(١) الظعينة : المرأة ما دامت فى الهودج .

(٢) الدعار : جمع داعر وهو المفسد . وسعروا : أفسدوا .

ولئن طالت بك حياة لترينّ الرجل يُخرج مِلْء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يَقْبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه .

وليَلْقَين الله أحدُكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له فيقول له : ألم أبعث إليك رسولا فيبلغك ؟ فيقول بلى ، فيقول : ألم أعطك مالا وأفضلت عليك ؟ فيقول بلى ، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم ، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم .

قال عدىّ : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اتقوا النار ولو بشِقّ تمرة فإن لم تجد فبكلمة طيبة .

قال عدى : فرأيتُ الظعينةَ ترتحل من الحِيرة حتى تطوف بالكعبة فلا تخاف إلا الله عز وجل ، وكنت فيمن افتتح كنوزَ كسرى بن هُرْمز ، ولئن طالت بكم حياة لترونّ ماقال النبي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم يخرج ملء كفه . .

ثم رواه البخارى ، عن عبد الله بن محمد ــ هو أبو بكر بن أبى شيبة ــ عن أبى عاصم النبيل ، عن سَعْدَان بن بِشْر ، عن أبى مجاهد ــ سعد الطائى ــ عن مُحِل عنه به .

وقد تفرد به البخارى من هذين الوجهين .

ورواه النسائى من حديث شعبة ، عن مُحل عنه : اتقوا النار ولو بشق تمرة .

وقد رواه البخارى من حديث شعبة ، ومسلم من حديث زهير ، كلاهما ، عن أبى إسحق ، عن عبد الله بن مُغَفَّل ، عن عَدِى مرفوعاً : اتقوا النار ولو بشق تمرة .

وكذلك أخرجاه فى الصحيحين من حديث الأعمش ، عن خيثمة ، عن عبد الرحمن ، عن عدى ، وفيها من حديث شعبة ، عن عمرو بن مُرّة ، عن خيثمة ، عن عدى به .

وهذه كلها شواهد لأصل هذا الحديث الذى أوردناه .

وقد تقدم فى غزوة الخندق الإخبار بفتح مَدَائن كسرى وقصوره وقصور الشام وغير ذلك من البلاد .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبيد ، حدثنا إسماعيل ، عن قيس ، عن خَبَّاب قال : أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى ظل الكعبة متوسداً بُرْدة له ، فقلنا : يارسول الله ، ادع الله لنا واستَنْصِره .

قال : فاحمرّ لونُه أو تغيّر ، فقال : لقد كان مَنْ قبلكم يُحفر له الحفيرة ويُجَاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيُشقّ مايَصْرفه عن دينه ، ويُمْشَط بأمشاط الحديد مادُون عَظْم أو لحم أو عصَب ، مايصرفه عن دينه ، وليتمّنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكبُ مابين صنعاء إلى حضرموت مايخشى إلا الله والذّئب على غنمه ولكنكم تَعْجلون .

وهكذا رواه البخارى عن مُسَدَّد ، ومحمد بن المثنّى ، عن يحيى بن سعيد ، عن إسماعيل بن أبى خالد به .

***

ثم قال البخارى فى كتاب علامات النبوة : حدثنا سعيد بن شُرَحْبيل ،حدثنا ليث عن يزيد بن أبى حبيب ، عن أبى الحسين ، عن عقبة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه خرج يوما فصلى على أهل أُحد صلاته على الميت ، ثم انصرف إلى المنبر فقال :أنا فَرَطكم وأنا شهيد عليكم ، إنى والله لأنْظر إلى حوضى الآن ، وإنى قد أعطيت مفاتيحَ خزائن الأرض ، وإنى والله ما أخاف بعدى أن تُشْركوا ، ولكنى أخاف أن تَنافسوا فيها .

وقد رواه البخارى أيضا من حديث حَيْوة بن شُرَيح ، ومسلم من حديث يحيى بن أيوب ، كلاهما عن يزيد بن أبى حبيب ، كرواية الليث عنه .

ففى هذا الحديث مما نحن بصدده أشياء ، منها : أنه أخبر الحاضرين أنه فَرَطهم ،أى المتقدّم عليهم فى الموت ، وهكذا وقع ، فإن هذا كان فى مرض موته عليه السلام .

ثم أخبر أنه شهيد عليهم وإن تقدم وفاته عليهم ، وأخبر أنه أعطى مفاتيحَ خزائن الأرض ، أى فُتحت له البلاد ، كما جاء فى حديث أبى هريرة المتقدم.

قال أبو هريرة : فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم تفتحونها كَفراً كفراً أى بلداً بلداً .

وأخبر أن أصحابه لايُشْركون بعده ، وهكذا وقع ولله الحمد والمنة ، ولكن خاف عليهم أن ينافسوا فى الدنيا ، وقد وقع هذا فى زمان على ومعاوية رضى الله عنهما ثم من بعدهما ، وهلم جرا إلى وقتنا هذا .

ثم قال البخارى : حدثنا على بن عبدالله ، أخبرنا أزهر بن سعد ،أخبرنا ابن عون ، أنبأنى موسى بن أنس بن مالك ، عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم افتقدَ ثابتَ بن قيس ، فقال رجل : يارسول الله أعْلم لك علمه ؟ فأتاه فوجده جالسا فى بيته متكِّسا رأسه .

فقال : ماشأنك ؟ فقال : شراً كان يرفع صوته فوق صوت النبى صلى الله عليه وسلم فقد حَبطِ عمله وهو من أهل النار . فأتى الرجلُ فأخبره أنه قال كذا وكذا .

قال موسى : فرجع المرة الآخرة ببشارة عظيمة ، فقال : اذهب إليه فقل له : إنك لست من أهل النار ، ولكن من أهل الجنة .

تفرد به البخارى .

وقد قُتل ثابت بن قيس بن شَمَّاس شهيداً يوم اليمامة .

وهكذا ثبت فى الحديث الصحيح البشارة لعبد الله بن سلام أنه يموت على الإسلام ويكون من أهل الجنة ، وقد مات رضى الله عنه على أكمل أحواله وأجلها ، وكان الناس يشهدون له بالجنة فى حياته لإخبار الصادق عنه بأنه يموت على الإسلام ، وكذلك وقع .

وقد ثبت فى الصحيح الإخبار عن العشرة بأنهم من أهل الجنة ، بل ثبت أيضاً الإخبار عنه صلوات الله وسلامه عليه بأنه لايدخل النار أحدٌ بايعَ تحت الشجرة ، وكانوا ألفاً وأربعمائة ، وقيل : وخمسمائة ، ولم ينقل أن أحداً من هؤلاء رضى الله عنه عاش إلا حميداً ، ولا مات إلا على السَّداد والاستقامة والتوفيق ، ولله الحمد والمنة .

وهذا من أعلام النبوات ، ودلالات الرسالة .

فصل

فى الإخبار بغيوب ماضية ومستقبلة

روى البيهقى من حديث إسرائيل ، عن سِماك ، عن جابر بن سَمُرة قال : جاء رجل فقال : يارسول الله إن فلاناً مات . فقال : لم يمت . فعاد الثانيـة فقال : إن فلاناً مات ، فقال : لم يمت ، فعاد الثالثة فقال : إن فلاناً نحر نفسه بمِشقَص عنده . فلم يصل عليه .

ثم قال البيهقى تابعه زُهير عن سِماك .

ومن ذلك الوجه رواه مسلم مختصراً فى الصلاة .

وقال أحمد : حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا هُرَيم بن سفيان ، عن سنَان بن بشر ، عن قيس بن أبى حازم ، عن قيس بن أبى شَهم قال : مرت بى جارية بالمدينة فأخـذتُ بكَشْحها (١) .

قال : وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع الناسَ . قال : فأتيته فلم يبايعنى ، فقال : صاحب الجُبَيْذة (٢) ؟ قال : قلت : والله لا أعود ، قال : فبايعنى .

ورواه النسائى ، عن محمد بن عبد الله المخرمى (٣) عن أسود بن عامر به ، ثم رواه أحمد عن سُرَيج ، عن يزيد بن عطاء ، عن سِنَان بن بشر ، عن قيس ، عن أبى هاشم فذكره .

وفى صحيح البخارى : عن أبى نُعَيم ، عن سفيان ، عن عبد الله بن دينار ، عن عبد الله ابن عمر قال : كنا نتقى الـكلام والانبساط إلى نسائنا فى عهد رسول الله صـلى الله عليه وسلم خشية أن يَنزل فينا شىء ، فلما توفى تـكلمنا وانبسطنا .

---

(١) الـكشح : ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف .

(٢) الجبينة : تصغير الجبذة ، وهى الجذبة .

(٣) المطبوعة : عن محمد بن عبد الرحمن المخرمى .

وقال ابن وهب : أخبرنى عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبى هلال ، عن أبى حازم عن سهل بن سعد أنه قال : والله لقد كان أحدُنا يكفّ عن الشىء مع امرأته وهو وإياها فى ثوب واحد تخوّفاً أن ينزّل فيه شىء من القرآن .

وقال أبو داود : حدثنا محمد بن العلاء ، حدثنا ابن إدريس، أنبأنا عاصم بن كُلَيب ، عن أبيه ، عن رجل من الأنصار ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على القبر يوصى الحافرَ : أوْسع من قِبل رجليه ، أوسع من قبل رأسه . فلما رجع استقبله داعى امرأة ، فجاء وجىء بالطعام فوضع يده فيه، ووضع القومُ أيديهم فأكلوا فنظر آباؤنا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم يَلُوك لقمةً فى فيه ، ثم قال : أجد لحمَ شاة أُخذت بغير إذن أهلها .

قال فأرسلت المرأة : يارسولَ الله إنى أرسلت إلى البقيع يُشْترى لى شاةٌ فلم تُوجد فأرسَلْتُ إلى جارٍ لى قد اشترى شاة : أن أرْسل بها إلىّ بثمنها فلم يوجَد ، فأرسلتُ إلى امرأته فأرسَلَتْ إلىّ بها.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أطعميه الأسارى .

فصل

فى ترتيب الإخبار بالغيوب المستقبلة بعده عليه الصلاة والسلام

ثبت فى صحيح البخارى ومسلم من حديث الأعمش ، عن أبى وائل ، عن حُذَيفة بن اليمَان : قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا مَقاماً ماترك فيه شيئاً إلا قيام الساعة إلا ذكره ، عَلِمه من عَلمه ، وجَهِله من جَهله ، وقد كنت أرى الشىء قد كنت نسيته فأعرفه كما يعرف الرجلُ الرجلَ إذا غاب عنه فرآه فعرفه .

وقال البخارى : حدثنا يحيى بن موسى ، حدثنا الوليد ، حدثنى ابن جابر ، حدثنى بِشر بن عبيد الله الحضرمى ، حدثنى أبو إدريس الخولانى ، أنه سمع حُذيفة بن اليمان يقول : كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافةَ أن يُدركنى .

فقلت : يارسول الله إنا كنا فى جاهلية وشرٍّ ، فجاء الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شرٍّ ؟ قال : نعم .

قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : نعم : وفيه دَخَن . قلت : وما دخنه ؟ فقال : قوم يَهْدُون بغير هَدْيى يُعرَف منهم ويُنكَر . قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر قال : نعم دُعَاة على أبواب جهنم ، من أجابهم إليها قذفوه فيها .

قلت : يارسول الله صِفْهم لنا . قال : هم مِن جِلْدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا .

قلت : فما تأمرنى إن أدركنى ذلك ؟ قال : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم .

قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟

قال : فاعتزل تلك الفرق كلّها ولو أنْ (١) تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك .

وقد رواه البخارى أيضا ومسلم ، عن محمد بن المثنى ، عن الوليد ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن جابر به .

قال البخارى : حدثنا محمد بن مثنى ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن إسماعيل ، عن قيس ، عن حذيفة قال : تعلّمَ أصحابى الخيرَ وتعلمتُ الشرَّ .

تفرّد به البخارى .

وفى صحيح مسلم من حديث شعبة ، عن عَدِى بن ثابت ، عن عبد الله بن يزيد ، عن حذيفة قال : لقد حدثنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بما يكون حتى تقوم الساعة ، غير أنى لم أسأله مايُخْرِج أهلَ المدينة مِنْها.

وفى صحيح مسلم من حديث على بن أحمر ، عن أبى زيد — عمرو بن أخْطَب — قال : أخبرَنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بما كان وبما هو كائن إلى يوم القيامة ، فأعلَمُنا أحْفظنا .

وفى الحديث الآخر : حتى دخل أهلُ الجنة الجنةَ ، وأهل النار النار .

وقد تقدم حديث خَبّاب بن الأرتّ : والله ليتِمنّ الله هذا الأمرَ ولكنكم تستعجلون. وكذا حديث عَدى بن حاتم فى ذلك.

وقال الله تعالى : « لِيُظهره على الدِّين كله » وقال تعالى : « وعدَ الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليَسْتخلفنّهم فى الأرض » الآية .

وفى صحيح مسلم من حديث أبى نضرة ، عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله

---

(١) ا : وأن تعض .

عليه وسلم: إن الدنيا حلوة خَضِرة ، وإن الله مُسْتخلفكم فيها فناظرٌ كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ، فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء .

وفى حديث آخر : ما تركتُ بعدى فتنةً هى أضرّ على الرجال من النساء .

وفى الصحيحين من حديث الزهرى ، عن عروة بن المسور ، عن عمرو بن عوف ، فذكر قصة بَعْث أبى عُبَيدة إلى البحرين قال : وفيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبشروا وأمّلوا ما يسُرّكم ، فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى أن تنبسط عليكم الدنيا كما بُسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها ، فتهلككم كما أهلكتهم .

وفى الصحيحين من حديث سفيان الثورى ، عن محمد بن المنكدِر ، عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل لكم من أنماط ؟ قال : قلت يارسول الله وأنّى يكون لنا أنماط ؟ فقال : أمَا إنها ستكون لكم أنماط .

قال : فأنا أقول لامرأتى : نحّى عنى أنماطك . فتقول : ألم يقل رسول الله : إنها ستكون لكم أنماط ؟ فأتركها .

وفى الصحيحين والمسانيد والسنن وغيرها من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، عن سفيان بن أبى زُهَير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تُفتح اليمن فيأتى قوم يَبِسّون[1] فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون .

كذلك رواه عن هشام بن عروة جماعة كثيرون ، وقد أسنده الحافظ ابن عساكر من حديث مالك وسفيان بن عُيَينة وابن جُرَيج وأبو معاوية ومالك بن سعد بن الحسن وأبو ضَمْرة أنس بن عياض ، وعبد العزيز بن أبى حازم وسلمة بن دينار ، ومحمد بن عبد الحميد .

---

(١) يبسون : يسوقون دوابهم سوقا لينا .

ورواه أحمد عن يونس ، عن حماد بن زيد ، عن هشام بن عروة وعبد الرزاق ، عن ابن جريج ، عن هشام ، ومن حديث مالك ، عن هشام به بنحوه .

ثم روى أحمد ، عن سليمان بن داود الهاشمي ، عن إسماعيل بن جعفر : أخبرني يزيد ابن خصيفة ، أن بشر بن سعيد أخبره أنه سمع في مجلس للمكيين يذكرون أن سفيان أخبرهم ، فذكر قصة وفيها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : ويوشك الشام أن يُفتح فيأتيه رجال من هذا البلد ـ يعني المدينة ـ فيعجبهم رَيْعهم ورخاؤه ، والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون، ثم يفتح العراق فيأتي قوم يَبِسُّون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون

وأخرجه ابن خزيمة من طريق إسماعيل ، ورواه الحافظ ابن عساكر من حديث أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه .

وكذا حديث ابن حوالة ، ويشهد لذلك : منعت الشام مُدّها ودينارها ، ومنعت العراق درهمها وقَفيزها ، ومنعت مصر أردبها ودينارها ، وعُدتم من حيث بدأتم .

وهو في الصحيح .

وكذا حديث المواقيت لأهل الشام واليمن ، وهو في الصحيحين ، وعند مسلم : ميقات أهل العراق .

ويشهد لذلك أيضا حديث : إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذي نفسي بيده لتُنفقن كنوزهما في سبيل الله عز وجل .

وفي صحيح البخاري من حديث أبي إدريس الخولاني، عن عوف بن مالك أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك : أعْدد ستًا بين يدي الساعة ، فذكر موته عليه السلام ، ثم فتح بيت المقدس ، ثم مَوَتان ـ وهو الوباء ـ ثم كثرة المال ، ثم فتنة ، ثم هدنة بين المسلمين والروم ، وسيأتي الحديث فيما بعد .

وفى صحيح مسلم من حديث عبد الرحمن بن شماسة عن أبى ذرّ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنكم ستفتحون أرضاً يُذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيراً ، فإنّ لهم ذمةً ورَحِماً ، فإذا رأيت رجلين يختصمان فى موضع لَبِنة فاخرج منها.

قال : فمرّ بربيعة وعبد الرحمن بن شُرَحْبيل بن حسنة يختصمان فى موضع لَبِنة فخرج منها - يعنى ديار مصر على يدى عمرو بن العاص فى سنة عشرين .

وروى ابن وهب عن مالك ، والليث عن الزهرى ، عن ابن لكعب بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً ، فإن لهم ذمةً ورحماً.

رواه البيهقى من حديث إسحق بن راشد ، عن الزهرى ، عن عبد الرحمن بن كعب ابن مالك عن أبيه .

وحكى أحمد بن حنبل ، عن سفيان بن عُيَينة أنه سئل عن قوله : ذمةً ورحماً ، فقال: من الناس من قال : إن أم إسماعيل - هاجَر - كانت قبطية ، ومن الناس من قال : أم إبراهيم .

قلت : الصحيح الذى لاشك فيه أنّهما قبطيتان كما قلمنا ذلك[1] ، ومعنى قوله : ذمةً ، يعنى بذلك هدية المقوقس إليه وقبوله ذلك منه ، وذلك نوع ذِمَام ومهادنة . والله تعالى أعلم .

وتقدم مارواه البخارى من حديث مُحِل بن خليفة ، عن عَدِى بن حاتم فى فتح كنوز كسرى وانتشار الأمن ، وفيضان المال حتى لايقبله أحد ، وفى الحديث أن عدياً شهد الفتح ورأى الظّعينة ترتحل من الحيرة إلى مكة لاتخاف إلا الله .

---

(١) سبق ذكر مارية فى الجزء الرابع من السيرة وذكر هاجر فى الجزء الأول من البداية .

قال : ولئن طالت بكم حياة لترونَّ ماقال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم ، من كثرة المال حتى لايقبله أحد .

قال البيهقي : وقد كان ذلك في زمن عمر بن عبد العزيز .

قلت : ويحتمل أن يكون ذلك متأخراً إلى زمن المهدى كما جاء فى صفته ، أو إلى زمن نزول عيسى بن مريم عليه السلام بعد قتله الدجال ، فإنه قد ورد فى الصحيح أنه يَقتل الخنزير ، ويكسر الصّليب ، ويفيض المال حتى لايقبله أحد . والله تعالى أعلم .

وفى صحيح مسلم من حديث ابن أبى ذئب ، عن مهاجر بن مسمار ، عن عامر بن سعد ، عن جابر بن سمرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لايزال هذا الدِّين قائما ما كان اثنا عشر خليفة كلهم من قريش ، ثم يخرج كذابون بين يدى الساعة، وليَفتحن عصابةٌ من المسلمين كنزَ القصر الأبيض ، قصر كسرى ، وأنا فرَطكم على الحوض . الحديث بمعناه .

وتقدم حديث عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن همّام ، عن أبى هريرة مرفوعاً : إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، والذى نفسى بيده لتُنفقَن كنوزُهما فى سبيل الله عز وجل .

أخرجاه ، وقال البيهقي : المراد زوال ملك قيصر عن الشام ، ولا يبقى فيها ملكه على الروم ، لقوله عليه السلام لمّا عَظَّم كِتابَه : ثبَت مُلكه ، وأما ملك فارس فزال بالكلّية ، لقوله : مزّق الله مُلكه .

وقد روى أبو داود ، عن محمد بن عبيد ، عن حماد ، عن يونس ، عن الحسن أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما جىء بفروة كسرى وسيفه ومِنطقته وتاجه وسِوَارَيْه ، ألبَس ذلك كله لسُرَاقة بن مالك بن جُعْشُم ، وقال : قل الحمد لله الذى ألبس ثيابَ كسرى لرجل أعرابى من البادية .

قال الشافعي : إنما ألبسه ذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لسراقة — ونظر إلى ذراعيه — : كأني بك وقد لبست سِوَارَيْ كسرى . والله أعلم .

وقال سفيان بن عُيَينة : عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن عَدي بن حاتم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مُثّلت لي الحيرة كأنياب الكلاب. وإنكم ستفتحونها . فقام رجل فقال : يارسول الله هَبْ لي ابنته نُفَيلة . قال : هي لك. فأعطوه إياها .

فجاء أبوها فقال : أتبيعها ؟ قال : نعم . قال : فبكم ؟ احكم ماشئتَ ، قال : ألف درهم . قال : قد أخذتُها . فقالوا له : لو قلت ثلاثين ألفا لأخذها . فقال : وهل عددٌ أكثر من ألف ؟!

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا معاوية ، عن ضمرة بن حبيب، أن ابن زغب الإيادي حدثه قال : نزل عليّ عبدُ الله بن حَوالة الأزدي فقال لي : بعثنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حول المدينة على أقدامنا لنغنم ، فرجعنا ولم نغنم شيئاً ، وعرف الجَهْد في وجوهنا .

فقام فينا فقال : اللهم لاتَكِلْهم إليّ فأضعف ، ولا تَكِلْهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها ، ولا تَكلهم إلى الناس فيستأثروا عليهم .

ثم قال : لتُفتحن لكم الشام والروم وفارس ، أو الروم وفارس ، وحتى يكون لأحدكم من الإبل كذا وكذا ، ومن البقر كذا وكذا ، ومن الغنم كذا وكذا ، وحتى يعطَى أحدكم مائة دينار فيسخَطها .

ثم وضع يده على رأسي أو على هامَتي فقال : يابن حَوالة ، إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة فقد دنَتْ الزلازلُ والبلابل والأمور العِظَام ، والساعة يومئذ أقرب إلى الناس من يدي هذه من رأسك .

ورواه أبو داود من حديث معاوية بن صالح .

وقال أحمد : حـدثنا حَيوَة بن شرَيح ، ويزيد بن عبد ربه قالا : حدثنا بقَيـة ، حدثنى بَحِير بن سعد ، عن خالد بن مَعْدَان ، عن أبى قَيْلة ، عن ابن حَوَالة أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سيصير الأمر إلى أن تـكون جنود مُجنَّدة : جنـد بالشام ، وجند باليمن ، وجند بالعراق .

فقال ابن حوالة : خِرْلى يارسول الله إن أدركتُ ذلك . فقال : عليك بالشام فإنه خيرة الله من أرضه يجىء إليـه خيرته من عِباده ، فإن أبَيْتم فعليـكم بيمنـكم واسقوا من غُدَره . فإن الله تـكفَّل لى بالشام وأهله .

وهكذا رواه أبو داود عن حيوة بن شرَيح به .

وقد رواه أحمد أيضاً عن عصام بن خالد وعلى بن عباس ، كلاهما عن جرير بن عثمان عن سليمان بن سمير ، عن عبد الله بن حوالة ، فذكر نحوه .

ورواه الوليد بن مسلم الدمشقى ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن مكحول ، وربيعة ابن يزيد ، عن أبى إدريس ، عن عبد الله بن حوالة به .

* * *

وقال البيهقى : أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القَطَّان ، أخبرنا عبـد الله بن جعفر ، حدثنا يعقوب بن سفيان ، حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا يحيى بن حمزة ، حدثنى أبو علقمة ـ نصر بن علقمة ـ يروى الحديث إلى جُبَير بن نفير ، قال : قال عبـد الله بن حوالة : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكونا إليه العُرْى والفقر ، وقلة الشىء فقال : أبشروا ، فوالله لأنا بكثرة الشىء أخوَفُنى عليـكم من قِلّتهِ ، والله لا يزال هـذا الأمر فيـكم حتى يفتح الله عليـكم أرض الشام ، أو قال : أرض فارس وأرض الروم وأرض حِمْيَر ، وحتى تـكونوا أجناداً ثلاثة ، جند بالشام، وجند بالعراق ، وجند باليمن وحتى يُعطَى الرجل المائة فيسخطها .

قال ابن حَوالة قلت : يارسول الله ومن يستطيع الشام وبه الروم ذوات القرون ؟

قال : والله ليفتحنها الله عليكم ، وليستخلفنكم فيها حتى تُظل العصابةُ البيض منهم قُمصهم اللُّلحمية أقْباؤهم (١) قياماً على الرُّويجل الأسود منكم المحلوق ما أَمَرهم من شيء فعلوه . وذكر الحديث .

قال أبو عَلْقمة : سمعت عبد الرحمن بن مهدى يقول : فعرف أصحابُ رسول الله نعت هذا الحديث فى جَزْء بن سُهيل السُّلمى ، وكان على الأعاجم فى ذلك الزمان ، فكانوا إذا رجعوا إلى المسجد نظروا إليه وإليهم قياماً حوله فيعجبون لنعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وفيهم .

وقال أحمد : حدثناحجاج ، حدثنا الليث بن سعد ، حدثنى يزيد بن أبى حبيب ، عن ربيعة بن لَقِيط التُّجِيبى ، عن عبد الله بن حوالة الأزدى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من نجا من ثلاث فقد نجا . قالوا: ماذا يارسول الله ؟ قال : موتِى ، ومن قتال خليفة مصطبر بالحق يعطيه ، والدجال .

وقال أحمد : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا الجريرى ، عن عبد الله بن شَقِيق، عن عبد الله بن حوالة قال : أتيتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى ظل دَوْمة ، وعنده كاتب له يُمْلِى عليه . فقال ألا نكتبك يابن حوالة ؟ .

قلت : فيم يارسول الله ؟ فأعرضَ عنى وأكبَّ على كاتبه يملى عليه ، ثم قال : ألا نكتبك يابن حوالة ؟ .

قلت لاأدرى ماخار الله لى ورسوله ، فأعرض عنى وأكبَّ على كاتبه يُمْلِى عليه ثم قال : ألا نكتبك يابن حوالة ؟ قلت : لاأدرى ماخار الله لى ورسوله ؟ فأعرض عنى وأكب على كاتبه يملى عليه .

---

(١) اللُّلحمية جنس من الثياب . والأقباء : جمع قباء .

قال : فنظرت فإذا فى الكتاب عمر فقلت : لا يُكتب عمر إلا فى خير ، ثم قال : أنكتبك يابن حوالة ؟ قلت : نعم .

فقال : يابن حوالة ، كيف تفعل فى فتنة تخرج فى أطراف الأرض كأنها صَيَاصى[1] بقـر ؟

قلت : لا أدرى ماخار الله لى ورسوله . قال : فكيف تفعل فى أخرى تخرج بعدها كأن الأولى منها انتفاجة[2] أرنب ؟

قلت : لاأدرى ماخار الله لى ورسوله . قال : ابتغوا هذا ، قال : ورجل مُقْفٍ[3] حينئذ .

قال : فانطلقت فسعيت وأخذت بمنكبه فأقبلت بوجهه إلى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقلت : هذا ؟ قال : نعم

قال : فإذا هو عثمان بن عفان رضى الله عنه

* * *

وثبت فى صحيح مسلم من حديث يحيى بن آدم ، عن زهير بن معاوية ، عن سهل ، عن أبيه ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنعت العراقُ درهمها وقَفيزها ، ومنعت الشام مُدَّها ودينارها ، ومنعت مصر أردبها ودينارها ، وعُدتم من حيث بدأتم ، وعدتم من حيث بدأتم ، وعدتم من حيث بدأتم ، شهد على ذلك لحمُ أبى هريرة ودمُه .

وقال يحيى بن آدم وغيره من أهل العلم : هذا من دلائل النبوة حيث أخبر عما ضرَبه عمرُ على أرض العراق من الدراهم والقُفْزان ، وعما ضرَب من الخراج بالشام ومصر

---

(١) الصياصى : قرون البقر . وفى الأصل صياصى تقر . وهو تحريف .

(٢) الانتفاجة : ثورة الأرنب . (٣) المقفى : المدبر الذى يظهر قفاه .

قبل وجود ذلك، صلوات الله وسلامه عليه.

وقد اختلف الناس فى معنى قوله عليه السلام: مَنعت العراق الخ.

فقيل: معناه أنهم يُسْلمون فيسقط عنهم الخراج. ورجحه البيهقى.

وقيل: معناه أنهم يرجعون عن الطاعة ولا يؤدون الخراجَ المضروب عليهم.

ولهذا قال: وعُدتم من حيث بدأتم» أى رجعتم إلى ما كنتم عليه قبل ذلك، كما ثبت فى صحيح مسلم: إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغُرَباء.

ويؤيد هذا القول مارواه الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل، عن الجريرى، عن أبى نَضْرة قال: كنا عند جابر بن عبد الله فقال: يوشك أهل العراق أن لايجيء إليهم قَفيز ولا درهم. قلنا: من أين ذلك؟ قال: من قِبَل العجَم، يمنعون ذلك. ثم قال: يوشك أهل الشام أن لايجيء إليهم دينار ولا مُدّ. قلنا: من أين ذلك؟ قال: من قبل الروم، يمنعون ذلك.

قال: ثم سكت هنيهة، ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يكون فى آخر أمتى خليفة يَحْثى للمالَ حَثْياً، لا يعدّه عدًّا.

قال الجريرى: فقلت لأبى نضرة وأبى العلاء: أترِيانه عمر بن عبد العزيز؟ فقالا: لا.

وقد رواه مسلم من حديث إسماعيل بن إبراهيم بن عُلَيّة، وعبد الوهاب الثقفى، كلاهما عن سعيد بن إياس الجريرى، عن أبى نَضْرة المنذر بن مالك بن قَطَعَة العَبْدى، عن جابر كما تقدم.

والعجب أن الحافظ أبا بكر البيهقى احتج به على مارجحه من أحد القولين المتقدمين، وفيما سلكه نظر، والظاهر خلافه.

***

وثبت فى الصحيحين من غير وجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقّت لأهل المدينة ذا الحلَيفة ، ولأهل الشام الُجحْفة ، ولأهل اليمن يَلَمْلم .

وفى صحيح مسلم عن جابر : ولأهل العراق ذات عرق .

فهذا من دلائل النبوة ، حيث أخبر عما وقع من حج أهل الشام واليمن والعراق ، صلوات الله وسلامه عليه .

وفى الصحيحين من حديث سفيان بن عُيَينة ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر ، عن أبى سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتين على الناس زمان يغزو فيه فِئَامٌ[1] من الناس ، فيقال لهم : هل فيكم من صَحِب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ؟ فيقال : نعم ، فيفتح الله لهم .

ثم يأتى على الناس زمان فيغزو فئام من الناس ، فيقال لهم : هل فيكم من صَحِب أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فيقال : نعم ، فيُفتح لهم .

ثم يأتى على الناس زمان يغزو فيه فئام من الناس ، فيقال : هل فيكم من صحب من صاحَبهم ؟ فيقال : نعم ، فيفتح الله لهم .

وثبت فى الصحيحين من حديث ثَور بن زيد ، عن أبى الغيث ، عن أبى هريرة قال : كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزلت عليه سورة الجمعة : « وآخرين منهم لمّا يَلْحقوا بهم » .

فقال رجل : من هؤلاء يارسول الله ؟ فوضع يده على سلمان الفارسى وقال : لو كان الإيمانُ عند الثريا لناله رجالٌ من هؤلاء .

وهكذا وقع كما أخبر به عليه السلام .

وروى الحافظ البيهقى من حديث محمد بن عبد الرحمن بن عوف ، عن عبد الله بن

(١) الفئام : الجماعات .

بشر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفسى بيده لتُفتحن عليكم فارس والروم حتى يكثر الطعام فلا يُذكر عليه اسم الله عز وجل .

وروى الإمام أحمد والبيهقى وابن عَدى وغير واحد من حديث أوْس بن عبد الله ابن بُرَيدة ، عن أخيه سهل ، عن أبيه عبد الله بن بريدة بن الحصيب مرفوعاً : ستُبعث بعوث فكن فى بَعث خراسان ، ثم اسكن مدينة مَرْو ، فإنه بناها ذو القرنين ، ودعا لها بالبركة ، وقال : لا يصيب أهلها سوء .

وهذا الحديث يعد من غرائب المسند ، ومنهم من يجعله موضوعاً . فالله أعلم .

وقد تقدم حديث أبى هريرة ، من جميع طرقه فى قتال الترك ، وقد وقع ذلك كما أخبر به سواء بسواء ، وسيقع أيضاً .

وفى صحيح البخارى من حديث شعبة ، عن فُرَات القزاز ، عن أبى حازم ، عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كانت بنو إسرائيل تَسُوسهم الأنبياء ، كلما هلك نبى خلفَه نبى ، وإنه لا نبى بعدى ، وإنه سيكون خلفاء فيكثُرون .

قالوا : فما تأمرنا يارسول الله ؟ قال : فُوا ببَيْعة الأول فالأول ، وأعطوهم حقهم ، فإن الله سائلهم عما استرعاهم .

وفى صحيح مسلم من حديث أبى رافع ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان نبى إلا كان له حواريون يَهْدون بهديه ، ويستَنّون بسُنته ، ثم يكون من بعدهم خُلوف يقولون مالا يفعلون ، ويعملون مالا ينكرون .

وروى الحافظ البيهقى من حديث عبد الله بن الحارث بن محمد بن حاطب الجمحى ، عن سُهَيل (١) بن أبى صالح ، عن أبيه ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله

---

(١) المطبوعة : إسماعيل بن أبى صالح . وهو تحريف . وانظر ميزان الاعتدال ٢/٢٤٣ .

عليه وسلم : يكون بعد الأنبياء خلفاء يعملون بكتاب الله ، ويَعْدلون في عِباد[1] الله، ثم يكون من بعد الخلفاء ملوك يأخذون بالثأر ، ويقتلون الرجال ، ويَصْطَفون الأموال ، فمغيِّر بيده ، ومغير بلسانه ، وليس وراء ذلك من الإيمان شيء .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا جرير بن حازم ، عن ليث ، عن عبد الرحمن بن سابِط ، عن أبي ثعلبة الخُشَني ، عن أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله بدأ هذا الأمر نُبُوَّةً وَرَحْمَة ، وكائنا خلافة ورحمة ، وكائنا ملكا عضوضا ، وكائنا عزة وجَبْرية وفسادا في الأمة ، يستحلون الفروج والخمور والحرير ، ويُنْصَرون على ذلك ، ويُرْزَقون أبداً حتى يلقوا الله عز وجل .

وهذا كُلُّه واقع .

وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي — وحسَّنه — والنسائي من حديث سعيد بن جُمْهان[2] ، عن سَفِينةٍ مولى رسول الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الخلافة بعدي ثلاثون سنة ، ثم تكون مُلْكا .

وفي رواية : ثم يؤتي الله مُلكه من يشاء .

وهكذا وقع سواء ، فإن أبا بكر رضي الله عنه كانت خلافته سنتين وأربعة أشهر إلا عشر ليال ، وكانت خلافة عمر عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام ، وخلافة عثمان اثنتا عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً ، وكانت خلافة علي بن أبي طالب خمس سنين إلا شهرين .

قلت : وتكميل الثلاثين بخلافة الحسن بن علي نحواً من ستة أشهر ، حتى نزل عنها لمعاوية عام أربعين من الهجرة .

---

(١) المطبوعة : عبادة . وهو تحريف .

(٢) الأصل : جهمان وهو تحريف . والتصويب من ميزان الاعتدال .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنى محمد بن فُضَيل ، حدثنا مؤمّل ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن على بن زيد ، عن عبد الرحمن بن أبى بَكرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : خلافة نبوة ثلاثون عاماً ثم يؤتى الله ملكه من يشاء .

فقال معاوية : رضينا بالملك .

وهذا الحديث فيه رد صريح على الروافض المنكرين لخلافة الثلاثة ، وعلى النواصب من بنى أمية ومن تبعهم من أهل الشام ، فى إنكار خلافة على بن أبى طالب .

فإن قيل : فما وجه الجمع بين حديث سَفِينة هذا وبين حديث جابر بن سمرة المتقدم فى صحيح مسلم : لايزال هذا الدين قائما ما كان فى الناس اثنا عشر خليفة كلهم من قريش .

فالجواب : أن من الناس من قال : إن الدين لم يزل قائما حتى ولى اثنا عشر خليفة ثم وقع تخبيط بعدهم فى زمان بنى أمية .

وقال آخرون : بل هذا الحديث فيه بشارة بوجود اثنى عشر خليفة عادلا من قريش وإن لم يوجدوا على الولاء ، وإنما اتفق وقوع الخلافة المتتابعة بعد النبوة فى ثلاثين سنة .

ثم كان بعد ذلك خلفاء راشدون ، فيهم عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموى رضى الله عنه ، وقد نَصّ على خلافته وعدله وكونه من الخلفاء الراشدين ، غير واحد من الأئمة ، حتى قال أحمد بن حنبل رضى الله عنه : ليس قول أحد من التابعين حُجة إلا قول عمر بن عبد العزيز .

ومنهم من ذكر من هؤلاء المهدى بأمر الله العباسى ، والمهدى المبشّر بوجوده فى آخر الزمان منهم أيضا بالنص على كونه من أهل البيت ، واسمه محمد بن عبد الله ، وليس بالمنتظر فى سرداب سامرّاء ، فإن ذاك ليس بموجود بالكلية ، وإنما ينتظره الجهلة من الروافض

وقد تقدم فى الصحيحين من حديث الزهرى عن عُرْوة عن عائشة أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم قال : لقد هممت أن أدعو أباك وأخاك وأكتب كتابا لئـلا يقول قائل ، أو يتمنى متمن ، ثم قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بـكر .

وهكذا وقع ، فإن الله ولأه وبايعه المؤمنون قاطبة . كما تقدم .

وفى صحيح البخارى : أن امرأة قالت : يارسول الله أرأيتَ إن جئتُ فلم أجدك ؟ ـ كأنها تعرّض بالموت ـ فقال : إن لم تجديني فأتِ أبا بكر .

وثبت فى الصحيحين من حديث ابن عمر وأبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بينا أنا نائم رأيتنى على قَلِيب ، فنزعتُ منها ما شاء الله ، ثم أخذها ابن أبى قُحَافة فنزَع منها ذَنُوباً [1] أو ذنوبين ، وفى نزعه ضعف والله يغفر له ، ثم أخذها ابن الخطاب فاستحالت غَرْباً [2] ، فلم أر عبقريا من النـاس يفرى فَرِيَه [3] ، حتى ضرَب النـاسُ بَعطَن [4] .

قال الشافعى رحمه الله : رؤيا الأنبياء وَحْى.

وقوله : وفى نَزْعه ضَعف : قِصَر مدته ، وعَجلة موته ، واشتغاله بحرب أهل الردة عن الفتح الذى ناله عمر بن الخطاب فى طول مدته .

قلت : وهذا فيه البشارة بولايتهما على الناس ، فوقع كما أخبر سواء .

ولهذا جاء فى الحديث الآخر الذى رواه أحمد والترمذى وابن ماجه وابن حبان من حديث رِبْعى بن خِرَاش ، عن حُذيفة بن اليَمَان ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : اقتدوا باللذَيْن مِن بَعدِى ، أبى بكر وعمر رضى الله عنهما .

---

(١) الذنوب : الدلو .

(٢) الغرب : الدلو العظيمة .

(٣) يفرى فريه : يصنع مثل صنعه .

(٤) ضرب الناس بعطن : سقوا حتى رووا .

وقال الترمذى : حسن ، وأخرجه من حديث ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم
وتقدم من طريق الزهرى عن رجل ، عن أبى ذر حديث تسبيح الحصى فى يد رسول الله ، ثم يد أبى بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، وقوله عليه السلام : هذه خلافة النبوة .

وفى الصحيح عن أبى موسى قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطا فدلّى رجليه فى القُفّ[1] فقلت : لأكونن اليوم بوابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلستُ خلف الباب فجاء رجلٌ فقال : افتح ، فقلت : من أنت ؟ قال : أبو بكر . فأخبرتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : افتَح له وبَشِّرْهُ بالجنة . ثم جاء عمر فقال كذلك ثم جاء عثمان فقال : ائذن له وبشّره بالجنة على بَلوى تصيبه . فدخل وهو يقول : الله المستعان .

وثبت فى صحيح البخارى من حديث سعيد بن أبى عَرُوبَةَ ، عن قتادة ، عن أنس قال : صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أُحُداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ، فرجَف بهم الجبل ، فضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم برجله وقال : اثبت ، فإنما عليك نبى وصِدِّيق وشهيدان .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا مَعمر ، عن أبى حازم ، عن سهل بن سعد أن حِرَاء ارتجّ وعليه النبىّ صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : اثبت ما عليك إلا نبى وصديق وشهيدان .

قال مَعْمَر : قد سمعت قتادة عن النبىّ صلى الله عليه وسلم مثله .

وقد روى مسلم ، عن قتيبة ، عن الدَّرَاوَرْدِى ، عن سهيل ، عن أبيه ، عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان

(١) القف : الحافة .

وعلىّ وطلحة والزبير ، فتحركت الصخرةُ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد .

وهذا من دلائل النبوة ، فإن هؤلاء كلهم أصابوا الشهادةَ واختُص رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مراتب الرسالة والنبوة ، واختص أبو بكر بأعلى مقامات الصِّديقية

وقد ثبت فى الصحيح الشهادة للعشرة بالجنة بل لجميع من شهد بيْعة الرضوان عامَ الحدَيْبية ، وكانوا ألفا وأربعمائة .

وقيل : وثلاثمائة ، وقيل : وخمسمائة ، وكلهم استمر على السّداد والاستقامة حتى مات رضى الله عنهم أجمعين .

وثبت فى صحيح البخارى البشارة [لعُكّاشة][1] بأنه من أهل الجنة فقتل شهيدا يوم اليمامة .

وفى الصحيحين من حديث يونس ، عن الزهرى ، عن سعيد ، عن أبى هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا بغير حساب ، تضىء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر . فقام عُكاشة بن مِحْصَن الأسدى يجرّ نَمِرة عليه ، فقال : يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم اجعله منهم . ثم قام رجل من الأنصار فقال : يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم . فقال : سبقك بها عكاشة .

وهذا الحديث قد روى من طرق متعددة تفيد القطع ، وقد أوردناه فى باب صفة الجنة ، وقد ذكرنا فى قتال أهل الردة أن طليحة الأسدى قتل عُكّاشةَ بن محصن شهيدا رضى الله عنه ، ثم رجع طليحة الأسدى عما كان يدعيه من النبوة وتاب إلى الله ، وقدِم على أبى بكر الصديق واعتمر وحسن إسلامه .

***

(١) سقطت من : ا .

وثبت فى الصحيحين من حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بينا أنا نائم رأيت كأنه وضع فى يدى سوَاران فقطعتهما ، فأُوحى إلى فى المنام : أن انفخهما . فنفختهما فطارا ، فأوّلتهما كذابين يخرجان ، صاحب صنعاء ، وصاحب اليمامة .

وقد تقدم فى الوفود أنه قال لمسيلمة حين قدم مع قومه وجعل يقول : إن جعل لى محمد الأمر من بعده اتبعته .

فوقف عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : والله لو سألتنى هذا العَسِيب ما أعطيتكه ، ولئن أدبرتَ ليعقرنك الله ، وإنى لأراك الذى أريت فيه ما أريت .

وهكذا وقع ، عقره الله وأهانه وكسره وغلبه يومَ اليمامة ، كما قُتل الأسود العَنْسى بصنعاء .

وروى البيهقى من حديث مبارَك بن فَضالة ، عن الحسن ، عن أنس قال : لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم مُسَيلمةَ فقال له مسيلمة : أتشهد أنى رسول الله ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : آمنتُ بالله وبرسله . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هذا رجل أخرَ لهلَكة قومه .

وقد ثبت فى الحديث الآخر أن مسيلمة كتب بعد ذلك إلى النبى صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم ، من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله ، سلام عليك ، أما بعد فإنى قد أشركت فى الأمر بعدك ، فلك المدر ولى الوبر ، ولكن قريشا قوم يعتدون .

فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين .

وقد جعلَ اللهُ العاقبةَ لمحمد وأصحابه ، لأنهم هم المتقون وهم العادلون المؤمنون ، لا من عداهم .

وقد وردت الأحاديث المروية من طرق عنه صلى الله عليه وسلم فى الإخبار عن الردة التى وقعت فى زمن الصديق فقاتلهم الصديق بالجنود المحمدية حتى رجعوا إلى دين الله أفواجاً ، وعَذُب ماء الإيمان كما كان ، بعد ما صار أجاجاً ، وقد قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا من يرتدَّ منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين »[1] الآية .

قال المفسرون : هم أبو بكر وأصحابه رضى الله عنهم .

وثبت فى الصحيحين من حديث عامر الشّعبى ، عن مَسْروق ، عن عائشة فى قصة مسارّة النبى صلى الله عليه وسلم ابنتَه فاطمة وإخباره إياها بأن جبريل كان يعارضه القرآن فى كل عام مرة ، وأنه عارضنى العام مرتين ، وما أرى ذلك إلا لاقتراب أجَلى ، فبكت ثم سارّها فأخبرها بأنها سيدة نساء أهل الجنة ، وأنها أول أهله لحوقاً به .

وكان كما أخبر .

قال البيهقى : واختلفوا فى مكث فاطمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل : شهران ، وقيل : ثلاثة ، وقيل : ستة ، وقيل : ثمانية . قال : وأصح الروايات رواية الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : مكثت فاطمة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر .

أخرجاه فى الصحيحين .

* * *

ومن كتاب دلائل النبوة فى باب إخباره عليه الصلاة والسلام عن الغيوب المستقبلة

فمن ذلك ماثبت فى الصحيحين من حديث إبراهيم بن سعد عن أبيه ، عن أبى سلمة عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه قد كان فى الأمم محدَّثون ، فإن يكن فى أمتى فعمر بن الخطاب .

---

(١) سورة المائدة .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا عبيد الله بن موسى ، أخبرنا أبو إسرائيل كوفى ، عن الوليد بن العَيْزار ، عن عمرو (١) بن ميمون ، عن على رضى الله عنه . قال : ما كنا ننكِر ونحن متوافرون أصحابَ محمد صلى الله عليه وسلم ، أن السَّكينة تنطق على لسان عمر .

قال البيهقى : تابعه ذَرّ بن حُبَيش والشَّعبى ، عن على .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا شعبة ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب قال : كنا نتحدث أن عمر بن الخطاب يَنطق على لسان مَلَك .

وقد ذكرنا فى سيرة عمر بن الخطاب رضى الله عنه أشياء كثيرة ، من مكاشفاته وما كان يخبر به من المغيّبات كقصة سارية بن زنيم ، وما شاكلها ولله الحمد والمنة .

ومن ذلك مارواه البخارى من حديث فِرَاس ، عن الشَّعبى ، عن مسروق ، عن عائشة رضى الله عنها أن نساء النبى صلى الله عليه وسلم اجتمعن عنده فقلن يوما : يارسول الله أيتنا أسْرعُ بك لحوقا ؟ فقال : أطْوَلكن يداً . وكانت سَوْدة أطولنا ذراعا ، فكانت أسرعنا به لحوقا .

هكذا وقع فى الصحيح عند البخارى أنها سَوْدة ، وقد رواه يونس بن بُكَير ، عن زكريا بن أبى زائدة ، عن الشعبى . فذكر الحديث مرسلا وقال : فلما توفيت زينب علمن أنها كانت أطولهن يداً فى الخير والصدقة .

والذى رواه مسلم ، عن محمود بن غَيْلان ، عن الفضل بن موسى ، عن طلحة بن يحيى بن طلحة ، عن عائشة بنت طلحة ، عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، فذكرت الحديث وفيه : فكانت زينب أطولنا يداً ، لأنها كانت تعمل بيدها وتَصدّق .

---

(١) المطبوعة : عمر . وهو تحريف . وانظر ميزان الاعتدال ٣/ ٢٩٠ .

وهذا هو المشهور عن علماء التاريخ أن زينب بنت جحش كانت أول أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وفاةً .

قال الواقدي : توفيت سنة عشرين ، وصلى عليها عمر بن الخطاب .

قلت : وأما سودة فإنها توفيت في آخر إمارة عمر بن الخطاب أيضا ، قاله ابن أبي خَيْثمة .

ومن ذلك مارواه مسلم من حديث أُسَيد بن جابر ، عن عمر بن الخطاب في قصة أُوَيس القَرَني ، وإخباره عليه السلام عنه بأنه خير التابعين وأنه كان به برَص فدعا الله فأذهبه عنه ، إلا موضعاً قدْر الدرهم من جسده ، وأنه بارّ بأمّه وأمْره لعمر بن الخطاب أن يستغفر له ، وقد وُجد هذا الرجل في زمان عمر بن الخطاب على الصفة والنعت الذي ذكره في الحديث سواء .

وقد ذكرت طرق هذا الحديث وألفاظه والكلام عليه مطولا في الذي جمعته من مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولله الحمد والمنة .

ومن ذلك مارواه أبو داود : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا وَكِيع ، حدثنا الوليد بن عبد الله بن جُمَيع ، حدثني جرير بن عبد الله وعبدالرحمن بن خَلّاد الأنصاري عن أم ورقة بنت نوفل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما غزا بدراً قالت : يارسول الله ائذن لي في الغزو معك أمرّض مرضاكم ، لعل الله يرزقني بالشهادة . فقال لها : قَرّي في بيتك فإن الله يرزقك الشهادة . فكانت تسمى الشّهيدة .

وكانت قد قرأت القرآن ، فاستأذنت النبي صلى الله عليه وسلم أن تتخذ في بيتها مؤذناً يؤذن لها ، وكانت دَبّرت غلاما لها وجارية ، فقام إليها بالليل فغمّاها في قطيفة لها حتى ماتت وذهبا ، فأصبح عمر فقام في الناس وقال : من عنده من هذين علم أو من رآهما فليجيء بهما . فجيء بهما فأمر بهما فصُلبا ، وكانا أول مَصْلوبين بالمدينة .

وقد رواه البيهقى من حديث أبى نُعَيم ، حدثنا الوليد بن جُميع ، حدثتنى جدتى ، عن أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ويسميها الشهيدة ، فذكر الحديث . وفى آخره : فقال عمر : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : انطلقوا بنا نَزُور الشهيدة .

ومن ذلك مارواه البخارى من حديث أبى إدريس الخَولانى ، عن عوف بن مالك فى حديثه عنه فى الآيات الست بعد موته وفيه : ثم موتان بأحدكم كقِعاص[1] الغنم ، وهذا قد وقع فى أيام عمر[2] وهو طاعون عمواس سنة ثمانى عَشرة ، ومات بسببه جماعات من سادات الصحابة ، منهم معاذ بن جبل ، وأبو عبيدة ، ويزيد بن أبى سفيان ، وشُرَحْبيل ابن حَسَنة ، وأبو جَنْدل سهل بن عمر وأبوه ، والفضل بن العباس بن عبد المطلب ، رضى الله عنهم أجمعين .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا النهّاس بن قَهْم ، حدثنا شَدّاد أبو عمار عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ست من أشراط الساعة ، موتى ، وفَتْح بيتِ المَقْدِس ، وموت يأخذُ فى الناس كقِعاص الغنم ، وفتنة يدخل حريها بيتَ كل مسلم ، وأن يعطَى الرجل ألف دينار فيَتَسخطها ، وأن يغزو الروم فيسيرون إليهم بثمانين بنْداً تحت كل بَند اثنا عشر ألفاً .

وقد قال الحافظ البيهقى : أخبرنا أبو زكريا بن أبى إسحاق ، حدثنا أبو العباس محمد ابن يعقوب ، حدثنا بحر بن نصر ، حدثنا ابن وهب ، أخبرنى ابن لهيعة ، عن عبد الله بن حبان ، أنه سمع سليمان بن موسى يذكر أن الطاعون وقع بالناس يوم جسر عموسة[3] فقام عمرو بن العاص فقال : ياأيها الناس ، إنما هذا الوجع رجسٌ فتنحَّوا عنه . فقام

---

(١) القعاص : داء يأخذ الغنم وفى ا . كعقاص . (٢) المطبوعة . أيام عشر . وهو تحريف .
(٣) ا : موشة . وهو تحريف.

شُرَحبيل بن حَسنة فقال : ياأيها الناس ، إنى قد سمعت قول صاحبكم ، وإنى والله لقد أسلمتُ وصلَّيت ، وإن عَمْراً لأضلّ من بَعير أهله ، وإنما هو بلاء أنزله الله عز وجل ، فاصبروا .

فقام معاذ بن جبل فقال : ياأيها الناس ، إنى قد سمعت قولَ صاحبيكم هذين ، وإن هذا الطاعونَ رحمة ربكم (١) ودعوةُ نبيكم صلى الله عليه وسلم ، وإنى قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنكم ستقدَمون الشام فتنزلون أرضاً يقال لها : أرض عَمُوسة (٢) ، فيخرج بكم فيها خَرَجان (٣) له ذُبَاب كذباب الدُّمّل ، يستشهد الله به أنفسكم وذراريكم ويزكّى به أموالكم ، اللهم إن كنت تعلم أنى قد سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فارزق معاذاً وآل معاذ منه الحظ الأوفى ولا تُعافِه منه .

قال : فطُعِن فى السبابة فجعل ينظر إليها ويقول : اللهم بارك فيها فإنك إذا باركت فى الصغير كان كبيراً . ثم طُعن ابنه فدخل عليه فقال : « الحقُّ من ربك فلا تكونَنّ من المُمتَرين » فقال : « ستَجِدنى إن شاء الله من الصابرين » .

وثبت فى الصحيحين من حديث الأعمش وجامع بن أبى راشد ، عن شقيق بن سلمة ، عن حذيفة قال : كنا جلوساً عند عمر فقال : أيكم يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الفتنة ؟ قلت : أنا ، قال هات ، إنك لجرىء .

فقلت : ذكَر فتنةَ الرجل فى أهله وماله وولده وجاره يكفرها الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

فقال : ليس هذا أعنى ، وإنما أعنى التى تموجُ موجَ البحر .

فقلت : ياأمير المؤمنين إن بينك وبينها باباً مغلقاً . قال : ويحك ، يُفتح الباب (٤) أم يُكسر ؟ قلت : بل يُكسر .

---

(١) غير ا : رحمة بكم .
(٢) ا : موسة .
(٣) كذا . والخراج : البثور .
(٤) المطبوعة : يفتح الله . وهو تحريف .

قال : إذاً لا يُغلق أبداً . قلتُ : أجل .

فقلنا لحذيفة : فكان عمر يعلم مَنِ الباب ؟ قال : نعم ، وإنى حدثته حديثاً ليس بالأغاليط . قال : فهِبْنا أن نسأل حذيفة من الباب ، فقلنا لمسروق فسأله ، فقال من الباب[1] ؟ قال : عمر .

وهكذا وقع من بعد مقتل عمر ، وقعت الفتن فى الناس ، وتأكد ظهورها بمقتل عثمان بن عفان رضى الله عنهما .

وقد قال يَعْلَى بن عُبَيد ، عن الأعمش ، عن سفيان ، عن عروة بن قيس قال خطبنا خالد بن الوليد فقال : إن أمير المؤمنين عمر بعثنى إلى الشام فحين ألقَى بَوانِيه بَثْنِيَةً[2] وعسلا أراد أن يؤثِر بها غيرى ويبعثنى إلى الهند .

فقال رجل من تحته : اصبر أيها الأمير ، فإن الفتن قد ظهرت . فقال خالد : أما وابن الخطاب حيٌّ فلا ، وإنما ذاك بعده .

وقد روى الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن الزُّهرى ، عن سالم ، عن أبيه قال : أبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر ثوباً فقال : أجديد ثوبك أم غَسِيل ؟ قال : بل غسيل ، قال : البس جديداً ، وعِشْ حَميداً ، ومتْ شهيداً . وأظنه قال : ويرزقك الله قرّة عين فى الدنيا والآخرة .

وهكذا رواه النسائى وابن ماجه من حديث عبد الرزاق به . ثم قال النسائى : هذا حديث منكر ، أنكره يحيى القَطَّان على عبد الرزاق .

وقد روى عن الزهرى من وجه آخر مرسلا . قال حمزة بن محمد الكنانى الحافظ : لا أعلم أحداً رواه عن الزهرى غير مَعْمَر ، وما أحسبه بالصحيح ، والله أعلم .

قلت : رجال إسناده واتصاله على شرط الصحيحين ، وقد قَبِل الشيخان تفرّد

---

(١) الأصل : بالباب . وما أثبته عن صحيح البخارى ٣/٢٨٣ .

(٢) ألقى بوانيه : أقام وثبت . والبثنية : الحنطة الجيدة .

مَعْمر عن الزهرى فى غير ما حديث ، ثم قد روَى البزار هذا الحديث من طريق جابر الجُعْفى — وهو ضعيف — عن عبد الرحمن بن سابط[1] عن جابر بن عبد الله مرفوعاً مثله سواء .

وقد وقع ما أخبر به فى هذا الحديث فإنه رضى الله عنه قتل شهيداً وهو قائم يصلى الفجر فى محرابه من المسجد النبوى ، على صاحبه أفضل الصلاة والسلام .

وقد تقدم حديث أبى ذر فى تسبيح الحصا فى يد أبى بكر ثم عمر ثم عثمان ، وقوله عليه السلام : هذه خلافة النبوة .

وقال نعيم بن حماد : حدثنا عبد الله بن المبارك ، أخبرنا حَشْرَج[2] بن نباتة ، عن سعيد بن جُمْهان[3] ، عن سَفينة قال : لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد المدينة جاء أبو بكر بحجر فوضعه ، ثم جاء عمر بحجر فوضعه ، ثم جاء عثمان بحجر فوضعه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هؤلاء يكونون خلفاء بعدى .

وقد تقدم فى حديث عبد الله بن حَوالة قوله صلى الله عليه وسلم : ثلاثٌ من نجا منهن فقد نجا : موتى ، وقتل خليفة مصطَبِر ، والدجال . وفى حديثه الآخر الأمر باتباع عثمان عند وقوع الفتنة .

وثبت فى الصحيحين من حديث سليمان بن بلال ، عن شريك ابن أبى نَمِر ، عن سعيد بن المسيِّب ، عن أبى موسى قال : توضأت فى بيتى ، ثم خرجت فقلت : لأكونن اليوم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فجئت المسجد فسألت عنه فقالوا : خرج وتوجه هاهنا ، فخرجت فى أثره حتى جئت بئر أَرِيس — وبابُها من جريد — فمكثت عند بابها حتى علمت أن النبى صلى الله عليه وسلم قد قضى حاجته وجلس ، فجئته فسلمت عليه فإذا هو قد جلس على قُفِّ بئر أَرِيس

---

(١) ا : عبد الرحمن بن سليط . وهو تحريف . (٢) المطبوعة : حرج . وهو تحريف .
(٣) الأصل : جبهان . وهو خطأ ، والتصويب من ميزان الاعتدال ٢/١٣١ .

فتوسطه ثم دلى رجليه فى البئر وكشف عن ساقيه ، فرجعت إلى الباب وقلت :لأكونن بوابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فلم أنشب أن دُقّ الباب فقلت : من هذا ؟ قال : أبو بكر .

قلت : على رِسْلك ، وذهبتُ إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقلت : يارسول الله هذا أبو بكر يستأذن ، فقال : ائذن له وبَشّره بالجنة . قال : فخرجت مسرعاً حتى قلت لأبى بكر : ادخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بالجنة .

قال : فدخل حتى جلس إلى جنب النبى صلى الله عليه وسلم فى القُفّ على يمينه ودلّى رجليه وكشف عن ساقيه كما صنع النبى صلى الله عليه وسلم .

قال : ثم رجعت وقد كنت تركت أخى يتوضأ وقد كان قال لى : أنا على إثرك ، فقلت إن يُرد الله بفلان خيرا يأت به .

قال : فسمعتُ تحريكَ الباب ، فقلت : من هذا ؟ قال : عمر ، قلت : على رِسْلك . قال : وجئت النبى صلى الله عليه وسلم ، فسلّمت عليه وأخبرته ، فقال : ائذن له وبشره بالجنة . قال : فجئت وأذِنت له وقلت له : رسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بالجنة قال : فدخل حتى جلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على يساره ، وكشف عن ساقيه ودلّى رجليه فى البئر كما صنع النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر .

قال : ثم رجعت فقلت : إن يرد الله بفلان خيرا يأت به ، يريد أخاه ، فإذا تحريك الباب ، فقلت : من هذا ؟ قال : عثمان بن عفان . قلت : على رِسْلك ، وذهبت إلى رسول الله فقلت : هذا عثمان يستأذن ، فقال ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه قال : فجئت فقلت : رسول الله صلى الله عليه وسلم يأذن لك ويبشرك بالجنة على [1] بلوى أو بلاء يصيبك ، فدخل وهو يقول : الله المستعان .

---

(١) ا : مع بلوى .

فلم يجد فى القُفِّ مجلساً فجلس وِجَاههم من شِقِّ البئر ، وكشف عن ساقيه ودلاهما فى البئر ، كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر ، رضى الله عنهما .

قال سعيد بن المسيِّب : فأوَّلتها قبورهم ، اجتمعتْ وانفرد عثمانُ .

وقد روى البيهقى من حديث عبد الأعلى بن أبى المساوِر ، عن إبراهيم بن محمد بن حاطب ، عن عبد الرحمن بن بُجَير ، عن زيد بن أرقم ، قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : انطلق حتى تأتى أبا بكر فتجده فى داره جالساً مُحْتبيا فقل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ عليك السلام ويقول : أبشر بالجنة .

ثم انطلقْ حتى تأتى الثَّنِيَّة فتلقى عمرَ راكباً على حمار تلوح صلعته ، فقل : إن رسول الله يقرأ عليك السلام ويقول : أبشر بالجنة .

ثم انصرفْ حتى تأتى عثمانَ فتجده فى السوق يبيع ويبتاع ، فقل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ عليك السلام . ويقول : أبشر بالجنة بعد بلاء شديد .

فذكر الحديث فى ذهابه إليهم فوجد كلاًّ منهم كما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكلاًّ منهم يقول : أين رسول الله ؟ فيقول : فى مكان كذا وكذا . فيذهب إليه ، وأن عثمان لما رجع قال : يارسول الله وأىّ بلاء يصيبنى ؟ والذى بعثك بالحق ماتغنَّيت ولا تمنَّيت ولا مستُ ذكرى بيمينى منذ بايعتك ، فأى بلاء يصيبنى ؟ فقال : هو ذاك .

ثم قال البيهقى : عبد الأعلى ضعيف ، فإن كان حفظ هذا الحديثَ فيحتمل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم زيد بن أرقم فجاء وأبو موسى الأشعرى جالس على الباب كما تقدم .

وهذا البلاء الذى أصابه هو مااتفق وقوعه على يدى من أنكر عليه من رَعاع أهل الأمصار بلا علم ، فوقع ماذكرناه فى دولته من حصر . ياه فى داره حتى آل الحالُ بعد

ذلك كله إلى اضطهاده وقتله وإلقائه على الطريق أياماً ، لا يصلّى عليه ولا يُلتفت إليه ، حتى غسل بعد ذلك وصلّى عليه ودفن بحُشّ كوكب ـ بُستان فى طريق البقيع ـ رضى الله عنه وأرضاه وجعل جنات الفردوس متقلبه ومثواه .

كما قال الإمام أحمد . حدثنا يحيى ، عن إسماعيل عن قيس ، عن أبى سهلة مولى عثمان ، عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ادعوا لى بعض أصحابى . قلت : أبو بكر ؟ قال : لا ، قلت : عمر ؟ قال : لا . قلت : ابن عمك على ؟ قال : لا . قلت : عثمان ؟ قال : نعم . فلما جاء عثمان قال : تنحّىْ . فجعل يُسارُّه ولونُ عثمان يتغير .

قال أبو سهلة : فلما كان يوم الدار وحُصِر فيها ، قلنا : ياأمير المؤمنين ألا تقاتل ؟ قال : لا ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهِد إلىّ عهداً وإنى صابرٌ نفسى عليه .

تفرد به أحمد . ثم قد رواه أحمد ، عن وَكيع ، عن إسماعيل ، عن قيس ، عن عائشة فذكر مثله ، وأخرجه ابن ماجه من حديث وكيع .

وقال نُعَيم بن حماد فى كتابه الفتن والملاحم : حدثنا عَتّاب بن بَشِير[1] ، عن خُصَيف ، عن مجاهد ، عن عائشة رضى الله عنها قالت : دخلت علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعثمان بين يديه يناجيه ، فلم أدرك من مقالته شيئا إلا قول عثمان : أظُلْماً وعدواناً يارسول الله ؟ فما دريتُ ماهو حتى قُتل عثمان ، فعلمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما عنىَ قتله .

قالت عائشة : وما أحببت أن يَصِل إلى عثمان شىء إلا وصل إلىّ مثله غيره إن شاء الله علِم أنى لم أحب قتله ، ولو أحببت قتله لقُتلت ، وذلك لما رمِى هَوْدجها من النَّبل حتى صار مثلَ القنفذ .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا إسماعيل بن جعفر ، عن عمرو بن أبى عمرو مولى

(١) ا : عتاب بن بشكر ، وهو تحريف والتصويب من ت وميزان الاعتدال ٣/ ٢٧ .

للطلّب ، عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتقوم الساعة حتى تقتلوا إمامكم وتجتلدوا بأسيافكم ، ويرث دُنْيا كم شِرارُكم .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو الحسين بن بشران ، أخبرنا على بن محمد المصرى ، حدثنا محمد بن إسماعيل السُّلمى ، حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنى الليث ، حدثنى خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبى هلال ، عن ربيعة بن سيف أنه حدثه أنه جلس يوما مع شُفَىّ الأصبحى فقال : سمعت عبد الله بن عمر يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : سيكون فيكم اثنا عشر خليفة ، أبو بكر الصديق ، لايلبث خَلْفى إلا قليلا ، وصاحب رحَى العرب يعيش حَميداً ويموت شهيداً ، فقال رجل : ومن هو يارسول الله ؟ قال : عمر ابن الخطاب .

ثم التفت إلى عثمان فقال : وأنت يسألك الناس أن تخلع قميصا كسا كه الله ، والذى بعثنى بالحق لئن خلعته لاتدخل الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط .

ثم روى البيهقى من حديث موسى بن عقبة : حدثنى جدى أبو أمى ، أبو حبيبة أنه دخل الدار وعثمان محصور فيها ، وأنه سمع أبا هريرة يستأذن عثمان فى الكلام فأذِن له ، فقام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنكم ستلقون بعدى فتنةً واختلافاً .

فقال له قائل من الناس : فمن لنا يارسول الله ؟ أوْ : ما تأمرنا ؟ فقال : عليكم بالأمين وأصحابه . وهو يشير إلى عثمان بذلك .

وقد رواه الإمام أحمد ، عن عفان ، عن وهيب ، عن موسى بن عقبة به .

وقد تقدم فى حديث عبد الله بن حوالة شاهدان له بالصحة . والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، عن سفيان ، عن منصور ، عن رِبْعى ، عن البرّاء بن ناجِيَة ، عن عبد الله ــ هو ابن مسعود ــ عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

تدور رحَى الإسلام لخمس وثلاثين ، أو ست وثلاثين ، أو سبع وثلاثين ، فإن هلكوا فسبيلُ من قد هلك ، وإن يقُم لهم دِينُهم يقم لهم سبعين عاما .

قال : قلت : أمما مضى أو مما بقى ؟

ورواه أبو داود عن محمد بن سليمان الأنبارى ، عن عبد الرحمن بن مهدى به .

ثم رواه أحمد عن إسحاق ، وحجاج ، عن سفيان ، عن منصور ، عن رِبْعى ، عن البرَاء بن ناجِية الكاهلى ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن رحى الإسلام ستزول لخمس وثلاثين ، أو سبع وثلاثين ، فإن تَهْلك فسبيل من هلك ، وإن يُقَم لهم دِينُهم يقم لهم سبعين عاماً .

قال . قال : عمر : يارسول الله أمما مضى أو بما بقى ؟ قال : بل بما بقى .

وهكذا رواه يعقوب بن سفيان ، عن عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن منصور به ، فقال له عمر . فذكره .

قال البيهقى : وقد تابع إسرائيل الأعمشُ وسفيان الثورى عن منصور ، قال : وبلغنى أن فى هذا إشارة إلى الفتنة التى كان منها قَتْل عثمان سنة خمس وثلاثين ، ثم إلى الفتن التى كانت فى أيام على ، وأراد بالسبعين مُلْك بنى أمية ، فإنه بقى بين مااستقر لهم الملك إلى أن ظهرت الدعاة بخراسان وضعف أمر بنى أمية ودخل الوهن فيه ، نحواً من سبعين سنة .

قلت : ثم انطوت هذه الحروب أيام صِفِّين ، وَقاتَل علىٌّ الخوارجَ فى أثناء ذلك ، كما تقدم الحديث المتفق على صحته ، فى الإخبار بذلك ، وفى صفتهم وصفة الرجل المخدَّج فيهم .

حديث آخر

قال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى ، حدثنى يحيى بن سليم ، عن عبد الله

ابن عثمان، عن مجاهد، عن إبراهيم بن الأشتر، عن أبيه، عن أم ذر قالت: لما حضرت أبا ذر الوفاة بكيت فقال: ما يبكيك؟ فقلت: ومالى لا أبكى وأنت تموت بفلاة من الأرض ولا يدَ لى بدفنك، وليس عندى ثوب يسعك فأكفنك فيه.

قال: فلا تبكى وأبشرى، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين، وليس من أولئك النفر أحد إلا وقد مات فى قرية أو جماعة، وإنى أنا الذى أموت بالفلاة، والله ما كَذَب ولا كُذِبْت.

تفرد به أحمد رحمه الله، وقد رواه البيهقى من حديث على بن المدينى عن يحيى بن سليم الطائفى به مطولا.

والحديث مشهور فى موته رضى الله عنه بالرَّبَذَة سنة ثنتين وثلاثين، فى خلافة عثمان بن عفان، وكان فى النفر الذين قدموا عليه فى السياق عبد الله بن مسعود وهو الذى صلى عليه ثم قدم المدينة فأقام بها عشر ليال ومات رضى الله عنه.

حديث آخر

قال البيهقى: أخبرنا الحاكم، أخبرنا الأصم، حدثنا محمد بن إسحاق الصنعانى، حدثنا عمر بن سعيد الدمشقى، حدثنا سعيد بن عبد العزيز، عن إسماعيل بن عبيد الله عن أبى عبد الله الأشعرى، عن أبى الدرداء، قال: قلت: يارسول الله بلغنى أنك تقول ليرتدن أقوام بعد إيمانهم، قال: أجل، ولستَ منهم. قال: فتوفى أبو الدرداء قبل أن يقتل عثمان.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا صفوان، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا عبد الله أو عبد الغفار بن إسماعيل بن عبد الله، عن أبيه أنه حدثه عن شيخ من السلف قال:

سمعت أبا الدرداء يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني فرَطكم على الحوض أنتظر من يرِد عليّ منكم ، فلا أُلفَين أنازع أحدَكم ، فأقول : إنه من أمتي ، فيقال . هل تدري ما أحدَثوا بعدك ؟

قال أبو الدرداء : فتخوفتُ أن أكون منهم ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له ، فقال : إنك لست منهم .

قال: فتوفي أبو الدرداء قبل أن يُقتل عثمان ، وقبل أن تقع الفتن .

قال البيهقي : تابَعه يزيد بن أبي مريم ، عن أبي عبيد الله مسلم بن مِشْكَم [1] عن أبي الدرداء إلى قوله : لست منهم .

قلتْ : قال سعيد بن عبد العزيز : توفي أبو الدرداء لسنتين بقيتا من خلافة عثمان . وقال الواقدي وأبو عبيد وغير واحد : توفي سنة ثنتين وثلاثين ، رضي الله عنه .

---

(١) المطبوعة : مسلم بن بشكر .

ذكر إخباره ﷺ عن الفتن الواقعة فى آخر أيام عثمان بن عفان وفى خلافة على بن أبى طالب رضى الله عنهما

ثبت فى الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرف على أُطُم من آطام المدينة فقال : هل ترون ما أرى ؟ إنى لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر .

وروى الإمام أحمد ومسلم من حديث الزهرى ، عن أبى إدريس الخولانى : سمعت حذيفة بن اليمان يقول : والله إنى لأَعْلَمُ الناسِ بكل فتنة هى كائنة فيما بينى وبين الساعة وما ذاك أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنى من ذلك شيئا أَسَرَّه إلىّ لم يكن حدّث به غيرى ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ـ وهو يحدّث مجلساً أنا فيه ـ سُئل عن الفتن وهو يَعدّ الفتن فيهن ثلاث لاتذوق شيئاً منهن كرياح الصيف منها صِغار ومنها كِبار .

قال حذيفة : فذهب أولئك الرهط كلهم غيرى .

وهذا لفظ أحمد .

قال البيهقى : مات حذيفة بعد الفتنة الأولى بقتل عثمان ، وقبل الفتنتين الآخرتين فى أيام على .

قلت : قال العِجْلى وغير واحد من علماء التاريخ : كانت وفاة حُذيفة بعد مقتل عثمان بأربعين يوماً .

وهو الذى قال : لو كان قتل عثمان هُدًى لاحتلبت به الأمة لَبناً ، ولكنه كان ضلالة فاحتلبت به الأمة دماً .

وقال : لو أن أحداً ارفَضَّ (٢) لما صنعتم بعثمان لـكان جديراً أن يرفض (٢) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان بن عُيَينة ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن زينب بنت أبى سلمة ، عن حبيبة بنت أم حَبِيبة بنت أبى سفيان ، عن أمها أم حبيبة ، عن زينب بنت جحش زوج النبى صلى الله عليه وسلم . قال سفيان : أربع نسوة .

قالت : استيقظ النبى صلى الله عليه وسلم من نومه وهو محمَرّ الوجه وهو يقول : لا إله إلا الله ويلٌ للعرب من شر قد اقترب ، فُتح اليوم من رَدْم يأجوج ومأجوج مثل هذه ـ وحلّق بإصبعه الإبهام والتى تليها ـ

قلت : يارسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم ، إذا كثر الخَبَث .

هكذا رواه الإمام أحمد ، عن سفيان بن عيينة به .

وكذلك رواه مسلم ، عن أبى بكر بن أبى شيبة وسعد بن عمرو والأشعثى وزهير ابن حرب وابن أبى عمر كلهم ، عن سفيان بن عيينة به سواء .

ورواه الترمذى عن سعيد بن عبد الرحمن المخزومى وغير واحد ، كلهم عن سفيان ابن عيينة ، وقال الترمذى : حسن صحيح .

وقال الترمذى : قال الحُميدى عن سفيان : حفظت من الزهرى فى هذا الإسناد أربع نسوة .

قلت : وقد أخرجه البخارى ، عن مالك بن إسماعيل ومسلم عن عمرو الناقد ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن زينب ، عن أم حَبِيبة ، عن زينب بنت جحش ، فلم يذكروا حبيبة فى الإسناد ، وكذلك رواه عن الزهرى شعيب وصالح بن كَيسان وعقيل ومحمد بن إسحق ومحمد بن أبى عَتِيق ويونس بن يزيد ، فلم يذكروا عنه فى الإسناد حبيبة . والله أعلم .

---

(٢) ارفض : رفض . وفى المطبوعة : ارتفض . والتصويب من ا .

فعلى ما رواه أحمد ومن تابعه عن سفيان بن عُيَينة ، يكون قد اجتمع فى هذا الإسناد تابعيّان ، وهما الزهرى وعروة بن الزبير ، وأربع صحابيات وبنتان وزوجتان . وهذا عزيز جداً .

ثم قال البخارى بعد رواية الحديث المتقدم : عن أبى اليمان عن شعيب ، عن الزهرى فذكره إلى آخره ، ثم قال : وعن الزهرى حدثتنى هند بنت الحارث ، أن أم سلمة قالت: استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : سبحان الله ماذا أُنزل من الخزائن ؟ وماذا أنزل من الفتن ؟ !

وقد أسنده البخارى فى مواضع أُخَر من طرق عن الزهرى به .

ورواه الترمذى من حديث مَعْمَر عن الزهرى وقال : حسن صحيح .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا الصَّلْت بن دينار ، حدثنا عُقبة بن صَهْبان وأبو رجاء العُطَاردى قالا : سمعنا الزبير وهو يتلو هذه الآية : « واتقوا فتنةً لا تُصيبن الذين ظلموا منكم خاصةً » [1] قال : لقد تلوتُ هذه الآية زمناً وما أرانى من أهلها فأصبحنا من أهلها .

وهذا الإسناد ضعيف .

ولكن رُوى من وجه آخر ، فقال الإمام أحمد : حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا جرير قال : سمعت أنساً قال : قال الزبير بن العوام : نزلت هذه الآية ونحن متوافرون مع النبى صلى الله عليه وسلم : « واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » فجعلنا نقول : ما هذه الفتنة ؟ وما نَشعر أنها تقع حيث وقعت .

ورواه النسائى ، عن إسحق بن إبراهيم ، عن مهدى ، عن جرير بن حازم به .

وقد قُتل الزبير بوادى السِّباع مرجَعه من قتال يوم الجمل .

---

(١) سورة الأنفال .

وقال أبو داود السِّجستانى فى سننه : حدثنا مُسَدَّد ، حدثنا أبو الأحوص ـ سلام ابن سليم ـ عن منصور ، عن هلال بن يساف ، عن سعيد بن زيد ، قال : كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم فذكَر فتنةً وعظَّم أمرها ، فقلنا : يارسول الله لئن أدركتنا هذه لتهلكنا ، فقال : [كلا] (١) إن بحسبكم القتل . قال سعيد : فرأيت إخوانى قُتلوا .

تفرد به أبو داود .

***

وقال أبو داود السِّجِسْتانى : حدثنا الحسن بن على ، حدثنا يزيد ، أخبرنا هشام ، عن محمد ، قال قال حذيفة : ما أحدٌ من الناس تدركه الفتنة إلا أنا أخافها عليه إلا محمد ابن مَسْلَمة فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تضرك الفتنة .

وهذا منقطع .

وقال أبو داود الطيالسى ، حدثنا شعبة ، عن أشعث بن أبى أشعث ، سمعت أبا بُرْدة يحدث عن ثعلبة بن أبى ضُبَيعة ، سمعت حذيفة يقول : إنى لأعرف رجلا لا تضره الفتنة . فأتينا المدينة فإذا فسطاط مضروب ، وإذا محمد بن مَسْلَمة الأنصارى ، فسألته فقال : لا أستقر بمِصْر من أمصارهم حتى تَنْجلى هذه الفتنة عن جماعة المسلمين .

قال البيهقى : ورواه أبو داود ـ يعنى السجستانى ـ عن عمرو بن مرزوق ، عن شعبة به .

وقال أبو داود : حدثنا مُسَدَّد ، حدثنا أبو عَوانة ، عن أشعث بن سليم ، عن أبى بُرْدة ، عن ضُبَيعة بن حُصَين الثعلبى ، عن حذيفة بمعناه .

قال البخارى فى التاريخ : هذا عندى أوْلَى .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن على بن زيد ، عن أبى

---

(١) سقطت من ا.

بُرْدة قال : مررتُ بالرَّبَذة فإذا فسطاط ، فقلت : لمن هـذا ؟ فقيل : لمحمد بن مسلمة ، فاستأذنت عليه فدخلت عليه فقلت : رحمك الله إنك من هذا الأمر بمكان ، فلو خرجتَ إلى الناس فأمرتَ ونهيت ؟ فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنها ستكون فتنة وفُرقة واختلاف ، فإذا كان ذلك فأتِ بسيفك أُحُداً فاضرب به عُرْضه ، وكَسِّر نبلَك ، واقطع وَتَرَك ، واجلس فى بيتك حتى تأتيك يدٌ خاطئة أو يعافيك الله ، فقد كان ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفعلت ما أمرنى به .

ثم استنزَل سيفاً كان معلقاً بعمود الفسطاط واخترطه فإذا سيف من خشب ، فقال قد فعلت ما أمرنى به واتخذت هذا أُرْهب به الناس .

تفرد به أحمد .

وقال البيهقى : أخبرنا الحاكم ، حدثنا على بن عيسى المدنى ، أخبرنا أحمد بن نُجْدَة القرشى ، حدثنا يحيى بن عبد الحميد ، أخبرنا إبراهيمَ بن سعد ، حدثنا سالم بن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبيه ، عن محمود بن لَبِيد ، عن محمد بن مَسْلمة أنه قال : يارسول الله كيف أصنع إذا اختلف المصلّون ؟ قال : اخرج بسيفك إلى الحرة فتضرب بها به ، ثم تدخل بيتك حتى تأتيك مَنيَّة قاضية أو يد خاطئة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا زياد بن مسلم أبو عمر ، حدثنا أبو الأشعث الصَّنْعانى قال : بعثنا يزيد بن معاوية إلى ابن الزبير ، فلما قدمت المدينة دخلت على فلان — نسى زياد اسمه — فقال : إن الناس قد صنعوا ماصنعوا فما ترى ؟ قال: أوصانى خليلى أبو القاسم إن أدركتَ شيئا من هذه الفتن فاعمد إلى أُحُد فاكسر به حدَّ سيفك ثم اقعد فى بيتك ، فإن دخل عليك أحدٌ البيتَ فقم إلى المَخْدَع ، فإن دخل عليك المخدع فاجثُ على ركبتيك وقل : بُؤْ بإثمى وإثمك فتكونَ من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فقد كسرتُ سيفى وقعدت فى بيتى .

هكذا وقع إيراد هذا الحديث فى مسند محمد بن مَسْلمة عند الإمام أحمد ، ولكن وقع إبهام اسمه ، وليس هو بمحمد بن مسلمة بل صحابى آخر ، فإن محمد بن مسلمة رضى الله عنه لاخلاف عند أهل التاريخ أنه توفى فيما بين الأربعين إلى الخمسين ، فقيل سنة ثنتين وقيل : ثلاث ، وقيل : سبع وأربعين ، ولم يدرك أيام يزيد بن معاوية وعبد الله بن الزبير بلا خلاف ، فتعيَّن أنه صحابى آخر خبره كخبر محمد بن مسلمة .

* * *

وقال نُعيم بن حماد فى الفتن والملاحم : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، عن حماد بن سلمة ، حدثنا أبو عمرو السُّلَمى ، عن بنت أهْبَان الغِفَارى أن علياً أتى أهبان فقال : ماينعك أن تتبعنا ؟ فقال : أوصانى خليلى وابن عمك صلى الله عليه وسلم : أن ستكون فرقة وفتنة واختلاف ، فإذا كان ذلك فاكسر سيفك واقعد فى بيتك واتخذ سيفا من خشب .

وقد رواه أحمد ، عن عفان وأسود بن عامر ومؤمّل ، ثلاثتهم عن حماد بن سلمة به وزاد مؤمل فى روايته بعد قوله : واتخذ سيفا من خشب : واقعد فى بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو منية قاضية .

ورواه الإمام أحمد أيضا والترمذى وابن ماجه من حديث عبد الله بن عبيد الدِّيلى، عن عُدَيْسة بنت أهْبَان بن صَيْفى ، عن أبيها به .

وقال الترمذى : حسن غريب لانعرفه إلا من حديث عبد الله بن عبيد ، كذا قال ، وقد تقدم من غير طريقه .

وقال البخارى : حدثنا عبد العزيز الأُوَيْسى ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، عن صالح بن كَيْسان ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيّب وأبى سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ستكون فتنٌ القاعد فيها خير من

القائم والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ، من تشرَّف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأً أو مَعاذاً فليعُذْ به .

وعن ابن شهاب : حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ، عن عبد الرحمن ابن مُطِيع بن الأسود ، عن نوفل بن معاوية مثل حديث أبي هريرة هذا .

وقد روى مسلم حديث أبي هريرة من طريق إبراهيم بن سعد كما رواه البخاري .

وكذلك حديث نوفل بن معاوية بإسناد البخاري ولفظه .

ثم قال البخاري : حدثنا محمد بن كثير ، أخبرني سفيان ، عن الأعمش ، عن زيد بن وهب ،عن ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ستكون أثَرة وأمورٌ تُنْكرونها. فقالوا : يارسول الله فما تأمرنا ؟ قال : تؤدّون الحقّ الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم .

ورواه مسلم من حديث الأعمش به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا رَوْح ، حدثنا عثمان الشحّام، حدثنا سلمة بن أبي بَكْرة، عن أبي بكرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إنها ستكون فتنة ثم تكون فتنة ، ألا فالماشي فيها خيرٌ من الساعي إليها ، والقاعد فيها خير من القائم فيها ، ألا والمضطجع فيها خير من القاعد، ألا فإذا نزلتْ فمن كان له غَنم فليَلْحق بغنمه ، ألا ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه ، ألا ومن كانت له إبل فليلحق بإبله .

فقال رجل من القوم :يانبي الله جعلني الله فداك ، أرأيتَ من ليست له غنم ولا أرض ولا إبل كيف يصنع ؟قال :ليأخذ سيفه ثم ليَعْمد به إلى صخرة ، ثم ليدقّ على حَدّه بحجَر ، ثم لينجُ إن استطاع النجاء ، اللهم هل بلّغت . إذ قال رجل : يارسول الله جعلني الله فداك، أرأيت إن أُخذ بيدي مُكرَهاً حتى يُنْطَلَق بي إلى أحد الصّفين أو إحدى الفئتين ؟ ـ شك عثمان ـ فيَحْذفني رجلٌ بسيفه فيقتلني ، ماذا يكون من شأني ؟ قال : يبوء بإثمك وإثمه ويكون من أصحاب النار .

وهكذا رواه مسلم من حديث عثمان الشحّام بنحوه .

وهذا إخبار عن إقبال الفتن ، وقد وردت أحاديث كثيرة فى معنى هذا.

* * *

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن إسماعيل ، حدثنا قيس قال : لما أقبلت عائشة ـ يعنى فى مَسِيرها إلى وقعة الجمل ـ وبلغت مياهَ بنى عامر ليلا ، نبحت الكلابُ فقالت: أى ماء هذا ؟ قالوا : ماء الحَوْأب ، فقالت : ماأظننى إلا راجعة . فقال بعض من كان معها : بل تَقْدَمين فيراك المسلمون فيُصلح الله ذات بينهم .

قالت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا ذات يوم : كيف بإحداكنّ تنبح عليها كلابُ الحَوْأب .

ورواه أبو نُعَيم بن حماد فى الملاحم ، عن يزيد بن هرون ، عن أبى خالد ، عن قيس ابن أبى حازم به .

ثم رواه أحمد ، عن غُنْدَر ، عن شعبة ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن قيس بن أبى حازم أن عائشة لما أتت على الحَوأب فسمعت نُبَاح الكلاب فقالت: ماأظننى إلا راجعة ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا : أيتكن ينبح عليها كلاب الحوأب[1] ؟

فقال لها الزبير : ترجعين ؟ عسى الله أن يصلح بك بين الناس .

وهذا إسناد على شرط الصحيحين ولم يخرجوه .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا محمد بن عثمان بن كرامة ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن عصام بن قُدَامة البجَلى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله

---

(١) ا : الحوبين . وهو تحريف .

صلى الله عليه وسلم : ليت شعرى أيتكن صاحبة الجمل الأدبب[1] تسير حتى تنبحها كلابُ الحوأب ، يُقتل عن يمينها وعن يسارها خَلق كثير .

ثم قال : لانعلمه يروى عن ابن عباس إلا بهذا الإسناد .

وقال الطبرانى : حدثنا إبراهيم بن نائلة الأصبهانى ، حدثنا إسماعيل بن عمرو البَجلى ، حدثنا نوح بن دَرّاج ، عن الأجلح بن عبد الله ، عن زيد بن على ، عن أبيه ، عن ابن الحسين ، عن ابن عباس قال: لما بلغ أصحابَ على ، حين ساروا إلى البصرة ، أن أهل البصرة قد اجتمعوا لطلحة والزبير ، شَقّ عليهم ، ووقع فى قلوبهم ، فقال على : والذى لا إله غيره ليُظْهِرنه على أهل البصرة ، وليُقْتلن طلحة والزبير ، وليَخْرُجن إليكم من الكوفة ستة آلاف وخمسمائة وخمسون رجلاً ، أو خمسة آلاف وخمسمائة وخمسون رجلا ، شك الأجلح .

قال ابن عباس : فوقع ذلك فى نفسى ، فلما أتى الكوفةَ خرجتُ فقلت : لأنظرن ، فإن كان كما يقول فهو أمر سمعه ، وإلا فهو خديعة الحرب . فلقيت رجلا فى الجيش فسألته ، فوالله ماعتّم أن قال ماقال علىّ .

قال ابن عباس : وهو ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره .

وقال البيهقى : أخبرنا عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الحفيد ، حدثنا أحمد بن نصر ، حدثنا أبو نُعيم الفضل ، حدثنا عبد الجبار بن الورد ، عن عمار الدُّهْنِى[2] ، عن سالم بن أبى الجَعْد ، عن أم سلمة قالت : ذكر النبى صلى الله عليه وسلم خروجَ بعض أمهات المؤمنين ، فضحكت عائشة ، فقال لها : انظرى ياحُمَيراء أن لاتكونى أنت ، ثم التفت إلى علىّ وقال : ياعلى إن وليتَ من أمرها شيئا فارفق بها .

وهذا حديث غريب جداً .

---

(١) الأدبب : الكثير الشعر .

(٢) الأصل : الذهبى وهو تحريف والتصويب من ميزان الاعتدال ٢/٢٢٢ .

وأغرب منه مارواه البيهقى أيضا عن الحاكم ، عن الأصمّ ، عن محمد بن إسحاق الصّنْعانى ، عن أبى نعيم عن عبد الجبار بن العباس الشامى ، عن عطاء بن السائب ، عن عمر بن الهَجِيع ، عن أبى بَكْرة قال : قيل له مايمنعك ألا تكون قاتلتَ على نُصْرتك يوم الجمل ؟ فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يخرج قوم هلكى لايفلحون ، قائدهم امرأة ، قائدهم فى الجنة .

وهذا منكر جدا .

والمحفوظ مارواه البخارى من حديث الحسن البصرى ، عن أبى بكرة قال : نفعنى الله بكلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم — وبلغه أن فارس ملّكوا عليهم امرأة كسرى — فقال : لن يُفْلِحَ قومٌ ولَّوا أمرهم امرأة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن الحكم ، سمعت أبا وائل قال : لما بعث علىٌّ عماراً والحسن إلى الكوفة يستنفرهم ، خطب عمار فقال : إنى لأعْلم أنها زوجته فى الدنيا والآخرة ، لكن الله ابتلاكم لتتبعوه أو إياها.

ورواه البخارى عن بِنْدَار ، عن غُنْدَر ، وهذا كله وقع فى أيام الجمل ، وقد ندمت عائشة رضى الله عنها على ما كان من خروجها ، وكذلك الزبير بن العوام أيضا ، تذكَّر وهو واقف فى المعركة أن قتاله فى هذا الموطن ليس بصواب ، فرجع عن ذلك .

قال عبد الرزاق : أخبرنا مَعْمَر ، عن قَتادة قال : لما ولّى الزبير يوم الجمل بلَغ عليا ، فقال : لو كان ابن صفية يعلم أنه على حق ما ولّى .

وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم لقيهما فى سَقِيفة بنى ساعِدة فقال : أتحبه يازبير ؟ فقال : وما يمنعنى ؟ قال : فكيف بك إذا قاتلتَه وأنت ظالم له ؟ ! قال : فيرون أنه إنما ولّى لذلك .

وهذا مرسل من هذا الوجه .

وقد أسنده الحافظ البيهقي من وجه آخر فقال : أخبرنا أبو بكر ـ أحمد بن الحسن القاضي ـ حدثنا أبو عمرو بن مطر ، أخبرنا أبو العباس عبد الله بن محمد بن سَوار الهاشمي الكوفي ، حدثنا مِنْجاب بن الحارث ، حدثنا عبد الله بن الأجلح ، حدثنا أبي عن يزيد الفقير ، عن أبيه قال : وسمعت فَضْل بن فَضالة يحدّث أبي عن أبي حرب بن أبي الأسود الدُّؤلي عن أبيه ، دخل حديثُ أحدهما في حديث صاحبه ، قال : لما دنا عليٌّ وأصحابُه من طلحة والزبير ، ودنت الصفوف بعضها من بعض ، خرج عليٌّ وهو عَلَى بَغْلةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنادى : ادعوا لي الزبير بن العوام . فأتى علي ، فدعى له الزبير فأقبل حتى اختلفتْ أعناق دوابهما .

فقال عليّ : يازُبَير ناشدتُك بالله أتذكر يوم مرّ بك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكانَ كذا وكذا، فقال : يازبير تحب علياً ؟ فقلتَ : ألا أحب ابن خالي وابن عمي وعلَى ديني ؟ فقال : ياعلي أتحبه ؟ فقلت : يارسول الله ألا أحب ابن عمتي وعلى ديني ؟ فقال : يازبير ، أمَا والله لتقاتلنه وأنت ظالم له .

فقال الزبير : بلى ، والله لقد نسيتُه منذ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكرته الآن ، والله لا أقاتلك .

فرجع الزبير على دابته يَشُق الصفوف ، فعرَض له ابنه عبد الله بن الزبير فقال : مالك فقال : ذكّرني عليٌّ حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سمعته وهو يقول : لَتقاتلنه وأنت ظالم له ، فلا أقاتلنه .

فقال : وللقتال جئتَ ؟ إنما جئت تصلح بين الناس ويصلح الله هذا الأمر .

قال : قد حلفت ألا أقاتله . قال : فأعتق غلامك خَيْر وقِفْ حتى تصلح بين الناس . فأعتق غلامه ووقف ، فلما اختلف أمرُ الناس ذهب على فرسه .

قال البيهقي : وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا الإمام أبو الوليد ، حدثنا الحسن

ابن سفيان ، حدثنا قَطَن بن بشير ، حدثنا جعفر بن سليمان ، حدثنا عبدالله بن محمدالرقاشى حدثنا جدى ـ وهو عبدالملك بن مسلم ـ عن أبى وَجْرة المازنى ، قال : سمعت علياً والزبيرَ وعليٌّ يقول له : ناشدتك الله يازبير ، أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنك تقاتلنى وأنت لى ظالم ؟ قال : بلى ولكنى نسيت .

وهذا غريب كالسياق الذى قبله .

وقد روى البيهقى من طريق الهذيل بن بلال ـ وفيه ضعف ـ عن عبد الرحمن بن مسعود العبدى ، عن على قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سرَّه أن ينظر إلى رجل يسبقه بعض أعضائه إلى الجنة فلينظر إلى زيد بن صوحان .

قلت : قُتل زيد هذا فى وقعة الجمل من ناحية على .

وثبت فى الصحيحين من حديث همام بن منبِّه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان دَعْواهما واحدة .

ورواه البخارى أيضا عن أبى اليمان ، عن شعيب ، عن أبى الزِّناد ، عن الأعرج عن أبى هريرة مثله .

ورواه البخارى أيضا عن أبى اليمان ، عن شعيب ، عن الزهرى ، عن أبى سَلَمة ، عن أبى هريرة .

وهاتان الفئتان هما أصحاب الجمل ، وأصحاب صِفِّين ، فإنهما جميعا يدعون إلى الإسلام وإنما يتنازعون فى شىء من أمور المُلك ، ومراعاة المصالح العائد نفعها على الأمة والرعايا وكان ترك القتال أولى مِنْ فعله ، كما هو مذهب جمهور الصحابة .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو اليمان ، حدثنا صفوان بن عمرو قال : كان أهل الشام ستين ألفاً ، فقتل منهم عشرون ألفاً ، وكان أهل العراق مائة وعشرين ألفا

فقتل منهم أربعون ألفاً ، ولكن كان على وأصحابه أدنى الطائفتين إلى الحق من أصحاب معاوية ، وأصحاب معاوية كانوا باغين عليهم .

كما ثبت فى صحيح مسلم من حديث شعبة عن أبى سلمة ، عن أبى نَضْرة ، عن أبى سعيد الخدرى قال : حدثنى من هو خير منى ــ يعنى أبا قتادة ــ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار : تقتلك الفئة الباغية .

ورواه أيضا من حديث ابن عُلَيَّة ، عن ابن عون ، عن الحسن ، عن أمه ، عن أم سلمة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تقتل عماراً الفئة الباغية .

وفى رواية : وقاتله فى النار .

وقد تقدم الحديث بطرقه عند بناء المسجد النبوى فى أول الهجرة النبوية .

وما يزيده بعض الرافضة فى هذا الحديث من قولهم بعد : لا أنالها الله شفاعتى يوم القيامة فليس له أصل يعتمد عليه ، بل هو من اختلاق الروافض قبحهم الله .

وقد روى البيهقى من حديث أبى عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر ، عن مولاة لعمار قالت : اشتكى عمار شكوى أرِق منها ، فغُشِى عليه فأفاق ونحن نبكى حوله ، فقال : ماتبكون ؟ أتخشون أن أموت على فراشى ؟ أخبرنى حبيبى صلى الله عليه وسلم أنه تقتلنى الفئة الباغية ، وأن آخر زادى من الدنيا مَذْقَة لبن .

وقال الإمام أحمد : حدثنى وكيع ، حدثنا سفيان ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن أبي البَخْتَرى قال : قال عمار يوم صِفين : ائتونى بشربة لبن .

فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن ، فشربها ثم تقدم فقُتل .

وحدثنا عبد الرحمن بن المهدى ، عن سفيان ، عن حبيب ، عن أبى البخترى ، أن عمار بن ياسر أتى بشربة لبن فضحك وقال : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم

قال لى : آخر شراب أشربه لبن حين أموت .

وروى البيهقى من حديث عمار الدُّهْنِيّ ، عن سالم بن أبى الجعد ، عن ابن مسعود سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا اختلف الناس كان ابن سُمَيَّة مع الحق .

ومعلوم أن عماراً كان فى جيش علىّ يوم صفين ، وقتله أصحاب معاوية من أهل الشام ، وكان الذى تولى قتله رجل يقال له أبو الغادية ، رجل من أفناد الناس ، وقيل : إنه صحابى .

وقد ذكر أبو عمر بن عبد البر وغيره فى أسماء الصحابة وهو أبو الغادية مسلم ، وقيل يسار بن أَزْيَهر الجهنى من قُضَاعة ، وقيل : مُزَنى ، وقيل : هما اثنان ، سكن الشام ثم صار إلى واسط ، روى له أحمد حديثا وله عند غيره آخر ، قالوا : وهو قاتل عمار بن ياسر وكان يذكر صفة قتله لعمار لا يتحاشى من ذلك ، وأخطأ من قال : كان بدريا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا العوام ، حدثنى ابن مسعود ، عن حنظلة بن خُوَيلد العنزى قال : بينا أنا عند معاوية إذ جاءه رجلان يختصمان فى رأس عمار ، يقول كل واحد منهما : أنا قتلته .

فقال عبد الله بن عمرو : لِيَطِبْ به أحدكما لصاحبه نفساً ؛ فإنى سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : تقتله الفئة الباغية .

فقال معاوية : ألا نحّ عنا مجنونَك ياعمرو ، فما بالك معنا؟

قال : إن أبى شكانى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أطع أباك مادام حيًّا ولا تعصه ، فأنا معكم ولست أقاتل .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن عبد الرحمن بن زياد ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال : إنى لأسير مع معاوية منصرَفه من صفين ، بينه

وبين عمرو بن العاص ، فقال عبد الله بن عمرو : ياأبة ، أمَا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعمار : ويحك يابن سمية تقتلك الفئة الباغية ؟

قال : فقال عمرو لمعاوية : ألا تسمع مايقول هذا ؟ فقال معاوية : لايزال يأتينا بِهَنْةٍ أوَ نحن قتلناه ؟ إنما قتله من جاءوا به .

ثم رواه أحمد ، عن أبي نعيم ، عن الثورى ، عن الأعمش ، عن عبد الرحمن بن أبي زياد فذكر مثله .

فقول معاوية : إنما قتله من قدَّمه إلى سيوفنا . تأويلٌ بعيد جداً ، إذ لو كان كذلك لكان أمير الجيش هو القاتِل للذين يُقتلون فى سبيل الله ، حيث قدمهم إلى سيوف الأعداء .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا ابن عيينة ، أخبرنى عمرو بن دينار ، عن ابن أبي مُلَيكَة ، عن المِسْوَر بن مَخْرَمة قال عمر لعبد الرحمن بن عوف : أمَا علمت أنا كنا نقرأ : « وجاهدوا فى الله حق جهاده » فى آخر الزمان ، كما جاهدتم فى أوله ؟ فقال عبد الرحمن [بن عوف] : ومتى ذلك ياأمير المؤمنين ؟ قال : إذا كان بنو أمية الأمراء وبنو المغيرة الوزراء .

ذكره البيهقى هاهنا ، وكأنه يستشهد به على ماعقد له الباب بعده من ذكر الحكمين وما كان من أمرهما ، فقال :

باب

ماجاء فى إخباره عن الحكمين اللذين بُعثا فى زمن على رضى الله عنه

أخبرنا على بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار ، حدثنا إسماعيل بن الفضل ، حدثنا قتيبة بن سعيد ، عن جرير ، عن زكريا بن يحيى ، عن عبد الله بن يزيد وحبيب بن بشار ، عن سُوَيد بن غفلة قال : إنى لأمشى مع علىّ بشطّ الفرات فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن بنى إسرائيل اختلفوا فلم يزل اختلافهم بينهم حتى بعثوا حكَمين فضلّا وأضلّا من اتبعهما ، وإن هذه الأمة ستختلف فلا يزال اختلافهم بينهم حتى يبعثوا حكمين ضلاً وأضلا من اتبعهما .

هكذا أورده ولم يبين شيئا من أمره ، وهو حديث منكَر جداً ، وآفته من زكريا ابن يحيى هذا — وهو الكندى الحيرى الأعمى —

قال يحيى بن مَعين : ليس بشىء ، والحكَمان كانا من خيار الصحابة ، وهما عمرو بن العاص السَّهْمى من جهة أهل الشام ، والثانى أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعرى ، من جهة أهل العراق ، وإنما نُصِبا ليصلحا بين الناس ويتفقا على أمر فيه رفق بالمسلمين ، وحقن لدمائهم .

وكذلك وقع ولم يضل بسببهما إلا فرقة الخوارج حيث أنكروا على الأميرين التحكيم ، وخرجوا عليهما وكفَّروهما ، حتى قاتلهم على بن أبى طالب ، وناظَرهم ابن عباس فرجع منهم شرذمة إلى الحق ، واستمر بقيّتهم حتى قُتل أكثرهم بالنهروان وغيره من المواقف المرذولة عليهم .

ذكر إخباره صلى الله عليه وسلم عن الخوارج وقتالهم
وعلامتهم بالرجل المخدَّج ذى الثديين ، فوُجد ذلك فى خلافة على بن أبى طالب

قال البخارى : حدثنا أبو اليمان ، حدثنا شعيب ، عن الزهرى ، قال : أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا سعيد الخدرى قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يَقسم قسما ، أتاه ذو الخُوَيصرة ـ وهو رجل من بنى تميم ـ فقال : يارسول الله اعدل .

فقال : ويلك ، ومن يعدل [إذا لم أكن أعدل ؟ (١)] قد خبتُ وخسرتُ إن لم أكن أعدل .

فقال عمر : يارسول الله ائذن لى فيه فأضرب عنقه .

فقال : دعه فإن له أصحابا يَحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يقرأون القرآن لايجاوز تَراقيهم ، يَمْرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، يُنظَر إلى نَصْله فلا يوجد فيه شىء ، ثم يُنظَر إلى رِصَافه (٢) فلا يوجد فيه شىء ، ثم ينظر إلى نَضِيّه (٣) وهو قِدْحه ، فلا يوجد فيه شىء ، ثم ينظر إلى قُذَذه (٤) فلا يوجد فيه شىء ، قد سبق الفرثَ والدم ، آيتهم رجل أسود ، إحدى عَضُديه مثل ثدى المرأة أو مثل البضعة تَدَرْدر (٥) ويخرجون على حين فُرْقة من الناس .

قال أبو سعيد : فأشهد أنى سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشهد أن على بن أبى طالب قاتلهم وأنا معه ، فأمر بذلك الرجل فالتُمس فأتى به حتى (٦)

---

(١) من ا .
(٢) الرصاف : جمع رصفة وهى عقبة تلوى على مدخل النصل .
(٣) النضى : القدح قبل أن ينحت .
(٤) القذذ : ريش السهم .
(٥) تدردر : تتحرك وتذهب .
(٦) ا : حين . وهو خطأ .

نظرت إليه على نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى نعته .

وهكذا رواه مسلم من حديث أبى سعيد . ورواه البخارى أيضا من حديث الأوزاعى عن الزهرى ، عن أبى سلمة والضحاك ، عن أبى سعيد . وأخرجه البخارى أيضا من حديث سفيان بن سعيد الثَّورى ، عن أبيه . ومُسلمٌ عن هَنَّاد ، عن أبى الأحوص سلام ابن سليم ، عن سعيد بن مسروق عن عبد الرحمن بن يَعْمُر ، عن أبى سعيد الخدرى به .

وقد روى مسلم فى صحيحه من حديث داود بن أبى هند والقاسم بن الفضل وقتادة ، عن أبى نَضْرة ، عن أبى سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تَمْرُق مارقةٌ عند فُرقة المسلمين يقتلها أَوْلَى الطائفتين بالحق .

ورواه أيضا من حديث [أبى إسحاق][(1)] الثورى ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن الضحاك المشْرِقى ، عن أبى سعيد مرفوعاً .

وروى مسلم ، عن أبى بكر بن أبى شيبة ، عن على بن مُسْهِر ، عن أبى [الفضل] السَّينانىّ عن بشير بن عمرو قال : سألت سهل بن حنيف ، هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر هؤلاء الخوارج ؟

فقال : سمعته وأشار بيده نحو المشرق ـ وفى رواية نحو العراق ـ يخرج قوم يقرأون القرآن بألسنتهم لا يجاوز تَرَاقيهم ، يَمْرُقون من الدين كما يمرق السهم من الرميَّة ، محلَّقة رءوسهم .

وروى مسلم من حديث حُمَيد بن هلال ، عن عبد الله بن الصامت ، عن أبى ذر نحوه وقال : سيماهم التحليق ، شَر الخَلق والخَليقة .

وكذلك رواه محمد بن كثير المَصِّيصى ، عن الأوزاعى ، عن قَتادة ، عن أنس بن مالك

(١) سقطت من ا .

مرفوعا ، وقال : سيماهم التحليق ، شر الخَلْق والخليقة .

وفى الصحيحين من حديث الأعمش ، عن خيثمة ، عن سويد بن غفلة ، عن على : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يخرج قوم فى آخر الزمان حُدَثاء الأسنان سفهاء الأحلام ، يقولون من خير قول البرية[1] لايجاوز إيمانهم حناجرهم ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن فى قتلهم أجراً[2] لمن قتلهم إلى يوم القيامة .

وقد روى مسلم ، عن قتيبة ، عن حماد ، عن أيوب ، عن محمد بن عبيدة ، عن على فى خبر مَوْدون اليَد[3] وهو ذو الثُّدَيَّة .

وأسنده من وجه آخر عن ابن عون ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة ، عن على وفيه أنه حلَّف عليا على ذلك لحلف له أنه سمع ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ورواه مسلم عن عبد بن حُميد ، عن عبد الرزاق ، عن عبد الملك بن أبى سليمان ، عن زيد بن وهب ، عن على بالقصة مطولة وفيه قصة ذى الثدية .

ورواه من حديث عبيد الله بن أبى رافع عن على ، ورواه أبو داود الطيالسى عن حماد بن زيد ، عن حميد بن مرة ، عن أبى العرضى والسُّحَيْمى ، عن على فى قصة ذى الثُّدَيَّة .

ورواه الثورى عن محمد بن قيس ، عن أبى موسى ـ رجل من قومه ـ عن على بالقصة .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا الحميدى ، حدثنا سفيان ، حدثنى العلاء بن أبى العباس أنه سمع أبا الطُّفيل يحدِّث عن بكر بن قرقاش ، عن سعيد بن أبى وقاص قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا الثُّدَيَّة فقال : شيطان الردهة[4] كراعى الخيل ، يَحْتَذِره

---

(١) المطبوعة : من قول خير البرية (٢) ا : فإن قتلهم أجر .

(٣) المودون : ناقص الخلق الضعيف ... وفى المطبوعة : مؤذن اليد وهو تحريف .

(٤) الردهة : البيت الذى لا أعظم منه .

رجل من بَجِيلة يقال له : الأشهب ، أو ابن الأشهب علامة في قوم ظَلَمة .

قال سفيان: فأخبرني عمار الدُّهْني أنه جاء به رجل منهم يقال له : الأشهب أو ابن الأشهب.

قال يعقوب بن سفيان : وحدثنا عبيد الله بن معاذ ، عن أبيه ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن حامد الهَمْـداني سمعت سعدَ بن مالك يقول : قتـلَ عليٌّ بن أبي طالب شيطانَ الردهة ـ يعني المخدَّج ـ يريد ـ والله أعلم ـ قتله أصحابُ عليّ .

وقال علي بن عَيَّاش ، عن حبيب ، عن سلمةَ قال : لقد علمتْ عائشة أن جيش المروة وأهل النَّهْروان ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم .

قال ابن عباس : جيش المروة قَتَلة عثمان . رواه البيهقي .

ثم قال البيهقي : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا الأصم ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إسماعيل بن رجاء ، عن أبيه ، عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن منـكم من يقاتِل على تأويل القرآن كما قاتلتُ على تنزيله .

فقال أبو بكر : أنا هو يارسول الله ، قال : لا .

فقال عمر : أنا هو يارسولَ الله ، قال لا ، ولـكنْ خاصِف النعل ـ يعني عليًا ـ

وقال يعقوب بن سفيان ، عن عبيد الله بن معاذ ، عن أبيه ، عن عمران بن جرير ، عن لاحِق قال : كان الذين خرجوا عَلَى عليّ بالنهروان أربعة آلاف في الحديد ، فركبهم المسلمون فقتلوهم ولم يقتلوا من المسلمين إلا تسعة رهط ، وإن شئت فاذهب إلى أبي بَرْزة فإنه يشهد بذلك .

قلت : الأخبار بقتال الخوارج متواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،لأن ذلك من طرق تفيد القطع عند أئمة هـذا الشأن ، ووقوع ذلك في زمان عليّ معلوم ضرورة لأهل العلم قاطبة ، وقد بينا كيفية خروجهم وسببه ومناظرة ابن عبـاس لهم في ذلك ، ورجوع كثير منهم إليه ، في موضعه .

إخباره صلى الله عليه وسلم بمقتل على بن أبى طالب رضى الله عنه فكان كما أخبر سواء بسواء

قال الإمام أحمد : حدثنا على بن بحر ، حدثنا عيسى بن يونس ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثنى زيد بن محمد بن خُثَيم المحاربى ، عن محمد بن كعب ، عن محمد بن خُثَيم ، عن عمار بن ياسر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لِعَلِىّ ـ حين وَلِىَ غزوةَ العشيرة ـ : ياأبا تراب ـ لما يرى عليه من التراب ـ ألا أحدثك بأشقى الناس رجلين ؟ قلنا : بلى يارسول الله ، قال أُحَيْمِرُ ثمود الذى عقر الناقة ، والذى يضربك ياعَلِىُّ عَلَى هذه ـ يعنى قرنه ـ حتى يبل هذه ـ يعنى لحيته ـ .

وروى البيهقى عن الحاكم ، عن الأصم ، عن الحسن بن مكرم ، عن أبى النضر ، عن محمد بن راشد ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن فَضَالة بن أبى فضالة الأنصارى ـ وكان أبوه من أهل بدر ـ قال : خرجت مع أبى عائداً لعلى بن أبى طالب فى مرض أصابه فثقل منه ، قال : فقال أبى مايقيمك بمنزلك هذا ؟ فلو أصابك أجلك لم يكن إلا أعراب جُهَينة تحملك إلى المدينة ، فإن أصابك أجلك وليك أصحابك وصَلَّوا عليك ، فقال على : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى أن لاأموت حتى تخضب هذه ـ يعنى لحيته ـ من دم هذه ـ يعنى هامته ـ فقُتل ، وقتل أبو فضالة مع على يوم صفين .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا شريك ، عن عثمان بن المغيرة ، عن زيد بن وهب قال : جاء رأس الخوارج إلى على فقال له : اتق الله فإنك ميت .

فقال : لا والذى فلَق الحبة وبرأ النسمة ، ولكنْ مقتول من ضربة على هذه تَخضب هذه ـ وأشار بيده إلى لحيته ـ عهدٌ معهود ، وقضاء مقضىّ ، وقد خاب من افترى .

وقد روى البيهقى بإسناد صحيح عن زيد بن أسلم ، عن أبي سِنان الدرلى ، عن على فى إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بقتله .

وروى من حديث هيثم ، عن إسماعيل بن سالم ، عن أبي إدريس الأزدى ، عن على قال : إن مما عهِد إلىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن الأمة ستغدر بك بعدى .

ثم ساقه من طريق فِطر بن خليفة وعبد العزيز بن سياه ، عن حبيب بن أبي ثابت عن ثعلبة بن يزيد الحمانى قال : سمعت علياً يقول : إنه لعهد النبي الأمى إلىّ ، إن الأمة ستغدر بك بعدى .

قال البخارى : ثعلبة هذا فيه نظر ولا يتابع على حديثه هذا .

وروى البيهقى ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن محمد بن إسحاق الصنعانى ، عن أبي الأجوب الأحوص بن خباب ، عن عمار بن زريق ، عن الأعمش ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن ثعلبة بن يزيد قال : قال على : والذى فلَق الحبة وبرأ النَّسمة لتُخضَبن هذه من هذه ـ للحيته من رأسه ـ فما يحبس أشقاها .

فقال عبد الله بن سبيع : والله يا أمير المؤمنين لو أن رجلا فعل ذلك لأبرنا عشيرته .

فقال : أنشدك بالله أن لا تقتل بى غير قاتلى .

قالوا : يا أمير المؤمنين ألا تستخلف ؟ قال : ولكن أترككم كما ترككم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

قالوا : فما تقول لربك إذا تركتنا هملاً ؟ قال : أقول : اللهم استخلفتنى فيهم ما بدا لك

ثم قبضتنى وتركتك فيهم فإن شئت أصلحتهم ، وإن شئت أفسدتهم .

وهكذا روى البيهقى هذا ، وهو موقوف ، وفيه غرابة من حيث اللفظ ومن حيث المعنى .

ثم المشهور عن علىّ أنه لما طعنه عبد الرحمن بن مُلجم الخارجى وهو خارج لصلاة الصبح عند السُّدة ، فبقى على يومين من طعنته ، وحبس ابن ملجم ، وأوصى علىّ إلى ابنه الحسن بن على وأمَرَه أن يركب فى الجنود وقال له : لاتحزَ علىّ كما تحزُ الجاوية . فلما مات قتل عبد الرحمن بن ملجم قوداً ، وقيل : حداً ، والله أعلم .

ثم ركب الحسن بن على فى الجنود وسار إلى معاوية .

ذكر إخباره ﷺ بذلك وسيادة ولده الحسن على فى تركه الأمر من بعده

وإعطائه ذلك الأمر معاوية وتقليده إياه ما كان يتولاه ويقوم بأعبائه

قال البخارى فى دلائل النبوة : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا حسين الجُعفى ، عن أبى موسى ، عن الحسن ، عن أبى بَكرة قال : أخرج النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم الحسنَ بن على فصعد به على المنبر فقال : إن ابنى هذا سيِّد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين .

وقال فى كتاب الصُّلح : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا سفيان ، عن أبى موسى ، قال : سمعت الحسن يقول : استقبَل والله الحسن بن على معاويةَ بن أبى سفيان بكتائب أمثال الجبال .

فقال عمرو بن العاص : إنى لأرى كتائب لاتولّى حتى تَقتل أقرانها .

فقال له معاوية ــ فكان والله خير الرجلين ــ أىْ عمرو إن قتَل هؤلاء هؤلاء ، وهؤلاء هؤلاء ، من لى بأمور الناس ؟ من لى بنسائهم ؟ من لى بضَيْعتهم .

فبعث إليه رجلين من قريش من بنى عبد شمس ، عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر بن كُرَيز[1] فقال : اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه وقولا له واطلبا إليه .

فأتياه فدخلا عليه فتكلما وقالا له ، وطلبا إليه .

فقال لهما الحسن بن على : إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال ، وإن هذه الأمة قد عاثت فى دمائها .

قالا : فإنه يَعْرض عليك كذا وكذا ، ويطلب إليك ويسألك . قال : فمن لى بهذا؟ قالا : نحن لك به . فما سألهما شيئاً إلا قالا : نحن لك به ، فصالحه .

فقال الحسن : ولقد سمعت أبا بكرة يقول : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن بن على إلى جنبه وهو يُقْبل على الناس مرة وعليه أخرى ، ويقول إن ابنى هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين .

وقال البخارى : قال لى على بن عبد الله[2] إنما ثبت لنا سماع الحسن من أبى بكْرة بهذا الحديث .

وقد رواه البخارى أيضا فى فضل الحسن ، وفى كتاب الفتن عن على بن المدينى ، عن سفيان بن عُيَينة ، عن أبى موسى وهو إسرائيل بن موسى[3] بن أبى إسحق .

ورواه أبو داود والترمذى من حديث أشعث ، وأبو داود أيضا والنسائى من حديث على بن زيد بن جُدْعان ، كلهم عن الحسن البصرى ، عن أبى بَكرة به

وقال الترمذى : صحيح ، وله طرق عن الحسن مرسلا ، وعن الحسن وعن أم سلمة به .

وهكذا وقع الأمر كما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم سواء ، فإن الحسن بن على

---

(١) ا : وعبدالله بن عباس وهو تحريف .

(٢) ا : على بن المدينى . (٣) ا : ابن يونس .

لما صار إليه الأمر بعد أبيه وركب فى جيوش أهل العراق ، وسار إليه معاوية ، فتصافا بصِفِّين على ماذكره الحسن البصرى ، فمال الحسن بن على إلى الصلح ، وخطب الناسَ وخلَع نفسَه من الأمر وسلمه إلى معاوية ، وذلك سنة أربعين ، فبايعه الأمراء من الجيشين واستقل بأعباء الأمة ، فسمِّى ذلك العامُ عامَ الجماعة ، لاجتماع الكلمة فيه على رجل واحد.

وقد شهد الصادق المصدوق الفرقتين بالإسلام ، فمن كفَّرهم أو واحداً منهم لمجرد ماوقع فقد أخطأ وخالف النص النبوى المحمدى الذى لاينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى .

وقد تكمَّل بهذه السنة المدة التى أشار إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها مدة الخلافة المتتابعة بعده ، كما تقدم فى حديث سَفِينة مولاه أنه قال : الخلافة بعدى ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكا ، وفى رواية عَضُوضاً ، وفى رواية عن معاوية أنه قال : رضينا بها مُلْكا .

وقد قال نعيم بن حماد فى كتابه الفتن والملاحم : سمعت محمد بن فُضَيل ، عن السَّرى ابن إسماعيل ، عن عامر الشَّعْبى ، عن سفيان بن عُيَينة[1] ، قال سمعت الحسن بن على يقول : سمعت علياً يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لاتذهبُ الأيام والليالى حتى يجتمع أمر هذه الأمة على رجل واسع القدَم ، ضخم البُلْعُم[2] ، يأكل ولا يشبع وهو م ع و ى[3] .

وهكذا وقع فى هذه الرواية .

وفى رواية بهذا الإسناد : لا تذهب الأيام والليالى حتى تجتمع هذه الأمة على معاوية .

---

(١) ا : عن شقيق بن المليك قال سمعت الحسن . (٢) البلعم : البلعوم . وهو مجرى الطعام فى الفم
(٣) المطبوعة : وهو عرى وهو تحريف .

وروى البيهقي من حديث إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر – وهو ضعيف عن عبد الملك بن عُمَير [(١)] قال : قال معاوية : والله ماحملني على الخلافة إلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لي : يامعاوية إنْ ملكْتَ فأحسن .

ثم قال البيهقي : وله شواهد ، من ذلك حديث عمرو بن يحيى ، عن سعيد بن العاص ، عن جده سعيد ، أن معاوية أخذ الإداوة فتبع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فنظر إليه فقال : يامعاوية إن وليت أمراً فاتق الله واعدل .

قال معاوية : فما زلت أظن أني مبتلى بعمل لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومنها حديث الثوري عن ثور بن يزيد ، عن راشد بن سعد الداريّ ، عن معاوية قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنك إن اتبعت عَورات الناس أفسدتهم ، أو كِدْت أن تفسدهم .

ثم يقول أبو الدرداء : كلمةٌ سمعها معاوية من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنفعه الله بها .

رواه أبو داود .

وروى البيهقي من طريق هُشَيم ، عن العوام بن حَوْشَب ، عن سليمان ابن أبي سليمان ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الخلافة بالمدينة والملك بالشام .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى حدثنا يحيى بن حمزة ، عن زيد بن واقد ، حدثني بشر بن عبيد الله ، حدثني أبو إدريس الخولاني ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بينا أنا نائم إذ رأيت عمودَ الكتاب رفع احتُمل من

---

(١) المطبوعة : ابن عمار . وهو تحريف .

تحت رأسي ، فظننت أنه مذهوب به ، فأتبعته بصري ، فعمد به إلى الشام ، ألا وإن الإيمان — حين تقع الفتن — بالشام هاهنا .

رواه البيهقي من طريق يعقوب بن سفيان ، عن عبد الله بن يوسف ، عن يحيى بن حمزة السلمي به .

قال البيهقي : وهذا إسناد صحيح ، وروى من وجه آخر .

ثم ساقه من طريق عُقبة بن علقمة ، عن سعيد بن عبد العزيز الدمشقي ، عن عطية ابن قيس ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني رأيت أن عمود الكتاب انتُزع من تحت وسادتي فنظرت فإذا نور ساطع عُمد به إلى الشام ، إلا إن الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام .

ثم أورده البيهقي من طريق الوليد بن مسلم ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن يونس ابن ميسرة ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم . فذكر نحوه ، إلا أنه قال : فأتبعته بصري حتى ظننت أنه مذهوب به .

قال : وإني أوّلت أن الفتن إذا وقعت ، أن الإيمان بالشام .

قال الوليد : حدثني عنبر بن معدان ، أنه سمع سليمان بن عامر يحدث عن أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . مثل ذلك .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثني نصر بن محمد بن سليمان الحمصي ، حدثنا أبي أبو ضَمْرة — محمد بن سليمان السلمي — حدثني عبد الله بن أبي قيس ، سمعت عمر بن الخطاب يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت عموداً من نور خرج من تحت رأسي ساطعاً حتى استقر بالشام .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا مَعْمَر عن الزهري ، عن عبد الله بن صفوان قال : قال رجل يوم صِفّين : اللهم العن أهل الشام . فقال له علي : لا تسبَّ أهل الشام جمًّا غفيراً ،

فإن بها الأبدال ، فإن بها الأبدال ، فإن بها الأبدال

وقد روى من وجه آخر عن على .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا صفوان ، حدثنى شُرَيح - يعنى ابن عُبيد الحضرمى - قال : ذُكر أهل الشام عند على بن أبى طالب وهو بالعراق فقالوا : العنهم ياأمير المؤمنين . قال: لا ، إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الأبدال يكونون بالشام ، وهم أربعون رجلا ، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا ، يُستسقى بهم الغيث ، ويُنتصر بهم على الأعداء ، ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب .

تفرد به أحمد ، وفيه انقطاع ، فقد نص أبو حاتم الرازى على أن شريح بن عبيد هذا لم يسمع من أبى أمامة ولا من أبى مالك الأشعرى ، وأن روايته عنهما مرسلة ، فما ظنك بروايته عن على بن أبى طالب ، وهو أقدم وفاة منهما ؟!

إخباره عليه السلام عن غزاة البحر إلى قبرص

التى كانت فى أيام أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه

قال مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة ، عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل على أم حَرَام بنت مِلْحَان فتطعمه ، وكانت تحت عبادة ابن الصامت ، فدخل عليها يوما فأطعمته ثم جلست تفلى رأسه ، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ وهو يضحك .

قالت : فقلت : مايضحكك يارسول الله ؟ قال : ناس من أمتى عُرِضوا علىّ غزاة فى سبيل الله يركبون ثَبَجَ هذا البحر ، ملوكا على الأسِرّة ، أو مثل الملوك على الأسرة ، شك إسحاق .

فقلت : يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم . فدعا لها .

ثم وضع رأسه فنام ثم استيقظ وهو يضحك ، قالت : قلت مايضحكك يارسول الله؟ قال : ناس من أمتى عُرضوا علىَّ غُزَاةً فى سبيل الله ، كما قال فى الأولى .

قالت : قلت يارسول الله : ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال : أنت من الأولين .

قال : فركبَتْ أم حَرَام بنت مِلْحَان البحرَ فى زمان معاوية فصُرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت .

رواه البخارى ، عن عبد الله بن يوسف ، ومسلم ، عن يحيى بن يحيى كلاهما عن مالك به .

وأخرجاه فى الصحيحين من حديث الليث وحماد بن زيد ، كلاهما عن يحيى بن سعيد . وعن محمد بن يحيى بن حبان ، عن أنس بن مالك ، عن خالته أم حَرام بنت مِلْحَان ، فذكر الحديث إلى أن قال : فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت غازية أول ماركبوا مع معاوية ، أو أول ماركب المسلمون البحر مع معاوية بن أبى سفيان ، فلما انصرفوا من غزاتهم قافلين فنزلوا الشام ، فقربت إليها دابة لتركبها فصرعتها فماتت .

ورواه البخارى من حديث أبى إسحق الفزارى ، عن زائدة ، عن أبى حَوالة عبد الله بن عبد الرحمن ، عن أنس به .

وأخرجه أبو داود من حديث معمر ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أخت أم سليم .

وقال البخارى :

باب

ماقيل فى قتال الروم

حدثنا إسحاق بن يزيد الدمشقى ، حدثنا يحيى بن حمزة ، حدثنى ثور بن يزيد ، عن خالد بن مَعْدَان ، أن عمير بن الأسود العنسى حـدثه ، أنه أتى عبادة بن الصامت وهو نازل إلى ساحل حِمْص ، وهو فى بناء له ، ومعه أم حرَام .

قال عمير : فحدثتنا أم حرَام أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أول جيش من أمتى يغزون البحر قد أوجبوا . قالت أم حرام : فقلت : يارسول الله أنا فيهم؟ قال : أنتِ فيهم .

قالت : ثم قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : أول جيش من أمتى يغزون مدينة قيصر مغفور لهم . قلت : أنا فيهم يارسول الله ؟ قال : لا .

تفرد به البخارى دون أصحاب الـكتب الستة .

وقد رواه البيهقى فى الدلائل ، عن الحاكم ، عن أبى عمرو بن أبى جعفر ، عن الحسن ابن سفيان ، عن هشام بن عمار الخطيب ، عن يحيى بن حمزة القاضى به وهو يشبه معنى الحديث الأول .

وفيه من دلائل النبوة ثلاث :

إحداها الإخبار عن الغزوة الأولى فى البحر ، وقد كانت فى سنة سبع وعشرين مع معاوية بن أبى سفيان حين غزا قبرص وهو نائب الشام عن عثمان بن عفان ، وكانت معهم أم حرام بنت مِلْحَان هذه صحبةَ زوجها عبادة بن الصامت ، أحد النقباء ليلة العقبة

فتوفيت مرجعهم من الغزو ، قيل [1] بالشام كما تقدم فى الرواية عند البخارى ، وقال ابن زيد : توفيت بقبرص سنة سبع وعشرين .

والغزوة الثانية غزوة قسطنطينية مع أول جيش غزاها ، وكان أميرها يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ، وذلك فى سنة ثنتين وخمسين ، وكان معهم أبو أيوب ، خالد بن زيد الأنصارى ، فمات هنالك رضى الله عنه وأرضاه ، ولم تكن هذه المرأة معهم ، لأنها كانت قد توفيت قبل ذلك فى الغزوة الأولى .

فهذا الحديث فيه ثلاث آيات من دلائل النبوة ، الإخبار عن الغزوتين ، والإخبار عن المرأة بأنها من الأولين وليست من الآخرين ، وكذلك وقع صلوات الله وسلامه عليه .

الإخبار عن غزوة الهند

قال الإمام أحمد : حدثنا هُشَيم ، عن سَيَّار بن حسين بن عبيدة ، عن أبى هريرة ، قال : وعدنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم غزوة الهند ، فإن استشهدتُ كنت من خير الشهداء ، وإن رجعت فأنا أبو هريرة المحرَّر .

رواه النسائى من حديث هشيم وزيد بن أُنَيسة عن يسار ، عن جبر ، ويقال : جبير عن أبى هريرة قال : وعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة الهند . فذكره .

وقال أحمد : حدثنا يحيى بن إسحق ، حدثنا البرّاء ، عن الحسن ، عن أبى هريرة قال : حدثنى خليلى الصادق المصدوق ، رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : يكون فى هذه الأمة بعثٌ إلى السِّند والهند ، فإن أنا أدركته فاستشهدت فذاك وإن أنا . فذكر كلمة رجعت فأنا أبو هريرة المحرَّر قد أعتقنى من النار .

---

(١) الأصل : قتل . وهو تحريف .

تفرد به أحمد .

وقد غزا المسلمون الهند في أيام معاوية سنة أربع وأربعين ، وكانت هنالك أمور بسطتها في موضعها .

وقد غزا الملك الكبير الجليل محمود بن سبكتكين ، صاحب غَزْنة ، في حدود سنة أربعمائة ، بلادَ الهند فدخل فيها وقَتَل وأسر وسَبَى وغنم ودخل السومنات وكسر الند الأعظم الذي يعبدونه ، واستلب سيوفه وقلائده ، ثم رجع سالماً مؤيداً منصوراً .

فصل

في الإخبار عن قتال الترك كما سنبينه إن شاء الله وبه الثقة

قال البخاري : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، حدثنا أبو الزِّناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لاتقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشَّعر ، وحتى تقاتلوا [1] الترك صِغَار الأعين حُمْر الوجوه ، ذُلْف الأنوف ، كأن وجوههم المَجَانّ المطْرَقة [2] ، وتجدون من خير الناس أشدهم [3] كراهية لهذا الأمر حتى يقع فيه ، والناس معادن : خِيَارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام ، وليأتين على أحدكم زمان لأن يراني أحب إليه من أن يكون له مثل أهله وماله .

تفرد به من هذا الوجه .

ثم قال البخاري : حدثنا يحيى ، حدثنا عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن هَمَّام ، عن أبي هريرة أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : لاتقوم الساعة حتى تقاتلوا خُوزا وكِرْمان

---

(١) المطبوعة : تقاتل . وهو تحريف .

(٢) الذلف : الصغار الأنوف . والمجان : جمع مجن وهو الترس . والمطرقة : التي ألبست الطراق ، وهو جلدة تلصق على قدر الدرقة .

(٣) ا : أشدهم له .

من الأعاجم ، حمر الوجوه ، فُطْس الأنوف ، صغار الأعين كأن وجوههم المجانّ المطْرَقة وِنعالهم الشَّعر [1] .

تابعه غيره عن عبد الرزاق ، وقد ذكر عن الإمام أحمد أنه قال : أخطأ عبد الرزاق في قوله : خوزاً ، بالخاء ، وإنما هو بالجيم جُوزاً وكرمان ، هما بلدان معروفان بالشرق ، فالله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن الزهرى ، عن سعيد ، عن أبي هريرة فبلغ به النبيّ صلى الله عليه وسلم : لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً كأن وجوههم المجانّ المطرَقة ، نعالهم الشعر .

وقد رواه الجماعة إلا النسائي من حديث سفيان بن عُيَينة به.

وقال البخارى : حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا سفيان ،قال : قال إسماعيل: أخبرنى قيس قال : أتينا أبا هريرة رضى الله عنه فقال : صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين لم أكن فى سنّى أحرص على أن أعى الحديث منى فيهن ، سمعته يقول — وقال هكذا بيده بين يدى الساعة — : تقاتلون قوماً نعالهم الشعر . وهو هذا البارز . وقال سفيان مرة : وهم أهل البارز .

وقد رواه مسلم عن أبي كُرَيب ، عن أبى أسامة ووكيع ، كلاهما عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن قيس بن أبى حازم ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتقوم القيامة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر كأن وجوههم المجانّ المطرقة ، حُمر الوجوه ، صِغار الأعين .

قلت : وأما قول سفيان بن عُيينة : إنهم هم أهل البارز ، فالمشهور فى الرواية تقديم الراء على الزاى ، ولعله تصحيف اشتبه على القائل البارز وهو السوق بلغتهم ، فالله أعلم .

(١) نعالهم الشعر : يجعلون نعالهم من حبال ضفرت من شعر ، أو المراد طول شعورهم حتى تصير أطرافها فى أرجلهم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا جرير بن حازم ، سمعت الحسن قال : حدثنا عمرو بن تغلب قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قوماً نعالهم الشَّعْر ، أو ينتعلون الشعر ، وإن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قوماً عِرَاض الوجوه كأن وجوههم المجان المطرقة .

ورواه البخارى عن سليمان بن حرب وأبى النعمان عن جرير بن حازم به .

والمقصود أن قتال الترك وقع فى آخر أيام الصحابة ، قاتلوا القان الأعظم ، فكسروه كسرةً عظيمة [1] .

خبر آخر عن عبد الله بن سلام

قال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن يوسف الأزرق ، حدثنا ابن عَون ، عن محمد هو ابن سيرين ، عن قيس [2] بن عُبَاد قال: كنت فى المسجد فجاء رجل فى وجهه أثر خشوع فدخل فصلى ركعتين فأوجز فيهما ، فقال القوم : هذا رجل من أهل الجنة .

فلما خرج اتبعته حتى دخل منزله فدخلت معه فحدثته ، فلما استأنس قلت له : إن القوم لما دخلتَ المسجد قالوا كذا وكذا . قال : سبحان الله ، والله ما ينبغى لأحد أن يقول مالا يعلم ، وسأحدثك، [لِمَ] [3] إنى رأيت رؤيا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقصصتها عليه ، رأيت كأنى فى روضة خضراء ـ قال ابن عون : فذكر من خُضرتها وسعتها ـ وسطها عمودُ حديد أسفله فى الأرض وأعلاه فى السماء ، فى أعلاه عروة ، فقيل لى : اصعد عليه . فقلت : لا أستطيع . فجاء مِنْصَف ـ قال ابن عون : وهو الوصيف فرفع ثيابى من خلفى فقال : اصعد عليه ، فصعدت حتى أخذت بالعروة ، فقال : استمسك بالعروة ، فاستيقظت وإنها لفى يدى .

---

(١) أورد ابن كثير ذلك فى موضعه من تاريخه بتفصيل .
(٢) الأصل : بشر . وهو خطأ والتصوب من مسند أحمد ، انظر الفتح الربانى ٢٢ / ٢٩٠ .
(٣) من المسند .

قال : فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقصصتها عليه فقال : أما الروضة فروضة الإسلام وأما العمود فعمود الإسلام ، وأما العروة فهى العروة الوثقى ، أنت على الإسلام حتى تموت .

قال : وهو عبد الله بن سلاَم .

ورواه البخارى من حديث عون .

ثم قد رواه الإمام أحمد من حديث حماد بن سلمة ، عن عاصم بن بَهْدَلة ، عن المسيّب ابن رافع ، عن خَرَشة بن الحُرّ ، عن عبد الله بن سلام ، فذكره مطولا ، وفيه قال : حتى انتهيت إلى جبل زَلَق فأخذ بيدى ودحَانى(١) ، فإذا أنا على ذروته ، فلم أتقارّ ولم أتماسك ، وإذا عمود حديد فى يدى ذروته حلقة ذهب ، فأخذ بيدى ودحانى حتى أخذت بالعروة وذكر تمام الحديث .

وأخرجه مسلم فى صحيحه من حديث الأعمش ، عن سليمان بن مُسْهِر ، عن خَرَشة ابن الحُرّ ، عن عبد الله بن سلام فذكره وقال : حتى أتى بى جبلا فقال لى : اصعد ، فجعلت إذا أردت أن أصعد خررت على رأسى ، حتى فعلت ذلك مراراً ، وأنّ رسول الله قال له حين ذكر رؤياه : وأما الجبل فهو منزل الشهداء ، ولن تناله .

قال البيهقى : وهذه معجزة ثانيـة ، حيث أخبر أنه لا ينال الشهادة .

وهكذا وقع ، فإنه مات سنة ثلاث وأربعين فيما ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام وغيره .

الإخبار عن موت ميمونة بنت الحارث بسَرِف

قال البخارى فى التاريخ : أخبرنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا عبد الله بن عبد الله بن الأصم ، حدثنا يزيد بن الأصم ، قال : ثَقُلت ميمونة بمكة

(١) دحانى : رمى بى . والرواية فى المسند : وزجل بى . و معناها : رمانى ودفع بى .

وليس عندها من بنى أختها أحد ، فقالت : أخرجونى من مكة فإنى لا أموت بها ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنى أنى لاأموت بمكة .

فحملوها حتى أتوا بها إلى سَرِف ، الشجرة التى بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها فى موضع القبة ، فماتت رضى الله عنها .

قلت : وكان موتها سنة إحدى وخمسين على الصحيح .

ماروى فى إخباره عن مقتل حُجْر بن عَدِى وأصحابه

قال يعقوب بن سفيان : حدثنا ابن بُكَير ، حدثنا ابن لَهِيعة ، حدثنى الحارث ، عن يزيد ، عن عبد الله بن رَزِين الغافِقى قال : سمعت على بن أبى طالب يقول : ياأهل العراق ، سيُقتل منكم سبعة نفر بعذراء ، مثَلُهم كمثل أصحاب الأخدود .

فقُتل حُجر بن عدى وأصحابه .

وقال يعقوب بن سفيان : قال أبو نُعيم : ذكر زياد بن سُمَية علىّ بن أبى طالب على المنبر فقبض حُجْر على الحصباء ثم أرسلها وحصب من حوله زياداً ، فكتب إلى معاوية يقول : إن حُجْراً حصبنى وأنا على المنبر . فكتب إليه معاوية أن يحمل حجراً ، فلما قرب من دمشق بعث من يتلقاهم ، فالتقى معهم بعذراء فقتلهم.

قال البيهقى : لا يقول علىّ مثل هذا إلا أنه يكون سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا حَرْمَلة حدثنا ابن وهب ، أخبرنى ابن لَهيعة ، عن أبى الأسود ، قال : دخل معاوية على عائشة فقالت : ماحمَلك على قتل أهل عذراء حُجْراً وأصحابه ؟

فقال : ياأم المؤمنين ، إنى رأيت قتلهم إصلاحا للأمة ، وأن بقاءهم فساداً .

فقالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : سيُقتل بعذراء ناس يغضب الله لهم وأهلُ السماء .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا عمرو بن عاصم ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن على بن زيد ، عن سعيد بن المسيَّب ، عن مروان بن الحكم ، قال : دخلتُ مع معاوية على أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، فقالت : يامعاوية قتلتَ حُجْرا وأصحابه وفعلت الذى فعلت ؟ أمَا خشيت أن أخبأ لك رجلا فيقتلك ؟

قال : لا ، إنى فى بيت أمان ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الإيمانُ قَيَدَ الفَتكَ لا يَفتك ، لا يَفتك مؤمن ياأم المؤمنين ، كيف أنا فيما سوى ذلك من حاجاتك ؟ قالت : صالح .

قال : فدعيني وحجراً حتى نلتقى عند ربنا عز وجل .

حديث آخر

قال يعقوب بن سفيان : حدثنا عبيد الله بن معاذ ، حدثنا أبى ، حدثنا شعبة ، عن أبى سلمة ، عن أبى نَضْرة ، عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعشرة من أصحابه : آخركم موتاً فى النار . فيهم سَمُرة بن جُنْدَب . قال أبو نضرة : فكان سمرة آخرهم موتاً .

قال البيهقى : رواته ثقاتٌ إلا أن أبا نَضْرة العَبْدى لم يَثْبت له من أبى سماع . والله أعلم .

ثم روى من طريق إسماعيل بن حكيم ، عن يونس بن عُبَيد ، عن الحسن ، عن أنس بن حكيم ، قال : كنت أمرُّ بالمدينة فألقى أبا هريرة فلا يبدأ بشىء حتى يسألنى عن سَمُرة ، فلو أخبرته بحياته وصحته فرح وقال : إنا كنا عشرةً فى بيت ، وإن رسول الله قام علينا ونظر فى وجوهنا وأخذ بعضادتى الباب وقال : آخركم موتاً فى النار . فقد مات منا

ثمانية ولم يبقَ غيرى وغيره ، فليس شيء أحبَّ إلى من أن أكون قد ذقتُ الموت .

وله شاهد من وجه آخر ، وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا حجاج بن مِنْهال ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن على بن زيد ، عن أوس بن خالد قال : كنت إذا قدِمت على أبى محذورة سألنى عن سمرة ، وإذا قدمت على سمرة سألنى عن أبى محذورة .

فقلت لأبى محذورة : مالك إذا قدِمتُ عليك تسألنى عن سَمُرة ، وإذا قدمت على سمرة سألنى عنك ؟

فقال : إنى كنت أنا وسمرة وأبو هريرة فى بيتٍ فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فقال : آخركم موتاً فى النار .

قال : فمات أبو هريرة ثم مات أبو محذورة ثم مات سمرة .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا مَعْمَر ، سمعت ابن طاووس وغيره يقولون : قال النبى صلى الله عليه وسلم لأبى هريرة وسمرة بن جندب ولرجل آخر : آخركم موتاً فى النار .

فمات الرجل قبلهما وبقى أبو هريرة وسمرة ، فكان الرجل إذا أراد أن يغيظ أبا هريرة يقول : مات سَمُرة . فإذا سمعه غُشِى عليه وصُعق ، ثم مات أبو هريرة قبل سمرة وقتل سمرةُ بشراً كثيرا .

وقد ضعّف البيهقى عامة هذه الروايات لانقطاع بعضها وإرساله .

ثم قال : وقد قال بعض أهل العلم : إن سمرة مات فى الحريق . ثم قال : ويحتمل أن يورَد النار بذُنوبه ، ثم ينجو منها بإيمانه فيخرج منها بشفاعة الشافعين . والله أعلم .

ثم أورد من طريق هلال بن العلاء الرَّقِّى أن عبد الله بن معاوية حدثهم عن رجل قد سماه أن سمرة استجمَر فغفل عن نفسه وغفل أهله عنه حتى أخذته النار .

قلت : وذكر غيره أن سمرة بن جُنْدَب رضي الله عنه أصابه كُزَاز[1] شديد ، وكان يوقَد له على قِدْر مملوءة ماء حارًا فيجلس فوقها ليتدفأ ببخارها ، فسقط يومًا فيها فمات رضي الله عنه ، وكان موته سنة تسع وخمسين بعد أبي هريرة بسنة .

وقد كان ينوب عن زياد بن سُمَيّة في البصرة إذا سار إلى الكوفة ، وفي الكوفة إذا سار إلى البصرة ، فكان يقيم في كل منهما ستة أشهر من السنة ، وكان شديدًا على الخوارج ، مُكثِرًا للقتل فيهم ، ويقول : هم شرّ قَتْلَى تحت أديم السماء .

وقد كان الحسن البصري ومحمد بن سيرين وغيرهما من علماء البصرة يُثْنون عليه . رضي الله عنه .

خبر رافع بن خَديج

روى البيهقي من حديث مسلم بن إبراهيم ، عن عمرو بن مرزوق الواضحي ، حدثنا يحيى بن عبد الحميد بن رافع ، عن جدته أن رافع بن خديج رُمِي — قال عمر : لا أدري أيهما قال — يوم أُحد أو يوم حنين بسهم في ثَنْدُوَته[2] ، فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله انزع لي السهم ، فقال له : يا رافع إن شئتَ نزعتُ السهم والقبضة جميعاً ، وإن شئت نزعت السهم وتركت القبضة وشهدتُ لك يوم القيامة أنك شهيد . فقال : يا رسول الله ، انزع السهمَ واترك القبضة ، واشهد لي يوم القيامة أنّي شهيد .

قال : فعاش حتى كانت خلافة معاوية انتقض الجرحُ فمات بعد العصر .

هكذا وقع في هذه الرواية أنه مات في إمارة معاوية ، والذي ذكره الواقدي وغير واحد أنه مات سنة ثلاث ، وقيل : أربع وسبعين ، ومعاوية رضي الله عنه كانت وفاته في سنة ستين بلا خلاف ، والله أعلم .

---

(١) الكزاز : داء من شدة البرد .

(٢) الثندوة : لحم الثدي .

ذكر إخباره عليه السلام

عما وقع من الفتن بعد موته من أغيلمة بنى هاشم وغير ذلك

قال البخارى : حدثنا محمد بن كثير ، أخـبرنى سفيان ، عن الأعمش ، عن زيد بن وهب ، عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ستكون أثرة وأمور تنكرونها . قالوا : يارسول الله : فما تأمرنا ؟ قال : تؤدون الحقَّ الذى عليكم ، وتسألون الله الذى لكم .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن عبد الرحيم ، أخبرنا أبو معمر إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنا شعبة ، عن أبى التيّاح ، عن أبى زُرْعة ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يُهلك الناس هذا الحىُّ من قريش .

قالوا : فما تأمرنا يارسول الله ؟ قال : لو أن الناسَ اعتزلوهم .

ورواه مسلم ، عن أبى بكر بن أبى شيبة ، عن أبى أسامة .

وقال البخارى : قال محمود : حدثنا أبو داود ، أخبرنا شعبة ، عن أبى التيّاح قال : سمعت أبا زرعة ، وحدثنا أحمد بن محمد المكى ، حدثنا عمرو بن يحيى بن سعيد الأموى ، عن جده قال : كنت مع مروان وأبى هريرة فسمعت أبا هريرة يقول : سمعت الصادق المصدوق يقول : هلاك أُمتى على يدى غِلْمة من قريش .

فقال مروان : غِلْمة ؟ قال أبو هريرة : إن شئتُ أن أسميهم فلان وبنى فلان .

تفرد به البخارى .

وقال أحمد : حدثنا رَوْح ، حدثنا أبو أمية عمرو بن يحيى بن سعيد بن عمرو بن سعيد ابن العاص ، أخبرنى جدى سعيد بن عمرو بن سعيد ، عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هلَكة أمتى على يدى غِلْمة .

قال مروان : وهم معنا فى الحلقة قبل أن يلى شيئاً ، فلعنة الله عليهم غِلمة .

قال : أما والله لو أشاء أن أقول بنى فلان وبنى فلان لفعلت .

قال : فكنت أخرج مع أبى وجدى إلى بنى مروان ـ بعد ماملكوا ـ فإذا هم يبايعون الصبيان ، ومنهم من يُبَايَع له وهو فى خِرْقة .

قال لنا : عسى أصحابكم هؤلاء أن يكونوا الذى سمعت أبا هريرة يذكر ، إن هذه الملوك يُشْبه بعضها بعضا .

وقال أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، عن سفيان ، عن سِمَاك ، حدثنى عبد الله بن ظالم قال : سمعت أبا هريرة قال : سمعت حِبِّى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول : إن فساد أمتى على يدى غلمة سفهاء من قريش .

ثم رواه أحمد ، عن زيد بن الُحبَاب ، عن سفيان وهو الثورى ، عن سِمَاك ، عن مالك بن ظالم ، عن أبى هريرة فذكره .

ثم روى غُنْدَر ورَوْح بن عُبادة ، عن سفيان ، عن سِمَاك بن حَرْب ، عن مالك بن ظالم قال : سمعت أبا هريرة ، زاد روح : يحدث مروانَ بن الحكَم ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الصادق المصدوق يقول : هلاك أمتى على يد غلمة أمراء سفهاء من قريش .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا حَيْوة ، حدثنى بشر بن أبى عمرو الخَوْلانى : أن الوليد بن قيس التُّجِيبى حدثه أنه سمع أبا سعيد الخدرى يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يكون خَلْفٌ من بعد الستين سنة « أضاعُوا الصلاةَ ، واتَّبَعُوا الشهوات فسوفَ يَلْقَوْن غيًّا » ثم يكون خَلْفٌ يقرؤون القرآن لايعدو تَرَاقيهم ، ويقرأ القرآنَ ثلاثةٌ : مؤمنٌ ، ومنافقٌ ، وفاجر .

وقال بشير : فقلت للوليد : ماهؤلاء الثلاثة ؟ قال : المنافق كافر به ، والفاجر يتأكَّل به ، والمؤمن يؤمن به .

تفرد به أحمد ، وإسناده جيد قوى على شرط السنن .

وقد روى البيهقى ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن الحسن بن على بن عفان ، عن أبى أسامة ، عن مجالِد ، عن الشَّعبى قال : لما رجع علىّ من صِفّين قال : أيها الناس ،لا تكرهوا إمارة معاوية ، فإنه لو قد فقدتموه لقد رأيتم الرءوس تَنْزو من كواهلها كالحنظل .

ثم روى عن الحاكم وغيره ، عن الأصم ، عن العباس بن الوليد بن زيد ، عن أبيه ، عن جابر ، عن عُمَير بن هانئ أنه حدثه أنه قال : كان أبو هريرة يمشى فى سوق المدينة وهو يقول : اللهم لاتدركنى سَنَة الستين ، ويحكم تمسكوا بصُدْغَىْ معاوية ، اللهم لاتدركنى إمارةُ الصبيان .

قال البيهقى : وعلى وأبو هريرة إنما يقولان : هذا الشىء سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال يعقوب بن سفيان : أخبرنا عبدالرحمن بن عمرو الحزامى ، حدثنا محمد بن سليمان ، عن أبى تميم البَعْلبكى ، عن هشام بن الغاز ، عن ابن مكحول ، عن أبى ثعلبة الخُشَنى ، عن أبى عبيدة بن الجراح قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يزال هذا الأمر معتدلا قائماً بالقسط حتى يَثْلمه رجل من بنى أمية .

وروى البيهقى من طريق عوف الأعرابى ، عن أبى خلدة ، عن أبى العالية ، عن أبى ذرّ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن أولَ من يبدِّل سُنّتى رجل من بنى أمية .

وهذا منقطع بين أبى العالية وأبى ذرّ وقد رجحه البيهقى بحديث أبى عبيدة المتقدم .

قال : ويشبه أن يكون هذا الرجل هو يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ، والله أعلم .
قلت : الناس فى يزيد بن معاوية أقسام : فمنهم من يحبه ويتولاه ، وهم طائفة من أهل الشام ، من النواصب .

وأما الروافض فيشنّعون عليه ويفترون عليه أشياء كثيرة ليست فيه ويتهمه كثير منهم بالزندقة ، ولم يكن كذلك .

وطائفة أخرى لايحبونه ولا يسبّونه ، لمَا يعلمون من أنه لم يكن زنديقاً كما تقوله الرافضة ، ولمَا وقع فى زمانه من الحوادث الفظيعة ، والأمور المستنكرة البشعة الشنيعة ، فمن أنكرها قتلُ الحسين بن على بكَرْبلاء ،ولكن لم يكن ذلك من علم منه ، ولعله لم يرض به ولم يَسُؤْه ، وذلك من الأمور المنكرة جداً ، ووقعة الحَرّة كانت من الأمور القبيحة بالمدينة النبوية على ماأوردناه فى التاريخ .

الإخبار بمقتل الحسين بن على رضى الله عنهما

وقد ورد فى الحديث [الإخبار] بمقتل الحسين فقال الإمام أحمد : حدثنا عبدالصمد ابن حسان ، حدثنا عمارة ـ يعنى ابن زاذان ـ عن ثابت ، عن أنس قال : استأذن ملَك المطَر أن يأتى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فأذن له ، فقال لأم سلمة : احفظى علينا الباب لايدخل علينا أحد . فجاء الحسين بن على ، فوثب حتى دخل ، فجعل يصعد على منكب النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال له الملك : أتحبه ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : نعم قال : فإن أمتك تقتله ، وإن شئت أريتك المكان الذى يقتل فيه .

قال : فضرب بيده فأراه تراباً أحمر ، فأخذت أم سلمة ذلك التراب فصرّته فى طرف ثوبها . قال : فكنا نسمع : يُقْتَل بكربلاء .

ورواه البيهقى من حديث بشر بن موسى ، عن عبد الصمد ، عن عمارة ، فذكره .

ثم قال : وكذلك رواه سفيان بن فرُّوخ ، عن عمارة .

وعمارة بن زاذان هذا هو الصَّيدلانى أبو سَلمة البصرى اختلفوا فيه .

وقد قال فيه أبو حاتم : يُكتب حديثه ولا يُحتجّ به ليس بالمتين ، وضعّفه أحمد مرة ووثّقه أخرى .

وحديثه هذا قد روى عن غيره من وجه آخر ، فرواه الحافظ البيهقى من طريق عمارة بن عرفة ، عن محمد بن إبراهيم ، عن أبى سلمة ، عن عائشة رضى الله عنها نحو هذا .

وقد قال البيهقى : أخبرنا الحاكم فى آخرين ، قالوا : أخبرنا الأصم ، أخبرنا عباس الدُّورى ، حدثنا محمد بن خالد بن مَخْلَد ، حدثنا موسى بن يعقوب ، عن هاشم بن هاشم عن عتبة بن أبى وقاص ، عن عبد الله بن وهب بن زَمْعَة ، أخبرتنى أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اضطجع ذات يوم فاستيقظ وهو حائر ، ثم اضطجع فرقد ، ثم استيقظ وهو حائر دون مارأيت منه فى المرة الأولى ، ثم اضطجع واستيقظ وفى يده تُربة حمراء وهو يقلّبها .

فقلت : ماهذه التربة يارسول الله ؟ فقال : أخبرنى جبريل أن هذا مَقْتل (1) بأرض العراق للحسين . قلت له : ياجبريل أرنى تربة الأرض التى يُقتل بها . فهذه تربتها .

ثم قال البيهقى : تابعه أبو موسى الجهَنى ، عن صالح بن يزيد النَّخَعى ، عن أم سلمة ، وأبَان ، عن شَهْر بن حَوْشب ، عن أم سلمة .

وقال الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده : حدثنا إبراهيم بن يوسف الصيرفى ، حدثنا الحسين بن عيسى ، حدثنا الحكم بن أبَان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان الحسين جالساً فى حجر النبى صلى الله عليه وسلم فقال جبريل : أتحبه ؟ فقال : وكيف

---

(1) ا : يقتل .

لاأحبه وهو ثمرة فؤادى ؟ فقال : أمَا إن أمتك ستقتله ، ألا أريك من موضع قبره ؟ فقبض قبضة فإذا تُرْبة حمراء .

ثم قال البزار : لانعلمه يروى إلا بهذا الإسناد ، والحسين بن عيسى قد حدَّث عن الحكم بن أبان بأحاديث لانعلمها عند غيره .

قلت : هو الحسين بن عيسى بن مسلم الحنفى أبو عبد الرحمن الكوفى أخو سليم القارى . قال [فيه[1]] البخارى : مجهول — يعنى مجهول الحال — وإلا فقد روى عنه سبعة نفر . وقال أبو زُرْعة : مُنْكَر الحديث . وقال أبو حاتم : ليس بالقوى روَى عن الحكم بن أبَان أحاديث منكرة ، وذكره ابن حِبّان فى الثقات .

وقال ابن عَدِى : قليل الحديث ، وعامةُ حديثه غرائب ، وفى بعض أحاديثه المنكرات .

وروى البيهقى ، عن الحكم وغيره ، عن أبى الأحوص ، عن محمد بن الهيثم القاضى حدثنا محمد بن مصعب ، حدثنا الأوزاعى ، عن أبى عمار شداد بن عبد الله ، عن أم الفضل بنت الحارث أنها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يارسول الله إنى رأيت حلماً منكراً الليلة .

قال : وما هو ؟ قالت : رأيت كأن قطعة من جسدك قُطعت ووضعت فى حِجرى .

قال : رأيت خيراً ، تلك فاطمة إن شاء الله تلد غلاما فيكون فى حجرك . فولدت فاطمة الحسين، فكان فى حجرى كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، [فدخلتُ يوماً على رسول الله][2] فوضعته فى حجره ، ثم حانت منى التفاتة فإذا عَيْنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تهريقان الدموع .

---

(١) من ا .　　(٢) سقط من المطبوعة .

قالت : قلت يانبي الله بأبي أنت وأمي ، مالك ؟

قال : أتاني جبريل عليه السلام فأخبرني أن أمتي ستقتل ابني هذا .

فقلت : هذا ؟ قال : نعم ، وأتاني بتربة من تربته حمراء .

وقد روى الإمام أحمد ، عن عفان ، عن وهيب ، عن أيوب ، عن صالح أبي الخليل عن عبد الله بن الحارث ، عن أم الفضل قالت : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت إني رأيت في منامي أن في بيتي أو حجري عضواً من أعضائك .

قال : تلد فاطمة إن شاء الله غلاما فتكفلينه . فولدت له فاطمة حُسَيناً ، فدفعته إليها فأرضعته بلبن قُثَم ، فأتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً أزوره ، فأخذه فوضعه على صدره فبال فأصاب البول إزاره ، فزججت بيدي على كتفيه .

فقال : أوجعتِ ابني أصلحك الله . أو قال : رحمك الله .

فقلت : أعطني إزارك أغسله ، فقال : إنما يُغسل بول الجارية ويُصبّ على بول الغلام .

ورواه أحمد أيضا عن يحيى بن بُكَير ، عن إسرائيل ، عن سِمَاك ، عن قابوس بن مُخَارق ، عن أم الفضل فذكر مثله سواء ، وليس فيه الإخبار بقتله . فالله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، أخبرنا عمار بن أبي عمارة ، عن ابن عباس ، قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم بنصف النهار وهو قائل ، أشْعَثَ أغْبَر ، بيده قارورة فيها دم .

فقلت : بأبي أنت وأمي يارسول الله ، ماهذا ؟ قال : دم الحسين وأصحابه ، لم أزل ألتقطه منذ اليوم .

قال : فأحصينا ذلك اليوم فوجدوه قُتل في ذلك اليوم رضي الله عنه .

قال قتادة : قتل الحسين يوم الجمعة ، يوم عاشوراء سنة إحدى وستين ، وله أربع وخمسون سنة وستة أشهر ونصف شهر .

وهكذا قال الليث وأبو بكر بن عَيَّاش والواقدى والخليفة بن خَيَّاط وأبو مَعْشَر وغير واحد : أنه قُتل يوم عاشوراء عام إحدى وستين، وزعم بعضهم أنه قتل يوم السبت. والأول أصح .

وقد ذكروا فى مقتله أشياء [كثيرة][1] أنها وقعت ، من كسوف الشمس يومئذ ، وهو ضعيف ، وتغبير آفاق السماء ، ولم ينقلب حجرٌ إلا وجِد تحته دم ، ومنهم من خَصَّص ذلك بحجارة بيت المقدس ، وأن الوَرْس استحال رماداً ، وأن اللحم صار مثل العلقم وكان فيه النار ، إلى غير ذلك مما فى بعضها نكارة ، وفى بعضها احتمال ، والله أعلم . وقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد ولد آدم فى الدنيا الآخرة ولم يقع شىء من هذه الأشياء ، وكذلك الصِّديق بعده ، مات ولم يكن شىء من هذا ، وكذا عمر بن الخطاب قُتل شهيداً وهو قائم يصلى فى المحراب صلاةَ الفجر ، وحُصر عثمان فى داره وقتل بعد ذلك شهيداً ، وقتل على بن أبى طالب شهيداً بعد صلاة الفجر ، ولم يكن شىء من هذه الأشياء . والله أعلم .

وقد روى حماد بن سلمة ، عن عمار بن أبى عمارة ، عن أم سلمة ، أنها سَمعت الجنّ تَنُوح على الحسين بن على .

وهذا صحيح .

وقال شهر بن حَوْشَب : كنا عند أم سلمة فجاءها الخبر بقتل الحسين فخرّت مغشيا عليها .

وكان سبب قتل الحسين أنه كَتب إليه أهلُ العراق يطلبون منه أن يَقْدَم إليهم ليبايعوه

---

(١) ليست فى ا

بالخلافة ، وكثُر تواتر الكتب عليه من العامة ومن ابن عمه مُسْلم بن عَقِيل ، فلما ظهر على ذلك عبيد الله بن زياد نائب العراق ليزيد بن معاوية ، فبعث إلى مسلم بن عقيل فضرب عنقه [1] ورماه من القصر إلى العامة ، فتفرق مَلؤهم وتبددت كلمتهم .

هذا وقد تجهز الحسين من الحجاز إلى العراق ، ولم يشعر بما وقع ، فتحمّل بأهله ومن أطاعه وكانوا قريبا من ثلاثمائة ، وقد نهاه عن ذلك جماعة من الصحابة ، منهم أبو سعيد ، وجابر ، وابن عباس ، وابن عمر ، فلم يطعهم .

وما أحسن مانهاه ابن عمر عن ذلك ، واستدل له على أنه لايقع ما يريده فلم يقبل .

فروى الحافظ البيهقى من حديث يحيى بن سالم الأسدى ، ورواه أبو داود الطيالسى فى مسنده عنه ، قال : سمعت الشّعبى يقول : كان ابن عمر قدم المدينة فأُخبر أن الحسين بن على قد توجه إلى العراق ، فلحقه على مسيرة ليلتين أو ثلاث من المدينة .

قال : أين تريد ؟ قال العراق . ومعه طَوامير [2] وكتب ، فقال : لا تأتهم ، فقال : هذه كتبهم وبيعتهم .

فقال : إن الله خيّر نبيه صلى الله عليه وسلم بين الدنيا والآخرة ، فاختار الآخرة ولم يُرِد الدنيا ، وإنكم بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله لا يليها أحدٌ منكم أبداً ، وما صرَفها عنكم إلّا للذى هو خيرٌ لكم [3] فارجعوا ، فأبىَ وقال : هذه كتبهم وبيعتهم .

قال : فاعتنقه ابن عمر وقال : أستودعك الله من قتيل .

وقد وقع مافهمه عبد الله بن عمر من ذلك سواء ، من أنه لم يَلِ أحدٌ من أهل البيت

---

(١) المطبوعة : يضرب .
(٢) الطوامير : الصحف
(٣) غير ا : إلى الذى هو خير منكم .

الخلافة على سبيل الاستقلال ويتم له الأمر ، وقد قال ذلك عثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب : إنه لايلى أحدٌ من أهل البيت أبداً.

ورواه عنهما أبو صالح الخليل بن أحمد بن عيسى بن الشيخ فى كتابه الفتن والملاحم .

قلت : وأما الخلفاء الفاطميون الذين كانوا بالديار المصرية ، فإن أكثر العلماء على أنهم أدعياء وعلى بن أبى طالب ليس من أهل البيت ، ومع هذا لم يتم له الأمر كما كان للخلفاء الثلاثة قبله ، ولا اتسعت يده فى البلاد كلها ، ثم تنكّدت عليه الأمور.

وأما ابنه الحسن رضى الله عنه فإنه لما جاء فى جيوشه وتصافى هو وأهل الشام ، ورأى أن المصلحة فى ترك الخلافة ، تركها لله عز وجل ، وصيانة لدماء المسلمين ، أثابه الله ورضى عنه .

وأما الحسين رضى الله عنه فإن ابن عمر لمّا أشار عليه بترك الذهاب إلى العراق وخالفه ، اعتنقه مودعاً وقال : أستودعك الله من قتيل .

وقد وقع ما تفرّسه ابن عمر ، فإنه لما استقل ذاهبا بعث إليه عبيد الله بن زياد بكتيبة فيها أربعة آلاف يتقدمهم عمرو بن سعد بن أبى وقاص ، وذلك بعد مااستعفاه فلم يُعفه فالتقوا بمكان يقال له كَرْبلاَء بالطف ، فالتجأ الحسين بن على وأصحابه إلى مَقْصَبة هنالك وجعلوها منهم بظَهر ، وواجهوا أولئك ، وطلب منهم الحسين إحدى ثلاث : إما أن يدَعوه يرجع من حيث جاء ، وإما أن يذهب إلى ثغر من الثغور فيقاتل فيه ،أو يتركوه حتى يذهب إلى يزيد بن معاوية فيضع يده فى يده . فيحكم فيه بما شاء .

فأبوا عليه واحدةً منهن ، وقالوا : لابد من قُدومك على عبيد الله بن زياد فيرى فيك رأيه .

وأبىَ أن يَقْدَم عليه أبداً ، وقاتلهم دون ذلك ، فقتلوه رحمه الله ، وذهبوا برأسه

إلى عبيد الله بن زياد فوضعوه بين يديه ، فجعل ينكت بقضيب فى يده على ثناياه ، وعنده أنس بن مالك جالس ، فقال له : ياهذا ، ارفع قضيبك ، قد طال مارأيتُ رسولَ الله يقبّل هذه الثنايا !

ثم أمر عبيدُ الله بن زياد أن يُسار بأهله ومن كان معه إلى الشام ، إلى يزيد بن معاوية ويقال : إنه بعث معهم بالرأس حتى وضع بين يدى يزيد فأنشد حينئذ قولَ بعضهم :

نُفَلِّق هاماً مــن رجالٍ أعزةٍ ... علينـا وهم كانوا أعقَّ وأظلما

ثم أمر بتجهيزهم إلى المدينة النبوية ، فلما دخلوها تلقّتهم امرأة من بنات عبد المطلب ناشرةً شعرها ، واضعة كفّها على رأسها تبكى وهى تقول :

ماذا تقولون إنْ قال النبى لكم ... ماذا فعلتم وأنتم آخـر الأُمم

بعترتى وبأهلى بعـد مُفتقَدى ... منهم أسارى وقتلَى ضُرِّجوا بدمِ

ما كان هذا جزائى إذ نصحتُ لكم ... أنْ تخلفونى بشرٍّ فى ذوى رحمى

وقد أوردنا هذا مفصلا فى موضعه . وقد رثاه الناس بمراثٍ كثيرة ومن أحسن ذلك ما أورده الحاكم أبو عبد الله النيسابورى وكان فيه تشيع :

جاءوا برأسك يابن بنت محمدٍ ... مترمِّلا بدمائه ترميلاَ

فكأنما بك يابن بنت محمد ... قتلوا جِهاراً عامدين رسولا

قتلوك عطشاناً ولم يترقّبوا ... فى قتلك التنزيل والتأويلاَ

ويُكبِّرون بأن قُتِلتَ وإنما ... قتلوا بك التكبيرَ والتهليلاَ

ذكر الإخبار عن وقعة الحرّة التي كانت في زمن يزيد أيضاً

قال يعقوب بن سفيان : حدثني إبراهيم بن المنذر ، حدثني ابن فُلَيح ، عن أبيه ، عن أيوب بن عبد الرحمن ، عن أيوب بن بشير المعافري ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج في سفر من أسفاره ، فلما مر بحرّة زهرة وقف فاسترجع ، فساء ذلك من معه ، وظنوا أن ذلك من أمر سفرهم .

فقال عمر بن الخطاب : يارسول الله ما الذي رأيت ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما إن ذلك ليس من سفركم هذا . قالوا : فما هو يارسول الله ؟ قال : يُقتل بهذه الحرّة خيار أمتي بعد أصحابي .

هذا مرسل .

وقد قال يعقوب بن سفيان : قال وهب بن جرير : قالت جُوَيرية : حدثني ثَوْر بن زيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : جاء تأويل هذه الآية على رأس ستين سنة « ولو دُخِلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها » . قال : لأعطوها ، يعني إدخال بني حارثة أهلَ الشام على أهل المدينة .

وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس ، وتفسير الصحابي[1] في حكم المرفوع عند كثير من العلماء .

وقال نعيم بن حماد في كتاب الفتن والملاحم : حدثنا أبو عبد الصمد العَمّي ، حدثنا أبو عمران الجَوْني ، عن عبد الله بن الصامت ، عن أبي ذر قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياأبا ذر أرأيت إن الناس قُتلوا حتى تغرق حجارة الزيت من الدماء ،

---

(١) ا : البخاري . وهو خطأ .

كيف أنت صانع ؟ قال قلت : الله ورسوله أعلم . قال : تدخل بيتك ، قال قلت : فإن أتى علىّ ؟ قال : يأتى من أنت منه . قال قلت : وأحمل السلاح ؟ قال : إذاً تشرك معهم . قال قلت : فكيف أصنع يارسول الله ؟ قال : إن خفت أن يبهرك شُعاع السيف فألق طائفة من ردائك على وجهك يبوء بإثمك وإثمه .

ورواه الإمام أحمد فى مسنده عن مرحوم — هو ابن عبد العزيز — عن أبى عمران الجونى ، فذكره مطولا .

قلت : وكان سبب وقعة الحرة أن وفداً من أهل المدينة قدموا على يزيد بن معاوية بدمشق فأكرمهم وأحسن جائزتهم ، وأطلق لأميرهم — وهو عبد الله بن حنظلة بن أبى عامر — قريباً من مائة ألف ، فلما رجعوا ذكروا لأهليهم عن يزيد ما كان يقع منه من القبائح فى شربه الخمر ، ومايتبع ذلك من الفواحش التى من أكبرها ترك الصلاة عن وقتها ، بسبب السُّكر ، فاجتمعوا على خَلْعه ، فخلعوه عند المنبر النبوى .

فلما بلغه ذلك بعث إليهم سَرِيّة ، يَقْدُمها رجل يقال له مسلم بن عقبة ، وإنما يسميه السلف : مُسْرف بن عقبة ، فلما ورد المدينة استباحها ثلاثة أيام ، فقتل فى غضون هذه الأيام بشراً كثيراً حتى كاد لايفلت أحد من أهلها ، وزعم بعض علماء السلف أنه قتل فى غضون ذلك ألف بِكْر فالله أعلم .

وقال عبد الله بن وهب عن الإمام مالك : قُتل يوم الحرة سبعمائة رجل من حملة القرآن ، حسبت أنه قال : وكان فيهم ثلاثة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك فى خلافة يزيد .

قال يعقوب بن سفيان : سمعت سعيد بن كثير بن عُفَير الأنصارى يقول : قتل يوم الحرة عبد الله بن زيد المازنى وَمَعْقل بن سليمان الأشجعى ، ومُعاذ بن الحارث القارئ ، وقُتل عبد الله بن حنظلة بن أبى عامر .

قال يعقوب : وحدثنا يحيى بن عبد الله بن بُكَير ، عن الليث قال : كانت وقعة الحرة يوم الأربعاء لثلاث بقين من الحجة سنة ثلاث وستين ، ثم انبعث مُسْرف بن عُقبة إلى مكة قاصداً عبدَ الله بن الزبير ليقتله بها ، لأنه فرَّ من بيعة يزيد .

فمات يزيد بن معاوية فى غضون ذلك ، واستفحل أمر عبد الله بن الزبير فى الخلافة بالحجاز ، ثم أخذ العراقَ ومصر ، وبويع بعد يزيد لابنه معاوية بن يزيد ، وكان رجلا صالحاً ، فلم تطل مدته ، مكث أربعين يوماً ، وقيل عشرين يوماً ، ثم مات رحمه الله .

فوثب مروان بن الحكم على الشام فأخذها ، فبقى تسعة أشهر ثم مات ، وقام بعده ابنه عبد الملك ، فنازعه فيها عمرو بن سعيد بن الأشدق ، وكان نائبا على المدينة من زمن معاوية وأيام يزيد ومروان ، فلما هلك مروان زعم أنه أوصى له بالأمر من بعد ابنه عبد الملك ، فضاق به ذرعاً ، ولم يزل به حتى أخذه بعد مااستفحل أمره بدمشق فقتله فى سنة تسع وستين ، ويقال : فى سنة سبعين .

واستمرت أيام عبد الملك حتى ظَفِر بابن الزبير سنة ثلاث وسبعين ، قتله الحجاج بن يوسف الثَّقفى عن أمره بمكة ، بعد محاصرة طويلة اقتضت أن نُصِب المنجنيق على الكعبة من أجل أن ابن الزبير لجأ إلى الحرَم ، فلم يزل به حتى قتله ، ثم عهد فى الأمر إلى بنيه الأربعة بعده الوليد ، ثم سليمان ، ثم يزيد ، ثم هشام بن عبد الملك .

***

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أسود ويحيى بن أبى بُكَير ، حدثنا كامل أبو العلاء ، سمعت أبا صالح وهو مولى ضُبَاعة المؤذِّن واسمه مينا ــ قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تعوَّذوا بالله من رأس السبعين ، وإمارة الصبيان ، وقال : لاتذهب الدنيا حتى يظهر اللُّكَع ابن لكع ، وقال الأسود : يعنى اللئيم ابن اللئيم .

وقد روى الترمذى من حـديث أبى كامل ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عمر أمتى من ستين سنة إلى سبعين سنة .

ثم قال : حسن غريب .

وقد روى الإمام أحمد عن عفان وعبد الصمد ، عن حماد بن سلمة ، عن على بن يزيد حدثنى من سمع أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لَينْعِقَنّ — وقال عبد الصمد فى روايته ليرْعفن — جبارٌ من جبابرة بنى أمية على منبرى هذا ، زاد عبد الصمد حتى يسيل رُعافه .

قال : فحدثنى من رأى عمرو بن سعيد بن العاص : يرعف على منبر النبىّ صـلى الله عليه وسلم حتى سال رعافه .

قلت : على بن يزيد بن جُدْعان فى روايته غرابة ونـكارة وفيه تشيّع ، وعمـرو بن سعيد هذا ، يقال له الأشدق ، كان من سادات المسلمين وأشرافهم ، [فى الدنيـا لا فى الدين] (١) وروى عن جماعة من الصحابة ، منهم فى صحيح مسلم عن عثمان فى فضل الطّهور وكان نائبا على المدينة لمعاوية ولابنه يزيد بعده ، ثم استفحل أمره حتى كان يصاول عبدَ الملك بن مروان ، ثم خدعه عبد الملك حتى ظفِر به فقتله فى سنة تسع وستين ، أو سنـة سبعين ، فالله أعلم .

وقد روى عنه من المكارم أشياء كثيرة من أحسنها أن [أباه] لما حضرته الوفاة قال لبنيه ، وكانوا ثلاثة ، عمراً هذا ، وأمية ، وموسى ، فقال لهم : من يتحمل ما علىّ ؟ فبدر ابنه عمرو هذا وقال : أنا يا أبة ، وما عليك ؟ قال : ثلاثون ألف دينار ، قال : نعم ، قال وأخواتك لا تزوجهن إلا بالأكفاء ولو أكلن خبز الشعير . قال : نعم . قال : وأصحابى من بعدى ، إن فقدوا وجهى فلا يفقدوا معروفى . قال : نعم . قال : أما لئن قلت

---

(١) من ط

ذلك ، فلقد كنت أعرفه من حماليق وجهك وأنت فى مهدك .

***

وقد ذكر البيهقى من طريق عبد الله بن صالح ـ كاتب الليث ـ عن حَرْملة بن عمران ، عن أبيه ، عن يزيد بن أبى حبيب ، أنه سمعه يحدث عن محمد بن يزيد بن أبى زياد الثقفى ، قال : اصطحب قيس بن خرشة وكعب حتى إذا بلغا صِفّين ، وقف كعب الأحبار فذكر كلامه فيما يقع هناك من سفك دماء المسلمين ، وأنه يجد ذلك فى التوراة ، وذكر عن قيس بن خرْشَة أنه بايع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على أن يقول الحق ، وقال : ياقيس بن خَرشة عسى إن عذَّبك الدهر حتى يكبك بعدى من لاتستطيع أن تقول بالحق معهم ، فقال : والله لا أبايعك على شىء إلا وفَيْت لك به . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذاً لايضرّك بشَر .

فبلغَ قيسٌ إلى أيام عبيد الله بن زياد بن أبى سفيان ، فنقم عليه عبيد الله فى شىء فأحضره فقال : أنت الذى زعم أنه لايضرّك بشَر ؟ قال : نعم ، قال : لتعلمن اليوم أنك قد كذبت ، ائتونى بصاحب العذاب . قال : فمال قيس عند ذلك فمات .

معجزة أخرى

روى البيهقى من طريق الدَّرَاوَرْدى ، عن ثور بن يزيد ، عن موسى بن ميسرة أن بعض بنى عبد الله سايره فى بعض طريق مكة ، قال : حدثنى العباس بن عبد المطلب أنه بعث ابنه عبدَ الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حاجة ، فوجد عنده رجلا فرجع ولم يكلمه من أجل مكانِ الرجل .

فلقى العباسُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ، فقال : ورآه ؟ قال : نعم . قال : أتدرى من ذلك الرجل ؟ ذاك جبريل ، ولن يموت حتى يذهب بصره ويؤتَى علماً .

وقد مات ابن عباس سنة ثمان وستين بعد ما عمى رضى الله عنه .

وروى البيهقى من حديث المعتمر بن سليمان ، حدثتنا سَيَابة بنت يزيد ، عن حمارة ، عن أُنَيسة بنت زيد بن أرقم ، عن أبيها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على زيد يَعُوده فى مرض كان به ، قال : ليس عليكَ من مرضك بأس ، ولكن كيف بك إذا عُمِّرت بعدى فعميتَ ؟ قال : إذاً أحتسب وأصبر . قال : إذاً تدخل الجنة بغير حساب . قال : فعمِيَ بعد ما مات رسول الله ، ثم ردَّ الله عليه بصره ، ثم مات.

فصل

وثبت فى الصحيحَين عن أبى هريرة ، وعند مسلم عن جابر بن سمرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن بين يدى الساعة ثلاثين كذابا دجالا ، كلهم يزعم أنه نبى .

وقال البيهقى عن الماليِنىّ ، عن أبى عدى ، عن أبى يعلى الموصلى : حدثنا عثمان بن أبى شيبة ، حدثنا محمد بن الحسن الأسدى ، حدثنا شَرِيك ، عن أبى إسحاق ، عن عبد الله بن الزبير ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابا ، منهم مسيلمة ، والعَنْسى ، والمختار . وشر قبائل العرب بنو أمية وبنو حنيفة وثقيف .

قال ابن عَدِىّ : محمد بن الحسن له إفرادات ، وقد حدث عنه الثقاة ، ولم أرَ بتحديثه بأساً . وقال البيهقى : لحديثه فى المختار شواهد صحيحة .

ثم أورد من طريق أبى داود الطيالسى ، حدثنا الأسود بن شيبان ، عن أبى نوفل ، عن أبى عقرب ، عن أسماء بنت أبى بكر ، أنها قالت للحجاج بن يوسف : أما إن

رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أن فى ثقيف كذابا ومُبيراً ، فأما الكذاب فقد رأيناه ، وأما المبير فلا إخالك إلا إياه .

قال : ورواه مسلم من حديث الأسود بن شيبان ، وله طرق عن أسماء وألفاظ سيأتى إيرادها فى موضعه .

وقال البيهقى : أخبرنا الحاكم وأبو سعيد ، عن الأصم ، عن عباس الدراوردى ، عن عبيد الله بن الزبير الحميدى ، حدثنا سفيان بن عُيينة ، عن أبى المحيا ، عن أمه قالت لما قتل الحجاجُ عبد الله بن الزبير دخل الحجاج على أسماء بنت أبى بكر فقال : يا أمه ، إن أمير المؤمنين أوصانى بك ، فهل لك من حاجة ؟ فقالت : لست لك بأم ، ولكنى أم المصلوب على رأس الثَّنية ، وما لى من حاجة ، ولكن انتظر حتى أحدثك ماسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : يَخرج من ثَقِيف كَذَّاب ومُبير ، فأما الكذاب فقد رأيناه ، وأما المبير فأنت . فقال الحجاج : مُبير المنافقين.

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا شَرِيك ، عن أبى علوان ـ عبد الله بن عصمة ـ عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن فى ثقيف كذاباً ومبيراً وقد تواتر خبر المختار بن أبى عبيد الكذاب الذى كان نائبا على العراق وكان يزعم أنه نبى ، وأن جبريل كان يأتيه بالوحى ، وقد قيل لابن عمر وكان زوج أخت المختار صَفِيّه : إن المختار يزعم أن الوحى يأتيه . قال : صدق ، قال الله تعالى : « وإنّ الشياطين ليوحون إلى أوليائهم » .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا قُرّة بن خالد ، عن عبد الملك بن عُمَير ، عن رفاعة ابن شَدَّاد ، قال : كنت ألصقَ شىء بالمختار الكذاب ، قال : فدخلت عليه ذات يوم فقال: دخلتَ وقد قام جبريل قبلُ من هذا الكرسى ، قال : فأهويت إلى قائم السيف لأضربه حتى ذكرت حديثاً حدثنيه عمرو بن الحمق الخزاعى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال : إذا أمَّنَ الرجل الرجلَ على دمه ثم قتله رُفِع له لواء الغدر يوم القيامة . فكففت عنه .

وقد رواه أسباط بن نصر وزائدة والثورى عن إسماعيل السُّدى عن رفاعة بن شداد القبانى . فذكر نحوه .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو بكر الحمَيْدى ، حدثنا سفيان بن عُيينة ، عن مجالدٍ ، عن الشَّعبى ، قال : فاخرتُ أهلَ البصرة فغلبتهم بأهل الكوفة ، والأحنف ساكت لا يتكلم ، فلما رآنى غلبتُهم أرسل غلامًا له فجاء بكتاب فقال : هاك اقرأ : فقرأته فإذا فيه : من المختار لله يذكر أنه نبى ، يقول الأحنف : أنَّى فينا مثل هذا ؟

وأما الحجاج بن يوسف فقد تقدم الحديث أنه الغلام المبير الثقفى وقد ذكرنا ترجمته فى أيامه ، فإنه كان نائبًا على العراق لعبد الملك بن مروان ، ثم لابنه الوليد بن عبد الملك ، وكان من جبابرة الملوك ، على ما كان فيه من الكرم والفصاحة على ما ذكرناه .

وقد قال البيهقى : حدثنا الحاكم ، عن أبى نصر الفقيه ، حدثنا عثمان بن سعيد الدارمى ، أن معاوية بن صالح حدثه عن شريح بن عبيد ، عن أبى عذبة قال : جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فأخبره أن أهل العراق قد حصبوا أميرهم ، فخرج غضبان فصلى لنا الصلاة فَسَهَا فيها حتى جعل الناس يقولون : سبحان الله ، سبحان الله . فلما سلَّم أقبل على الناس فقال : مَن هاهنا من أهل الشام ؟ فقام رجل ثم قام آخر ، ثم قمت أنا ثالثًا أو رابعًا ، فقال : يا أهل الشام استعدّوا لأهل العراق ، فإن الشيطان قد باضَ فيهم وفرَّخ ، اللهم إنهم قد لبسوا علىَّ فألبس عليهم [وعجّل عليهم][1] بالغلام الثقفى يحكم فيهم بحكم أهل الجاهلية ، لا يَقبل من محسنهم ، ولا يتجاوز عن مسيئهم .

قال عبد الله : وحدثنى ابن لَهيعة بمثله ، قال : ووُلِد الحجاج يومئذ .

---

(١) من ا .

ورواه الدارمى أيضا عن أبى اليمان عن جرير بن عثمان ،عن عبد الرحمن[1] بن ميسرة، عن أبى عـذبة الحمصى ، عن عمر فذكر مثله ، قال أبو اليمان : علم عمر أن الحجاج خارج لامحالة ، فلما أغضبوه استعجل لهم العقوبة ، قلت : فإن كان هذا نقله عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد تقدم له شاهد عن غيره ، وإن كان عن تحديث ، فكرامة الولى معجزة لنبيه .

وقال عبدالرزاق : أنبأنا جعفر — يعنى ابن — ان — عن مالك بن دينار ، عن الحسن قال : قال على لأهل الكوفة : اللهم كما ائتمنتهم فخانونى ،ونصحتُ لهم فغشونى ، فسلِّط عليهم فتى ثقيف الذيّال الميال ، يأكل خضرتها ، ويلبس فروتها ، ويحكم فيهم بحكم الجاهلية ، قال : يقول[2] الحسن : وما خلق الله الحجاج يومئذ

وهذا منقطع وقد رواه البيهقى أيضا من حديث معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن أيوب ، عن مالك بن أوس بن الحدثان ، عن على بن أبى طالب أنه قال : الشاب الذيال أمير المِصرين ، يلبس فروتها ، ، ويأكل خضرتها ، ويقتل أشراف أهلها ، يشتد منه العرق ، ويكثر منه الأرق ، ويسلطه الله على شيعته .

وله من حديث يزيد بن هرون ، أخبرنا العوّام بن حَوْشَب ، حدثنى حبيب بن أبى ثابت قال : قال على :لاَمُتُّ حتى تدرك فتى ثقيف .فقيل : ياأمير المؤمنين وما فتى ثقيف؟ فقال : ليقالن له يوم القيامة : اكفنا زاوية من زوايا جهنم ، رجل يملك عشرين سنة أو بضعاً وعشرين سنة ، لايدع لله معصيةً إلا ارتكبها ، حتى لو لم يبق إلا معصية واحدة وكان بينه وبينها باب مغلق لكسره حتى يرتكبها ، يقتل[3] بمن أطاعه من عصاه .

---

(١) ت : عبد الملك .
(٢) المطبوعة :تتوق الحسن .
(٣) غير ا : يفتن.

وهذا معضل، وفي صحته عن علي نظر. والله أعلم.

وقال البيهقي عن الحاكم، عن الحسين بن الحسن بن أيوب، عن أبي حاتم الرازي عن عبد الله بن يوسف التِّنِّيسي[1]، حدثنا هشام بن يحيى الغَسَّاني، قال: قال عمر بن عبد العزيز: لو جاءت كل أمة بخبيثها، وجئناهم بالحجاج لغلبناهم.

وقال أبو بكر بن عَيَّاش عن عاصم، عن أبي النَّجُود: مابقيت لله حُرْمة إلا وقد ارتكبها الحجاج.

وقال عبد الرزاق عن مَعْمَر، عن ابن طاووس أن أباه لما تحقق موتَ الحجاج تلا قوله تعالى: « فَقُطِع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين » قلت: وقد توفي الحجاج سنة خمس وتسعين.

ذكر الإشارة النبوية إلى دولة عمر بن عبد العزيز
تاج بني أمية

قد تقدم حديث أبي إدريس الخَوْلاني، عن حذيفة قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دخَن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يستنّون بغير سُنّتي، ويهدون بغير هديي، يُعْرف منهم ويُنْكر[2]، الحديث.

فحمل البيهقي وغيره هذا الخير الثاني على أيام عمر بن عبد العزيز.

وروى عن الحاكم عن الأصم، عن العباس بن الوليد بن مَرْثد، عن أبيه قال: سئل الأوزاعي عن تفسير حديث حذيفة حين سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشر الذي يكون بعد ذلك الخير، فقال الأوزاعي: هي الردة التي كانت بعد وفاة رسول الله

---

(١) المطبوعة التنيق، وهو تحريف. وهو شيخ البخاري الثقة، نسب إلى تنيس مدينة بمصر، توفي سنة ٢١٨. ميزان الاعتدال ٢/٥٢٨.

(١) البخاري: تعرف منهم وتنكر.

صلى الله عليه وسلم . وفى مسألة حذيفة ، فهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : نعم ، وفيه دخَن .

قال الأوزاعى : فالخير الجماعة ، وفى ولاتهم من يعرف سيرته ، وفيهم من تُنْكر سيرته ، قال : فلم يأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قتالهم ماصَلَّوا الصلاةَ .

وروى أبو داود الطيالسى ، عن داود الواسطى ، وكان ثقةً ، عن حبيب بن سالم عن نعمان بن سالم ، عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنكم فى النبوة ماشاء الله أن يكون ، ثم يرفعها لكم إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة .

قال : فقدِم عمر بن عبد العزيز ومعه يزيد بن النعمان ، فكتبت إليه أذكره الحديث وكتبت[1] إليه أقول : إنى أرجو أن تكون أمير المؤمنين بعد الخيرية .

قال : فأخذ يزيد الكتاب فأدخله على عمر فسُرَّ به وأعجبه .

وقال نعيم بن حماد : حدثنا رَوْح بن عبادة عن سعيد بن أبى عَرُوبة ، عن قَتادة قال : قال عمر بن عبد العزيز : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم [فى النوم][2] وعنده [أبو بكر و][3] عمر وعثمان وعلى ، فقال لى : ادنُ ، فدنوت حتى قمت بين يديه ، فرفع بصره إلىّ وقال : أمَا إنك ستَلِي أمرَ هذه الأمة وستَعْدل عليهم .

وسيأتى فى الحديث الآخر إن شاء الله أن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدِّد لها [أمر][4] دينها . وقد قال كثير من الأئمة إنه عمر بن عبد العزيز ، فإنه تولَّى سنة إحدى ومائة .

وقال البيهقى : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا أبو حامد أحمد بن على المقرى ، حدثنا أبو عيسى ،

(١) المطبوعة . وكتبته .
(٢) من ا .
(٣) سقطت من المطبوعة .
(٤) من ا .

حدثنا أحمد بن إبراهيم ، حدثنا عفان بن مسلم ، حدثنا عثمان بن عبد الحميد بن لاحق ، عن جُوَيرية بن أسماء ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : بلَغنا أن عمر بن الخطاب قال : إن من ولدى رجلا بوجهه شَيْن يَلِي فيملأ الأرض عدلاً .

قال نافع من قِبَله : ولا أحسبه إلا عمر بن عبد العزيز .

وقد رواه نعيم بن حماد عن عثمان بن عبد الحميد به ، ولهذا طرقٌ عن ابن عمر أنه كان يقول : ليت شعرى ، من هذا الذى من ولد عمر بن الخطاب فى وجهه علامة يملأ الأرض عدلا ؟

وقد روى ذلك عن عبد الرحمن بن حَرْملة ، عن سعيد بن المسيب نحواً من هذا .

وقد كان هذا الأمر مشهوراً قبل ولايته وميلاده بالكلّية ، أنه يلى رجل من بنى أمية يقال له : أشجّ بنى مروان ، وكانت أمه أرْوَى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، وكان أبوه عبد العزيز بن مراوان نائباً لأخيه عبد الملك على مصر ، وكان يكرم عبدَ الله ابن عمر ، ويبعث إليه بالتحف والهدايا والجوائز فيقبلها ، وبعث إليه مرة بألف دينار فأخذها ، وقد دخل عمر بن عبد العزيز يوماً إلى اصطبل أبيه وهو صغير ، فرمَحه فرسٌ فشجه فى جبينه ، فجعل أبوه يَسْلت عنه الدم ويقول : أمَا لئن كنت أشجَّ بنى مروان إنك إذاً لسعيد .

وكان الناس يقولون : الأشج والناقص أعدلاَ بنى مروان ، فالأشج هو عمر بن عبد العزيز ، والناقص هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، الذى يقول فيه الشاعر :

رأيت اليزيدَ بن الوليد مبارَكاً   شديداً بأعباء الخلافة كاهلُه

قلت : وقد ولى عمر بن عبد العزيز بعد سليمان بن عبد الملك سنتين ونصفاً ، فملأ الأرض عدلا ، وفاض المال حتى كان الرجل يُهِمّه لمنْ يُعْطِى صدقته .

وقد حمل البيهقى الحديث المتقدم عن عَدِىّ بن حاتم ، على أيام عمر بن عبد العزيز ، وعندى فى ذلك نظر ، والله أعلم .

وقد روى البيهقى من حديث إسماعيل بن أبى أُوَيس : حدثنى أبو مَعْن الأنصارى حدثنا أُسَيد قال : بينما عمر بن عبد العزيز يمشى إلى مكة بفلاة من الأرض إذ رأى حية ميتة فقال : على بمحفار . فقالوا : نكفيك أصلحك الله . قال : لا . ثم أخذه ثم لفه فى خرقة ودفنه ، فإذا هاتف يهتف : رحمة الله عليك ياسرّق ، فقال له عمر بن عبد العزيز : من أنت يرحمك الله ؟ قال : أنا رجل من الجن وهذا سرّق ، ولم يبق ممن بايع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم غيرى وغيره ، وأشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : تموت ياسرّق بفلاة من الأرض ويدفنك خير أمتى .

وقد روى هذا من وجه آخر وفيه : أنهم كانوا تسعة بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيه أن عمر بن عبد العزيز حلَّفه ، فلما حلف بكى عمر بن عبد العزيز . وقد رجحه البيهقى وحسّنه ، فالله أعلم .

حديث آخر

فى صحته نظر ، فى ذكر وهب بن مُنَبِّه بالمدح ، وذكر غَيْلان بالذم

روى البيهقى من حديث هشام بن عمار وغيره عن الوليد بن أسلم [1] ، عن مروان بن سالم البَرْقانى ، عن الأحوص بن حكيم ، عن خالد بن معدان ، عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يكون فى أمتى رجل يقال له وهب يهب الله له الحكمة ، ورجل يقال له : غَيْلان ، هو أضرّ على أمتى من إبليس .

وهذا لايصح لأن مروان بن سالم هذا متروك .

---

(١) ت : ابن مسلم

وبه إلى الوليد : حدثنا ابن لهيعة ، عن موسى بن وردان ، عن أبي هريرة قال : قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : ينعق الشيطان بالشام نعقة يكذّب ثلثاهم بالقدَر .

قال البيهقي : وفي هذا وأمثاله إشارة إلى غيلان وما ظهر بالشام بسببه من التكذيب بالقدَر حتى قُتِل .

الإشارة إلى محمد بن كعب القُرظي

وعلمه بتفسير القرآن وحفظه

قال حَرْملة عن ابن وهب : أخبرني أبو صخر ، عن عبد الله بن مغيث ، عن أبي بُردة الظفري عن أبيه ، عن جده قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يخرج في أحد الكاهنين رجل قد درَس القرآن دراسة لايدرسها أحدٌ يكون من بعده .

وروى البيهقي ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن إسماعيل القاضي ، حدثنا أبو ثابت حدثنا ابن وهب ، حدثني عبد الجبار بن عمر ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يكون في أحد الكاهنين رجل يدرس القرآن دراسة لايدرسها أحد غيره ، قال : فكانوا يرون أنه محمد بن كعب القرظي .

قال أبو ثابت : الكاهنان ، قريظة والنضير .

وقد روى من وجه آخر مرسل : يخرج من الكاهنين رجل أعْلَم الناس بكتاب الله وقد قال عون بن عبد الله : مارأيت أحداً أعلم بتأويل القرآن من محمد بن كعب .

ذكر الإخبار بانخرام قرنه ﷺ بعد مائة سنة من ليلة إخباره وكان كما أخبر

ثبت فى الصحيحين من حديث الزهرى عن سالم وأبى بكر بن سليمان بن أبى خيثمة، عن عبد الله بن عمر قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العشاء ليلةً فى آخر عمره، فلما سلم قام فقال :أرأيتكم ليلتكم هذه ؟ فإن رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد.

قال عمر : فوهَل الناس من مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى ما يحدثون من هذه الأحاديث من مائة سنة، وإنما يريد بذلك أنها تخرَم(١) ذلك القرن، وفى رواية : إنما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم انخرام قرْنه.

وفى صحيح مسلم من حديث ابن جُرَيج : أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته بشهر : يسألون عن الساعة وإنما علمها عند الله، فأقسم بالله ما على ظهر الأرض من نفس منفوسة اليوم، يأتى عليها مائة سنة.

وهذا الحديث وأمثاله مما يحتج به من ذهب من الأئمة إلى أن الخضر ليس بموجود الآن، كما قدمنا ذلك فى ترجمته فى قصص الأنبياء عليهم السلام، وهو نص على أن جميع الأحياء فى الأرض يموتون إلى تمام مائة سنة من إخباره عليه السلام، وكذا وقع سواء فما نعلم تأخر أحدٍ من أصحابه إلى ما يجاوز هذه المدة، وكذلك جميع الناس.

ثم قد طرد بعض العلماء هذا الحكم فى كل مائة سنة، وليس فى الحديث تعرّض لهذا، والله أعلم.

---

(١) تخرم : تقطع.

حديث آخر

قال محمد بن عمر الواقدى : حدثنى شُرَيح بن يزيد ، عن إبراهيم بن محمد بن زياد الأَلْهانى ، عن أبيه ، عن عبدالله بن بُسْر ، قال : وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على رأسى وقال : هذا الغلام يعيش قرناً . قال : فعاش مائة سنة .

وقد رواه البخارى فى التاريخ عن أبى حَيْوة شُرَيح بن يزيد به فذكره ، قال : وزاد غيره : وكان فى وجهه ثُؤلول [1] ، فقال : ولا يموت حتى يذهب الثؤلول من وجهه ، فلم يمت حتى ذهب الثؤلول من وجهه .

وهذا إسناد على شرط السُّنن ، ولم يخرجوه .

ورواه البيهقى ، عن الحاكم ، عن محمد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى ، عن الفضل ابن محمد [2] الشعرانى ، حدثنا حيوة بن شريح ، عن إبراهيم بن محمد بن زياد الأَلْهانىّ ، عن أبيه عن عبد الله بن بُسْر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : يعيش هذا الغلام قرناً . فعاش مائة سنة .

قال الواقدى وغير واحد : توفى عبد الله بن بسر بحِمْص سنة ثمان وثمانين عن أربع وتسعين ، وهو آخر من بقى من الصحابة بالشام .

ذكر الإخبار عن الوليد بما فيه له من الوعيد الشديد

وإن صح فهو الوليد بن يزيد ، لا الوليد بن عبد الملك بانى الجامع السعيد

قال يعقوب بن سفيان : حدثنى محمد بن خالد بن العباس السَّكْسَكى ، حدثنى الوليد بن مسلم ، حدثنى أبو عمرو الأوزاعى عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب قال :

---

(١) الثؤلول : البثر الصغير .

(٢) المطبوعة : عمرو

ولد لأخي أم سلمة [1] غلام فسموه الوليد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد جعلتم تسمّون بأسماء فراعينكم ، إنه سيكون في هذه الأمة رجل يقال له الوليد ، هو أضرُّ على أمتي من فرعون على قومه .

قال أبو عمر الأوزاعي : فكان الناس يرون أنه الوليد بن عبد الملك ثم رأينا أنه الوليد بن يزيد ، لفتنة الناس به ، حتى خرجوا عليه فقتلوه ، وانفتحت على الأمة الفتنة والهرج .

وقد رواه البيهقي عن الحاكم ، وغيره ، عن الأصم ، عن سعيد بن عثمان التَّنُوخي ، عن بشر بن بكر ، عن الأوزاعي ، عن الزُّهري ، عن سعيد ، فذكره ولم يذكر قول الأوزاعي ، ثم قال : وهذا مرسل حسن .

وقد رواه نُعَيم بن حماد ، عن الوليد بن مسلم به ، وعنده قال الزهري : إن استخلف الوليد بن يزيد ، فهو هو ، وإلا فهو الوليد بن عبد الملك .

وقال نعيم بن حماد : حدثنا هُشَيم ، عن أبي حمزة ، عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سيكون رجل اسمه الوليد ، يُسدّ به ركن من أركان جهنم وزاوية من زواياها .

وهذا مرسل أيضاً .

حديث آخر

قال سليمان بن بلال ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا بلغ بنو أبي العاص أربعين رجلا ، اتخذوا دين الله دَغَلا ، وعباد الله خَولاً ، ومال الله دُولاً [2] .

---

(١) ت : أم سليم .

(٢) دغلا : دخلا وفسادا . وخولا : خدما . ودولا : أخذوه بالدول ، أي جعلوه فيهم .

رواه البيهقي من حديثه . وقال نعيم بن حماد : حدثنا بقية بن الوليد وعبد القدوس ، عن أبي بكر بن أبي مريم ، عن راشد بن سعد ، عن أبي ذر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا بلغت بنو أمية أربعين ، اتخذوا عباد الله خَولا ، ومال الله نُحْلاً ، وكتابَ الله دَغلاً .

وهذا منقطع بين راشد بن سعد وبين أبي ذر .

وقال إسحاق بن راهويه : أخبرنا جرير ، عن الأعمش ، عن عطية ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلا اتخذوا دين الله دغلا ، ومال الله دُوَلا ، وعباد الله خولا .

ورواه أحمد عن عثمان بن أبي شيبة عن جرير به .

وقال البيهقي : أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار ، حدثنا بَسّام — وهو محمد بن غالب — حدثنا كامل بن طلحة ، حدثنا ابن لَهِيعة ، عن أبي قَبيل ، أن ابن وهب أخبره أنه كان عند معاوية بن أبي سفيان فدخل عليه مروان فكلمه في حاجته فقال : اقض حاجتي ياأمير المؤمنين ، فوالله إن مؤنتي لعظيمة ، وإني لأبو عشرة ، وعمّ عشرة ، وأخو عشرة .

فلما أدبر مروان — وابن عباس جالس مع معاوية على السرير — قال معاوية : أنشدك بالله يابن عباس ، أما تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله بينهم دُوَلا ، وعبادَ الله خَولاً ، وكتاب الله دغلا ؟ فإذا بلغوا سبعة وتسعين وأربعمائة ، كان هلاكهم أسرع من لَوْك تمرة ؟ فقال ابن عباس : اللهم نعم .

قال : وذكر مروان حاجة له فردَّ مروان عبدَ الملك إلى معاوية فكلمه فيها ، فلما أدبر عبد الملك قال معاوية : أنشدك بالله يابن عباس ، أما تعلم أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم ذكر هذا فقال : أبو الجبابرة الأربعة ؟ فقال ابن عباس : اللهم نعم .

وهذا الحديث فيه غرابة ونكارة شديدة ، وابن لَهِيعة ضعيف .

وقد قال أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي : حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا سعد بن زيد، أخو حماد بن زيد ، على بن الحكم البُنَاني ، عن أبي الحسن ، عن عمرو ابن مُرّة ، وكانت له صحبة ، قال : جاء الحكم بن أبي العاص يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم ، فعرف كلامه فقال : ائذنوا له ، حَيّة ، أو ولد حية ، عليه لعنة الله ، [وعلى من يخرج من صُلْبه إلا المؤمنين ، وقليل ماهم ، إنهم ليترفون في الدنيا ويوضعون في الآخرة][1] ذوو مكر وخديعة ، يعطون في الدنيا ومالهم في الآخرة من خَلَاق .

قال الدارمي : أبو الحسن هذا حِمْصي .

وقال نعيم بن حماد في الفتن والملاحم : حدثنا عبد الله بن مروان المرواني ، عن أبي بكر بن أبي مريم ، عن راشد بن سعد ، أن مروان بن الحكم لما وِلِد دُفِع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليدعو له ، فأبى أن يفعل ثم قال : ابن الزرقاء ، هلاك أمتي على يديه ويدى ذريته .

وهذا حديث مرسل .

ذكر الإخبار عن خلفاء بني أمية جملة من جملة
والإشارة إلى مدة دولتهم

قال يعقوب بن سفيان : حدثنا أحمد بن محمد أبو محمد الزَّرْقي ، حدثنا الزَّنْجي – يعني مسلم بن خالد – ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : رأيت في المنام بني الحكم – أو بني أبي العاص – يَنْزون على

---

(١) ليس في ا .

منبرى كما تنزو القردة ، قال : فما رُئِىَ[1] رسولُ الله مستجمعاً ضاحكا حتى توفى .

وقال الثورى : عن على بن زيد بن جُـدْعان ، عن سعيد بن المسيَّب ، قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى أمية على منابرهم فساءه ذلك ، فأُوحى إليه : إنما هى دنيا أُعطوها . فقرّت به عينه وهى قوله : « وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنةً للناس» يعنى بلاء للناس . علىّ بن زيد بن جدعان ضعيف ، والحديث مرسل أيضا .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا القاسم بن الفضل ـ هو الحُدّانِىّ ـ حدثنا يوسف ابن مازن الراسِبِىّ ، قال : قام رجل إلى الحسن بن على بعد مابايع معاوية ، فقال يامسوِّد وجوه المؤمنين . فقال الحسن : لاتؤنّبنى رحمك الله ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى بنى أمية يخطبون على منبره رجلا رجلا ، فساءه ذلك فنزلت : « إنا أعطيناك الكوثر » ـ يعنى نهراً فى الجنة ـ ونزلت : « إنا أنزلناه فى ليلة القَدْر ، وما أدراك ماليلة القدر ، ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر » يَمْلكه بنو أمية .

قال القاسم : فحسبنا ذلك فإذا هو ألف شهر لايزيد يوما ولا ينقص يوما .

وقد رواه الترمذى وابن جرير الطبرى ، والحاكم فى مستدركه ، والبيهقى فى دلائل النبوة ، كلهم من حديث القاسم بن الفضل الحُدّانى[2] . وقد وثّقه يحيى بن سعيد القَطَّان ، وابن مهدى ، عن يوسف بن سعد ، ويقال : يوسف بن مازن الراسِبِىّ ، وفى رواية ابن جرير عيسى بن مازن ، قال الترمذى : وهو رجل مجهول ، وهذا الحديث لانعرفه إلامن هذا الوجه .

فقوله : إن يوسف هذا مجهول ، مُشْكل ، والظاهر أنه أراد أنه مجهول الحال ، فإنه قد روى عنه جماعة ، منهم حماد بن سلمة ، وخالد الحذّاء ، ويونس بن عُبَيد ،

---

(١) المطبوعة : رآنى . وهو خطأ .

(٢) الأصل : الحذاء . وهو تحريف .

وقال يحيى بن مَعِين : هو مشهور ، وفى رواية عنه قال : هو ثقة . فارتفعت الجهالة عنه مطلقاً ، قلت : ولـكن فى شهوده قضية الحسن ومعاوية نظر ، وقد يكون أرسلها عمن لايعتمد عليه ، والله أعلم .

وقد سألت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المِزّى رحمه الله عن هذا الحديث فقال : هو حديث مُنْـكَر .

وأما قول القاسم بن الفضل رحمه الله : إنه حَسَب دولة بنى أميـة فوجدها ألف شهر ، لا تزيد يوماً ولا تنقصه ، فهو غريب جداً ، وفيه نظر ، وذلك لأنه لا يمكن إدخال دولة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وكانت ثنتا عشرة سنة ، فى هذه المدة ، لا من حيث الصورة ولا من حيث المعنى ، وذلك أنهـا ممدوحة لأنه أحـد الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين الذين قضَوا بالحق وبه كانوا يعدلون .

وهذا الحديث إنما سيق لذم دولتهم . وفى دلالة الحديث على الذم نظر ، وذلك أنه دل على أن ليلة القدر خير من ألف شهر التى هى دولتهم ، وليلة القدر ليلة خيّرة ، عظيمة المقدار والبركة ، كما وصفها الله تعـالى به . فما يلزم من تفضيلها على دولتهم ذمُّ دولتهم ، فليتأمل هذا فإنه دقيق يدل على أن الحديث فى صحته نظر ، لأنه إنما سِيق لذم أيامهم والله تعالى أعلم .

وأما إذا أراد أن ابتداء دولتهم منذ ولى معاوية حين تسلمها من الحسن بن على ، فقد كان ذلك سنة أربعين ، أو إحدى وأربعين ، وكان يقال له عام الجماعة ، لأن الناس كلهم اجتمعوا على إمام واحد .

وقد تقدم الحديث فى صحيح البخارى عن أبى بكرة أنه سمع رسول الله صـلى الله عليه وسلم يقول للحسن بن على : إن ابنى هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين . فـكان هذا فى هذا العام ، ولله الحمد والمنة . واستمر الأمر فى أيدى

بنى أمية من هذه السنة إلى سنة ثنتين وثلاثين ومائة ، حتى انتقل إلى بنى العباس ومجموع ذلك ثنتان وتسعون سنة ، وهذا لا يطابق ألف شهر ، لأن معدَّل ألف شهر ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر .

فإن قال : أنا أُخرج منها ولايةَ ابن الزُّبير ، وكانت تسع سنين ، فحينئذ يبقى ثلاث وثمانون سنة.

فالجواب أنه وإنْ خرجتْ ولايةُ ابن الزبير ، فإنه لايكون مابقى مطابقاً لألف شهر تحديداً ، بحيث لاينقص يوما ولا يزيده ، كما قاله ، بل يكون ذلك تقريباً . هذا وجه .

الثانى : أن ولاية ابن الزبير كانت بالحجاز والأَهْواز والعراق فى بعض أيامه ، وفى مصر فى قول ، ولم تَنْسلب يدُ بنى أمية من الشام أصلا ، ولا زالت دولتهم بالكلّية فى ذلك الحين .

الثالث : أن هذا يقتضى دخول دولة عمر بن عبد العزيز فى حساب بنى أمية ، ومقتضى ماذكره أن تكون دولته مذمومة ، وهذا لايقوله أحد من أئمة الأسلام ، وإنهم مصرِّحون بأنه أحد الخلفاء الراشدين ، حتى قرَنوا أيامه تابعةً لأيام الأربعة ، وحتى اختلفوا فى أيهما أفضل ؟ هو أو معاويةَ بن أبى سفيان أحد الصحابة .

وقد قال أحمد بن حنبل : لاأرى قولَ أحد التابعين حجةً إلا قول عمر بن عبد العزيز فإذا عُلِم هذا ، فإن أخرجَ أيامَه من حسابه انخرمَ حسابه ، وإن أدخلها فيه مذمومةً ، خالف الأئمة ، وهذا مالا محِيد عنه .

وكل هذا مما يدل على نكارة هذا الحديث والله أعلم .

وقال نعيم بن حماد : حدثنا سفيان ، عن العلاء بن أبى العباس ، سمع أبا الطفيل ، سمع علياً يقول : لايزال هذا الأمر فى بنى أمية ما لم يختلفوا بينهم .

حدثنا ابن وهب عن حَرْملة بن عمران ، عن سعد بن سالم ، عن أبى سالم الجَيْشانى

سمع عليا يقول : الأمر لهم حتى يَقتلوا قتيلهم ، ويتنافسوا بينهم ، فإذا كان ذلك بعث الله عليهم أقواماً من المشرق يقتلونهم بدداً ويحصرونهم ، والله لا يملكون سنة إلا ملكنا سنتين ، ولا يملكون سنتين إلا ملكْنا أربعاً .

وقال نعيم بن حمّاد : حدثنا الوليد بن مسلم ، عن حصين بن الوليد ، عن الزهرى ابن الوليد ، سمعت أم الدرداء ، سمعت أبا الدرداء يقول : إذا قُتل الخليفة الشاب من بنى أمية بين الشام والعراق مظلوماً ، مالم تزل طاعة يُستخفّ بها ، ودم مسفوك بغير حق — يعنى الوليد بن يزيد .

ومثل هذه الأشياء إنما تقال عن توقيف .

ذكر الإخبار عن دولة بنى العباس

وكان ظهورهم من خراسان بالرايات السود ، فى سنة ثنتين وثلاثين ومائة

قال يعقوب بن سفيان : حدثنى محمد بن خالد بن العباس ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنى أبو عبد الله ، عن الوليد بن هشام المُعَيطىّ ، عن أبان بن الوليد بن عقبة بن أبى مُعَيط ، قال : قدِم عبدُ الله بنُ عباس على معاوية وأنا حاضر ، فأجازه فأحسن جائزته ، ثم قال : ياأبا العباس هل لكم دولة ؟ فقال : أعفنى ياأمير المؤمنين . فقال : لتخبرنّى . قال : نعم ، فأخبره . قال : فمن أنصاركم ؟ قال : أهل خراسان ، ولبنى أمية من بنى هاشم بَطحات .

رواه البيهقى .

وقال ابن عَدِى : سمعت ابن حماد ، أخبرنا محمد بن عبدة ابن حرب ، حدثنا سُوَيد ابن سعيد ، حدثنا حجاج بن تميم ، عن ميمون بن مهران ، عن ابن عباس قال : مررت بالنبىّ صلى الله عليه وسلم وإذا معه جبريل ، وأنا أظنه دِحْية الكَلْبى ، فقال جبريل

للنبي صلى الله عليه وسلم إنه لوسخ الثياب وسيلبس ولده من بعده السواد. وذكر تمام الحديث في ذهاب بصره، ثم عوده إليه قبل موته.

قال البيهقي: تفرد به حجاج بن تميم وليس بالقوي.

وقال البيهقي: أخبرنا الحاكم، حدثنا أبو بكر بن إسحاق وأبو بكر [بن أحمد][1] بن بالونة في آخرين قالوا: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثنا يحيى بن معين، حدثنا عبيد الله بن أبي قرة، حدثنا الليث بن سعد، عن أبي قتيل[2]، عن أبي ميسرة مولى العباس قال: سمعت العباس قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقال: انظر هل ترى في السماء من شيء؟ قلت: نعم، قال: ما ترى؟ قلت: الثريا. قال: أما إنه سيملك هذه الأمة بعددها من صلبك.

قال البخاري: عبيد بن أبي قرة بغدادي سمع الليث، لايتابع على حديثه في قصة العباس.

وروى البيهقي من حديث محمد بن عبد الرحمن العامري — وهو ضعيف — عن سهيل عن أبيه، عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس: فيكم النبوة وفيكم الملك.

وقال أبو بكر بن خيثمة: حدثنا يحيى بن معين، حدثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن أبي معبد، قال: قال ابن عباس: كما فتح الله بأولنا فأرجو أن يختمه بنا.

هذا إسناد جيد، وهو موقوف على ابن عباس من كلامه.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثني إبراهيم بن أيوب، حدثنا الوليد، حدثنا عبدالملك ابن حميد، عن أبي عتبة، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، قال: سمعت ابن عباس ونحن نقول: اثنا عشر أميراً واثنا عشر، ثم هي الساعة. فقال ابن عباس:

(١) من ا. (٢) المطبوعة عن أبي فضيل.

ما أحمقكم ؟! إن منا أهل البيت بعد ذلك ، المنصور ، والسفَّاح ، والمهدى ، يرفعها إلى عيسى بن مريم .

وهذا أيضاً موقوف ، وقد رواه البيهقى من طريق الأعمش ، عن الضحاك ، عن ابن عباس مرفوعاً : منا السفاح ، والمنصور ، والمهدى .

وهذا إسناد ضعيف ، والضحاك لم يسمع من ابن عباس شيئا على الصحيح ، فهو منقطع والله أعلم .

وقد قال عبد الرزاق ، عن الثَّورى ، عن خالد الحذَّاء ، عن أبى قلاَبة ، عن أبى أسماء عن ثَوْبان ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يُقتل عند كنزكم[1] هذه ثلاثة كلهم ولد خليفة ، لا يصير إلى واحد منهم ، ثم تُقْبل الرايات [السود[2]] من خراسان فيقتلونهم مَقْتَلة لم يروا مثلها ، ثم يجىء خليفة الله المهدى ، فإذا سمعتم فأْتوه فبايعوه ولو حبوًا على الثلج ، فإنه خليفة الله المهدى .

أخرجه ابن ماجه عن أحمد بن يوسف السُّلَمى ، ومحمد بن يحيى الذُّهلى ، كلاهما عن عبد الرزاق به . ورواه البيهقى من طرق عن عبد الرزاق ، ثم قال : تفرد به عبد الرزاق .

قال البيهقى : ورواه عبد الوهاب بن عطاء ، عن خالد الحذَّاء ، عن أبى قلاَبة ، عن [أبى] أسماء موقوفا .

ثم قال البيهقى : أخبرنا على بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عُبيد الصَّفار ، حدثنا محمد بن غالب ، حدثنا كثير بن يحيى ، حدثنا شَرِيك ، عن على بن زيد ، عن أبى قلابة ، عن أبى أسماء ، عن ثَوْبان ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا

---

(١) المطبوعة : كنزكم . (٢) سقطت من : ا

أقبلت الرايات السُود من عقب خراسان فأتوها ولو حبواً على الثلج ، فإن فيها خليفة الله المهدى .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا الفضل بن سهل ، حدثنا عبد الله بن داهر الرازى [حدثنا أبى][1] ، عن ابن أبى ليلى ، عن الحكم ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر فتيةً من بنى هاشم ، فاغرورقت عيناه، وذكر الرايات ، قال : فمن أدركها فليأتها ولو حبوًا على الثلج .

ثم قال : وهذا الحديث لانعلم رواه عن الحكم إلا ابن أبى ليلى ، ولا نعلم يُرْوَى إلا من حديث داهر بن يحيى ، وهو من أهل الرَّى[2] صالح الحديث ، وإنما يُعرف من حديث يزيد بن أبى زياد عن إبراهيم .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا أبو هشام بن يزيد بن رفاعة ، حدثنا أبو بكر ابن عَيَّاش ، حدثنا يزيد بن أبى زياد ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تجىء رايات سود من قِبَل المشرق، تخوض الخيلُ الدمَ إلى أن يظهروا العدلَ ويطلبون العدلَ فلا يُعطونه ، فيظهرون فيُطلب منهم العدل فلا يعطونه .

وهذا إسناد حسن .

وقال الإمام أحمد : حدثنى يحيى بن غيلان ، وقتيبة بن سعيد ، قالا : حدثنا رِشْدِين ابن سعد ، قال يحيى بن غيلان فى حديثه قال : حدثنى يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب، عن قَبيصة ـ هو ابن ذؤيب الخزاعى ـ عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : يخرج من خراسان رايات سود لا يردُّها شىء حتى تُنصب بإيلياء .

وقد رواه الترمذى عن قتيبة به وقال : غريب ، ورواه البيهقى والحاكم من حديث

---

(١) ليست فى ا .

(٢) المطبوعة : الرأى . وهو خطأ . والنسبة إلى الرى: الرازى . وترجمته فى ميزان الاعتدال ٢/ ٣ .

عبد الله بن مسعود ، عن رِشْدين[1] بن سعد ، وقال البيهقى : تفرد به رِشْدين بن سعد ، وقد روى قريب من هذا عن كعب الأحبار ولعله أشْبه . والله أعلم .

ثم روى من طريق يعقوب بن سفيان : حدثنا محمد، عن أبى المغيرة عبد القدوس ، عن إسماعيل بن عيَّاش ، عمن حدثه ، عن كعب الأحبار قال : تَظْهر راياتٌ سود لبنى العباس حتى ينزلوا بالشام ، ويقتل الله على أيديهم كل جبار وكل عدو لهم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عثمان بن أبى شيبة ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن عطية العَوْفى ، عن أبى سعيد الخدرى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يخرج عند انقطاع من الزمان ، وظهور من الفتن ، رجل يقال له السفاح ، فيكون إعطاؤه المال حَثْواً.

ورواه البيهقى عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الصمد ، عن أبى عَوانة عن الأعمش به ، وقال فيه : يخرج رجل من أهل بيتى يقال له السفاح . فذكره .

وهذا الإسناد على شرط أهل السنن ولم يخرجوه .

* * *

فهذه الأخبار فى خروج الرايات السود من خراسان وفى ولاية السفاح ، وهو أبو العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وقد وقعت ولايته فى حدود سنة ثلاثين ومائة ، ثم ظهر بأعوانه ومعهم الرايات السود ، وشعارهم السواد ، كما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح ، وعلى رأسه المغفر وفوقه عمامة سوداء .

ثم بعث عمه عبد الله [بن على][2] لقتال بنى أمية ، فكسرهم فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وهرب من المعركة آخرُ خلفائهم ، وهو مروان بن محمد بن مروان

---

(١) المطبوعة : رشد بن سعد . وهو تحريف . (٢) من ا .

ويلقب بمروان الحمار ، ويقال له مروان الجَعْدى ، لاشتغاله على الجعد بن درهم فيما قيل، ودخل عمه دمشق واستحوذ على ما كان لبنى أمية من الملك والأملاك والأموال ، وجرت خطوب كثيرة أوردناها فى موضعها .

وقد ورد عن جماعة من السلف فى ذكر الرايات السود التى تخرج من خراسان بما تطول ذكره ، وقد استقصى ذلك نُعَيم بن حماد فى كتابه ، وفى بعض الروايات مايدل على أنه لم يقع أمرها بعد ، وأن ذلك يكون فى آخر الزمان .

***

وقد روى عبد الرزاق عن مَعْمَر ، عن الزهرى ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتقوم الساعة حتى تكون الدنيا للكع بن لكع .

قال أبو معمر : هو أبو مسلم الخراسانى — يعنى الذى أقام دولة بنى العباس — والمقصود أنه تحولت الدولة من بنى أمية إلى بنى العباس فى هذه السنة ، وكان أول قائم منهم أبو العباس السفاح ، ثم أخوه أبو جعفر عبد الله المنصور بانى مدينة السلام ، ثم من بعده ابنه المهدى محمد بن عبد الله ، ثم من بعده ابنه الهادى ، ثم ابنه الآخر هارون الرشيد ، ثم انتشرت الخلافة فى ذريته .

وقد نطقت هذه الأحاديث التى أوردناها آنفا بالسفاح والمنصور والمهدى ، ولا شك أن المهدى الذى هو ابن المنصور ثالث خلفاء بنى العباس ، ليس هو المهدىّ الذى وردت الأحاديث المستفيضة بذكره ، وأنه يكون فى آخر الزمان ، يملأ الأرض عَدْلا وقِسْطا كما ملئت جَوْراً وظلماً ، وقد أفردنا للأحاديث الواردة فيه جزءاً على حدة ، كما أفرد له أبو داود كتاباً فى سننه ، وقد تقدم فى بعض هذه الأحاديث آنفاً أنه يُسَلِّم الخلافة إلى عيسى ابن مريم إذا نزل إلى الأرض ، والله أعلم .

وأما السفاح فقد تقدم أنه يكون فى آخر الزمان ، فيبعد أن يكون هو الذى بويع

أول خلفاء بنى العباس قد يكون خليفة آخر ، وهذا هو الظاهر ، فإنه قد روى نعيم بن حماد ، عن ابن وهب ، عن ابن لَهِيعة ، عن يزيد بن عمرو المعافرى بن قدوم الحميْرى ، سمع تبيع [1] بن عامر يقول : يعيش السفاح أربعين سنة اسمه فى التوراة طائر السماء .

قلت : وقد تكون صفة للمهدى الذى يظهر فى آخر الزمان لكثرة مايَنفح أى يريق من الدماء لإقامة العدل ، ونشر القسط ، وتكون الرايات السود المذكورة فى هذه الأحاديث إن صحت هى التى تكون مع المهدى ، ويكون أول ظهور بيعته بمكة ، ثم تكون أنصاره من خراسان ، كما وقع قديما للسفاح ، والله تعالى أعلم .

هذا كله تفريع على صحة هذه الأحاديث ، وإلا فلا يخلو سند منها عن كلام ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

ذكر الإخبار عن الأئمة الاثنى عشر الذين كلهم من قريش

وليس بالاثنى عشر الذين يدّعون إمامتهم الرافضةُ فإن هؤلاء الذين يزعمون لم يلِ أمورَ الناس منهم إلا على بن أبى طالب وابنه الحسن ، وآخرهم فى زعمهم المهدى المنتظر فى زعمهم بسرداب سامرّا وليس له وجود ، ولا عين ، ولا أثر ، بل هؤلاء من الأئمة الاثنى عشر المخبر عنهم فى الحديث ، الأئمة الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ، رضى عنهم ، ومنهم عمر بن عبد العزيز بلا خلاف بين الأئمة على كلا القولين لأهل السنة فى تفسير الاثنى عشر كما سنذكره بعد إيراد الحديث .

ثبت فى صحيح البخارى من حديث شعبة ، ومسلم من حديث سفيان بن عُيَينة ، كلاهما عن عبد الملك بن عُمَير ، عن جابر بن سمرة ، قال : سمعت رسول الله صلى الله

---

(١) المطبوعة تبيع .

عليه وسلم يقول : يكون اثنا عشر خليفة ، ثم قال كلمة لم أسمعها ، فقلت لأبي : ماقال ؟ قال : قال كلهم من قريش .

وقال نُعَيم (١) بن حماد فى كتاب الفتن والملاحم : حدثنا عيسى بن يونس ، حدثنا مجالِد ، عن الشَّعبي ، عن مَسْروق ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يكون بعدى من الخلفاء عدةُ أصحاب موسى .

وقد روى مثل هذا عن عبد الله بن عمر و حذيفة وابن عباس وكعب الأحبار من قولهم .

وقال أبو داود : حدثنا عمرو بن عثمان ، حدثنامروان بن معاوية ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبيه ، عن جابر بن سَمُرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لايزال هـذا الأمر قائما حتى يكون عليهم اثنا عشر خليفة أو أميراً كلهم يجتمع عليهم الأمة . وسمعت كلاماً من النبي صلى الله عليـه وسلم لم أفهمه ، فقلت لأبى : ما يقول ؟ قال : يقول : كلهم من قريش .

وقال أبو داود أيضا : حدثنا ابن نُفَيل ، حدثنا زهير بن معاوية ، حـدثنا زياد بن خيثمة ، حدثنا الأسود بن سعيد الهمْدانى ، عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتزال هذه الأمة مستقيما أمرها ، ظاهرة على عدوّها ، حتى يمضى اثنـا عشر خليفة كلهم من قريش .

قال : فلما رجع إلى منزله أتته قريش فقالوا : ثم يكون ماذا ؟ قال : ثم يكون الهرْج .

قال البيهقى : ففى الرواية الأولى بيان العدد ، وفى الثانية بيان المراد بالعـدد ، وفى

(١) المطبوعة : أبو نعيم . وهو تحريف .

الثالثة بيان وقوع الهرج ، وهو القتل بعدهم ، وقد وجد هذا العدد بالصفة المذكورة إلى وقت الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، ثم وقع الهرج والفتنة العظيمة ، كما أخبر فى هذه الرواية ، ثم ظهر ملك العباسية ، كما أشار إليه فى الباب قبله ، وإنما يزيدون على العدد المذكور فى الخبر ، إذا تركت الصفة المذكورة فيه أو عد منهم من كان بعد الهرج المذكور فيه .

وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : لايزال هذا الأمر فى قريش مابقى من الناس اثنان .

ثم ساقه من حديث عاصم بن محمد عن أبيه ،عن ابن عمر، عن النبى صلى الله عليه وسلم فذكره . وفى صحيح البخارى من طريق الزهرى ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن معاوية بن أبى سفيان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الأمر فى قريش لايعاديهم أحد إلا كبَّه الله على وجهه ما أقاموا الدِّينَ . قال البيهقى : أى أقاموا معالمه وإن قصَّروا هم فى أعمال أنفسهم .

ثم ساق أحاديث بقية ماذكره فى هذا . والله أعلم .

* * *

فهذا الذى سلكه البيهقى وقد وافقه عليه جماعة ، من أن المراد بالخلفاء الاثنى عشر المذكورين فى هذا الحديث هم المتتابعون إلى زمن الوليد بن يزيد بن عبد الملك الفاسق الذى قدمنا الحديث فيه بالذم والوعيد ، فإنه مَسْلك فيه نظر .

وبيان ذلك:أن الخلفاء إلى زمن الوليد بن اليزيد هذا أكثر من اثنى عشر على كل تقدير ، وبرهانه أن الخلفاء الأربعة ، أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ، خلافتهم محقَّقة بنص حديث سَفِينة : الخلافة بَعْدى ثلاثون سنة . ثم بعدهم الحسن بن على كما وقع ، لأن علياً أوصى إليه ، وبايعه أهلُ العراق، وركب وركبوا معه لقتال أهل الشام حتى اصطلح هو

ومعاوية ، كما دل عليه حديث أبى بَكْرة فى صحيح البخارى ، ثم معاوية ، ثم ابنه يزيد بن معاوية ، ثم ابنه معاوية بن يزيد ، ثم مروان بن الحكم ، ثم ابنه عبد الملك بن مروان ، ثم ابنه الوليد بن عبد الملك ، ثم سليمان بن عبد الملك ، ثم عمر بن عبد العزيز ، ثم يزيد بن عبد الملك ، ثم هشام بن عبد الملك ، فهؤلاء خمسة عشر ، ثم الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، فإن اعتبرنا ولاية ابن الزبير[1] قبل عبد الملك صاروا ستة عشر ، وعلى كل تقدير فهم اثنا عشر قبل عمر بن عبد العزيز .

فهذا الذى سلكه على هذا التقدير يدخل فى الاثنى عشر يزيد بن معاوية ، ويخرج منهم عمر بن عبد العزيز ، الذى أطبق الأئمة على شكره وعلى مدحه ، وعدُّوه من الخلفاء الراشدين ، وأجمع الناسُ قاطبةً على عَدْله ، وأن أيامه كانت من أعدل الأيام ، حتى الرافضة يعترفون بذلك .

فإن قال : أنا لا أعتبر إلا من اجتمعت الأمة عليه . لزمه على هذا القول ألا يعدّ عليَّ بن أبى طالب ولا ابنه ، لأن الناس لم يجتمعوا عليهما ، وذلك أن أهل الشام بكمالهم لم يبايعوهما ، وعد حينئذ[2] معاوية وابنه يزيد وابن ابنه معاوية بن يزيد ولم يعتد[3] بأيام مروان ولا ابن الزبير ، لأن[4] الأمة لم تجتمع على واحد منهما .

فعلى هذا نقول فى مسلكه هذا عادّاً للخلفاء أبى بكر وعمر وعثمان ثم معاوية ثم يزيد بن معاوية ثم عبد الملك ثم الوليد بن سليمان ثم عمر بن عبد العزيز ثم يزيد ثم هشام ، فهؤلاء عشرة ، ثم من بعدهم الوليد بن يزيد بن عبد الملك الفاسق ، ولكن هذا لا يمكن أن يسلك ، لأنه يلزم منه إخراج على وابنه الحسن من هؤلاء الاثنى عشر وهو خلاف مانص عليه أئمة السنة بل والشيعة ، ثم هو خلاف مادل عليه نصًّا حديث سفينة

(١) المطبوعة ولاية الزبير . وهو خطأ .

(٢) المطبوعة : حيث . وهو تحريف .

(٣) المطبوعة : ولم يقيد . وهو تحريف .

(٤) المطبوعة : كأن .

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : الخلافة بعدى ثلاثون سنة ، ثم تكون مُلكا عَضوضا .

وقد ذكر سفينة تفصيل هذه الثلاثين سنة فجمعها من خلافة الحسن وكانت نحواً من ستة أشهر فيها أيضا ، ثم صار الملك إلى معاوية لما سلَّم الأمرَ إليه الحسنُ بن على.

وهذا الحديث فيه للذم من تسمية معاوية خليفة ، وبيان أن الخلافة قد انقطعت بعد الثلاثين سنة لا مطلقا ، بل انقطع تتابعها ، ولا ينفى وجود خلفاء راشدين بعد ذلك ، كما دل عليه حديث جابر بن سمرة .

وقال نعيم بن حماد : حدثنا راشد بن سعد ، عن ابن لَهيعة ، عن خالد بن أبى عمران عن حذيفة بن اليمان ، قال : يكون بعد عثمان اثنا عشر مِلكا من بنى أمية ، قيل له : خلفاء ؟ قال : لا بل ملوك .

وقد روى البيهقى من حديث حاتم بن صفرة ، عن أبى بحر ، قال : كان أبو الجلد جاراً لى ، فسمعته يقول يَحْلف عليه : إن هذه الأمة لن تَهلك حتى يكون فيها اثنا عشر خليفة كلهم يعمل بالهدَى ودين الحق ، منهم رجلان من أهل البيت ، أحدهما يعيش أربعين سنة ، والآخر ثلاثين سنة .

ثم شرع البيهقى فى ردّ ما قاله أبو الجلد بما لا يَحْصل به الرد ، وهذا عجيب منه .

وقد وافق أبا الجلد طائفةٌ من العلماء ، ولعل قوله أرجح لما ذكرنا ، وقد كان ينظر فى شىء من الكتب المتقدمة .

وفى التوراة التى بأيدى أهل الكتاب ما معناه : إن الله تعالى بشر إبراهيم بإسماعيل وإنه سيُنَمّيه ويكثّره ويجعل من ذريته اثنى عشر عظيما .

قال شيخنا العلامة أبو العباس بن تيمية : وهؤلاء المبشَّر بهم فى حديث جابر بن سمرة ، وقرر أنهم يكونون مفرّقين فى الأمة ، ولا تقوم الساعة حتى يوجدوا .

وغلط كثير ممن تشرف بالإسلام من اليهود فظنوا أنهم الذين تدعو إليهم فرقة الرافضة فاتبعوهم .

وقد قال نعيم بن حماد : حدثنا ضمرة ، عن ابن شَوْذَب ، عن أبى المنهال ، عن أبى زياد ، عن كعب قال : إن الله وهب لإسماعيل من صلبه اثنى عشر قيما ، أفضلهم أبو بكر وعمر وعثمان .

وقال نعيم : حدثنا ضمرة ، عن ابن شوذب ، عن يحيى بن عمرو الشيبانى قال : ليس من الخلفاء من لم يملك المسجدين : المسجد الحرام ومسجد بيت المقدس [1] .

ذكر الإخبار عن أمور وقعت فى دولة بنى العباس إلى زماننا هذا

فمن ذلك نبأ أبى جعفر [2] عبدالله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس الخليفة بعد أخيه الخليفة السفاح وهو المنصور البانى لمدينة بغداد ، فى سنة خمس وأربعين ومائة .

قال نعيم بن حماد فى كتابه : عن أبى المغيرة ، عن أرطاة بن المنذر ، عمن حدثه ، عن ابن عباس أنه أتاه رجل وعنده حذيفة فقال : يا ابن عباس قوله حمعسق . فأطرق ساعة وأعرض عنه ، ثم كررها فلم يجبه بشىء ، فقال له حذيفة : أنا أنبئك ، وقد عرفت لم كرهها [3] ، إنما نزلت فى رجل من أهل بيته يقال له عبد الإله ، أو عبد الله ، ينزل على نهر من أنهار المشرق ، يبنى عليه مدينتين يشق النهرَ بينهما شقاً ، يجتمع فيهما كل جبار عنيد.

وقال أبو القاسم الطبرانى : حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة الحَوْطِى ، حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا عبد الله بن السمط [حدثنا] [4] صالح بن على الهاشمى ، عن أبيه ،

---

(١) غير ا : المسجد الأقصى .
(٢) المطبوعة : فمن ذلك : حدثنا أبو جعفر عبد الله . وهو تحريف .
(٣) المطبوعة : كرزها . (٤) سقطت من ا .

عن جده ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لأن يربّي أحدُكم بعدَ أربع وخمسين ومائة جَرْو كلب خيرٌ من أن يربى ولداً لصلبه .

قال شيخنا الذهبي : هذا الحديث موضوع ، واتهم به عبد الله بن السمط هذا .

وقال نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري ، فى كتابه الفتن والملاحم : حدثنا أبو بكر البصري ، عن أبي بيان للمَافِرِىّ ، عن تبيع ، عن كعب قال : إذا كانت سنة ثنتين ومائة انتقص فيها حِلم ذوى الأحلام ، ورأى ذوى الرأى .

حديث آخر

فيه إشارة إلى مالك بن أنس الإمام رحمه الله

روى الترمذى من حديث ابن عُيَينة ، عن ابن جُرَيج ، عن أبي الزبير ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رواية : يوشك أن يَضْرب الناسُ أكبادَ الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أحداً أعلَم من عالم المدينة .

ثم قال : هذا حديث حسن ، وهو حديث ابن عيينة ، وقد روى عنه أنه قال : هو مالك بن أنس ، وكذا قال عبد الرزاق .

قلت : وقد توفى مالك رحمه الله سنة تسع وسبعين ومائة .

حديث آخر

فيه إشارة إلى محمد بن إدريس الشافعى

قال أبو داود الطيالسى : حدثنا جعفر بن سليمان ، عن النضر بن مَعْبد الكندى أو العَبْدَلى ، عن الجارود ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تسبُّوا قريشاً فإن عالمها يملأ الأرض علما ، اللهم إنك أذقتَ أولها وبالا فأذِقْ آخرها نوالا .

وقد رواه الحاكم من طريق أبى هريرة .

قال الحافظ أبو نعيم الأصبهانى : هو الشافعى .

قلت : وقد توفى الشافعى رحمه الله فى سنة أربع ومائتين ، وقد أفردنا ترجمته فى مجلد وذكرنا معه تراجم أصحابه من بعده .

حديث آخر

روى روّاد بن الجراح ، عن سفيان الثورى ، عن منصور ، عن رِبْعِىّ ، عن حذيفة مرفوعا : خيركم بعد المائتين خفيف الحاذ . قالوا : وما خفيف الحاذ يارسول الله ؟ قال : من لا أهل له ولا مال ولا ولد .

حديث آخر

قال ابن ماجه : حدثنا الحسن بن على الخلّال ، حدثنا عَون بن عمارة ، حدثنى عبد الله بن المثنّى ، حدثنا ثُمامة بن عبد الله بن أنس بن مالك ، عن أبيه ، عن جده أنس بن مالك ، عن أبى قَتادة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الآيات بعد المائتين .

وحدثنا نصر بن على الجَهْضَمِىّ ، حدثنا نوح بن قيس ، حدثنا عبد الله بن معقل ، عن يزيد الرقاشى ، عن أنس بن مالك ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أمتى على خمس طبقات ، فأربعون سنة أهل بر وتقوى ، ثم الذين يَلُونهم إلى عشرين ومائة سنة أهل تراحم وتواصل ، ثم الذين يلونهم إلى ستين ومائة أهل تدابر وتقاطع ، ثم الهرج [الهرج (1)] النَّجاء النجاء .

وحدثنا نصر بن على ، حدثنا حازم أبو محمد العنزى ، حدثنا المِسْوَر بن الحسن ،

---

(1) ليست و ا .

عن أبي معن ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمتى على خمس طبقات كل طبقة أربعون عاما ، فأما طبقتى وطبقة أصحابى فأهل علم وإيمان ، وأما الطبقة الثانية ما بين الأربعين إلى الثمانين ، فأهل بر وتقوى . ثم ذكر نحوه .

هذا لفظه وهو حديث غريب من هذين الوجهين ، ولا يخلو عن نكارة . والله أعلم .

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا وَكِيع، حدثنا[1] الأعمش ، حدثنا هلال بن يساف[2] عن عمران بن حُصَين ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خير الناس قَرْنى ثم الذين يَلُونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتى[3] قوم يتسمّنون يحبون السمن يُعطُون الشهادةَ قبل أن يُسألوها .

ورواه الترمذى من حديث[4] الأعمش .

وقد رواه البخارى ومسلم من حديث شعبة ، عن أبى جَمْرة[5] ، عن زَهْدَم بن مُضَرِّب سمعت عمران بن حُصَين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خير أمتى قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ـ قال عمران : فلاأدرى أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة[6] ـ ثم إن بعدكم قوما يَشْهدون ولا يُستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون ، ويَنْذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السِّمَن .

لفظ البخارى .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن كثير ، أخبرنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم، عن عبيدة ، عن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : خير القرون قَرْنى ، ثم

---

(١) المطبوعة : حدثنا وكيع بن الأعمش . وهو تحريف .

(٢) المطبوعة : هلال بن بيان ، وهو تحريف .

(٣) غير ا : يجىء .

(٤) غير ا : من طريق .

(٥) المطبوعة : عن أبى حمزة ، وهو خطأ .

(٦) ا : أو ثلاثا .

الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء قوم تسبق شهادةُ أحدهم يمينَه ويمينُه شهادته

قال ابراهيم : وكانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار .

وقد رواه بقية الجماعة إلا أبا داود من طرق متعددة عن منصور به .

حديث آخر

قال نعيم بن حماد : حدثنا أبو عمرو البصرى ، عن ابن لَهيعة ، عن عبد الوهاب بن حسين ، عن محمد بن ثابت البنانى ، عن أبيه ، عن الحارث الهَمْدانى ، عن ابن مسعود ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : السابع من ولد العباس يدعو الناس إلى الكفر فلا يجيبونه ، فيقول له أهل بيته : تريد أن تُخرجنا من معايشنا ؟ فيقول : إنى أسير فيكم بسيرة أبى بكر وعمر ، فيأبَون عليه فيقتله عدوّ له من أهل بيته من بنى هاشم ، فإذا وثب عليه اختلفوا فيما بينهم . فذكر اختلافا طويلا إلى خروج السُّفيانى .

وهذا الحديث ينطبق على عبد الله المأمون الذى دعا الناس إلى القول بخَلْق القرآن ، ووقى الله شرها ، كما أوردناه فى موضعه ، والسُّفيانى رجل يكون آخر الزمان منسوب إلى أبى سفيان يكون من سلالته وقد ذكرته فى كتاب الملاحم .

حديث آخر

قال الإمام أحمد : حدثنا هاشم ، حدثنا ليث ، عن معاوية بن صالح ، عن عبد الرحمن ابن جُبَير ، عن أبيه سمعت أبا ثعلبة الخُشَنى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سمعه يقول وهو بالفسطاط فى خلافة معاوية وكان معاوية أغزَى الناسَ القسطنطينيةَ فقال : والله لاتَعجز هذه الأمة من نصف يوم ، إذا رأيتَ الشام مائدةَ رجل واحد وأهل بيته ، فعند ذلك فَتْح القسطنطينية .

هكذا رواه أحمد موقوفا على أبى ثعلبة ، وقد أخرجه أبو داود فى سننه من حديث ابن وهب ، عن معاوية بن صالح ، عن عبد الرحمن بن جبير ، عن أبيه عن أبى ثعلبة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لن يُعجز الله هذه الأمة من نصف يوم .

تفرد به أبو داود .

ثم قال أبو داود : حدثنا عمرو بن عثمان ، حدثنا أبو المغيرة ، حدثنى صفوان ، عن شُرَيح بن عبيد ، عن سعد بن أبى وقاص ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : إنى لأرجو أن لا يُعجز أمتى عند ربها أن يؤخّرهم نصفَ يوم . قيل لسعد : وكم نصف يوم ؟ قال : خمسمائة [سنة][1] .

تفرد به أبو داود وإسناده جيد .

وهذا من دلائل النبوة ، فإن هذا يقتضى وقوع تأخير الأمة نصف يوم وهو خمسمائة سنة كما فسره الصحابى ، وهو مأخوذ من قوله تعالى : « وإنّ يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدُّون » .

ثم هذا الإخبار بوقوع هذه المدة لا ينفى وقوع مازاد عليها . فأما مايذكره كثير من الناس من أنه عليه السلام لا يؤلَّف فى قبره ، بمعنى لا يمضى عليه ألف سنة من يوم مات إلى حين تقام الساعة ، فإنه حديث لا أصل له فى شىء من كتب الإسلام . والله أعلم .

حديث آخر

فيه الإخبار عن ظهور النار التى كانت بأرض الحجاز حتى أضاءت لها أعناق الإبل ببُصرَى .

وقد وقع هذا فى سنة أربع وخمسين وستمائة .

قال البخارى فى صحيحه : حدثنا أبو اليمَان ، حدثنا شُعيب ، عن الزهرى قال : قال

(١) ليست فى ا .

سعيد بن المسيِّب : أخبرنى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لاتقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناقُ الإبل ببُصْرى .

تفرد به البخارى .

وقد ذكر أهل التاريخ وغيرهم من الناس ، وتواتر وقوع هذا فى سنة أربع وخمسين وستمائة .

قال الشيخ الإمام الحافظ شيخ الحديث وإمام المؤرخين فى زمانه ، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل الملقب بأبى شامة فى تاريخه : إنها ظهرت يوم الجمعة فى خامس جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة ، وأنها استمرت شهراً وأزيدَ منه ، وذكر كتبا متواترة[1] عن أهل المدينة ، فى كيفية ظهورها شرقىَّ المدينة من ناحية وادى شَظَا ، تلقاء أُحد ، وأنها ملأت تلك الأودية ، وأنه يخرج منها شرَر يأكل الحجارة ، وذكر أن المدينة زُلزلت بسببها ، وأنهم سمعوا أصواتا مزعجة قبل ظهورها بخمسة أيام ، أول ذلك مستهلَّ الشهر يوم الاثنين ، فلم تزل ليلا ونهارا حتى ظهرت يوم الجمعة فانبجست تلك الأرض عند وادى شَظَا عن نار عظيمة جدا صارت مثل [الوادى][2] طوله أربعة فراسخ فى عرض أربعة أميال وعمقه قامة ونصف ، يسيل الصخر حتى يبقى مثل الآنك[3] ، ثم يصير كالفحم الأسود ، وذكر أن ضوءها مُدَّ إلى تَيْماء بحيث كتب الناس على ضوئها فى الليل ، وكأن فى بيت كل منهم مصباحاً ، ورأى الناس سَنَاها من مكة شرفها الله .

قلت : وأما بُصْرى فأخبرنى قاضى القضاة صدر الدين على بن أبى قاسم التَّيمى الحنفى

---

(١) ا متواتراً .

(٢) سقطت من المطبوعة .

(٣) الآنك : الرصاص المذاب .

قال : أخبرنى والدى ، وهو الشيخ صفى الدين أحد مدرّسى بُصْرى ، أنه أخبره غير واحد من الأعراب صبيحة تلك الليلة من كان بحاضرة بلد بصرى ، أنهم رأوا صفحات أعناق إبلهم فى ضوء هذه النار التى ظهرت من أرض الحجاز .

وقد ذكر الشيخ شهاب الدين أن أهل المدينة لجأوا فى هذه الأيام إلى المسجد النبوى ، وتابوا إلى الله من ذنوب كانوا عليها ، واستغفروا عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم مما سلف منهم وأعتقوا الغلمان ، وتصدقوا على فقرائهم ومحاويجهم وقد قال قائلهم فى ذلك :

يا كاشف الضر صفحاً عن جرائمنا ... فقد أحاطت بنا يارب بأساء

نشكو إليك خطوبا لا نُطيق لها ... حَمْلاً ونحن بها حقًّا أحقّاء

زلازل تَخْشع الصمُّ الصِّلادُ لها ... وكيف تَقْوى على الزلزال صَمّاء

أقام سبعاً يرُجّ الأرضَ فانصدعت ... عن منظرٍ منه عينُ الشمس عشواء

بحرٌ من النار تجرى فوقه سفنٌ ... من الهضَاب لما فى الأرض إرْساء

يُرى لها شَرر كالقصر طائشة ... كأنها دِيمة تنصَبُّ هَطْلاء

تنشق منها قلوبُ الصخر إن زَفرتْ ... رُعباً وتُرعد مثل الشُّهب أضواء

منها تكاثف فى الجو الدُّخَانُ إلى ... أن عادت الشمس منه وهى دَهْماء

قد أثَّرت سَعْفَةً فى البدر لفحتُها ... فليلةُ التِّمِّ بعد النور لَيلاء

فيالها آيةً من معجزات رسو ... ل الله يعقلها القومُ الألبّاء

ومما قيل فى هذه النار مع غرق بغداد فى هذه السنة :

سبحان من أصبحت مشيئته ... جارية فى الورى بمقدارِ

أغرقَ بغدادَ بالمياه كما ... أحرق أرضَ الحجاز بالنارِ

حديث آخر

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر ، حدثنا أفلح بن سعيد الأنصارى ، شيخ من أهل قباء من الأنصار ، حدثنى عبد الله بن رافع مولى أم سلمة ، قال : سمعت أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن طالت بكم مدة أوشك أن تَروا قوما يَغْدُون فى سخط الله ويروحون فى لعنته ، فى أيديهم مثل أذناب البقر .

ورواه مسلم عن محمد بن عبد الله بن نُمَير ، عن زيد بن الحُبَاب ، عن أفلح بن سعيد به .

وروى مسلم أيضا عن زهير بن حرب ، عن جرير ، عن سهيل ، عن أبيه عن أبى هريرة قال : قال صلى الله عليه وسلم : صنفان من أهل النار لم أرهما بعد ، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البُخْت المائلة ، لايَدْخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مَسيرة كذا وكذا .

وهذان الصنفان وهما الجلاّدون الذين يسمون بالرجّالة ، والجاندارية ، كثيرون فى زماننا هذا ومن قَبله وقبل قَبله بدَهْر ، والنساء الكاسيات العاريات ، أى عليهن لبس لايوارى سوآتهن ، بل هو زيادة فى العورة وإبداء للزينة ، مائلات فى مشيهن مميلات غيرهن إليهن ، قد عم البلاء بهن فى زماننا هذا ، ومن قبله أيضا ، وهذا من أكبر دلالات النبوة ؛ إذ وقع الأمر فى الخارج طبق ما أخبر به عليه السلام .

وقد تقدم حديث جابر : أمَا إنها ستكون لكم أنماط . وذكر تمام الحديث فى وقوع ذلك واحتجاج امرأته عليه بهذا .

حـديث آخر

روى الإمام أحمد ، عن عبدالصمد بن عبدالوارث ، عن داود بن أبى هند، وأخرجه البيهقى من حديثه عن أبى حرب بن أبى الأسود الدؤلى ، عن طلحة بن عمرو البصرى أنه قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هو يصلى إذ أتاه رجل فقال : يارسول الله أحرق بطوننا التمر وتخرّقت عنا الخِيَف[1] .

قال : فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : لقد رأيتنى وصاحبى وما لنا طعام غير البَرِير[2] حتى أتينا إخواننا من الأنصار فآسَوْنا من طعامهم وكان طعامهم التمر ، والذى لا إله إلا هو لو قدرت لكم على الخبز والتمر لأطعمتكموه ، وسيأتى عليكم زمان أو من أدركه منكم يلبسون مثل أستار الكعبة ، ويُغْدَى ويراح عليكم بالجفان .

قالوا : يارسول الله أنحن يومئذ خير أم اليوم ؟ قال : بل أنتم اليوم خير ، أنتم اليوم إخوان ، وأنتم يومئذ يضرب بعضكم رقاب بعض .

وقد روى سفيان الثورى ، عن يحيى بن سعيد ، عن أبى موسى يحنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا مشت أمتى المطَيْطاَ[3] وخدمتهم فارس والروم ، سلط الله بعضهم على بعض .

وقد أسنده البيهقى من طريق موسى بن عبيدة ، عن عبد الله بن [أبى][4] دينـار عن ابن عمر ، عن النبى صلى الله عليه وسلم .

حـديث آخر

قال أبو داود : حدثنا سليمان بن داود المهرى ، حدثنا ابن وهب ، حدثنا سعيد بن

---

(١) الخيف : الثياب المرقعة .
(٢) البرير : الأول من ثمر الأراك .
(٣) المطيطا : التبختر ومد اليدين فى المشى .
(٤) سقطت من المطبوعة .

أبي أيوب ، عن شراحيل بن زيد المعافري، عن أبي علقمة ، عن أبي هريرة ،فيما أعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها .

قال أبو داود : عبد الرحمن بن شريح الإسكندراني لم يحدثه شُرَاحيل .

تفرد به أبو داود .

وقد ذكر كل طائفة من العلماء في رأس كل مائة سنة عالما من علمائهم يُنْزلون هذا الحديث عليه ، وقال طائفة من العلماء : الصحيح [1] أن الحديث يشمل كل فرد من آحاد العلماء من هذه الأعصار ممن يقوم بفرض الكفاية في أداء العلم عمن أدرك من السلف إلى من يدركه من الخلف ، كما جاء في الحديث من طرق مرسلة وغير مرسلة : يَحْمل هذا العلم من كل خلف عدوله يَنْفُون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين .

وهذا موجود ولله الحمد والمنة إلى زماننا هذا ، ونحن في القرن الثامن ، والله المسئول أن يختم لنا بخير وأن يجعلنا من عباده الصالحين ، ومن ورثة جنة النعيم آمين يارب العالمين .

وسيأتي الحديث المخرّج من الصحيح : لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك .

وفي صحيح البخاري : وهم بالشام .

وقد قال كثير من علماء السلف : إنهم أهل الحديث ، وهذا أيضا من دلائل النبوة، فإن أهل الحديث بالشام أكثر من سائر أقاليم الإسلام ، ولله الحمد ، ولاسيما بمدينة دمشق حماها الله وصانها ، كما ورد في الحديث الذي سنذكره أنها تكون مَعْقل المسلمين عند وقوع الفتن .

---

(١) الأصل : هل الصحيح . ولا معنى لها .

وفى صحيح مسلم عن النوّاس بن سَمْعان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر عن عيسى بن مريم أنه ينزل من السماء على المنارة البيضاء شرقى دمشق، ولعل أصل لفظ الحديث على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق ،وقد بلغنى أنه كذلك فى بعض الأجزاء ولم أقف عليه إلى الآن والله الميسر .

وقد جدِّدت هـذه المنارة البيضاء الشرقية بجامع دمشق بعد ما أحرقها النصارى من أيامنا هذه بعد سنة أربعين وسبعمائة ، فأقاموها من أموال النصارى مقاصّة على مافعلوا من العدوان وفى هـذا حكمة عظيمة وهو أن ينزل على هذه المبنيّة من أموالهم عيسى بن مريم نبى الله فيكذبهم فيما افتروه عليه من الـكذب عليه وعلى الله ، ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ، أى يتركها ولا يقبل من أحد منهم ولا من غيرهم إلا الإسلام ، يعنى أو يقتله ، وقد أخبر بهذا عنه رسول الله صلى الله عليـه وسلم وقرره عليه وسوغه له صلوات الله وسلامه عليـه دائما إلى يوم الدين وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان .

باب[1]

البينة على ذكر معجزات لرسول الله صلى الله عليه وسلم

مماثلة لمعجزات جماعة من الأنبياء قبله ، وأعلى منها ، خارجة عما اختُص به من المعجزات العظيمة التي لم تكن لأحد قبله منهم عليهم السلام

فمن ذلك القرآن العظيم الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، فإنه معجزة مستمرة على الآباد ، ولا يخفى برهانها ، ولا يتفحص[2] مثلها ، وقد تحدى به الثقلين من الجن والإنس على أن يأتوا بمثله أو بعشر سور أو بسورة من مثله ، فعجزوا عن ذلك ، كما تقدم تقرير ذلك فى أول كتاب المعجزات .

وقد سبق الحديث المتفق على إخراجه فى الصحيحين من حديث الليث بن سعد عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى ، عن أبيه ، عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما من نبى إلا وقد أوتى من الآيات ما آمن على مثله البشر ، وإنما كان الذى أوتيت وحياً أوحاه الله إلىّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة .

والمعنى أن كل نبى أوتى من خوارق المعجزات مايقتضى إيمان من رأى ذلك من أولى البصائر والنهى ، لامن أهل العناد والشقاء ، وإنما كان الذى أوتيته ، أى جُله وأعظمه وأبهره ، القرآن الذى أوحاه الله إلىّ ، فإنه لايبيد ولا يذهب كما ذهبت معجزات الأنبياء وانقضت بانقضاء أيامهم ، فلا تشاهد ، بل يخبر عنها بالتواتر والآحاد ، بخلاف

---

(١) من هنا إلى آخر الكتاب سقط من ا . (٢) كذا ، والفحص : البحث وشدة الطلب .

القرآن العظيم الذى أوحاه الله إليه فإنه معجزة متواترة عنه ، مستمرة دائمة البقاء بعده ، مسموعة لكل من ألقى السمع وهو شهيد .

وقد تقدم فى الخصائص(١) ذكر مااختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بقية إخوانه من الأنبياء عليهم السلام ، كما ثبت فى الصحيحين عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أُعطيت خمساً لم يُعطهن أحدٌ قبلى : نُصرت بالرُّعب مَسيرةَ شهر ، وجُعلت لى الأرض مسجداً وطَهوراً ، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصلِّ ، وأُحلت لى الغنائم ولم تَحلَّ لأحدٍ قَبلى ، وأُعطيت الشفاعةَ ، وكان النبى يُبعث إلى قومه ، وبُعثت إلى الناس عامة .

وقد تكلمنا على ذلك وما شاكله فيما سلف بما أغنى عن إعادته ولله الحمد .

وقد ذكر غير واحد من العلماء أن كل معجزة [لنبى] من الأنبياء فهى معجزة لخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم وذلك أن كلا منهم بشَّر بمبعثه ، وأمر بمتابعته ، كما قال تعالى : « وإذ أخذ الله ميثاقَ النبيّين لما آتيتكم من كتابٍ وحكمة ثم جاءكم رسول مصدِّق لما معكم لتؤمنُنّ به ولتَنْصُرنه . قال : أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى ؟ قالوا أقررنا . قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ، فمن تولّى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون(٢) » .

وقد ذكر البخارى وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : مابعث الله نبيا من الأنبياء إلا أخذ عليه العهد والميثاق لئن بُعث محمد وهو حىّ ليؤمنن به وليتبعنه ولينصرنه .

وذكر غير واحد من العلماء أن كرامات الأولياء معجزات للأنبياء ، لأن الولى إنما نال ذلك ببركة متابعته لنبيه ، وثواب إيمانه .

---

(١) لم يتقدم ذلك فى هذا الكتاب ، وقد ذكر المؤلف فى المقدمة أنه سيفرد باباً للخصائص ولم يرد فى الكتاب.
(٢) سورة آل عمران ٨١ ، ٨٢.

والمقصود أنه كان الباعث لى على عَقْد هذا الباب أنى وقفت على مَوْلد لختصره من سيرة الإمام محمد بن إسحاق بن يسَار وغيرهما شيخُنا الإمام العلامة شيخ الإسلام كمال الدين أبو المعالى محمد بن على الأنصارى السِّماكى ، نسبةً إلى أبى دُجَانة الأنصارى سِماك بن حرب بن خَرشة الأَوْسى ، رضى الله عنه، شيخ الشافعية فى زمانه بلامدافعة ، المعروف بابن الزَّمْلَكانى عليه رحمة الله ، وقد ذكر فى أواخره شيئا من فضائل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعقد فصلا فى هذا الباب فأورد فيه أشياء حسنة ، ونبه على فوائد جَمّة ، وفوائد مهمة ، وترك أشياء أخرى حسنة ، ذكرها غيره من الأئمة المتقدمين ، ولم أره استوعب الكلام إلى آخره ، فإما أنه قد سقط من خطه ، أو أنه لم يكمل تصنيفه ، فسألنى بعض أهله من أصحابنا ممن تتأكد إجابته ، وتكرر ذلك منه ، فى تكميله وتبويبه وترتيبه ، وتهذيبه ، والزيادة عليه والإضافة إليه ، فاستخرت الله حينا من الدهر ، ثم نشطت لذلك ابتغاء الثواب والأجر .

وقد كنت سمعت من شيخنا الإمام العلامة الحافظ ، أبى الحجاج المِزِّى تغمده الله برحمته ، أن أول من تكلم فى هذا المقام الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعى رضى الله عنه .

وقد روى الحافظ أبو بكر البيهقى رحمه الله فى كتابه دلائل النبوة ، عن شيخه الحاكم أبى عبد الله ، أخبرنى أبو أحمد بن أبى الحسن ، أخبرنا عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى ، عن أبيه ، قال عمر بن سوار : قال الشافعى : ما أعطى الله نبيًّا مثلَ ما أعطى محمداً صلى الله عليه وسلم .

فقلت : أعطى عيسى إحياء الموتى . فقال : أعطى محمداً صلى الله عليه وسلم الجذع الذى كان يخطب إلى جنبه ، حين بنى له المنبر حنّ الجذع حتى سمع صوته ، فهذا أكبر من ذلك . هذا لفظه رضى الله عنه .

والمراد من إيراد ما نذكره فى هذا الباب ، البينة على ما أعطى الله أنبياءه عليهم السلام من الآيات البينات ، والخوارق القاطعات ، والحجج الواضحات ، وأن الله جمع لعبده ورسوله سيد الأنبياء وخاتمهم من جميع أنواع المحاسن والآيات ، مع ما اختصه الله به مما لم يؤتِ أحداً قبله ، كما ذكرنا فى خصائصه وشمائله صلى الله عليه وسلم .

ووقفت على فصل مليح فى هـذا المعنى ، فى كتاب دلائل النبوة للحافظ أبى نعيم ، أحمد بن عبـد الله الأصبهانى ، وهو كتاب حافل فى ثلاث مجلدات ، عقد فيه فصلا فى هذا المعنى ، وكذا ذكر ذلك الفقيه أبو محمد عبد الله بن حامد ، فى كتابه دلائل النبوة ، وهو كتاب كبير جليل حافل ، مشتمل على فرائد نفيسة ، وكذا الصَّرْصَرى الشـاعر يورد فى بعض قصائده أشياء من ذلك كما سيأتى .

وها أنا أذكر بعون الله مجامع ما ذكرنا من هـذه الأماكن المتفرقة بأوجز عبارة ، وأقصر إشـارة ، وبالله المستعان ، وعليه التـكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم .

القول فيما أوتى نوح عليه السلام

قال الله تعالى : « فدعا ربَّه أنى مغلوبٌ فانتصِرْ . ففتحنا أبوابَ السماء بماء مُنْهمر ، وفجرّنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قُدِر . وحملناه على ذات ألواح ودُسُر . تجرى بأعيننا جزاءً لمن كان كُفِر . ولقد تركناها آية فهل من مُدّكر [1] » .

وقد ذكرت القصة مبسوطة فى أول هذا الكتاب [2] وكيف دعا على قومه فنجاه الله ومن اتبعه من المؤمنين فلم يهلك منهم أحد ، وأغرق من خالفه من الكافرين فلم يَسْلم منهم أحد حتى ولا ولده .

قال شيخنا العلامة أبو المعالى محمد بن على الأنصارى الزَّمْلكانى ، ومن خطه نقلت: وبيان أن كل معجزة لنبى فلنبيّنا أمثالها إذا تمَّ يستدعى كلاما طويلا ، وتفصيلا لا يسعه مجلدات عديدة ، ولكن ننبه بالبعض على البعض ، فلنذكر جلائل معجزات الأنبياء عليهم السلام .

فمنها : نجاة نوح فى السفينة بالمؤمنين ، ولا شك أن حَمْل الماء للناس من غير سفينة أعظم من السلوك عليه فى السفينة ، وقد مشى كثير من الأولياء على متن الماء ، وفى قصة العلاء بن زياد ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم مايدل على ذلك .

روى مِنْجاب قال : غزونا مع العلاء بن الحَضْرَمى دارين ، فدعا بثلاث دعوات فاستجيبت له ، فنزلنا منزلا فطلب الماء فلم يجده ، فقام وصلى ركعتين وقال : اللهم إنا عبيدك وفى سبيلك ، نقاتل عدوّك ، اللهم اسقنا غيثا نتوضأ به ونشرب ، ولا يكون لأحد فيه نصيب غيرنا . فسرْنا قليلا فإذا نحن بماء حين أقلعت السماء عنه ، فتوضأنا منه وتزودنا

(١) سورة القمر ١٠ ـ ١٥ .

(٢) ذكر ابن كثير قصص الأنبياء فى الجزء الأول من البداية والنهاية .

وملأتُ إداوتى وتركتها مكانها حتى أنظر هل استجيب له أم لا ، فسرنا قليلا ثم قلت لأصحابى : نسيت إداوتى ، فرجعت إلى ذلك المكان فكأنه لم يصبه ماء قط .

ثم سرنا حتى أتينا دارين والبحر بيننا وبينهم ، فقال : ياعلىّ ياحكيم ، إنا عبيدك وفى سبيلك ، نقاتل عدوك ، اللهم فاجعل لنا إليهم سبيلا . فدخلنا البحرَ فلم يبلغ الماء لُبودَنا [١] ، ومشينا على متن الماء ولم يبتلّ لنا شىء . وذكر بقية القصة .

فهذا أبلغ من ركوب السفينة ، فإن حمل الماء للسفينة معتاد ، وأبلغ من فَلْق البحر لموسى ، فإن هناك انحسر الماء حتى مشوا على الأرض ، فالمعجز انحسار الماء ، وها هنا صار الماء جداً يمشون عليه كالأرض ، وإنما هذا منسوب إلى النبى صلى الله عليه وسلم وبركته .

انتهى ماذكره بحروفه فيما يتعلق بنوح عليه السلام.

***

وهذه القصة التى ساقها شيخنا ، ذكرها الحافظ أبو بكر البيهقى فى كتابه الدلائل من طريق أبى بكر بن أبى الدنيا ، عن أبى كُرَيب ، عن محمد بن فضيل ، عن الصَّلْت بن مطر العجلى ، عن عبد الملك ابن أخت سَهْم ، عن سهم بن منْجاب قال : غزونا مع العلاء ابن الحضرمى . فذكره .

وقد ذكرها البخارى فى التاريخ الكبير من وجه آخر ، ورواها البيهقى من طريق أبى هريرة رضى الله عنه أنه كان مع العلاء وشاهد ذلك .

وساقها البيهقى من طريق عيسى بن يونس ، عن عبد الله ، عن عون ، عن أنس بن مالك ، قال : أدركتُ فى هذه الأمة ثلاثا لو كانت فى بنى إسرائيل لما تقاسمتها الأمم ، قلنا ما هن ياأبا حمزة ؟ قال : كنا فى الصُّفَّة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتته امرأة مهاجرة

---

(١) اللبود : ما يوضع تحت السروج .

ومعها ابن لها قد بلغ ، فأضاف المرأة إلى النساء ، وأضاف ابنها إلينا ، فلم يلبث أن أصابه وباء المدينة فمرض أياما ثم قُبض ، فغمضه النبيّ صلى الله عليه وسلم وأمر بجهازه ، فلما أردنا أن نغسله قال : ياأنس ائت أمه فأَعْلِمها . فأعلمتها. قال : فجاءت حتى جلست عند قدميه، فأخذت بهما ثم قالت :اللهم إني أسلمتُ لك طَوْعا ، وخلعت الأوثان ، فلا تحملني من هذه المصيبة مالا طاقة لي بحمله ، قال : فوالله ما انقضى كلامها حتى حرّك قدميه وألقى الثوب عن وجهه ، وعاش حتى قَبض الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، وحتى هلكت أمه .

قال أنس : ثم جهز عمر بن الخطاب جيشا واستعمل عليهم العلاء بن الحَضْرَمي .قال أنس : وكنت في غَزاته ، فأتينا مغازينا ، فوجدنا القوم قد بدَروا بنا فعفّوا آثار الماء ، والحر شديد ، فجهدنا العطشُ ودوابّنا ، وذلك يوم الجمعة ، فلما مالت الشمس لغروبها صلى بنا ركعتين ثم مد يده إلى السماء وما نرى في السماء شيئا ، قال : فوالله ماحطّ يده حتى بعث الله ريحا وأنشأ سحابا وأفرغت حتى ملأت الغُدُر والشِّعاب ، فشربنا وسقينا ركابنا واستقينا .

قال : ثم أتينا عدوّنا وقد جاوز خليجا في البحر إلى جزيرة ، فوقف على الخليج وقال : ياعلي ياعظيم ، ياحليم يا كريم . ثم قال : أجيزوا باسم الله ، قال : فأجزْنا مايبلّ الماء حوافرَ دوابنا ، فلم نلبث إلا يسيراً فأصبنا العدو عليه ، فقتلنا وأسَرْنا وسبَّينا ، ثم أتينا الخليج ، فقال مثل مقالته ، فأجزنا مايبلّ الماء حوافر دوابنا .

ثم ذكر موت العلاء ودفنهم إياه في أرض لاتقبل الموتى ، ثم إنهم حفروا عليه لينقلوه منها إلى غيرها فلم يجدوه ثَمّ ، وإذا اللحد يتلألأ نوراً ، فأعادوا التراب عليه ثم ارتحلوا .

فهذا السياق أتم ، وفيه قصة المرأة التي أحيا الله لها ولدها بدعائها ، وسننبه على

ذلك فيما يتعلق بمعجزات المسيح عيسى بن مريم ، مع مايشابهها إن شاء الله تعالى ، كما سنشير إلى قصة العلاء هذه مع ما سنورده معها هاهنا ، فيما يتعلق بمعجزات موسى عليه السلام ، فى قصة فلق البحر لبنى إسرائيل ، وقد أرشد إلى ذلك شيخنا فى عيون كلامه .

قصة أخرى تشبه قصة العلاء بن الحضرمى

روى البيهقى فى الدلائل ـ وقد تقدم ذلك أيضا ـ من طريق سليمان بن مروان الأعمش ، عن بعض أصحابه ، قال : انتهينا إلى دجلة وهى مادّة والأعاجم خلفها ، فقال رجل من المسلمين : باسم الله ، ثم اقتحم بفرسه فارتفع على الماء ، فقال الناس : باسم الله ثم اقتحموا فارتفعوا على الماء ، فنظر إليهم الأعاجم وقالوا : ديوان ، ديوان . أى مجانين ثم ذهبوا على وجوههم .

قال : فما فقد الناس إلا قَدحا كان معلّقا بعذَبة سَرْج ، فلما خرجوا أصابوا الغنائم واقتسموا ، فجعل الرجل يقول : من يبادل صفراء ببيضاء ؟

وقد ذكرنا فى السيرة العُمَرية وأيامها ، وفى التفسير أيضاً : أن أول من اقتحم دجلة يومئذ أبو عبيدة الثَّقَفِى أمير الجيوش فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وأنه نظر إلى دجلة فتلا قوله تعالى : « وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجّلا[1] » ثم سمّى الله تعالى واقتحم بفرسه الماء واقتحم الجيش وراءه ، ولما نظر إليهم الأعاجم يفعلون ذلك جعلوا يقولون : ديوان ديوان . أى مجانين مجانين ، ثم ولّوا مُدْبِرين ، فقتلهم المسلمون وغنموا منهم مغانم كثيرة .

---

(١) سورة آل عمران .

قصة أخرى شبيهة بذلك

وروى البيهقى من طريق أبى النضر، عن سليمان بن المغيرة، أن أبا مسلم الخَوْلانى جاء إلى دجلة وهى ترمى الخشب من مَدّها، فمشى على الماء والتفت إلى أصحابه، وقال: هل تفقدون من متاعكم شيئا فندعو الله تعالى ؟

ثم قال: هذا إسناد صحيح.

قلت: وقد ذكر الحافظ الكبير، أبو القاسم بن عساكر، فى ترجمة أبى عبد الله ابن أيوب الخولانى هذه القصة بأبسط من هذه من طريق بَقِيَّة بن الوليد، حدثنى محمد ابن زياد، عن أبى مسلم الخَوْلانى، أنه كان إذا غزا أرض الروم فمروا بنهر قال: أجيزوا باسم الله، قال: ويمر بين أيديهم فيمرون على الماء، فما يبلغ من الدواب إلا إلى الرُّكب أو فى بعض ذلك، أو قريباً من ذلك، قال: وإذا جازوا قال للناس: هل ذهب لكم شىء ؟ مَن ذهب له شىء فأنا ضامن. قال: فألقى مخلاة عمداً، فلما جاوزوا قال الرجل: مخلاتى وقعت فى النهر. قال له: اتبعنى، فإذا المخلاة تعلقت ببعض أعواد النهر، فقال: خذها.

وقد رواه أبو داود من طريق الأعرابى عنه، عن عمرو بن عثمان، عن بَقِيَّة به. ثم قال أبو داود: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا سليمان بن المغيرة، عن حُمَيد، أن أبا مسلم الخَوْلانى أتى على دجلة وهى ترمى بالخشب من مدها فوقف عليها ثم حمد الله وأثنى عليه وذكر مسير بنى إسرائيل فى البحر، ثم لَهَز دابته فخاضت الماء وتبعه الناس حتى قطعوا ثم قال: هل فقدتم شيئاً من متاعكم فأدعو الله أن يرده علىّ ؟

وقد رواه ابن عساكر من طريق أخرى، عن عبد الكريم بن رشيد، عن حميد

ابن هلال العدوى : حدثنى ابن عمى أخى أبى قال : خرجت مع أبى مسلم فى جيش فأتينا على نهر عجّاج مُنكَر ، فقلنا لأهل القرية : أين المخاضة ؟ فقالوا : ما كانت هاهنا مخاضة ، ولكن المخاضة أسفل منكم على ليلتين ، فقال أبو مسلم : اللهم أجزتَ بنى إسرائيل البحرَ ، وإنا عبيدك وفى سبيلك ، فأجِزْنا هذا النهر اليوم ، ثم قال : اعبروا باسم الله .

قال ابن عمى : وأنا على فرس فقلت : لأدفعنه أولَ الناس خلف فرسه . قال : فوالله مابلغ الماء بطونَ الخيل حتى عبرَ الناسُ كلهم ، ثم وقف وقال : يامعشر المسلمين ، هل ذهب لأحد منكم شىء فأدعو الله تعالى يردّه ؟

***

فهذه الكرامات لهؤلاء الأولياء ، هى معجزات لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم تقريره ، لأنهم إنما نالوها ببركة متابعته ، ويُمْن سفارته ، إذ فيها حُجة فى الدين ، أكيدة للمسلمين ، وهى مشابهة [لمعجزة] نوح عليه السلام فى مسيره فوق الماء بالسفينة التى أمره الله تعالى بعملها ، ومعجزة موسى عليه السلام فى فلق البحر .

وهذه فيها ماهو أعجب من ذلك ، من جهة مسيرهم على متن الماء من غير حائل ، ومن جهة أنه ماء جارٍ والسير عليه أعجب من السير على الماء القارّ الذى يُجاز ، وإن كان ماء الطوفان أطمَّ وأعظم ، فهذه خارق ، والخارق لافرق بين قليله وكثيره ، فإن من سلك على وجه الماء الخِضَمّ الجارى العَجّاج فلم يبتل منه نعالُ خيولهم ، أو لم يصلْ إلى بطونها ، فلا فرق فى الخارق بين أن يكون قامةً أو ألف قامة ، أو أن يكون نهراً أو بحراً ، بل كونه نهراً عَجّاجا كالبرق الخاطف والسيل الجارى ، أعظم وأغرب ، وكذلك بالنسبة إلى فَلْق البحر ، وهو جانب بحر القلْزم ، حتى صار كل فِرْق كالطَّود العظيم ، أى الجبل الكبير ، فانحاز الماء يمينا وشمالا حتى بدَتْ أرضُ البحر ، وأرسل الله عليها الريح حتى أيبسها ، ومشت الخيول عليها بلا انزعاج ، حتى جاوزوا عن آخرهم ، وأقبل فرعون

بجنوده « فغشيهم من اليمّ ما غشيهم وأضلَّ فرعونُ قومَه وما هدَى » وذلك أنهم لما توسطوه وهموا بالخروج منه ، أمر الله البحر فارتطم عليهم فغرقوا عن آخرهم ، فلم يفلت منهم أحد ، كما لم يفقد من بنى إسرائيل واحد ، ففى ذلك آية عظيمة بل آيات معدودات ، كما بسطنا ذلك فى التفسير ولله الحمد والمنة .

والمقصود أن ما ذكرناه من قصة العلاء بن الحضرمى ، وأبى عبد الله الثقفى ، وأبى مسلم الخولانى ، من مسيرهم على تيار الماء الجارى ، فلم يُفقد منهم أحد ، ولم يفقدوا شيئا من أمتعتهم ، هذا وهُمْ أولياء ، منهم صحابى وتابعيان ، فما الظن لو [كان] الاحتياج إلى ذلك بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سيد الأنبياء وخاتمهم ، وأعلاهم منزلة ليلة الإسراء ، وإمامهم ليلتئذ ببيت المقدس الذى هو محل ولايتهم ودار بدايتهم ، وخطيبهم يوم القيامة ، وأعلاهم منزلة فى الجنة ، وأول شافع فى الحشر ، وفى الخروج من النار ، وفى دخول الجنة ، وفى رفع الدرجات بها ، كما بسطنا أقسام الشفاعة وأنواعها ، فى أهوال يوم القيامة (١) ، والله المستعان .

وسنذكر فى المعجزات الموسوية ما ورد من المعجزات المحمدية ، مما هو أظهر وأبهر منها ، ونحن الآن فيما يتعلق بمعجزات نوح عليه السلام ، ولم يذكر شيخنا سوى ما تقدم .

* * *

وأما الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانى ، فإنه قال فى آخر كتابه فى دلائل النبوة ، وهو فى مجلدات ثلاث : الفصل الثالث والثلاثون فى ذكر موازنة الأنبياء فى فضائلهم ، بفضائل نبينا ، ومقابلة ما أوتوا من الآيات بما أوتى ، إذ أوتى ما أوتوا وشبهه ونظيره ، فكان أول الرسل نوح عليه السلام ، وآيته التى أوتى : شفاء غيظه ، وإجابة

---

(١) ذكر ابن كثير ذلك فى قسم النهاية من كتابه البداية والنهاية.

دعوته ، فى تعجيل نِقْمة الله لمكذّبيه ، حتى هلك من على بسيط الأرض من صامت وناطق ، إلا من آمن به ودخل معه فى سفينته ، ولعمرى إنها آية جليلة ، وافقت سابقَ قَدَر الله وما قد علمه من هلاكهم .

وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم لمّا كذبه قومه وبالغوا فى أذيته ، والاستهانة بمنزلته من الله عز وجل ، حتى ألقى السفيه عُقْبة بن أبى مُعَيط سلَا الجزور على ظهره وهو ساجد فقال : اللهم عليك بالملأ من قريش . ثم ساق الحديث عن ابن مسعود كما تقدم ، كما ذكرنا أنه فى صحيح البخارى وغيره فى وضع الملأ من قريش على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساجد عند الكعبة سَلا تلك الجزور ، واستضحاكهم من ذلك ، حتى أن بعضهم يميل على بعض من شدة الضحك ، ولم يزل على ظهره حتى جاءت ابنته فاطمة عليها السلام فطرحته عن ظهره ، ثم أقبلت عليهم تسبهم ، فلما سَلَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته رفع يديه فقال : اللهم عليك بالملأ من قريش ، ثم سمى فقال : اللهم عليك بأبى جهل وعتبة وشيبة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعُقْبة بن أبى مُعَيط وعمارة ابن الوليد .

قال عبد الله بن مسعود : فوالذى بعثه بالحق لقد رأيتهم صرعى يوم بدر ، ثم سُحِبوا إلى القَليب قليب بدر ، وكذلك لما أقبلت قريش يوم بدر فى عَددها وعديدها ، فحين عاينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رافعا يديه : اللهم هذه قريش جاءتك بفخرها وخُيَلائها ، تجادل وتكذّب رسولَك ، اللهم أحِنْهم[1] الغداةَ .

فقُتل من سَراتهم سبعون وأُسر من أشرافهم سبعون ، ولو شاء الله لاستأصلهم عن آخرهم ، ولكن من حِلْم وشرف نبيه أبقى منهم من سبق فى قَدَره أن سيؤمن به وبرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد دعا على عتبة بن أبى لهب أن يسلط عليه كلبه بالشام ، فقتله

---

(١) أحنهم : أهلكهم . وفى المطبوعة : أصبهم . وهو تحريف .

الأسدُ عند وادى الزرقاء قبل مدينة بُصْرى .

وكم له من مثلها ونظيرها[1]، كسبع يوسف فقحطوا حتى أكلوا العِلْهِز[2]، وهو الدم بالوبَر[3]، وأكلوا العظام وكل شىء ، ثم توصلوا إلى تراحمه وشفقته ورأفته ، فدعا لهم ، ففرج الله عنهم وسُقوا الغيث ببركة دعائه .

***

وقال الإمام الفقيه أبو محمد عبد الله بن حامد فى كتاب دلائل النبوة ـ وهو كتاب حافل ـ : ذِكْر ما أوتى نوح عليه السلام من الفضائل ، وبيان ماأوتى محمد صلى الله عليه وسلم مما يضاهى فضائله ويزيد عليها : إن قوم نوح لما بلغوا من أذيته والاستخفاف به ، وترك الإيمان بما جاءهم به من عند الله ، دعا عليهم فقال : « رب لاتذَرْ على الأرض من الكافرين دَيَّاراً » فاستجاب الله دعوته، وغرق قومه ، حتى لم يسلم شىء من الحيوانات والدواب إلا من ركب السفينة ، وكان ذلك فضيلةً أوتيها ، إذ أجيبت دعوته ، وشفى صدره بإهلاك قومه .

قلنا : وقد أوتى محمد صلى الله عليه وسلم مثلَه ، حين ناله من قريش ما ناله من التكذيب والاستخفاف ، فأنزل الله إليه ملَك الجبال وأمره بطاعته فيما يأمره به من إهلاك قومه ، فاختار الصبر على أذيتهم ، والابتهال فى الدعاء لهم بالهداية .

قلت : وهذا أحسن ، وقد تقدم الحديث بذلك[4] عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى قصة ذهابه إلى الطائف ، فدعاهم فآذَوه فرجع وهو مهموم ، فلما كان عند قَرن الثعالب ناداه ملك الجبال فقال : يامحمد إن ربك قد سمع قولَ قومك وما ردوا عليك،

---

(١) كذا ، ولعل فيها سقطا .
(٢) العلهز : طعام فى المجاعة . وفى المطبوعة : العكبر . وهو تحريف .
(٣) المطبوعة : بالوتر . وهو تحريف .
(٤) سبق ذلك فى الجزء الأول من السيرة .

وقد أرسلنى إليك لأفعل ماتأمرنى به ، فإن شئت أطبقت عليهم الأخشبين - يعنى جبلى مكة الذين يكتنفانها جنوبا وشمالا ، أبو قبيس وثور(١)، فقال : بل أستأنى بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من لايشرك بالله شيئا .

وقد ذكر الحافظ أبو نعيم فى مقابلة قوله تعالى : « فدعا ربَّه أنى مغلوب فانتصرْ ، ففتحنا أبوابَ السماء بماء منْهمر ، وفجَّرنا الأرضَ عيونًا فالتقى الماء على أمرٍ قد قُدِر » أحاديثَ الاستسقاء عن أنس وغيره ، كما تقدم ذكرنا لذلك فى دلائل النبوة قريبا أنه صلى الله عليه وسلم سأله ذلك الأعرابى أن يدعو الله لهم ، لما بهم من الجدْب والجوع ، فرفع يديه فقال : اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا ، فما نزل عن المنبر حتى رؤى المطر يتحادر على لحيته الكريمة ، صلى الله عليه وسلم ، فاستحضر من استحضر من الصحابة رضى الله عنهم قولَ عمه أبى طالب فيه :

وأبيضَ يُسْتَسقى الغمامُ بوجهه ثِمَالُ اليتامَى عِصْمة للأراملِ
يَلُوذ به الهُلَّاك من آل هاشم فهم عنده فى نعمةٍ وفواضلِ

وكذلك استسقى فى غير ماموضع للجدْب والعطش فيجاب كما يريد على قدر الحاجة المائية ، ولا أزيدَ ولا أنقص ، وهكذا وقع أبلغ فى المعجزة ، وأيضا فإن هذا ماء رحمة ونعمة ، وماء الطوفان ماء غضب ونِقْمة ، وأيضا فإن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يَسْتسقى بالعباس عم النبى صلى الله عليه وسلم فيسقون ، وكذلكُ مازال المسلمون فى غالب الأزمان والبلدان ، يَسْتسقون فيجابون فيسقون ، و [غيرهم] لايجابون غالبا ولا يسقون ولله الحمد .

* * *

قال أبو نُعَيم : ولبث نوح فى قومه ألفَ سنة إلا خمسين عاما ، فبلغَ جميعُ من آمن

---

(١) المطبوعة : وزر . وهو تحريف .

[به] رجالا ونساء ، الذين ركبوا معه سفينته ، دون مائة نفس ، وآمن بنبينا ـ فى مدة عشرين سنة ـ الناسُ شرقا وغربا ، ودانَتْ له جبابرة الأرض وملوكها ، وخافت زوال ملكهم ، ككسرى وقيصر ، وأسلم النجاشي والأقيالُ رغبةً فى دين الله ، والتزم من لم يؤمن به من عظماء الأرض الجزية والإبادة عن صَغار ، أهلُ نجران ، وهجر ، وأيْلة ، وأذْرُح دومةَ ، فذلّوا له منقادين ، لما أيده الله به من الرعب الذى يسير بين يديه شهراً ، وفتح الفتوح ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا كما قال الله تعالى : « إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا » .

قلت : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد فتح الله له المدينة وخيبر ومكة وأكثرَ اليمن وحضرموت ، وتوفى عن مائة ألف صحابي أو يزيدون .

وقد كتب فى آخر حياته الكريمة إلى سائر ملوك الأرض يدعوهم إلى الله تعالى ، فمنهم من أجاب ومنهم من صانَع ودارَى عن نفسه ، ومنهم من تكبَّر فخاب وخسر ، كما فعل كسرى بن هُرْمز حين عتَى وبغَى وتكبر ، فمزِّق مُلْكه ، وتفرق جنده شَذَر مَذَر ، ثم فتح خلفاؤه من بعده ، أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علىّ التالى على الأثر مشارق الأرض ومغاربها ، من البحر الغربى إلى البحر الشرقى ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : زُوِيت[1] لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ مُلْك أمتى مازوى لى منها ، وقال صلى الله عليه وسلم : إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، والذى نفسي بيده لتُنفقن كنوزهما فى سبيل الله .

وكذا وقع سواء بسواء ، فقد استولت الممالك الإسلامية على مُلْك قيصر وحواصله ، إلا القسطنطينية ، وجميع ممالك كسرى وبلاد المشرق ، وإلى أقصى بلاد المغرب ، إلى أن قتل عثمان رضى الله عنه فى سنة ست وثلاثين .

---

(١) زويت : جمعت .

فكما عمّت جميعَ أهل الأرض النقمة بدعوة نوح عليه السلام ، لما رآهم عليه من التمادى فى الضلال والكفر والفجور ، فدعا عليهم غضباً لله ولدينه ورسالته ، فاستجاب الله له ، وغضب لغضبه وانتقم منهم بسببه ، كذلك عمت جميعَ أهل الأرض بركة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ودعوته ، فآمن من آمن من الناس ، وقامت الحجة على من كفر منهم ، كما قال تعالى : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » وكما قال صلى الله عليه وسلم : إنما أنا رحمة مهداة .

وقال هشام بن عمار فى كتاب المبعث : حدثنى عيسى بن عبد الله النعمانى ، حدثنا المسعودى ، عن سعيد بن أبى سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس فى قوله : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » قال : من آمن بالله ورسله تمت له الرحمة فى الدنيا والآخرة ، ومن لم يؤمن بالله ورسله عُدَّ فيمن يستحق تعجيل ما كان يصيب الأمم قبل ذلك من العذاب والفتن والقذف والخسف .

وقال تعالى : « ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفراً وأحلُّوا قومهم دارَ البَوار » قال ابن عباس : النعمة محمد ، والذين بدّلوا نعمة الله كفراً كفار قريش ـ يعنى وكذلك كل من كذب به من سائر الناس ـ كما قال : « ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده » .

قال أبو نعيم : فإن قيل : فقد سمى الله نوحا عليه السلام باسم من أسمائه الحسنى ، فقال : « إنه كان عبداً شكوراً » قلنا : وقد سمى الله محمداً صلى الله عليه وسلم باسمين من أسمائه فقال : « بالمؤمنين رءوف رحيم » .

قال : وقد خاطب الله الأنبياء بأسمائهم : يانوح ، ياإبراهيم ، ياموسى ياداود ، يايحيى ياعيسى ، يامريم ، وقال مخاطبا لمحمد صلى الله عليه وسلم : « ياأيها الرسول » « ياأيها النبى » « ياأيها المزمّل » « ياأيها المدثّر » وذلك قائم مقام الكنية بصفة الشرف .

ولما نسب المشركون أنبياءهم إلى السفه والجنون ، كلٌّ أجاب عن نفسه ، قال نوح: « ياقوم ليس بى سفاهة ولكنى رسولٌ من رب العالمين » وكذا قال هود عليه السلام ولما قال فرعون : « وإنى لأظنك ياموسى مسحوراً » ، قال [موسى] : « لقد علمتَ ما أنزل هؤلاء إلا ربُّ السموات والأرض بصائر وإنى لأظنك يافرعون مَثْبوراً » .

وأما محمد صلى الله عليه وسلم فإن الله تعالى هو الذى يتولى جوابهم عنه بنفسه الكريمة ، كما قال : « وقالوا ياأيها الذى نُزِّل عليه الذِّكر إنك لمجنون ، لَوْ ما تأتينا بالملائكةَ إن كنت من الصادقين » قال الله تعالى : « ما ننزِّل الملائكةَ إلا بالحق وما كانوا إذاً مُنظَرِين » وقال تعالى : « أساطير الأولينَ اكتتبها فهى تُمْلَى عليه بكرة وأصيلا. قل أنزله الذى يعلم السرَّ فى السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيما» . « أم يقولون شاعر نتربص به رَيْبَ المنون . قل تربَّصوا فإنى معكم من المتربِّصين » وقال تعالى : « وما هو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون . ولا بقول كاهن قليلا ماتذكَّرون . تنزيلٌ من رب العالمين» . «وإن يكاد الذين كفروا ليُزْلقونك بأبصارهم لمَّا سَمِعوا الذِّكر ويقولون إنه لمجنون » قال الله تعالى : « وما هو إلا ذِكرٌ للعالمين » وقال تعالى : « ن والقلم وما يَسْطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وإن لك لأجراً غير مَمْنون وإنك لعلى خُلق عظيم» وقال تعالى :« ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلِّمه بشرٌ لسان الذى يُلْحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين » .

القول فيما أوتى هود عليه السلام

قال أبو نُعيم ما معناه : إن الله تعالى أهلك قومه بالريح العقيم ، وقد كانت ريحَ غضب ، ونصر الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم بالصَّبا يوم الأحزاب ، كما قال تعالى :

«يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمةَ الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا [1] » .

ثم قال : حدثنا إبراهيم بن إسحاق ، حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة . ح وحدثنا عثمان بن محمد العثماني ، أخبرنا زكريا بن يحيى الساجيّ ، قالا : حدثنا أبو سعيد الأشجّ ، حدثنا حفص بن غَيَّاث ، عن داود بن أبي هند ، عن عِكرمة ، عن ابن عباس قال : لما كان يوم الأحزاب انطلقت الجَنوب إلى الشَّمال فقالت : انطلق بنا ننصر محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت الشمال للجنوب : إن الحُرَّة لا تُرى بالليل ، فأرسل الله عليهم الصَّبا ، فذلك قوله : « فأرسلنا عليهم ريحاً وجُنوداً لم تروها » ويشهد له الحديث المتقدم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : نُصرت بالصَّبا وأُهلكت عادٌ بالدَّبُور .

القول فيما أوتى صالح عليه السلام

قال أبو نُعَيم : فإن قيل : فقد أخرج الله لصالح ناقة من الصخرة جعلها الله له آية وحُجة على قومه وجعل لها شِرب يوم ، ولهم شرب يوم معلوم .

قلنا : وقد أعطى الله محمداً صلى الله عليه وسلم مثل ذلك ، بل أبلغ ، لأن ناقة صالح لم تكلّمه ولم تشهد له بالنبوة والرسالة ، ومحمد صلى الله عليه وسلم شهد له البعيرُ بالرسالة ، وشكا إليه مايلقىَ من أهله ، من أنهم يجيعونه ويريدون ذبحه . ثم ساق الحديث بذلك كما قدمنا فى دلائل النبوة بطرقه وألفاظه وغيره بما أغنى عن إعادته هاهنا ، وهو فى الصحاح والحِسان والمسانيد .

وقد ذكرنا مع ذلك حديث الغزالة ، وحديث الضب وشهادتهما له صلى الله عليه وسلم بالرسالة ، كما تقدم التنبيه على ذلك والكلام فيه ، وثبت الحديث فى الصحيح بتسليم

(١) سورة الأحزاب .

الحجر عليه قبل أن يُبعث ، وكذلك سلَام الأشجار والأحجار والمدَر عليه قبل أن يُبعث صلى الله عليه وسلم .

القول فيما أوتى إبراهيم الخليل عليه السلام

قال شيخنا العلامة أبو المعالى بن الزَّمْلَكانى رحمه الله : وأما خمود النار لإبراهيم عليه الصلاة والسلام ، فقد خمدت لنبينا صلى الله عليه وسلم نارُ فارس لمولده صلى الله عليه وسلم وبينه وبين بعثته أربعون سنة ، وخمدت نار إبراهيم لمباشرته لها ، وخَمدت نار فارس لنبينا صلى الله عليه وسلم وبينه وبينها مسافة أشهر كذا .

وهذا الذى أشار إليه من خمود نار فارس ليلة مولده الكريم ، قد ذكرناه بأسانيده وطرقه فى أول السيرة ، عند ذكر المولد المطهر الكريم ، بما فيه كفاية ومَقْنَع .

ثم قال شيخنا : مع أنه قد أُلقى بعض هذه الأمة فى النار فلم تؤثّر فيه ببركة نبينا صلى الله عليه وسلم ، منهم أبو مسلم الخَوْلانى ، قال : بينما الأسود بن قيس العَنْسى باليمن فأرسل إلى أبى مسلم الخولانى فقال : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم ، قال : أتشهد أنى رسول الله ؟ قال : ما أسمع . فأعاد إليه ، قال : ما أسمع . فأمر بنار عظيمة فأجِّجت فطُرح فيها أبو مسلم فلم تضرّه ، فقيل له : لئن تركت هذا فى بلادك أفسدها عليك . فأمَره بالرحيل ، فقدِم المدينة وقد قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر ، فقام إلى سارية من سوارى المسجد يصلى ، فبصُر به عمر فقال من أين الرجل؟ قال : من اليمن . قال : مافعل الله بصاحبنا الذى حُرق بالنار فلم تضره ؟ قال : ذاك عبد الله بن أيوب . قال : نشدتك بالله أنت هو ؟ قال : اللهم نعم . قال : فقبَّل مابين عينيه ثم جاء به حتى أجلسه بينه وبين أبى بكر الصديق وقال : الحمد لله الذى لم يُمِتْنى حتى

أرانى فى أمة محمـد صلى الله عليه وسلم من فعل به كما فعل بإبراهيم خليـل الرحمن عليه السلام .

وهذا السياق الذى أورده شيخنا بهذه الصفة ، وقد رواه الحافظ الكبير ، أبو القاسم ابن عساكر رحمه الله فى ترجمة أبى مسلم عبد الله بن أيوب فى تاريخه من غير وجه ، عن عبد الوهاب بن إسماعيل بن عيّاش الحطيمى ، حدثنى شَرَاحيل بن مسلم الخولانى ، أن الأسود بن قيس بن ذى الحمار العنسى تنبأ باليمن ، فأرسل إلى أبى مسلم الخولانى ، فأتى به ، فلما جاء به قال أتشهد أنى رسول الله ؟ قال : ماأسمع ، قال : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم ، قال : أتشهد أنى رسول الله ؟ قال : ماأسمع . قال : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم .

قال : فردد عليه ذلك مراراً ثم أمر بنار عظيمة فأُجّجت فألقى فيها فلم تضرّه . فقيل للأسود : انفهِ عنك وإلا أفسد عليك من اتبعك ، فأمره فارتحل .

فأتى المدينة وقد قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستخلف أبو بكر ، فأناخ أبو مسلم راحلته بباب المسجد ، ثم دخل المسجد وقام يصلى إلى سارية ، فبصُر به عمر بن الخطاب فأتاه فقال : ممن الرجل ؟ فقال : من أهل اليمن . قال : مافعل الرجل الذى حرقه الكذاب بالنار ؟ قال : ذاك عبد الله بن أيوب . قال : فأنشدك بالله أنت هو ؟ قال : اللهم نعم ، قال : فاعتنقه ثم ذهب به حتى أجلسه بينه وبين أبى بكر الصديق ، فقال : الحمد لله الذى لم يمتْنى حتى أرانى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الرحمن .

قال إسماعيل بن عَيّاش : فأنا أدركت رجالا من الأمداد الذين يُمَدّون إلينا من اليمن من خَوْلان ، ربما تمازحوا فيقول الخولانيون للعنسيين : صاحبكم الكذاب حرق صاحبنا بالنار ولم تضره .

وروى الحافظ ابن عساكر أيضا من غير وجه عن إبراهيم بن دُحَيم؛ حدثنا هشام بن عمار حدثنا الوليد، أخبرنى سعيد بن بشير، عن أبى بشر — جعفر بن أبى وَحْشية — أن رجلا أسلم فأراده قومه على الكفر فألقوه فى نار فلم يحترق منه إلا أنملة لم يكن فيما مضى يصيبها الوضوء، فقدم على أبى بكر فقال: استغفر لى، قال: أنت أحق. قال أبو بكر: أنت ألقيت فى النار فلم تحترق. فاستغفر له ثم خرج إلى الشام، وكانوا يسمونه بإبراهيم عليه السلام، وهذا الرجل هو أبو مسلم الخولانى.

وهذه الرواية بهذه الزيادة تحقق أنه إنما نال ذلك ببركة متابعته الشريعة المحمدية المطهرة المقدسة، كما جاء فى حديث الشفاعة: وحرم الله على النار أن تأكل مواضع السجود.

وقد نزل أبو مسلم بداريّا من غربى دمشق وكان لا يسبقه أحد إلى المسجد الجامع بدمشق وقت الصبح، وكان يغازى ببلاد الروم، وله أحوال وكرامات كثيرة جداً، وقبره مشهور بداريا، والظاهر أنه مقامه الذى كان يكون فيه؛ فإن الحافظ ابن عساكر رجح أنه مات ببلاد الروم، فى خلافة معاوية، وقيل: فى أيام ابنه يزيد، بعد الستين والله أعلم.

وقد وقع لأحمد بن أبى الحَوَارى من غير وجه أنه جاء إلى أستاذه أبى سليمان يُعلمه بأن التنور قد سجَروه وأهله ينتظرون ما يأمرهم به، فوجده يكلم الناس وهم حوله فأخبره بذلك فاشتغل عنه بالناس، ثم أعلمه فلم يلتفت إليه، ثم أعلمه مع أولئك الذين حوله، فقال: اذهب فاجلس فيه، فذهب أحمد بن أبى الحوارى إلى التنور فجلس فيه وهو يتضرَّم ناراً فكان عليه برداً وسلاما، وما زال فيه حتى استيقظ أبو سليمان من كلامه فقال لمن حوله: قوموا بنا إلى أحمد بن أبى الحوارى، فإنى أظنه قد ذهب إلى التنور فجلس فيه امتثالا لما أمرته. فذهبوا فوجدوه جالساً فيه، فأخذ بيده الشيخ أبو

سليمان وأخرجه منه ، رحمة الله عليهما ورضى الله عنهما .

وقال شيخنا أبو المعالى : وأما إلقاؤه — يعنى إبراهيم عليه السلام — من المنجنيق ، فقد وقع فى حديث البرّاء بن مالك فى وقعة مُسَيلمة الكذاب ، وأن أصحاب مسيلمة انتهوا إلى حائط حفير فتحصنوا به وأغلقوا الباب ، فقال البراء بن مالك : ضعونى على بُرْش واحملونى على رؤوس الرماح ثم ألقونى من أعلاها داخل الباب ، ففعلوا ذلك وألقوه عليهم فوقع وقام وقاتل المشركين ، وقتل مسيلمة .

***

قلت : وقد ذكرنا ذلك مستقصى فى أيام الصديق حين بعث خالد بن الوليد لقتال مسيلمة وبنى حنيفة ، وكانوا فى قريب [من] مائة ألف أو يزيدون ، وكان المسلمون بضعة عشر ألفا ، فلما التقوا جعل كثير من الأعراب يفرون ، فقال المهاجرون والأنصار : خَلِّصنا ياخالد . فميَّزهم عنهم ، وكان المهاجرون والأنصار قريبا من ألفين وخمسمائة ، فصمّموا الحملة وجعلوا يتدابرون ويقولون : ياأصحاب سورة البقرة ، بطل السحر اليوم ، فهزموهم بإذن الله وألجأوهم إلى حديقة هناك ، وتسمى حديقة الموت ، فتحصنوا بها ، فحصروهم فيها .

فعمد البراء بن مالك ، أخو أنس بن مالك — وكان الأكبر — فيما ذكر من رفعه على الأسنة فوق الرماح حتى تمكَّن من أعلى سورها ، ثم ألقى نفسه عليهم ونهض سريعا إليهم ، ولم يزل يقاتلهم وحده ويقاتلونه حتى تمكن من فتح الحديقة .

ودخل المسلمون يكبّرون وانتهوا إلى قصر مُسَيلمة وهو واقف خارجه عند جدار كأنه جمل أورق [1] ، أى من سمرته ، فابتدره وحشى بن حرب الأسود ، قاتل حمزة ، بحربته وأبو دُجانة سِماك بن خَرَشَة الأنصارى — وهو الذى يُنتسب إلى شيخنا هذا أبو المعالى

(١) الأورق من الإبل : ما فى لونه بياض إلى سواد . وفى المطبوعة : أزرق وهو تحريف .

ابن الزَّمْلَكانى ــ فسبقه وحشى فأرسل الحربة عليه من بُعد فأنفذَها منه ، وجاء إليه أبو دُجَانة فعلاَه بسيفه فقتله ، لكن صرخت جارية من فوق القصر : واأميراه ، قتله العبد الأسود .

ويقال : إن عمْر مُسَيلمة يوم قتل مائة وأربعون سنة ، لعنه الله ، فمن طال عمره وساء عمله قبحه الله .

وهذا ماذكره شيخنا فيما يتعلق بإبراهيم الخليل عليه السلام .

***

وأما الحافظ أبو نُعَيم فإنه قال : فإن قيل : فإن إبراهيم اختص بالخُلة مع النبوة . قيل : فقد اتخذ الله محمداً خليلا وحبيبا ، والحبيب ألطف من الخليل .

ثم ساق من حديث شُعبة ، عن أبى إسحاق ، عن أبى الأَحْوص ، عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو كنت متخذاً خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن صاحبَكم خليلُ الله .

وقد رواه مسلم من طريق شُعبة ، والثورى عن أبى إسحاق ، ومن طريق عبد الله ابن مُرّة ، وعبد الله بن أبى الهذَيل ، كلهم عن أبى الأَحْوص عوف بن مالك الجُشَمى قال : سمعت عبد الله بن مسعود يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو كنت متخذاً خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكنه أخى وصاحبى ، وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا » .

هذا لفظ مسلم ، ورواه أيضا منفرداً به عن جُنْدَب بن عبد الله البجَلى كما سأذكره .

وأصل الحديث فى الصحيحين عن أبى سعيد ، وفى أفراد البخارى عن ابن عباس وابن الزبير كما سقت ذلك فى فضائل الصديق رضى الله عنه ، وقد أوردناه هنالك من

رواية أنس والبراء وجابر وكعب بن مالك وأبى الحسين بن المعلى وأبى هريرة وأبى واقد الليثى وعائشة أم المؤمنين رضى الله عنهم أجمعين .

ثم إنما رواه أبو نعيم من حديث عبيد الله بن زَحْر ، عن على بن يزيد ، عن القاسم عن أبى أمامة ، عن كعب بن مالك أنه قال : عهدى بنبيكم صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول : لم يكن نبى إلا له خليل من أمته ، وإن خليلى أبو بكر ، وإن الله اتخذ صاحبكم خليلا .

وهذا الإسناد ضعيف، ومن حديث محمد بن عَجْلان ، عن أبيه، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لكل نبى خليل ، وخليلى أبو بكر بن أبى قُحَافة وخليل صاحبكم الرحمن .

وهو غريب من هذا الوجه ، ومن حديث عبد الوهاب بن الضحاك ، عن إسماعيل ابن عَيَّاش، عن صفوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن بن جُبَير بن نُفَير ، عن كثير بن مُرّة ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله اتخذنى خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا ، ومنزلى ومنزل إبراهيم فى الجنة تجاهين والعباس بيننا مؤمن بين خليلين .

غريب وفى إسناده نظر ، انتهى ما أورده أبو نعيم رحمه الله .

وقال مسلم بن الحجاج فى صحيحه : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة وإسحاق بن إبراهيم قالا : حدثنا زكريا بن عَدِى ، حدثنا عبيد الله بن عمرو ، حدثنا زيد بن أبى أنيسة ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن الحارث ، حدثنى جُنْدَب بن عبد الله قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول : إنى أبرأ إلى الله عز وجل أن يكون لى منكم خليل فإن الله قد اتخذنى خليلا كما اتخذ الله إبراهيم خليلا ، ولو كنت متخذاً من أمتى خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ألا وإن من كان قبلكم يتخذون قبور أنبيائهم

وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، إنى أنهاكم عن ذلك .

وأما اتخاذه حسينا خليلا ، فلم يتعرض لإسناده أبو نعيم .

وقد قال هشام بن عمار فى كتابه المبعث : حدثنا يحيى بن حمزة الحضرمى ، وعثمان بن علّان القُرشى ، قالا : حدثنا عروة بن رُوَيم اللَّخمى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله أدركَ بى الأجلَ المرقوم وأخذنى لقُرْبه ، واحتضرنى احتضاراً ، فنحن الآخِرون ، ونحن السابقون يوم القيامة ، وأنا قائل قولا غير فخر : إبراهيم خليل الله ، وموسى صَفِىّ الله ، وأنا حبيب الله ، وأنا سيد ولد آدم يوم القيامة وإن بيدى لواء الحمد ، وأجارَنى الله عليكم من ثلاث : أن يُهلككم بسَنَة ، وأن يستبيحكم عدوُّكم ، وأن تُجْمِعوا على ضلالة .

* * *

وأما الفقيه أبو محمد عبد الله بن حامد فتكلم على مقام الخُلّة بكلام طويل إلى أن قال : ويقال : الخليل : الذى يعبد ربه على الرغبة والرهبة ، من قوله : « إنّ إبراهيم لأوّاه حَليم[1] » من كثرة مايقول : أواه . والحبيب الذى يعبد ربه على الرؤية والمحبة ، ويقال : الخليل الذى يكون معه انتظار العطاء ، والحبيب الذى يكون معه انتظار اللقاء ، ويقال : الخليل الذى يَصِل بالواسطة من قوله : « وكذلك نُرِى إبراهيم ملكوتَ السموات والأرض وليكون من الموقنين[2] » والحبيب الذى يصل إليه من غير واسطة ، من قوله : « فكان قابَ قَوْسين أو أدنى[3] » .

وقال الخليل : « والذى أطْمع أن يَغفر لى خطيئتى يوم الدين»[4] وقال الله للحبيب

---

(١) سورة التوبة .
(٢) سورة الأنعام .
(٣) سورة النجم .
(٤) سورة الشعراء .

محمد صلى الله عليه وسلم : « ليغفر لك الله ماتقدَّم من ذنبك وما تأخر »[١] .

وقال الخليل : « ولا تخزنى يومَ يُبعثون »[٢] وقال الله للنبي : « يوم لايُخزى الله النبيَّ والذين آمنوا معه »[٣] .

وقال الخليل حين أُلقى فى النار : « حسبى الله ونعم الوكيل » وقال الله لمحمد : « ياأيها النبي حَسْبك الله ومن اتبعك من المؤمنين »[٤] .

وقال الخليل : « إنى ذاهب إلى ربى سيهدين »[٥] وقال الله لمحمد : « ووجدك ضالًا فهدَى »[٦] .

وقال الخليل : « واجعل لى لسانَ صِدْقٍ فى الآخرين »[٧] وقال الله لمحمد : « ورفعنا لك ذِكْرك »[٨] .

وقال الخليل : « واجنُبْنى وبَنىَّ أن نَعْبد الأصنام »[٩] وقال الله للحبيب : « إنما يريدالله ليُذْهب عنكم الرجسَ أهلَ البيت ويطهِّركم تطهيرا »[١٠] .

وقال الخليل : « واجعلنى من وَرثة جنة النعيم »[١١] وقال الله لمحمد : « إنا أعطيناك الكوثر » .

وذكر أشياء أخر .

وسيأتى الحديث فى صحيح مسلم عن أُبىّ بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنى سأقوم مقاماً يوم القيامة يَرْغب إلىّ الخَلْقُ كلهم حتى أبوهم إبراهيم الخليل .

---

(١) سورة الفتح .
(٢) سورة الشعراء .
(٣) سورة التحريم .
(٤) سورة الأنفال .
(٥) سورة الصافات .
(٦) سورة الضحى .
(٧) سورة الشعراء .
(٨) سورة الانشراح .
(٩) سورة إبراهيم .
(١٠) سورة الأحزاب .
(١١) سورة الشعراء .

فدل على أنه أفضل إذ هو يحتاج إليه فى ذلك المقام ، ودل على أن إبراهيم أفضل الخلق بعده ، ولو كان أحد أفضل من إبراهيم بعده لذكره .

* * *

ثم قال أبو نعيم : فإن قيل: إن إبراهيم عليه السلام حُجب عن نمروذ بحُجب ثلاثة.

قيل : فقد كان كذلك وحُجب محمد صلى الله عليه وسلم عمن أرادوه بخمسة حجب ، قال الله تعالى فى أمره : « وجعلنا من بين أيديهم سَدّاً ومن خَلْفهم سَدّاً فأغشيناهم فهم لايبصرون »(١) فهذه ثلاث ، ثم قال : « وإذا قرأتَ القرآنَ جعلنا بينك وبين الذين لايُؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً »(٢) ثم قال : « فهى إلى الأَذْقان فهم مُقْمَحون »(٣) فهذه خمسة حجب.

وقد ذكر مثله سواء الفقيه أبو محمد بن حامد ، وما أدرى أيهما أخذ من الآخر والله أعلم .

وهذا الذى قاله غريب ، والحُجب التى ذكرها لإبراهيم عليه السلام لاأدرى ماهى، كيف وقد ألقاه فى النار التى نجاه الله منها ؟

وأما ماذكره من الحجُب التى استدل عليها بهذه الآيات ، فقد قيل : إنها جميعها معنوية لاحسية ، بمعنى أنهم مَصْرُوفون عن الحق ، لايصل إليهم، ولا يَخلُص إلى قلوبهم، كما قال تعالى : « وقالوا قلوبنا فى أَكِنّة مما تدعونا إليه وفى آذاننا وَقْر ومن بيننا وبينك حِجَاب »(٤) وقد حررنا ذلك فى التفسير .

* * *

وقد ذكرنا فى السيرة(٥) وفى التفسير أن أم جميل امرأة أبى لهب ، لما نزلت السورة

---

(١) سورة يس . (٢) سورة الإسراء .
(٣) سورة يس . (٤) سورة .
(٥) سبق ذلك فى الجزء الأول من السيرة .

فى ذمّها وذم زوجها ، ودخولهما النار ، وخسارهما ، جاءت بفِهر ـ وهو الحجر الكبير ـ لترجم النبي صلى الله عليه وسلم ، فانتهت إلى أبى بكر وهو جالس عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالت لأبى بكر : أين صاحبك ؟ فقال : وماله ؟ فقالت : إنه هجانى . فقال : ماهجاك ؟ فقالت : والله لئن رأيته لأضربنه بهذا الفهر، ثم رجعت وهى تقول : مُذَمَّمًا أبَيْنَا ، ودِينَه قلَيْنَا .

وكذلك حَجب ومَنع أبا جهل حين هم [illegible] يطأ برجله راس النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد ، فرأى جَدثا من نار وهَوْلا عظيما وأجنحة الملائكة دونه ، فرجع القهقرى وهو يَتّقى بيديه ، فقالت له قريش : مالك ، ويحك ؟ فأخبرهم بما رأى ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : لو أقدَم لاختطفته الملائكة عضواً عضواً .

وكذلك لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة وقد أرْصدوا على مَدْرَجته وطريقه ، وأرسلوا إلى بيته رجالا يحرسونه لئلا يخرج ، ومتى عاينوه قتلوه ، فأمر عليًّا فنام على فراشه ، ثم خرج عليهم وهم جلوس ، فجعل يذرّ على رأس كل إنسان منهم ترابا ويقول : شاهت الوجوه ، فلم يروه حتى صار هو وأبو بكر الصديق إلى غار ثور ، كما بسطنا ذلك فى السيرة .

وكذلك ذكرنا أن العنكبوت سدّ على باب الغار ليعمى الله عليهم مكانَه ، وفى الصحيح أن أبا بكر قال : يارسول الله ، لو نظر أحدهم إلى موضع قدميه لأبصرَنا . فقال : ياأبا بكر ، ماظنك باثنين الله ثالثهما ؟ وقد قال بعض الشعراء فى ذلك :

نَسْج داود ماحَمَى صاحب الغا   رِ وكان الفخَار للعنكبوتِ

وكذلك حُجب ومُنع من سُرَاقة بن مالك بن جُعْشُم حين اتّبعهم ، بسقوط قوائم فرسه فى الأرض حتى أخذ منه أمانا كما تقدم بسطه فى الهجرة .

***

وذكر ابن حامد فى كتابه فى مقابلة إضجاع إبراهيم عليه السلام ولده للذبح مستسلما لأمر الله تعالى ، بذْلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه للقتل يوم أحد وغيره حتى نال منه العدو مانالوا ، من هَشْم رأسه ، وكسر ثَنِيَّته اليمنى السفلى ، كما تقدم بسط ذلك فى السيرة(١) .

ثم قال : قالوا : كان إبراهيم عليه السلام ألقاه قومه فى النار فجعلها الله بَرْداً وسلاما .

قلنا : وقد أوتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله ، وذلك أنه لما نزل بخيبر سَمَّته الخيبرية ، فصيّر ذلك السم فى جوفه برداً وسلاما إلى منتهى أجله ، والسم عرق يستقر فى الجوف إذ لا [يحرق] كما تحرق النار .

قلت : وقد تقدم الحديث بذلك فى فتح خيبر ، ويؤيد ما قاله أن بشر بن البرَاء بن مَعْرور مات سريعا من تلك الشاة المسمومة ، وأخبر ذراعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أُودع فيه من السم ، وكان قد نَهس(٢) منه نَهْسة ، وكان السم فيه أكثر ، لأنهم كانوا يفهمون أنه صلى الله عليه وسلم يحب الذراع ، فلم يضره السم الذى حصل فى باطنه بإذن الله عز وجل ، حتى انقضى أجله صلى الله عليه وسلم ، فذكر أنه وجد حينئذ من ألم ذلك السم الذى كان فى تلك الأكلة ، صلى الله عليه وسلم .

وقد ذكرنا فى ترجمة خالد بن الوليد المخزومى ، فاتح بلاد الشام ، أنه أتى بسم فحساه(٣) بحضرة الأعداء ليُرْهبهم بذلك ، فلم ير بأسا ، رضى الله عنه .

* * *

---

(١) سبق ذلك فى الجزء الثانى من السيرة .
(٢) نهس : أخذ عنده أسنانه .
(٣) حساه : شربه شيئا . وفى المطبوعة : غشاه . وهو تحريف .

ثم قال أبو نعيم : فإن قيل : فإن إبراهيم خصَم [1] نمروذَ ببرهان نبوته فبهته ، قال الله تعالى : « فبُهِتَ الذى كفَر »[2].

قيل : محمد صلى الله عليه وسلم أتاه الكذاب بالبعث ، أُبَىّ بن خلف ، بعَظْم بالٍ ففركه وقال : « من يُحْيِيَ العظام وهى رَمِيم » فأنزل الله تعالى البرهان الساطع : « قل يُحْيِيها الذى أنشأها أولَ مَرّة وهو بكل خَلْق عليم [3] » فانصرف مبهوتا ببرهان نبوته .

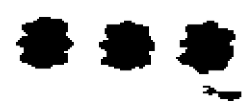
قلت : وهذا أقْطع للحُجة ، وهو استدلاله للمعاد بالبداءة ، فالذى خلق الخلق بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً ، قادر على إعادتهم كما قال : « أوَلَيس الذى خَلق السموات والأرض بقادر على أن يَخْلق مثلَهم بلى وهو الخلاّق العليم [4] » أى يعيدهم كما بدأهم كما قال فى الآية الأخرى : « بقادر على أن يحيى الموتى [5] » وقال : « وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهْوَن عليه [6] » .

هـذا وأمر المعاد نَظَرى لافِطْرى ضرورى فى قول الأكثرين ، وأما الذى حاجَّ إبراهيمَ فى ربه فإنه معاند مكابر ، فإن وجود الصانع مذكور فى الفِطَر ، وكل واحد مفطور على ذلك ، إلا من تغيرت فطرته ، فيصير نظرياً عنده ، وبعض المتكلمين يجعل وجود الصانع من باب النظر لا الضروريات ، وعلى كل تقدير فدعواه أنه هو الذى يحيى الموتى لايقبله عقْل ولا سَمْع ، وكل واحد يكذبه بعقله فى ذلك ، ولهذا ألزمه إبراهيم بالإتيان بالشمس من المغرب إن كان كما ادعى « فبُهِتَ الذى كفَر والله لا يهدى القوم الظالمين » .

---

(١) دلائل النبوة لأبى نعيم : ٥١٠ : قصم نمروذ .
(٢) سورة البقرة .
(٣) سورة يس .
(٤) سورة يس .
(٥) سورة القيامة .
(٦) سورة الروم .

وكان ينبغى أن يذكر مع هذا أن الله تعالى سلط محمداً على هذا المعاند لما بارز النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، فقتله بيده الكريمة ، طعنه بحربة فأصاب ترقوته فتردى عن فرسه مراراً ، فقالوا له : ويحك مالك ؟ فقال : والله إن بى لما لو كان بأهل ذى المجاز لماتوا أجمعين : ألم يقل : بل أنا أقتله ؟ والله لو بصق على لقتلنى . وكان هذا لعنه الله قد أعد فرسا وحربة ليقتل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : بل أنا أقتله إن شاء الله . فكان كذلك يوم أحد .



ثم قال أبو نعيم : فإن قيل : فإن إبراهيم عليه السلام كسر أصنام قومه غضبا لله . قيل : فإن محمداً صلى الله عليه وسلم كسر ثلاثمائة وستين صنما ، قد ألزمها الشيطان بالرصاص والنحاس ، فكان كلما دنا منها بمخصرته تهوى من غير أن يمسها ، ويقول : « جاء الحقّ وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقا [1] » فتساقط لوجوهها ، ثم أمر بهن فأخرجن إلى الميل [2] ، وهذا أظهر وأجلى من الذى قبله ، وقد ذكرنا هذا فى أول دخول النبى صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح بأسانيده وطرقه من الصحاح وغيرها ، بما فيه كفاية .

وقد ذكر غير واحد من علماء السير أن الأصنام تساقطت أيضاً لمولده الكريم ، وهذا أبلغ وأقوى فى المعجز من مباشرة كسرها ، وقد تقدم أن نار فارس التى كانوا يعبدونها خمدت أيضا ليلتئذ ، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام ، وأنه سقط من شرفات قصر كسرى أربع عشرة شرفة ، مؤذنة بزوال دولتهم بعد هلاك أربعة عشر من ملوكهم فى أقصر مدة ، وكان لهم فى الملك قريب من ثلاثة آلاف سنة .



(١) سورة الإسراء .

(٢) الميل . علم مبنى فى طريق مكة لهداية المسافرين .

وأما إحياء الطيور الأربعة لإبراهيم عليه السلام ، فلم يذكره أبو نُعَيم ولا ابن حامد وسيأتى فى إحياء الموتى على يد عيسى عليه السلام ماوقع من المعجزات المحمدية من هذا النمط ماهو مثل ذلك كما سيأتى التنبيه عليه إذا انتهينا إليه ، من إحيـاء أموات بدعوات أمتـه ، وحنين الجذع ، وتسليم الحجر والشجر والمدر عليه ، وتـكليم الذراع له وغير ذلك .

وأما قوله تعالى : « وكذلك نُرى إبراهيمَ مَلَـكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين » والآيات بعدها ، فقد قال الله تعالى : « سبحان الذى أَسْرَى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله ، لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير » وقد ذكر ذلك ابن حامد فيما وقفت عليه بعد .

وقد ذكرنا فى أحاديث الإسراء من كتابنا هذا ، ومن التفسير ماشاهده رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أُسرى به من الآيات فيما بين مكة إلى بيت المقدس ، وفيما بين ذلك إلى سماء الدنيا ، ثم عايَن من الآيات فى السموات السبع وما فوق ذلك ، وسِدْرة المنتَهى ، وجنة المأْوَى ، والنار التى هى بئس المصير والمثوى ، وقال عليه أفضل الصلاة والسلام فى حديث المنام ـ وقد رواه أحمد والترمذى وصححه ، وغيرهما ـ فتجلَّى لى كل شىء وعرفتُ .

وذكر ابن حامد فى مقابلة ابتلاء الله يعقوب عليه السلام بفقده ولده يوسف عليه السلام وصبره واستعانته ربه عز وجل ، موت إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبره عليه ، وقوله : تَدْمع العين ويحزن القلب ، ولا نقول إلا مايرضى ربنا ، وإنا بك ياإبراهيم لمحزونون .

قلت : وقد مات بناته الثلاثة : رقية ، وأم كلثوم ، وزينب . وقُتل عمه الحمزة ، أسد الله وأسد رسوله يوم أُحد ، فصبر واحتسب .

وذكر فى مقابلة حُسن يوسف عليه السلام ماذكر من جمال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومهابته وحلاوته شكلا ونفعا وهَدْياً ، ودَلًّا[1] ويُمْناً كما تقدم فى شمائله من الأحاديث الدالة على ذلك ، كما قالت الرُّبَيِّع بنت مُعَوِّذ : لو رأيته لرأيت الشمس طالعة .

وذكر فى مقابلة ما ابتلى به يوسف عليه السلام من الفُرقة والغربة ، هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ، ومفارقته وطنه وأهله وأصحابه الذين كانوا بها .

القول فيما أوتى موسى عليه السلام من الآيات البينات

وأعظمهن تسع آيات كما قال تعالى : « ولقد آتينا موسى تسعَ آيات بينات »[2].

وقد شرحناها فى التفسير ، وحكينا قول السلف فيها ، واختلافهم فيها ، وأن الجمهور على أنها هى العصا فى انقلابها حيةً تسعى ، واليد ، إذا أدخل يده فى جيب درعه أخرجها تضىء كقطعة قمر يتلألأ إضاءة ، ودعاؤه على قوم فرعون حين كذّبوه فأرسل عليهم الطوفان والجراد والقُمّل والضفادع والدم ، آيات مفصّلات ، كما بسطنا ذلك فى التفسير ، وكذلك أخذهم الله بالسنين ، وهى نقص الحبوب . وبالجدْب وهو نقص الثمار ، وبالموت الذّريع وهو نقص الأنفس ، وهو الطُّوفان فى قول ، ومنها فَلْق البحر لإنجاء بنى إسرائيل وإغراق آل فرعون ، ومنها تضليل بنى إسرائيل فى التِّيه ، وإنزال المنّ والسّلْوى عليهم واستسقاؤه لهم ، فجعل الله ماءهم يخرج من حجرٍ يُحمل معهم على دابة ، له أربعة وجوه ، إذا ضربه موسى بعصاه يخرج من كل وجه ثلاثة أعين لكل سِبْط عين ، ثم يضربه فينقلع ، إلى غير ذلك من الآيات الباهرات ، كما بسطنا ذلك فى التفسير ، وفى قصة موسى

---

(١) دلا : سكينة ووقاراً وحسن مظهر (٢) سورة الإسراء .

عليه السلام فى قصص الأنبياء ، ولله الحمد والمنة . وقيل : كل من عبد العجل أماتهم ثم أحياهم الله تعالى ، وقصة البقرة .

أما العصا فقال شيخنا العلامة ابن الزملكانى : وأما حياة عصا موسى ، فقد سبّح الحصا فى كف رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جماد ، والحديث فى ذلك صحيح ، وهذا الحديث مشهور عن الزهرى عن رجل عن أبى ذر .

وقد قدمنا ذلك مبسوطا فى دلائل النبوة بما أغنى عن إعادته ، وقيل : إنهن سبّحن فى كف أبى بكر ثم عمر ثم عثمان ، كما سبحن فى كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هذه خلافة النبوة .

* * *

وقد روى الحافظ بسنده إلى بكر بن حُبَيش ، عن رجل سمّاه قال : كان بيد أبى مسلم الخولانى سبحة يسبّح بها ، قال : فنام والسبحة فى يده ، قال : فاستدارت السبحة فالتفّت على ذراعه وهى تقول : سبحانك يامُنْبت النبات ، ويادائم الثبات . فقال : هلم ياأم مسلم وانظرى إلى أعجب الأعاجيب ، قال : فجاءت أم مسلم والسبحة تدور وتسبّح فلما جاءت سكتت .

وأصح من هذا كله وأصرَح ، حديث البخارى عن ابن مسعود قال : كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل .

قال شيخنا : وكذلك قد سلمت عليه الأحجار . قلت : وهذا قد رواه مسلم عن جابر ابن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى لأعرف حجراً كان يسلم علىّ بمكة قبل أن أبعث ، إنى لأعرفه الآن ، قال بعضهم : هو الحجَر الأسود .

وقال الترمذى : حدثنا عبّاد بن يعقوب الكوفى ، حدثنا الوليد بن أبى ثَور ، عن

السُّدِّى ، عن عباد بن يزيد ، عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم بمكة فى بعض نواحيها ، فما استقبله جبلٌ ولا شجر إلا قال : السلام عليك يارسول الله.

ثم قال : غريب .

ورواه أبو نُعَيم فى الدلائل من حديث السُّدى ، عن أبى عمارة الخَيْوانى ، عن على قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل لايمر بحجر ولا شجر ولا مدَر ولا شىء إلا قال : السلام عليك يارسول الله . قال : وأقبلت الشجرة عليه بدعائه ، وذكر اجتماع تَينِك الشجرتين لقضاء حاجته من ورائهما ثم رجوعهما إلى منابتهما .

وكلا الحديثين فى الصحيح .

ولكن لايلزم من ذلك حلول حياة فيهما ، إذ يكونان ساقهما سائق ، ولكن فى قوله : انقادا علىّ بإذن الله ، مايدل على حصول شعور منهما لمخاطبته ، ولا سيما مع امتثالهما ماأمرها به ، قال : وأمر عِذْقًا من نخلة أن ينزل فنزل يَنقزِ فى الأرض حتى وقف بين يديه فقال : أتشهد أنى رسول الله ؟ فشهد بذلك ثلاثا ثم عاد إلى مكانه ، وهذا أَليَق وأظهر فى المطابقة من الذى قبله ، ولكن هذا السياق فيه غرابة .

والذى رواه الإمام أحمد وصححه الترمذى ، ورواه البيهقى والبخارى فى التاريخ من رواية أبى ظَبْيان حُصَين بن المنذر ، عن ابن عباس ، قال : جاء أعرابى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بم أعرف أنك رسول الله ؟ قال : أرأيتَ إن دعوتُ هذا العِذْقَ من هذه النخلة أتشهد أنى رسول الله ؟ قال: نعم . قال : فدعا العذق فجعل العذق ينزل من النخلة حتى سقط فى الأرض فجعل يَنقزِ حتى أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له : ارجع، فرجع إلى مكانه ، فقال : أشهد أنك رسول الله ، وآمن به .

هذا لفظ البيهقى ، وهو ظاهر فى أن الذى شهد بالرسالة هو الأعرابى ، وكان رجلا

من بنى عامر ، ولكن فى رواية البيهقى من طريق الأعمش ، عن سالم بن أبى الجعد ، عن ابن عباس قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ماهذا الذى يقول أصحابك ؟ قال وحولَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أعذاق وشجر ، فقال : هل لك أن أريك آية ؟ قال : نعم ، فدعا غصنا منها فأقبل يَخُدُّ الأرضَ حتى وقف بين يديه وجعل يسجد ويرفع رأسه ، ثم أمره فرجع ، قال : فرجع العامرى وهو يقول : يابنى عامر بن صَعْصَعة : والله لا أُكذِّبه بشىء يقوله أبداً .

وتقدم فيما رواه الحاكم فى مستدركه متفرداً به عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا رجلا إلى الإسلام فقال : هل من شاهد على ماتقول ؟ قال : هذه الشجرة . فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى على شاطئ الوادى فأقبلت تخدّ الأرض خدًّا فقامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا ، فشهدت أنه كما قال ، ثم إنها رجعت إلى مَنْبتها ورجع الأعرابى إلى قومه وقال : إنْ يتبعونى أتيتك بهم وإلا رجعت إليك وكنت معك .

* * *

قال : وأما حَنِين الجذع الذى كان يخطب إليه النبى صلى الله عليه وسلم ، فعمِل له المنبر ، فلما رقَى عليه وخطب حنّ الجذعُ إليه حنين العُشَار والناس يسمعون بمشهد الخلق يوم الجمعة ، ولم يزل يئنّ ويحنّ حتى نزل إليه النبى صلى الله عليه وسلم فاعتنقه وسكّنه ، وخيّره بين أن يرجع غُصنا طريا أو يغرس فى الجنة يأكل منه أولياء الله ، فاختار الغرس فى الجنة وسكَن عند ذلك ، فهو حديث مشهور معروف ، قد رواه من الصحابة عدد كثير متواتر ، وكان بحضور الخلائق .

وهذا الذى ذكره من تواتر حنين الجذع كما قال ، فإنه قد روى هذا الحديث جماعة من الصحابة ، وعنهم أعداد من التابعين ، ثم من بعدهم آخرون عنهم لا يمكن تواطؤهم على الكذب فهو مقطوع به فى الجملة .

وأما تخيير الجذع كما ذكره شيخنا فليس بمتواتر ، بل ولا يصح إسناده ، وقد أوردته فى الدلائل عن أبى بن كعب ، وذكر فى مسند أحمد ، وسنن ابن ماجه ، وعن أنس من خمس طرق إليه ، صحح الترمذى إحداها ، وروى ابن ماجه أخرى ، وأحمد ثالثة ، والبزّار رابعة ، وأبو نعيم خامسة . وعن جابر بن عبد الله فى صحيح البخارى من طريقين عنه ، والبزار من ثالثة ورابعة ، وأحمد من خامسة وسادسة ، وهذه على شرط مسلم ، وعن سهل بن سعد فى مصنّف ابن أبى شيبة على شرط الصحيحين ، وعن ابن عباس فى مسند أحمد وسنن ابن ماجه بإسناد على شرط مسلم ، وعن ابن عمر فى صحيح البخارى ، ورواه أحمد من وجه آخر عن ابن عمر ، وعن أبى سعيد فى مسند عبد بن حُمَيد بإسناد على شرط مسلم ، وقد رواه يَعْلى الموصلى من وجه آخر عنه ، وعن عائشة رواه الحافظ أبو نعيم من طريق على بن أحمد الخوارزمىّ ، عن قَبِيصة بن حبّان بن على عن صالح بن حبان ، عن عبد الله بن بُرَيدة عن عائشة ، فذكر الحديث بطوله ، وفيه أنه خيره بين الدنيا والآخرة فاختار الجذعُ الآخرة وغار حتى ذهب فلم يعرف ، وهذا غريب إسناداً ومتنا ، وعن أم سلمة رواه أبو نعيم بإسناد جيد .

وقدمت الأحاديثَ ببسط أسانيدها وتحرير ألفاظها وغُرَرها بما فيه كفاية عن إعادته هاهنا ، ومن تدبّرها حصل له القطع بذلك ولله الحمد والمنة .

* * *

قال القاضى عياض بن موسى السّبْتى المالكى فى كتابه الشّفا : وهو حديث مشهور متواتر خرجه أهل الصحيح . ورواه من الصحابة بضعة عشر ، منهم أبىّ وأنس وبُرَيدة وسهل بن سعد ، وابن عباس ، وابن عمر والمطّلب بن أبى ودَاعة وأبو سعيد وأم سلمة رضى الله عنهم أجمعين .

قال شيخنا: فهذه جمادات ونباتات وقد حنّت وتكلمت ، وفى ذلك مايقابل انقلاب العصا حيةً .

قلت : وسنشير إلى هذا عند ذكر معجزات عيسى عليه السلام فى إحيائه الموتى بإذن الله تعالى فى ذلك ، كما رواه البيهقى عن الحاكم ، عن أبى أحمد بن أبى الحسن ، عن عبد الرحمن بن أبى حاتم ، عن أبيه ، عن عمرو بن سوار قال : قال لى الشافعى : ما أعطى الله نبيا ما أعطى محمداً صلى الله عليه وسلم .

فقلت : أعطى عيسى إحياء الموتى . فقال : أعطى محمدٌ الجذعَ الذى كان يخطب إلى جنبه حتى هيئ له المنبر ، فلما هيِّئ له حنَّ الجذعُ حتى سمع صوته ، فهذا أكبرُ من ذلك .

وهذا إسناد صحيح إلى الشافعى رحمه الله ، وهو مما كنت أسمع شيخنا الحافظ أبا الحجاج المِزّى رحمه الله يذكره عن الشافعى رحمه الله وأكرم مثواه .

وإنما قال : فهذا أكبر من ذلك ، لأن الجذع ليس محلا للحياة ومع هذا حصل له شعور ووجْد لما تحول عنه إلى المنبر فأنَّ وحنَّ حنينَ العُشَار حتى نزل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتضنه وسكّنه حتى سكَن .

قال الحسن البصرى : فهذا الجذع حنَّ إليه ، فإنهم [1] أحق أن يَحنّوا إليه .

وأما عود الحياة إلى جسد كانت فيه بإذن الله فعظيم ، وهذا أعجب وأعظم من إيجاد حياة وشعور فى محل ليس مألوفا لذلك لم تكن فيه قبل بالكلية . فسبحان الله رب العالمين .

تنبيه :

وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم لواء يحمل معه فى الحرب يخفق فى قلوب

---

(١) رواية ابن الجوزى فى الوفا : فأنتم أحق .

أعدائه مسيرة شهر بين يديه ، وكانت له عنزة تحمل بين يديه فإذا أراد الصلاة إلى غير جدار ولا حائل ركزت بين يديه ، وكان له قضيب يتوكأ عليه إذا مشى ، وهو الذى عبر عنه سَطِيح فى قوله لابن أخيه عبد المسيح بن نُفَيلة : ياعبد المسيح ، إذا كثرت التلاوةُ ، وظهر صاحبُ الهَرَاوة وغاضت بحيرة ساوة ، فليست الشام لسطيح شاما.

ولهذا كان ذكر هذه الأشياء عند إحياء عصا موسى وجعلها حية أليق ، إذ هى مساوية لذلك ، وهذه متعددة فى محالٍ متفرقة ، بخلاف عصا موسى فإنها وإن تعدد جعلها حيةً ، فهى ذاتٌ واحدة والله أعلم .

ثم ننبه على ذلك عند ذكر إحياء الموتى على يد عيسى لأن هذه أعجب وأكبر وأظهر وأعلم .

قال شيخنا : وأما أن الله كلم موسى تكليما ، فقد تقدم حصول الكلام للنبى صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء مع الرؤية وهو أبلغ .

هذا أورده فيما يتعلق بمعجزات موسى عليه السلام ليلة الإسراء فيشهد له : فنوديتُ يامحمد قد كلفت فريضتين وخففتُ عن عبادى ، وسياق بقية القصة يرشد إلى ذلك ، وقد حكى بعض العلماء الإجماع على ذلك ، لكن رأيت فى كلام القاضى عياض نقل خلاف فيه والله أعلم .

وأما الرؤية ففيها خلاف مشهور بين الخلفَ والسلف ، ونصرها من الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزَيمة المشهور بإمام الأئمة ، واختار ذلك القاضى عياض والشيخ محيى الدين النووى ، وجاء عن ابن عباس تصديق الرؤية ، وجاء عنه تقنيدها ، وكلاهما فى صحيح مسلم .

وفى الصحيحين عن عائشة إنكار ذلك ، وقد ذكرنا فى الإسراء عن ابن مسعود وأبى هريرة وأبى ذر وعائشة رضى الله عنهم أن المرئى فى المرتين المذكورتين فى أول

سورة النجم ، إنما هو جبريل عليه السلام ، وفى صحيح مسلم عن أبى ذر قال : قلت يارسول الله هل رأيت ربك ؟ فقال : نورٌ أنَّى [1] أراه ، وفى رواية : رأيت نوراً .

وقد تقدم بسط ذلك فى الإسراء فى السيرة وفى التفسير فى أول سورة بنى إسرائيل .

وهذا الذى ذكره بينهما فيما يتعلق بالمعجزات الموسوية عليه أفضل الصلاة والسلام .

وأيضا فإن الله تعالى كلم موسى وهو بطور سينا . وسأل الرؤية فمنعها ، وكلم محمداً صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء وهو بالملأ الأعلى حين رفع لمستوى سَمع فيه صَريف الأقلام ، وحصلت له الرؤية فى قول طائفة كبيرة من علماء السلف والخلف والله أعلم .

ثم رأيت ابن حامد قد طرق هذا فى كتابه وأجاد وأفاد وقال ابن حامد : قال الله تعالى لموسى : « وألقيتُ عليك محبة منى » وقال لمحمد : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يُحْبِبكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » .

وأما اليد التى جعلها الله برهانا وحجة لموسى على فرعون وقومه كما قال تعالى بعد ذكر صيرورة العصا حية : « أدْخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فذانك بُرْهانان من ربك إلى فرعون ومَلِئه » وقال فى سورة طه : « ... آية أخرى لنريك من آياتنا الكبرى » .

فقد أعطى الله محمداً انشقاق القمر ـ بإشارته إليه ـ فرقتين ، فرقة من وراء جبل حراء ، وأخرى أمامه ، كما تقدم بيان ذلك بالأحاديث المتواترة مع قوله تعالى : « اقتربت الساعة وانشقَّ القمر وإن يروا آية يُعْرضوا ويقولوا سحرٌ مستمر » .

---

(١) المطبوعة : نورا لى . وهو تحريف .

ولاشك أن هذا أجل وأعظم وأبهر فى المعجزات وأعم وأظهر وأبلغ من ذلك .

وقد قال كعب بن مالك فى حديثه الطويل فى قصة توبته : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سر استنار وجهه كأنه فلقة قمر . وذلك فى صحيح البخارى .

وقال ابن حامد : قالوا : فإن موسى أُعطى اليدَ البيضاء ؟

قلنا لهم : فقد أُعطى محمد صلى الله عليه وسلم ماهو أفضل من ذلك ، نوراً كان يضىء عن يمينه حيثما جلس ، وعن يساره حيثما جلس وقام ، يراه الناس كلهم ، وقد بقى ذلك النور إلى قيام الساعة ، ألا ترى أنه يُرى النور الساطع من قبره صلى الله عليه وسلم من مسيرة يوم وليلة ؟

هذا لفظه ، وهذا الذى ذكره من هذا النور غريب جداً .

وقد ذكرنا فى السيرة عند إسلام الطفيل بن عمرو الدَّوسى أنه طلبَ من النبى صلى الله عليه وسلم آيةً تكون له عَوناً على إسلام قومه من بيته هناك ، فسطع نور بين عينيه كالمصباح ، فقال : اللهم فى غير هذا الموضع فإنهم يظنونه مُثْلة . فتحوَّل النور إلى طرف سوطه فجعلوا ينظرون إليه كالمصباح فهداهم الله على يديه ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبدعائه لهم فى قوله : اللهم اهد دَوْسا ، وأتِ بهم ، وكان يقال للطفيل : ذو النور لذلك.

وذكر أيضاً حديث أسيد بن حضير وعبَّاد بن بشر فى خروجهما من عند النبى صلى الله عليه وسلم فى ليلة مظلمة فأضاء لهما طرف عصا أحدهما ، فلما افترقا أضاء لكل واحد منهما طرف عصاه .

وذلك فى صحيح البخارى وغيره .

وقال أبو زُرْعة الرازى فى كتاب دلائل النبوة : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد ابن سلمة ، عن ثابت بن أنس بن مالك ، أن عباد بن بشر وأسيد بن حضير خرجا من عند النبى صلى الله عليه وسلم فى ليلة ظلماء حندس فأضاءت عصا أحدهما مثل السَّراج

وجعلا يمشيان بضوئها ، فلما تفرقا إلى منزلهما أضاءت عصا ذا وعصا ذا .

ثم روى عن إبراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة بن مصعب بن الزبير بن العوام ، وعن يعقوب بن حميد المدنى ، كلاهما عن سفيان بن حمزة بن يزيد الأسلمى ، عن كثير ابن زيد ، عن محمد بن حمزة بن عمرو الأسلمى ، عن أبيه قال : سرنا فى سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة ظلماء دُحْمُسة فأضاءت أصابعى حتى جمعوا عليها ظَهرهم وما هلك منهم ، وإن أصابعى لتستنير .

وروى هشام بن عمار فى المبعث : حدثنا عبد الأعلى بن محمد البكرى ، حدثنا جعفر ابن سليمان البصرى ، حدثنا أبو التيَّاح الضبعىّ ، قال : كان مطرّف بن عبدالله يبدّر فيدخل كل جمعة فربما نوّر له فى سوطه ، فأدلج ذات ليلة وهو على فرسه حتى إذا كان عند المقابر هدم به ، قال : فرأيت صاحب كل قبر جالسا على قبره ، فقال : هذا مطرف يأتى الجمعة ، فقلت لهم : وتعلمون عندكم يوم الجمعة ؟ قالوا : نعم ، ونعلم مايقول فيه الطير ، قلت : وما يقول فيه الطير ؟ قالوا : يقول : رب سلم سلم قوم صالح .

وأما دعاؤه عليه السلام بالطوفان ، وهو الموت الذريع فى قول ، وما بعده من الآيات والقحط والجدب ، فإنما كان ذلك لعلهم يرجعون إلى متابعته ويقلعون عن مخالفته ، فما زادهم إلا طغيانا كبيراً ، قال الله تعالى : « وما نريهم من آية إلا هى أكبرُ من أختها وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون . وقالوا ياأيها الساحر ادعُ لنا ربك بما عَهِد عندك إننا لمهتدون[1] ». « وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحَرنا بها فما نحن لك بمؤمنين . فأرسلنا عليهم الطوفانَ والجراد والقمّل والضفادع والدم آياتٍ مفصّلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين ولما وقع عليهم الرِّجْز قالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهِد عندك لئن كشفتَ عنا الرِّجْز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى إسرائيل . فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجلٍ هم بالغوه إذا هم

(١) سورة الزخرف ٤٨ ، ٤٩ .

ينكثون . فانتقمنا منهم فأغرقناهم فى اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين [1] » .

وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش حين تمادوا على مخالفته بسبع كسبع يوسف فقحطوا حتى أكلوا كل شيء ، وكان أحدهم يرى بينه وبين السماء مثل الدخان من الجوع .

وقد فسر ابن مسعود قوله تعالى : « فارتقب يومَ تأتى السماء بدُخَانٍ مبين » بذلك كما رواه البخارى عنه فى غير ما موضع من صحيحه .

ثم توسلوا إليه ، صلوات الله وسلامه عليه ، بقرابتهم منه مع أنه بُعث بالرحمة والرأفة ، فدعا لهم فأقلع عنهم ورفع عنهم العذاب ، وأُحْيوا بعد ما كانوا أشرفوا على الهلكة .

* * *

وأما فَلْق البحر لموسى عليه السلام حين أمره الله تعالى — حين تراءى الجمعان — أن يضرب البحر بعصاه فانفلق فكان كل فرق كالطَّود العظيم ، فإنه معجزة عظيمة باهرة ، وحجة قاطعة قاهرة ، وقد بسطنا ذلك فى التفسير وفى قصص الأنبياء وفى إشارته صلى الله عليه وسلم بيده الكريمة إلى قمر السماء فانشق القمر فلقتين وفقَ ماسأله قريش ، وهم معه جلوس فى ليلة البدر ، أعظم آية ، وأيمن دلالة وأوضح حجة وأبهر برهان على نبوته وجاهه عند الله تعالى ، ولم ينقل معجزة عن نبى من الأنبياء من الآيات الحسيات أعظم من هذا ، كما قررنا ذلك بأدلته من الكتاب والسنة ، فى التفسير وفى أول البعثة .

وهذا أعظم من حبس الشمس قليلا ليوشع بن نون حتى تمكن من الفتح ليلة السبت كما سيأتى فى تقرير ذلك مع مايناسب ذكره عنده .

---

(١) سورة الأعراف ١٣٢ — ١٣ .

وقد تقدم من سيرة العلاء بن الحضرمى ، وأبى عبيد الثقفى وأبى مسلم الخولانى ، وسير الجيوش التى كانت معهم على تيار الماء ومنها دجلة وهى جارية عجاجة تقذف الخشب من شدة جريها ، وتقدم تقرير أن هذا أعجب من فلق البحر لموسى من عدة وجوه والله أعلم .

وقال ابن حامد : فإن قالوا : فإن موسى عليه السلام ضرب بعصاه البحر فانفلق فكان ذلك آية لموسى عليه السلام .

قلنا : فقد أوتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلها . قال على رضى الله عنه : لما خرجنا إلى خيبر فإذا نحن بواد سحب وقدرناه فإذا هو أربع عشرة قامة ، فقالوا : يارسول الله العدو من ورائنا والوادى من أمامنا ، كما قال أصحاب موسى :إنا لمدركون فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فعبرت الخيل لا تُبدى حوافرها والإبل لاتبدى أخفافها ، فكان ذلك فتحا .

وهذا الذى ذكره بلا إسناد ولا أعرفه فى شىء من الكتب المعتمدة بإسناد صحيح ولا حسن بل ولا ضعيف فالله أعلم .

وأما تظليله بالغمام فى التيه ، فقد تقدم ذكر حديث الغمامة التى رآها بحيرا تظله من بين أصحابه ، وهو ابن اثنتى عشرة سنة ، صحبةَ عمه أبى طالب وهو قادم إلى الشام فى تجارة ، وهذا أبهر من جهة أنه كان وهو قبل أن يوحى إليه ، وكانت الغمامة تظله وحده من بين أصحابه ، فهذا أشد فى الاعتناء ، وأظهر من غمام بنى إسرائيل وغيرهم ، وأيضاً فإن المقصود من تظليل الغمام إنما كان لاحتياجهم إليه من شدة الحر .

وقد ذكرنا فى الدلائل حين سئل النبى صلى الله عليه وسلم أن يدعو لهم ليستموا لما هم عليه من الجوع والجهد والقحط ، فرفع يديه وقال : اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا .

قال أنس : ولا والله مانرى فى السماء من سحاب ولا قَزَعة ، وما بيننا وبين سَلْع من بيت ولا دار ، فأنشأت من ورائه سحابة مثل التُّرس ، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت، قال أنس : فلاوالله مارأينا الشمس سبتنَا .

ولما سألوه أن يَستصحى لهم رفع يده وقال : اللهم حوالينا ولا علينا ، فما جعل يشير بيديه إلى ناحيـة إلا انحاز السحاب إليها حتى صارت للمدينـة مثل الإكليل يمطر ماحولها ولا تمطر .

فهذا تظليل عام محتاج إليه ، آكد من الحاجة إلى ذلك ، وهو أنفع منه والتصرف فيه وهو تيسير أبلَغ فى المعجِز وأظهر فى الاعتناء . والله أعلم .

وأما إنزال المن والسلوى عليهم فقد كثّر رسول الله صلى الله عليـه وسلم الطعام والشراب فى غير ماموطن كما تقدم بيانه فى دلائل النبوة من إطعام الجم الغفير من الشىء اليسير ، كما أطعم يوم الخندق من شُوَيهة جابر بن عبد الله وصاعه الشعير ، أزيدَ من ألف نفس جائعة صلوات الله وسلامه عليـه دائماً إلى يوم الدين ، وأطعم من جَفنةٍ قوماً من الناس وكانت تُمدّ من السماء ، إلى غير ذلك من هذا القبيل مما يطول ذكره .

وقد ذكرأبو نعيم وابن حامد أيضا هاهنا أن المراد بالمن والسلوى إنما هو رزق رُزقوه من غير كد منهم ولا تعب ، ثم أورد فى مقابلته حديث تَحْليل الغَنَم ولا يحل لأحدقبلنا ، وحديث جابر فى سَرِيَّة أبى عُبيدة وجوعهم حتى أكلوا الخَبَط فحَسر البحر لهم عن دابة تسمى العنبر فأكلوا منها ثلاثين من يوم وليلة حتى سمنوا وتكسرت عُكَن بطونهم ، والحديث فى الصحيح كما تقدم ، وسيأتى عنـد ذكر للمائدة فى معجزات المسيح بن مريم قصة أبى موسى الخولانى أنه خرج هو وجماعـة من أصحابه إلى الحج وأمرهم أن لايحملوا زاداً ولا مزاداً فكانوا إذا نزلوا منزلا صلى ركعتين فيؤتون بطعـام وشراب وعلف يكفيهم ويكفى دوابهم غداء وعشاء مدة ذهابهم وإيابهم .

وأما قوله تعالى : « وإذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مَشْرَبهم »[1] الآية فقد ذكرنا بسط ذلك فى قصة موسى عليه السلام وفى التفسير .

وقد ذكرنا الأحاديث الواردة فى وضع النبى صلى الله عليه وسلم يده فى ذلك الإناء الصغير الذى لم يسَعْ بسطَها فيه ، فجعل الماء ينبع من بين أصابعه أمثال العيون ، وكذلك كثّر الماء فى غير ما موطن ، كمزادتى تلك المرأة ، ويوم الحديبية ، وغير ذلك .

وقد استسقى اللهَ لأصحابه فى المدينة وغيرها فأجيب طبق السؤال وفق الحاجة لا أزيدَ ولا أنقص ، وهذا أبلغ فى المعجز ، ونبع الماء من بين أصابعه من نفس يده ، على قول طائفة من العلماء ، أعظم من نبع الماء من الحجر فإنه محل لذلك .

قال أبو نعيم الحافظ : فإن قيل : إنّ موسى كان يضرب بعصاه الحجر فينفجر منه اثنتا عشرة عينا فى التيه ، قد علم كل أناس مَشْربَهم . قيل : كان لمحمد صلى الله عليه وسلم مثله أو أعجب ، فإن نبع الماء من الحجر مشهور فى العلوم والمعارف ، وأعجب من ذلك نبع الماء من بين اللحم والدم والعظم ، فكان يفرّج بين أصابعه فى مِخْضَب فينبع من بين أصابعه الماء فيشربون ويُسقون ماء جاريا عذبا ، يُرْوى العدد الكثير من الناس والخيل والإبل .

ثم روى عن طريق المطّلب بن عبد الله بن أبى حَنْطَب : حدثنى عبد الرحمن بن أبى عمرة الأنصارى ، حدثنى أبى ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها ، فبات الناس فى مَخْمصة فدعا برَكْوة فوضعت بين يديه ، ثم دعا بماء فصبه فيها ، ثم مجّ فيها وتكلم ما شاء الله أن يتكلم ، ثم أدخل إصبعه فيها ، فأقسم بالله لقد رأيت

---

(١) سورة البقرة .

أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم تتفجر مِنها ينابيع الماء ، ثم أمر الناس فسُقوا وشربوا وملأوا قِرَبهم وإداواتهم .

وأما قصة إحياء الذين قُتلوا بسبب عبادة العجل وقصة البقرة ، فسيأتى ما يشابههما من إحياء حيوانات وأناس ، عند ذكر إحياء الموتى على يد عيسى ابن مريم والله أعلم ، وقد ذكر أبو نعيم هاهنا أشياء أخر تركناها اختصاراً واقتصاراً .

وقال هشام بن عمّار فى كتابه المبعث :

باب

ما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أعطى الأنبياء قبله

حدثنا محمد بن شعيب ، حدثنا رَوْح بن مُدْرِك ، أخبرنى عمر بن حسان التميمى ، أن موسى عليه السلام أُعطى آية من كنوز العرش : ربِّ لاتُولِج الشيطانَ فى قلبى وأعِذْنى منه ومن كل سوء ، فإن لك اليد والسلطان والملك والملكوت ، دهرَ الداهرين وأبد الآبدين آمين آمين .

قال : وأعطى محمد صلى الله عليه وسلم آيتان من كنوز العرش ، آخر سورة البقرة : آمنَ الرسول بما أنزل إليه من ربه إلى آخرها .

قصة حبس الشمس

على يوشع بن نون بن افرائم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن عليهم السلام .

وقد كان نبيَّ بنى إسرائيل بعد موسى عليه السلام ، وهو الذى خرج ببنى إسرائيل من التيه ودخل بهم بيت المَقْدِس بعد حصار ومقاتَلة ، وكان الفتح قد يُنْجَز بعد العصر يوم الجمعة ، وكادت الشمس تغرب ويدخل عليهم السبت فلا يتمكنون معه من القتال ، فنظر إلى الشمس فقال : إنك مأمورة وأنا مأمور ، ثم قال : اللهم احبسها علىَّ . فحبسها الله عليه حتى فتح البلد ثم غربت .

وقد قدمنا فى قصة من قصص الأنبياء الحديث الوارد فى صحيح مسلم من طريق عبد الرزاق ، عن مَعْمَر عن همَّام ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

غزانبي من الأنبياء فدنامن القرية حين صلى العصر أو قريبا من ذلك فقال للشمس : أنت مأمورة وأنا مأمور ، اللهم أمسكها عليّ شيئا . فحبست عليه حتى فتح الله عليه ، الحديث بطوله .

وهذا النبي هو يوشع بن نون ، بدليل مارواه الإمام أحمد : حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا أبو بكر بن هشام ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الشمس لم تُحبس لبشر إلا ليوشع عليه السلام ليالى سار إلى بيت المقدس .

تفرد به أحمد وإسناده على شرط البخارى .

إذا عُلم هذا فانشقاق القمر فَلْقَتين حتى صارت فلقة من وراء الجبل ـ أعنى حراء ـ وأخرى من دونه ، أعظم فى المعجزة من حبس الشمس قليلا .

وقد قدمنا فى الدلائل حديث رد الشمس بعد غروبها ، وذكرنا ماقيل فيه من المقالات فالله أعلم .

قال شيخنا العلامة أبو المعالى ابن الزَّمْلكانى : وأما حبس الشمس ليوشع فى قتال الجبارين ، فقد انشق القمر لنبينا صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر فلقتين أبلغ من حبس الشمس عن مسيرها ، وصحت الأحاديث وتواترت بانشقاق القمر ، وأنه كان فرقةً خلف الجبل وفرقة أمامه ، وأن قريشا قالوا : هذا سحَر أبصارنا . فوردت المسافرون وأخبروا أنهم رأوه مفترقا ، قال الله تعالى : « اقتربت الساعةُ وانشقّ القمرُ . وإن يروا آية يُعْرِضوا ويقولوا سِحْر مستمر » .

قال : وقد حبست الشمس لرسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين ، إحداهما مارواه الطحاوى وقال : رواته ثقات ، وسماهم وعدّهم واحداً واحداً ، وهو أن النبي صلى الله

عليه وسلم كان يوحى إليه ورأسه فى حجر على رضى الله عنه فلم يرفع رأسه حتى غربت الشمس ، ولم يكن علىٌّ صلى العصر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إنه كان فى طاعتك وطاعة رسولك ، فاردد عليه الشمس . فردَّ الله عليه الشمسَ حتى رئيت فقام علىٌ فصلى العصر ، ثم غربت .

والثانية صبيحة الإسراء ، فإنه صلى الله عليه وسلم أخبر قريشا عن مَسراه من مكة إلى بيت المقدس ، فسألوه عن أشياء من بيت المقدس فجلاَّه الله له حتى نظر إليه ووصفه لهم ، وسألوه عن عير كانت لهم فى الطريق فقال : إنها تصل إليكم مع شروق الشمس ، فتأخرت فحبس الله الشمس عن الطلوع حتى كانت العصر .

روى ذلك ابن بُكير فى زياداته على السيرة . أما حديث رد الشمس بسبب على رضى الله عنه ، فقد تقدم ذِكْرنا له من طريق أسماء بنت عُمَيس ، وهو أشهرها ، وابن سعيد وأبى هريرة وعلىٍّ نفسه ، وهو مستنكر من جميع الوجوه ، وقد مال إلى تقويته أحمد بن صالح المصرى الحافظ ، وأبو حفص الطحاوى ، والقاضى عياض ، وكذا صححه جماعة من العلماء الرافضة كابن المطَّهر وذويه ، ورده وحكم بضعفه آخرون من كبار حفاظ الحديث ونقادهم ، كعلى بن المدينى ، وإبراهيم ابن يعقوب الجوزجانىّ ، وحكاه عن شيخه محمد ويعلى بن عبيد الطَّنافسيِّين ، وكأبى بكر محمد بن حاتم البخارى المعروف بابن زنجويه أحد الحفاظ ، والحافظ الكبير أبى القاسم بن عساكر ، وذكره الشيخ جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزى فى كتاب الموضوعات ، وكذلك صرح بوضعه شيخاى الحافظان الكبيران أبو الحجاج المِزِّىّ ، وأبو عبد الله الذهبى .

وأما ما ذكره يونس بن بُكير فى زياداته على السيرة من تأخر طلوع الشمس عن إبان طلوعها ، فلم يُرَ لغيره من العلماء ، على أن هذا ليس من الأمور المشاهدة ، وأكثر مافى الباب أن الراوى روى تأخير طلوعها ولم نشاهد حبسها عن وقته .

وأغرب من هـذا ماذكره ابن المطهر فى كتابه المنهاج ، أنها رُدَّت لعلى مرتين ، فذكر الحديث المتقدم ، كما ذكر ، ثم قال : وأما الثانية فلما أراد أن يعبر الفرات ببابل ، اشتغل كثير من أصحابه بسبب دوابهم ، وصلى لنفسه فى طائفة من أصحابه العصر ، وفاتت كثيراً منهم فتكلموا فى ذلك ، فسأل الله رد الشمس فردت .

قال : وذكر أبو نعيم بعد موسى إدريس عليه السلام وهو عند كثير من المفسرين من أنبياء بنى إسرائيل ، وعند محمد بن إسحاق بن يسار وآخرين من علماء النسب قبل نوح عليه السلام ، فى عمود نسبه إلى آدم عليه السلام ، كما نبهنا على ذلك . فقال :

القول فيما أعطى إدريس عليه السلام

من الرفعة التى نوه الله بذكرها فقال : « ورفعناه مكاناً عَلِيّاً » .

قال : والقول فيه أن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم أعطى أفضل وأكمل من ذلك ، لأن الله تعالى رفع ذكره فى الدنيا والآخرة فقال : « ورفعنا لك ذِكْرك » فليس خطيب ولا شفيع ولا صاحب صلاة إلا ينادى بها : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فقرَن الله اسمه باسمه ، فى مشارق الأرض ومغاربها ، وذلك مفتاحا للصلاة المفروضة .

ثم أورد حديث ابن لهِيعة ، عن درَّاج ، عن أبى الهيثم ، عن أبى سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : « ورفعنا لك ذِكْرك » قال : قال جبريل : قال الله : إذا ذُكرتُ ذُكرتَ .

ورواه ابن جرير وابن أبى عاصم من طريق دراج .

ثم قال : حدثنا أبو أحمد محمد بن أحمد الغِطْريفى ، حدثنا موسى بن سهل الجَوْنى ، حدثنا أحمد بن القاسم بن بهرام الهِيتى ، حدثنا نصر بن حماد ، عن عثمان بن عطاء ، عن الزهرى ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما فرغتُ مما أمرنى

الله تعالى به من أمر السموات والأرض قلت : يارب إنه لم يكن نبي قبلي إلا قد كرّمته جعلتَ إبراهيم خليلا ، وموسى كليما ، وسخرت لداود الجبال ، ولسليمان الريح والشياطين وأحييت لعيسى الموتى ، فما جعلت لي ؟

قال : أو ليس قد أعطيتك أفضل من ذلك كله ؟ ألّا أُذكر إلا ذُكرت معي ، وجعلتُ صدور أمتك أناجيل يقرءون القرآن ظاهراً ولم أعطها أمّة ، وأنزلت عليك كلمة من كنوز عرشي : لاحول ولا قوة إلا بالله .

وهذا إسناد فيه غرابة ، ولكن أورد له شاهداً من طريق أبي القاسم ابن بنت مَنيع البغَوي ، عن سليمان بن داود المهراني ، عن حماد بن زيد ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس مرفوعا بنحوه .

وقد رواه أبو زُرْعة الرازي في كتاب دلائل النبوة بسياق آخر ، وفيه انقطاع ، فقال : حدثنا هشام بن عمار الدمشقي ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا شعيب بن زريق ، أنه سمع عطاء الخراساني يحدث عن أبي هريرة وأنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ليلة أسرئ به ، قال : لما أراني الله من آياته فوجدت ريحا طيبة فقلت : ماهذا ياجبريل ؟ قال : هذه الجنة قالت : يارب ائتني بأهلي ، قال الله تعالى : لك ماوعدتك ، كل مؤمن ومؤمنة لم يتخذ من دوني أنداداً ، ومن أقرضني قرّبته ، ومن توكل عليّ كفيته ، ومن سألني أعطيته ، ولا ينقص نفقته ، ولا ينقص مايتمنى ، لك ماوعدتك ، فنعم دار المتقين أنت ، قالت : رضيت .

فلما انتهينا إلى سدرة المنتهى خررت ساجداً فرفعت رأسي فقلت : يارب اتخذتَ إبراهيم خليلا ، وكلمت موسى تكليما ، وآتيت داود زبوراً ، وآتيت سليمان ملكا عظيما .

قال : فإني قد رفعت لك ذِكرك ، ولا تجوز لأمتك خطبةٌ حتى يشهدوا أنك رسولي

وجعلت قلوب أمتك أناجيل ، وآتيتك خواتيم سورة البقرة من تحت عرشي .

ثم روى من طريق الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي هريرة ، حديث الإسراء بطوله ، كما سقناه من طريق ابن جرير في التفسير .

وقال أبو زُرْعة في سياقه : ثم لقي أرواح الأنبياء عليهم السلام فأثنوا على ربهم عز وجل ، فقال إبراهيم : الحمد لله الذي اتخذني خليلا ، وأعطاني ملكا عظيما ، وجعلني أمة قانتاً لله تحياي ومماتي ، وأنقذني من النار ، وجعلها عليّ برداً وسلاما .

ثم إن موسى أثنى على ربه فقال : الحمد لله الذي كلمني تكليما ، واصطفاني برسالته وبكلامه ، وقربني نجيا ، وأنزل عليّ التوراة ، وجعل هلاك فرعون على يدي .

ثم إن داود أثنى على ربه فقال : الحمد لله الذي جعلني مَلِكا وأنزل على الزبور ، وألان لي الحديد ، وسخر لي الجبال يسبّحن معي والطير ، وآتاني الحكمة وفَصْل الخطاب .

ثم إن سليمان أثنى على ربه فقال : الحمد لله الذي سخر لي الرياح والجن والإنس ، وسخر لي الشياطين يعملون لي ماشئت من محَاريب وتماثيل وجِفَان كالجواب وقُدور راسيات ، وعلمني منطق الطير ، وأسال لي عين القِطْر ، وأعطاني مُلكا لاينبغي لأحد من بعدي .

ثم إن عيسى أثنى على الله عز وجل فقال : الحمد لله الذي علمني التوراة والإنجيل ، وجعلني أبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله ، وطهّرني ورفعني من الذين كفروا ، وأعاذني من الشيطان الرجيم ، فلم يكن للشيطان علينا سبيل .

ثم إن محمداً صلى الله عليه وسلم أثنى على ربه فقال : كلكم أثنى على ربه ، وأنا مُثنٍ على ربي ، الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين . وكافة للناس بشيراً ونذيراً ، وأنزل على الفرقان فيه تبيان كل شيء ، وجعل أمتي خير أمة أخرجت للناس ، وجعل أمتي وسطا ،

وجعل أمتى هم الأولون وهم الآخرون ، وشرح لى صدرى ، ووضع عنى وِزرى ، ورفع لى ذِكرى ، وجعلنى فاتحا وخاتما .

فقال إبراهيم : بهذا فضلكم محمد صلى الله عليه وسلم .

ثم أورد الحديث المتقدم فيما رواه الحاكم والبيهقى ، من طريق عبد الرحمن ابن يزيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر بن الخطاب مرفوعا فى قول آدم : يارب أسألك بحق محمد إلا غفرت لى ، فقال الله : وما أدراك ولم أخلقه بعد ؟ فقال : لأنى رأيت مكتوبا مع اسمك على ساق العرش : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فعرفت أنك لم تُضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك ، فقال الله : صدقت يا آدم ، ولولا محمد ماخلقتك .

وقال بعض الأئمة : رفَع الله ذكره ، وقرنه باسمه فى الأولين والآخرين ، وكذلك يرفع قدره ويقيمه مقاماً محموداً يوم القيامة ، يغبطه به الأولون والآخرون ، ويرْغب إليه الخلق كلهم حتى إبراهيم الخليل ، كما ورد فى صحيح مسلم فيما سلف وسيأتى أيضا .

فأما التنويه بذكره فى الأمم الخالية ، والقرون السابقة ، ففى صحيح البخارى عن ابن عباس قال : « ما بعث الله نبيّاً إلا أخذ عليه الميثاق لئن بُعث محمد وهو حىّ ليؤمنن به وليتبعنّه ولينْصرنه » وأمره أن يأخذ على أمته العهد والميثاق لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به وليتبعنه ، وقد بشّرت بوجوده الأنبياء حتى كان آخر من بشر به عيسى بن مريم خاتم أنبياء بنى إسرائيل ، وكذلك بشرت به الأحبار والرهبان والكهان ، كما قدمنا ذلك مبسوطا .

ولما كانت ليلة الإسراء رفع من سماء إلى سماء حتى سلم على إدريس عليه السلام ، وهو فى السماء الرابعة ، ثم جاوزه إلى الخامسة ثم إلى السادسة فسلم على موسى بها ، ثم جاوزه إلى السابعة فسلم على إبرهيم الخليل عند البيت المعمور ، ثم جاوز ذلك المقام ، فرفع لمستوى سمع فيه صريف الأقلام ، وجاء سِدْرة المنتهى ورأى الجنة والنار وغير

ذلك من الآيات الكبرى ، وصلى بالأنبياء ، وشيَّعه من كلٍّ مقربوها ، وسلم عليه رضوان خازن الجنان ، ومالك خازن النار ، فهذا هو الشرف ، وهذه هي الرفعة ، وهذا هو التكريم والتنويه والإشهار والتقديم والعلو والعظمة ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر أنبياء الله أجمعين .

وأما رفع ذكره في الآخرين ، فإن دينه باق ناسخ لكل دين ، ولا يُنسخ هو أبد الآبدين ودهر الداهرين إلى يوم الدين ، ولا تزال طائفة من أمته ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة ، والنداء فى كل يوم خمس مرات على كل مكان مرتفع من الأرض : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، وهكذا كل خطيب يخطب لا بد أن يذكره فى خطبته ، وما أحسن قول حسان :

أغرُّ عليه للنبوة خاتمٌ ... من الله مشهودٌ يلوح ويُشْهَدُ
وضمَّ الإله اسم النبيّ إلى اسمه ... إذا قال فى الخمس المؤذن أشهدُ
وشقَّ له من اسمه ليُجِلّهُ ... فذو العرش محمودٌ وهذا محمدُ

وقال الصَّرْصَرى رحمه الله :

ألم تر أنّا لا يصح أذاننا ... ولا فَرْضنا إن لم نكرره فيهما

القول فيما أوتى داود عليه السلام

قال الله تعالى : « واذكر عَبْدنا داود ذا الأَيْد إنه أوَّاب ، إنا سخَّرنا الجبال معه يسبِّحن بالعشىِّ والإشراق ، والطير محشورة كل له أوَّاب »(١) .

وقال تعالى : « ولقد آتينا داودَ منا فَضْلا ياجبال أوِّبى معه والطيرَ وألنَّا له الحديدَ أن اعمل سابغاتٍ وقدِّر فى السَّرد واعملوا صالحا إنى بما تعملون بَصِير »(٢) .

وقد ذكرنا قصته عليه السلام فى التفسير ، وطِيب صوته عليه السلام ، وأن الله تعالى كان قد سخر له الطير تسبِّح معه ، وكانت الجبال أيضا تجيبه وتسبح معه ، وكان سريع القراءة ، يأمر بدوابه فتُسْرَج فيقرأ الزبور بمقدار مايفرغ من شأنها ثم يَرْكب ، وكان لايأكل إلا من كسب يده ، صلوات الله وسلامه عليه .

وقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم حسن الصوت طيِّبه بتلاوة القرآن .

قال جُبَير بن مُطْعم : قرأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى المغرب بالتين والزيتون، فما سمعت صوتا أطيب من صوته صلى الله عليه وسلم ، وكان يقرأ ترتيلا كما أمره الله عز وجل بذلك .

وأما تسبيح الطير مع داود ، فتسبيح الجبال الصُّم أعجب من ذلك ، وقد تقدم فى الحديث أن الحصا سبح فى كف رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ابن حامد : وهذا حديث معروف مشهور ، وكانت الأحجار والأشجار والمدر تسلم عليه صلى الله عليه وسلم .

وفى صحيح البخارى عن ابن مسعود قال : لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل — يعنى بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم — :

(١) سورة ص ١٧—١٩ . (٢) سورة سبأ ١٠ ، ١١ .

وكلَّمه ذراع الشاة المسمومة ، وأعلمه بما فيه من السم ، وشهدت بنبوته الحيوانات الإنسية والوحشية ، والجمادات أيضا ، كما تقدم بسط ذلك كله .

ولا شك أن صدور التسبيح من الحصا الصغار الصُّم التى لاتجاويف فيها ، أعجب من صدور ذلك من الجبال ، لما فيها من التجاويف والكهوف ، فإنها وما شاكلها تردِّد صدَى الأصوات العالية غالبا ، كما قال عبد الله بن الزبير : كان إذا خطب ـ وهو أمير المدينة بالحرم الشريف ـ تجاوبه الجبال ، أبو قبيس وزرود ، ولكن من غير تسبيح ، فإن ذلك من معجزات داود عليه السلام .

ومع هذا كان تسبيح الحصا فى كف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان ، أعجَب .

وأما أكل داود من كسب يده ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل من كسبه أيضا ، كما كان يرعى غنما لأهل مكة على قراريط . وقال : وما من نبى إلا وقد رعى الغنم . وخرج إلى الشام فى تجارة لخديجة مضارَبةً ، وقال الله تعالى : « وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعامَ ويمشى فى الأسواق لولا أُنزل إليه ملَكٌ فيكون معه نذيرا أو يلقَى إليه كنز أوتكون له جنة يأكل منها ، وقال الظالمون إن تتَّبعون إلا رجلا مسحورا ، انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلُّوا فلا يستطيعون سبيلا » إلى قوله : « وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعامَ ويمشون فى الأسواق »[1] أى للتكسب والتجارة طلبا للربح الحلال .

ثم لما شرع الله الجهاد بالمدينة ، كان يأكل مما أباح له من المغانم التى لم تُبَح قَبله ، ومما أفاء الله عليه من أموال الكفار التى أبيحت له دون غيره ، كما جاء فى المسند والترمذى عن ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بُعثت بالسيف بين يدى الساعة حتى

(١) سورة الفرقان ٦ ـ ٢٠ .

يُعبد الله وحده لاشريك له ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري ، ومن تشبه بقوم فهو منهم .

وأما إلانة الحديد بغير نار كما يلين العجين في يده ، فكان يصنع هذه الدروع الداودية ، وهي الزَّرْديات السابغات ، وأمره الله تعالى بنفسه بعملها ، وقدّر في السَّرْد ، أي ألا يدق المسمار فيعلق ، ولا يَعْصله[1] فيُقْصَم ، كما جاء في البخاري ، وقال تعالى : « وعلّمناه صنعةَ لَبُوس لكم لتُحْصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون » .

وقد قال بعض الشعراء في معجزات النبوة :

نَسْج داود ماحي صاحبَ الغا ر وكان الفخار للعنكبوت

والمقصود المعجز في إلانة الحديد ، وقد تقدم في السيرة عند ذكر حفر الخندق عام الأحزاب ، في سنة أربع ، وقيل : خمس ، أنهم عرضت لهم كُدْيَة ـ وهي الصخرة في الأرض ـ فلم يقدروا على كسرها ولا شيء منها ، فقام إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وقد ربط حجراً على بطنه من شدة الجوع ـ فضربها ثلاث ضربات ، لمعت الأولى حتى أضاءت له منها قصور الشام ، وبالثانية قصور فارس ، وثالثة ، ثم انسالت الصخرة كأنها كَثِيب من الرمل ، ولا شك أن انسيال الصخرة التي لاتنفعل ولا بالنار ، أعجب من لين الحديد الذي إن أحمى لان ، كما قال بعضهم :

فلو أن ما عالجتُ لِينَ فؤادها فقسا [استُلين به][2] للآنَ الجندلُ

والجندل الصخر ، فلو أن شيئاً أشد قوة من الصخر لذكره هذا الشاعر المبالغ ، قال الله تعالى : « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشدّ قسوة » الآية .

وأما قوله تعالى : « قل كونوا حجارة أو حديداً أو خَلْقا مما يكبُر في صدوركم »

---

(١) يعصله : يعوجه . (٢) من الزهرة لابن داود الأصبهاني ١١٩ . والبيت للأحوص .

الآية ، فذلك لمعنى آخر فى التفسير ، وحاصله أن الحديد أشد امتناعا فى الساعة الراهنة من الحجر ما لم يعالج ، فإذا عولج انفعل الحديد ولا ينفعل الحجر والله أعلم .

وقال أبو نعيم : فإن قيل : فقد ليّن الله لداود عليه السلام الحديد حتى سرَد منه الدروع السوابغ .

قيل : [قد] (١) لُيِّنت لمحمد صلى الله عليه وسلم الحجارة وصُمّ الصخور ، فعادت له غاراً استتر به من المشركين ، يوم أحد ، مال إلى الجبل ليخفى شخصه عنهم فليّن [الله له (١)] الجبل حتى أدخل رأسه فيه ، وهذا أعجَب لأن الحديد تلينه النار ، ولم نر النار تلين الحجر .

قال : وذلك بعدُ ظاهرٌ باقٍ يراه الناس . قال : وكذلك فى بعض شعاب مكة حجر من جبل [أصَمّ استروَح] (٢) فى صَلاَته . (٣) إليه فلان الحجر حتى أثر (٤) فيه بذراعيه وساعديه ، وذلك مشهور يقصده الحجاج ويرونه (٥) . وعادت الصخرة ليلة أسرى به كهيئة العجين ، فربط بها دابته — البراق — وموضعه يمسونه الناس (٦) إلى يومنا هذا .

وهذا الذى أشار إليه ، من يوم أحد وبعض شعاب مكة غريب جداً ، ولعله قد أسنده هو فيما سلف ، وليس ذلك بمعروف فى السيرة المشهورة . وأما ربط الدابة فى الحجر فصحيح ، والذى ربطها جبريل كما هو فى صحيح مسلم رحمه الله .

وأما قوله : وأوتيت الحكمة وفصل الخطاب ، فقد كانت الحكمة التى أوتيها محمد صلى الله عليه وسلم والشرعة التى شرعت له ، أكمل من كل حكمة وشرعة كانت لمن

(١) من دلائل النبوة لأبى نعيم ٥٢١ .

(٢) سقطت من الأصل ، وأثبتها من دلائل النبوة لأبى نعيم ٥٢١ . طبع حيدر آباد .

(٣) المطبوعة : صلابة ، وهو تحريف .

(٤) الأصل : حتى أدرأ فيه وهو تحريف ، وما أثبته من دلائل النبوة ٥٢١ .

(٥) دلائل النبوة : ويزورونه .

(٦) دلائل النبوة : يلمسه الناس .

قبله من الأنبياء صلوات الله عليه وعليهم أجمعين ، فإن الله جمع له محاسن من كان قبله ، وفضَّله ، وأ كمله [وآتاه] مالم يؤت أحداً قبله ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : أوتيت جوامع الكلم واختصرت لى الحكمة اختصاراً.

ولا شك أن العرب أفصح الأمم ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم أفصحهم نطقا ، وأجمع لكل خلق جميل مطلقا .

القول فيما أوتى سليمان بن داود عليه السلام

قال الله تعالى : « فسخَّرْنا له الريحَ تجرى بأمره رُخَاء حيث أصاب ، والشياطين كل بنَّاء وغوّاص وآخرين مُقرّنين فى الأصفاد ، هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ، وإن له عندنا لزُلفى وحُسن مآب »[١] .

وقال تعالى : « ولسليمان الريحَ عاصفةً تجرى بأمره إلى الأرض التى باركنا فيها وكنا بكل شىء عالمين . ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين »[٢] .

وقال تعالى « ولسليمان الريح غُدوّها شهر ورَواحها شهر وأسَلْنا له عينَ القِطْر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يَزِغ منهم عن أمْرنا نُذقْه من عذاب السعير . يعملون له مايشاء من مَحاريب وتماثيل وجِفَان كالجَواب وقُدور راسيات اعملوا آلَ داود شكرا وقليل من عبادىَ الشكور »[٣] .

وقد بسطنا ذلك فى قصته ، وفى التفسير أيضا .

وفى الحديث الذى رواه الإمام أحمد وصححه الترمذى، وابن حِبّان والحاكم فى مستدركه ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبى صلى الله عليه وسلم : أن سليمان عليه السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس سأل الله خلالا ثلاثا ، سأل الله حُكماً يوافق حكمه ، ومُلكا

---

(١) سورة ص ٣٦ ــ ٤٠ . (٢) سورة الأنبياء ٨١ ، ٨٢ .
(٣) سورة سبأ ١٢ ، ١٣ .

لاينبغى لأحد من بعده ، وأنه لايأتى هـذا المسجد أحـد إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه .

أما تسخير الريح لسليمان فقد قال الله تعالى فى شأن الأحزاب : « ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمةَ الله عليكم إذ جاءتكم جنودٌ فأرسلنا عليهم ريحاً وجنودا لم تَروها وكان الله بما تعملون بصيراً » .

وقد تقدم فى الحديث الذى رواه مسلم من طريق شعبة عن الحاكم عن مجاهد عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : نُصِرت بالصَّبا وأُهلكت عاد بالدَّبُور ورواه مسلم من طريق الأعمش عن مسعود بن مالك ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله . وثبت فى الصحيحين : نُصرت بالرعب مَسيرة شهر .

ومعنى ذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا قصد قتال قوم من الكفار ألقى الله الرعب فى قلوبهم قبل وصوله إليهم بشهر ، ولو كان مسيره شهراً .

فهذا فى مقابلة : « غدوها شهر وروَاحها شهر » ، بل هذا أبلغ فى التمكن والنصر والتأييد والظَّفَر ، وسخِّرت الرياح تسوق السحاب لإنزال المطر الذى امتن الله به حين استسقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غير ماموطن كما تقدم

* * *

وقال أبو نعيم : فإن قيل : فإن سليمان سخرت له الريح فسارت به فى بلاد الله وكان غدوها شهراً ورواحها شهراً .

قيل : ماأعطى محمد صلى الله عليه وسلم أعظم وأكبر ، لأنه سار فى ليلة واحدة من مكة إلى بيت المقدس مَسيرة شهر ، وعُرج به فى ملكوت السموات مسيرة خمسين ألف سنة ، فى أقل من ثلث ليلة ، فدخل السموات سماء سماء ، ورأى عجائبها ، ووقف على

الجنة والنار ، وعُرض عليه أعمال أمته ، وصلى بالأنبياء وبملائكة السموات ، واخترق الُحجب ، وهذا كله فى ليلة قائما ، أكبر وأعجب .

وأما تسخير الشياطين بين يديه تعمل مايشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ، فقد أنزل الله الملائكة المقربين لنصرة عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم فى غير ماموطن ، يوم أحد وبدر ، ويوم الأحزاب ويوم حنين ، كما تقدم ، ذكرنا ذلك مفصلا فى مواضعه . وذلك أعظم وأبهر ، وأجل وأعلى من تسخير الشياطين . وقد ذكر ذلك ابن حامد فى كتابه .

وفى الصحيحين من حديث شعبة عن محمد بن زياد عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن عفريتا من الجن تفلّت علىّ البارحة ،أو كلمة نحوها ،ليَقْطع علىّ الصلاةَ فأمكننى الله منه ، فأردت أن أربطه إلى سارية من سوارى المسجد حتى يصبحوا وينظروا إليه ، فذكرت دعوة أخى سليمان : « رب اغفرلى وهَبْ لى مُلْكا لاينبغى لأحد من بعدى » قال رَوح : فرده الله خاسئا .

لفظ البخارى .

ولمسلم عن أبى الدرداء نحوه ، قال : ثم أردت أخذه ، والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح يلعب به وِلدان أهل المدينة .

وقد روى الإمام أحمد بسند جيد عن أبى سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام يصلى صلاةالصبح وهو خلفه ، فقرأ فالتبست عليه القراءة ، فلما فرغ من صلاته قال : لو رأيتمونى وإبليس فأهويت بيدى فما زلت أختنقه حتى وجدت برد لعابه بين أصبعىّ هاتين ، الإبهام والتى تليها ، ولولا دعوة أخى سليمان لأصبح مربوطا بسارية من سوارى المسجد يتلاعب به صبيان أهل المدينة .

وقد ثبت فى الصحاح والحسان والمسانيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا

دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصُفِّدت الشياطين ، وفى رواية : مرَدة الجن .

فهذا من بركة ماشرعه الله له من صيام شهر رمضان وقيامه ، وسيأتى عنـد إبراء الأكمه والأبرص من معجزات المسيح عيسى بن مريم عليـه السلام ، دعاه رسـول الله صلى الله عليه وسلم لغير ما واحد ممن أسلم من الجن فشفى ، وفارقهم خوفا منه ومهابة له ، وامتثالا لأمره . صلوات الله وسلامه عليهم .

وقد بعث الله نفراً من الجن يستمعون القرآن فآمنوا به وصدقوه ورجعوا إلى قومهم فدعوهم إلى دين محمد صلى الله عليـه وسلم وحذروهم مخالفته ، لأنه كان مبعوثا إلى الإنس والجن ، فآمنت طوائف من الجن كثيرة كما ذكرنا ، ووفدت إليه منهم وفود كثيرة وقرأ عليهم سورة الرحمن ، وخبّرهم بما لمن آمن منهم من الجنان ، وما لمن كفر من النيران ، وشرع لهم ما يأكلون وما يطعمون دوابهم ، فدل على أنه بين لهم ماهو أهم من ذلك وأكبر .

وقد ذكر أبو نعيم هاهنا حديث الغول التى كانت تسرق التمر من جماعة من أصحابه صلى الله عليه وسلم ، ويريدون إحضارها إليه فتمتنع كل الامتناع خوفا من المثول بين يديه ، ثم افتدت منهم بتعليمهم قراءة آية الكرسى التى لايقرب قارئها الشيطان ، وقد سقنا ذلك بطرقه وألفاظه عند تفسير آية الكرسى من كتابنا التفسير ولله الحمد . والغول هى الجن المتبدى بالليل فى صورة مرعبة .

وذكر أبو نعيم هاهنا حماية جبريل له عليه السلام غير مامرة من أبى جهل كما ذكرنا فى السيرة ، وذكر مقاتلة جبريل وميكائيل عن يمينه وشماله يوم أحد .

وأما ما جمع الله تعالى لسليمان من النبوة والملك كما كان أبوه من قبله ، فقد خيّر الله عبده محمداً صلى الله عليه وسلم بين أن يكون مَلِكا نبيا أو عبداً رسولا ، فاستشار جبريل

فى ذلك فأشار إليه وعليه أن يتواضع ، فاختار أن يكون عبداً رسولا ، وقد روى ذلك من حديث عائشة وابن عباس ، ولا شك أن منصب الرسالة أعلى . وقد عُرضت على نبينا صلى الله عليه وسلم كنوز الأرض فأباها ، قال : ولو شئت لأجرَى الله معى جبالَ الأرض ذهبا ، ولكن أجوع يوما وأشبع يوما .

وقد ذكرنا ذلك كله بأدلته وأسانيده فى التفسير وفى السيرة أيضا ولله الحمد والمنة .

وقد أورد الحافظ أبو نعيم هاهنا طرفا منها من حديث عبد الرزاق عن مَعْمَر ، عن الزهرى ، عن سعيد وأبى سلمة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بينا أنا نائم جىء بمفاتيح خزائن الأرض فجعلت فى يدى .

ومن حديث الحسين بن واقد عن الزبير عن جابر مرفوعاً : أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا على فرس أبْلق جاءنى به جبريل عليه قطيفة من سندس .

ومن حديث القاسم عن أبى لُبَابة مرفوعا : عَرض علىّ ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا فقلت : لا يارب ، ولكن أشبع يوما وأجوع يوما ، فإذا جُعْت تضرعت إليك ، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك .

* * *

قال أبو نعيم : فإن قيل : سليمان عليه السلام كان يفهم كلام الطير والنملة كما قال تعالى : « وقال يأيها الناس عُلِّمنا منطق الطير » الآية وقال : « فلما أتوا على وادى النمل قالت نملةٌ ياأيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يَحْطمنكم سليمانُ وجنوده وهم لايشعرون . فتبسَّم ضاحكا من قولها » الآية .

قيل : قد أعطى محمد صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وأكثر منه ، فقد تقدم ذكرنا لكلام البهائم والسباع وحنين الجِذع ورُغاء البعير وكلام الشجر وتسبيح الحصا

والحجَر ، ودعائه إياه واستجابته لأمره ، وإقرار الذئب بنبوته ، وتسبيح الطير لطاعته ، وكلام الظَّبية وشكواها إليه ، وكلام الضَّبّ وإقراره بنبوّته ، وما فى معناه ، كل ذلك قد تقدم فى الفصول بما يغنى عن إعادته . انتهى كلامه .

قلت : وكذلك أخبره ذراع الشاة بما فيه من السم وكان ذلك بإقرار من وضعه فيه من اليهود ، وقال إن هذه السحابة لتبتهل بنصرك ياعمرو بن سالم ـ يعنى الخزاعى ـ حين أنشده تلك القصيدة يستعديه فيها على بنى بكر الذين نقضوا صلح الحديبية ، وكان ذلك سبب فتح مكة كما تقدم وقال صلى الله عليه وسلم : إنى لأعرف حجراً كان يسلم علىّ بمكة قبل أن أُبعث ، إنى لأعرفه الآن .

فهذا إن كان كلاما مما يليق بحاله ففهم عنه الرسول ذلك ، فهو من هذا القبيل وأبلغ لأنه جماد بالنسبة إلى الطير والنمل ، لأنهما من الحيوانات ذوات الأرواح .

وإن كان سلاما نُطْقيا وهو الأظهر ، فهو أعجب من هذا الوجه أيضا ، كما قال علىّ : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض شِعَاب مكة ، فما مر بحجر ولا شجر ولا مدَر إلا قال : السلام عليك يارسول الله ، فهذا النطق سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رضى الله عنه .

ثم قال أبو نعيم : حدثنا أحمد بن محمد بن الحارث العنبرى ، حدثنا أحمد بن يوسف ابن سفيان ، حدثنا إبراهيم بن سويد النخعى ، حدثنا عبد الله بن أُذَينة الطائى ، عن ثور ابن يزيد ، عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل قال : أتى النبىّ صلى الله عليه وسلم ـ وهو بخيبر ـ حمار أسود فوقف بين يديه فقال: من أنت ؟ فقال: أنا عمرو بن فهران ، كنا سبعة إخوة وكلنا ركبنا الأنبياء وأنا أصغرهم ، وكنت لك فملكنى رجل من اليهود ، وكنت إذا ذكرك عثرت به فيوجعنى ضربا ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم فأنت يعفور .

وهذا الحديث فيه نكارة شديدة ولا يحتاج إلى ذكره مع ماتقدم من الأحاديث الصحيحة التى فيها غنية عنه . وقد روى على غير هذه الصفة ، وقد نص على نكارة ابن أبى حاتم عن أبيه ، والله أعلم .

القول فيما أوتى عيسى بن مريم عليه السلام

ويسمى المسيح ، فقيل : لمسحه الأرض ، وقيل : لمسح قدمه ، وقيل : لخروجه من بطن أمه ممسوحا بالدهان ، وقيل : لمسح جبريل [له] بالبركة ، وقيل : لمسح الله الذنوب عنه ،وقيل : لأنه كان لا يمسح أحداً إلا برأ . حكاها كلها الحافظ أبو نعيم رحمه الله .

ومن خصائصه أنه عليه السلام مخلوق بالكلمة من أنثى بلا ذكر ، كما خلقت حواء من ذكر بلا أنثى ، وكما خلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى ، وإنما خلقه الله تعالى من تراب ثم قال له : كن فيكون . وكذلك يكون عيسى بالكلمة وبنفخ جبريل مريم فخلق منها عيسى .

ومن خصائصه وأمه أن إبليس لعنه الله حين ولد ذهب يَطْعن فطَعن فى الحجاب كما جاء فى الصحيح .

ومن خصائصه أنه حىّ لم يمت ، وهو الآن بجسده فى السماء الدنيا ، وسينزل قبل يوم القيامة على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق ، فيملأ الأرض قسطا وعدلا ، كما ملئت جوراً وظلما ، ويحكم بهذه الشريعة المحمدية ، ثم يموت ويدفن بالحجرة النبوية ، كما رواه الترمذى وقد بسطنا ذلك فى قصته .

وقال شيخنا العلامة ابن الزَّمْلَكانى رحمه الله : وأما معجزات عيسى عليه السلام، فمنها إحياء الموتى .

والنبى صلى الله عليه وسلم من ذلك كثير ، وإحياء الجماد أبلغ من إحياء الميت ، وقد

كلم النبيَّ صلى الله عليه وسلم الذراعُ المسمومة ، وهذا الإحياء أبلغ من إحياء الانسان الميت من وجوه :

أحدها ، إنه إحياء جزء من الحيوان دون بقيته ، وهذا معجز لو كان متصلا بالبدن .

الثاني أنه أحياه وحده منفصلا عن بقية أجزاء ذلك الحيوان مع موت البقية .

الثالث : أنه أعاد عليه الحياة مع الإدراك والعقل، ولم يكن هذا الحيوان يعقل فى حياته الذى هو جزؤه مما يتكلم ، وفى هذا ماهو أبلغ من حياة الطيور التى أحياها الله لإبراهيم صلى الله عليه وسلم .

قلت : وفى حلول الحياة والإدراك والعقل فى الحجَر الذى كان يخاطب النبى صلى الله عليه وسلم بالسلام عليه ، كما روى فى صحيح مسلم ، من المعجِز ماهو أبلغ من إحياء الحيوان فى الجملة ، لأنه كان محلا للحياة فى وقت، بخلاف هذا ؛ حيث لاحياة له بالكلية قبل ذلك ، وكذلك تسليم الأحجار والمدَر عليه ، وكذلك الأشجار والأغصان وشهادتها بالرسالة ، وحنين الجذع.

وقد جمع ابن أبى الدنيا كتابا فيمن عاش بعد الموت ، وذكر منها كثيراً .

وقد ثبت عن أنس رضى الله عنه أنه قال : دخلنا على رجل من الأنصار وهو مريض يعقل فلم نبرح حتى قُبض ، فبسطنا عليه ثوبه وسجّيناه ، وله أم عجوز كبيرة عند رأسه ، فالتفت إليها بعضنا وقال : ياهذه احتسبي مصيبتك عند الله . فقالت : وما ذاك ؟ أمات ابنى ؟ قلنا : نعم . قالت : أحق ماتقولون ؟ قلنا : نعم .

فمدت يدها إلى الله تعالى فقالت : اللهم إنك تعلم أنى أسلمت وهاجرت إلى رسولك رجاء أن تعيننى عند كل شدة ورخاء ، فلا تحمّلنى هذه المصيبة اليوم . قال : فكشف الرجل عن وجهه وقعد ، وما برحنا حتى أكلنا معه .

وهذه القصة قد تقدم التنبيه عليها في دلائل النبوة . وقد ذكر معجز الطوفان مع قصة العلاء بن الحضرمي .

وهذا السياق الذي أورده شيخنا ذكر بعضه بالمعنى ، وقد رواه أبو بكر ابن أبي الدنيا ، والحافظ أبو بكر البيهقي من غير وجه عن صالح بن بشير المرّي ـ أحد زُهّاد البصرة وعبادها ـ وفي حديثه لين عن ثابت عن أنس فذكره .

وفي رواية البيهقي أن أمه كانت عجوزاً عمياء ثم ساقه البيهقي من طريق عيسى بن يونس عن عبد الله بن عون عن أنس كما تقدم ، وسياقه أتم ، وفيه أن ذلك كان بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا إسناد رجاله ثقات ، ولكن فيه انقطاع بين عبد الله بن عون وأنس والله أعلم .

قصة أخرى

قال الحسن بن عرفة : حدثنا عبد الله بن إدريس ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي سَبْرة النَّخَعي قال : أقبل رجل من اليمن ، فلما كان في بعض الطريق نفق حماره ، فقام وتوضأ ثم صلى ركعتين ثم قال : اللهم إني جئت من المدينة مجاهداً في سبيلك وابتغاء مرضاتك ، وأنا أشهد أنك تحيي الموتى وتبعث من في القبور ، لا تجعل لأحد عليّ اليوم منة ، أطلب إليك اليوم أن تبعث حماري . فقام الحمار ينفض أذنيه .

قال البيهقي : هذا إسناد صحيح ، ومثل هذا يكون كرامة لصاحب الشريعة .

قال البيهقي : وكذلك رواه محمد بن يحيى الذهلي ، عن محمد بن عبيد ، عن إسماعيل ابن أبي خالد ، عن الشعبي وكأنه عند إسماعيل من الوجهين . والله أعلم .

قلت : كذلك رواه ابن أبي الدنيا من طريق إسماعيل عن الشعبي فذكره .

قال الشَّعبي : فأنا رأيت الحمار يبع أو يباع في الكناسة ـ يعني بالكوفة ـ

وقد أوردها ابن أبى الدنيا من وجه آخر ، وأن ذلك كان فى زمن عمر بن الخطاب ، وقد قال بعض قومه فى ذلك :

ومنا الذى أحيي الإله حمارَه   وقد مات منه كل عضوٍ ومفصلِ

وأما قصة زيد بن خارجة وكلامه بعد الموت وشهادته للنبى صلى الله عليه وسلم ولأبى بكر وعمر وعثمان بالصدق فمشهورة مروية من وجوه كثيرة صحيحة .

قال البخارى فى التاريخ الكبير : زيد بن خارجة الخزرجى الأنصارى شهد بدراً وتوفى فى زمن عثمان ، وهو الذى تكلم بعد الموت .

وروى الحاكم فى مستدركه والبيهقى فى دلائله وصححه كما تقدم من طريق العتبى عن سليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد الأنصارى ، عن سعيد بن المسيّب ،أن زيد بن خارجة الأنصارى ثم من الحارث بن الخزرج ، توفى زمن عثمان بن عفان فسجّى بثوبه ثم إنهم سمعوا جلجلةً فى صدره ، ثم تكلم فقال : أحمد فى الكتاب الأول صدق صدق، أبو بكر الضعيف فى نفسه القوى فى أمر الله ، فى الكتاب الأول صدق صدق ، عمر بن الخطاب القوى فى الكتاب الأول ، صدق صدق ، عثمان بن عفان على منهاجهم ، مضت أربع وبقيت ثنتان ، أتت الفتن وأكل الشديد الضعيف ، وقامت الساعة ، وسيأتيكم عن جيشكم خبر .

قال يحيى بن سعيد : قال سعيد بن المسيب : ثم هلك رجل من بنى حطمة فسجى بثوبه فسمع جلجلة فى صدره ، ثم تكلم فقال : إن أخا بنى حارث بن الخزرج صدق صدق .

ورواه ابن أبى الدنيا والبيهقى أيضا من وجه آخر بأبسط من هذا وأطول ، وصححه البيهقى .

قال : وقد روى فى التكلم بعد الموت عن جماعة بأسانيد صحيحة والله أعلم .

قلت : قد ذكرت فى قصة سَخْلة جابر يوم الخندق وأكل الألف منها ومن قليل شعير ماتقدم . وقد أورد الحافظ محمد بن المنذر المعروف بشُكّر [1] ، فى كتابه الغرائب والعجائب بسنده ، كما سبق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع عظامها ثم دعا الله تعالى فعادت كما كانت فتركها فى منزله والله أعلم .

قال شيخنا : ومن معجزات عيسى الإبراء من الجنون ، وقد أبرأ النبى صلى الله عليه وسلم ـ يعنى من ذلك ـ

هذا آخر ماوجدته فيما حكيناه عنه .

فأما إبراء عيسى من الجنون ، فما أعرف فيه نقلا خاصا ، وإنما كان يبرئ الأكمه والأبرص ، والظاهر : ومن جميع العاهات والأمراض المزمنة .

وأما إبراء النبى صلى الله عليه وسلم من الجنون ، فقد روى الإمام أحمد والحافظ البيهقى من غير وجه عن يعلى بن مرة أن امرأة أتت بابن لها صغير به لَمَم ماراأيت لمماً أشد منه ، فقالت يارسول‌الله ابنى هذا كما ترى أصابه بلاء ، وأصابنا منه بلاء ، يوجد منه فى اليوم مايؤذى ، ثم قالت : مرة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ناولينيه ، فجعلته بينه وبين واسطة الرَّحل ، ثم فغر فاه ونفث فيه ثلاثا وقال : بسم الله ، أنا عبد الله ، اخسأ عدو الله ، ثم ناولها إياه . فذكرت أنه برأ من ساعته وما رابَهم شىء بعد ذلك .

وقال أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن فَرْقد السَّبَخى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أن امرأة جاءت بولدها إلى رسول الله صلى‌الله عليه وسلم فقالت يارسول الله إن به لمماً ، وإنه يأخذه عند طعامنا فيفسد علينا طعامنا .

---

(١) المطبوعة : بيشكر ، وهو تحريف .

قال : فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره ودعا له فثعَّ ثعَّة(١) فخرج منه مثل الجرو الأسود فشفى .

غريب من هذا الوجه ، وفرقد فيه كلام وإن كان من زهاد البصرة ، لكن ماتقدم له شاهد وإن كانت القصة واحدة والله أعلم .

وروى البزار من طريق فرقد أيضاً عن سعد بن عباس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فجاءته امرأة من الأنصار فقالت : يارسول الله إن هذا الخبيث قد غلبنى ، فقال لها : تصبّرى على ما أنت عليه وتجيئى يوم القيامة ليس عليك ذنوب ولا حساب ؟ فقالت : والذى بعثك بالحق لأصبرن حتى ألقى الله ، ثم قالت : إنى أخاف الخبيث أن يجردنى . فدعا لها ، وكانت إذا أحست أن يأتيها تأتى أستار الكعبة فتتعلق بها وتقول له : اخسأ ، فيذهب عنها .

وهذا دليل على أن فرْقد قد حفظ ، فإن هذا له شاهد فى صحيح البخارى ومسلم من حديث عطاء بن أبى رباح قال : قال لى ابن عباس : ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ قلت : بلىٰ ، قال : هذه السوداء أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : إنى أُصْرع وأنكشف فادع الله لى ، قال : إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك ، قالت : لابل أصبر ، فادع الله ألا أنكشف ، قال : فدعا لها فكانت لاتنكشف .

ثم قال البخارى : حدثنا محمد ، حدثنا مخلد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى عطاء أنه رأى أم زفر – امرأة طويلة سوداء – على ستر الكعبة .

وذكر الحافظ ابن الأثير فى كتاب أُسْد الغابة فى أسماء الصحابة ، أن أم زفر هذه

---

(١) ثع : كاه . وفى المطبوعة : فسخ سخة ، وهو تحريف .

كانت ماشطة لخديجة بنت خويلد ، وأنها عمرت حتى رآها عطاء بن أبى رباح رحمهما الله تعالى .

وأما إبراء عيسى الأكمه وهو الذى يولد أعمى ، وقيل : هو الذى لا يبصر فى النهار ويبصر فى الليل ، وقيل : غير ذلك كما بسطنا ذلك فى التفسير ، والأبرص الذى به بهق ، فقد رد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد عينَ قتادة بن النعمان إلى موضعها بعد ماسالت على خده ، فأخذها فى كفه الكريم وأعادها إلى مقرها فاستمرت بحالها وبصرها وكانت أحسن عينيه رضى الله عنه ، كما ذكر محمد بن إسحاق بن يسار فى السيرة وغيره ، وكذلك بسطناه ثم ولله الحمد والمنة .

وقد دخل بعض ولده وهو عاصم بن عمر بن قتادة على عمر بن عبد العزيز فسأل عنه فأنشأ يقول :

أنا ابن الذى سالت على الخد عينُه   فرُدَّت بكفّ المصطفى أحسنَ الردِّ
فعادت كما كانت لِأول أمرها   فياحُسْن ماعينٍ وياحسن ماخدِّ

فقال عمر بن عبد العزيز :

تلك المكارم لاقَعْبان من لبن   شيباً بماء فعادا بعدُ أبوالاً

ثم أجازه فأحسن جائزته .

وقد روى الدارقطنى أن عينيه أصيبتا معاً حتى سالتا على خديه ، فردهما رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكانهما . والمشهور الأول كما ذكر ابن إسحاق .

قصة الأعمى الذى رد الله عليه بصره
بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الإمام أحمد : حدثنا رَوْح وعثمان بن عمر ، قالا : حدثنا شعبة ، عن أبى جعفر المدينى ، سمعت عمارة بن خزيمة بن ثابت يحدث عن عثمان بن حنيف ، أن رجلا ضريرا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ادع الله لى أن يعافينى . فقال : إن شئت أخَّرت ذلك فهو أفضل لآخرتك ، وإن شئت دعوت : قال : بل ادع الله لى .

قال : فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتوضأ ويصلى ركعتين وأن يدعو بهذا الدعاء : اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة ، إنى أتوجه به فى حاجتى هذه فتُقضَى ، وقال فى رواية عثمان بن عمر : فشفِّعه فىّ ، قال : ففعل الرجل فبرأ .

ورواه الترمذى وقال : حسن صحيح غريب لانعرفه إلا من حديث أبى جعفر الخطمى. وقد رواه البيهقى عن الحاكم بسنده إلى أبى جعفر الخطمى ، عن أبى أمامة بن سهل بن حُنَيف ، عن عمه عثمان بن حنيف ، فذكر نحوه ، قال عثمان : فوالله ماتفرَّقنا ولا طال الحديث بنا حتى دخل الرجل كأن لم يكن به ضُرٌّ قط .

قصة أخرى

قال أبو بكر بن أبى شيبة : حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا عبد العزيز بن عمر ، حدثنى رجل من بنى سلاَّمان بن سعد ، عن أمه ، عن خاله ، أو أن خاله أو خالها حبيب بن قُرَيط حدثها أن أباه خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعيناه مبيضَّتان لايبصر بهما

شيئا ، فقال له : ماأصابك ؟ قال : كنت [أمْرن[1]] جملاً لى فوقعت رجلى على بيض حية فأصيب بصرى . فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عينيه فأبصر ، فرأيته وإنه ليدخل الخيط فى الإبرة ، وإنه لابن ثمانين سنة ، وإن عينيه لمبيضّتان .

قال البيهقى : وغيره يقول حبيب بن مدرك .

وثبت فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نفث فى عينى علىّ يوم خيبر وهو أرمد فبرأ من ساعته ، ثم لم يرمد بعدها أبدا ، ومسح رجلَ جابر بن عَتِيك وقد انكسرت رجله ليلة قتل أبا رافع ـ تاجر أهل الحجاز الخيبرى ـ فبرأ من ساعته أيضا .

وروى البيهقى أنه صلى الله عليه وسلم مسح يد محمد بن حاطب وكانت قد احترقت بالنار فبرأ من ساعته ، ومسح رِجل سلمَة بن الأكوع وقد أصيبت يوم خيبر فبرأت من ساعتها ، ودعا لسعد بن أبى وقاص أن يُشفى من مرضه ذلك فشفى ، وروى البيهقى أن عمه أبا طالب مرض فسأل منه صلى الله عليه وسلم أن يدعو له ربه فدعا له فشفى من مرضه ذلك .

وكم له من مثلها وعلى مسلكها ، من إبراء آلام ، وإزالة أسقام ، مما يطول شرحه وبسطه .

وقد وقع فى كرامات الأولياء إبراء الأعمى بعد الدعاء عليه بالعمى أيضا ، كما رواه الحافظ ابن عساكر من طريق أبى سعيد بن الأعرابى عن أبى داود : حدثنا عمر بن عثمان ، حدثنا بَقِيّة ، عن محمد بن زياد ، عن أبى مسلم أن امرأة خَبَّبَت عليه امرأته ، فدعا عليها فذهب بصرها فأتته فقالت : ياأبا مسلم ، إنى كنت فعلت وفعلت ، وإنى لاأعود لمثلها ، فقال : اللهم إن كانت صادقة فاردد عليها بصرها ، فأبصرت .

---

(١) أمرن : أدهن . وقد سقطت من الأصل ، وأثبتها من دلائل النبوة لأبى نعيم .

ورواه أيضا من طريق أبى بكر بن أبى الدنيا : حدثنا عبد الرحمن بن واقد ، حدثنا ضَمْرة، حدثنا عاصم ، حدثنا عثمان بن عطاء قال : كان أبو مسلم الخولانى إذا دخل منزله فإذا بلغ وسط الدار كبر وكبرت امرأته فإذا دخل البيت كبر وكبرت امرأته ، فيدخل فينزع رداءه وحذاءه وتأتيه بطعام يأكل ، فجاء ذات ليلة فكبَّر فلم تجبه ، ثم جاء إلى باب البيت فكبر وسلَّم فلم تجبه ، وإذا البيت ليس فيه سراج ، وإذا هى جالسة بيدها عود تنكت فى الأرض به ، فقال لها : مالك ؟ فقالت الناس بخير ، وأنت لو أتيت معاوية فيأمر لنا بخادم ويعطيك شيئا نعيش به . فقال : اللهم من أفسد على أهلى فأعمِ بصَره .

قال : وكانت أتتها امرأة فقالت لامرأة أبى مسلم : لو كلمتِ زوجك ليكلم معاوية فيُخْدمكم ويعطيكم ؟ قال : فبينما هذه المرأة فى منزلها والسراج مُزْهر ، إذ أنكرت بصرها، فقالت : سراجكم طفئ ؟ قالوا : لا ، قالت : إن الله أذهب بصرى ، فأقبلت كما هى إلى أبى مسلم فلم تزل تناشده وتتلطف إليه، فدعا الله فرد بصرها ، ورجعت امرأته على حالها التى كانت عليها .

***

وأما قصة المائدة التى قال الله تعالى : « إذ قال الحواريون ياعيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزِّل علينا مائدةً من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين . قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدَقْتنا ونكون عليها من الشاهدين . قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدةً من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين . قال الله إنى منزِّلها عليكم فمن يَكفر بعد منكم فإنى أعذِّبه عذابا لا أعذبه أحداً من العالمين » .

وقد ذكرنا فى التفسير بسط ذلك واختلاف المفسرين فيها هل نزلت أم لا ؟ على

قولين ، والمشهور عن الجمهور أنها نزلت ، واختلفوا فيما كان عليها من الطعام على أقوال وذكر أهل التاريخ أن موسى بن نصير ، الذى فتح البلاد المغربية أيام بنى أمية وجد للمائدة ، ولكن قيل إنها مائدة سليمان بن داود مرصعة بالجواهر وهى من ذهب فأرسل بها إلى الوليد بن عبد الملك فكانت عنده حتى مات ، فتسلمها أخوه سليمان ، وقيل : إنها مائدة عيسى . لكن يُبعد هذا أن النصارى لا يعرفون المائدة كما قاله غير واحد من العلماء والله أعلم .

والمقصود أن المائدة سواء كانت قد نزلت أم لم تنزل فقد كانت موائد رسول الله صلى الله عليه وسلم تُمدّ من السماء ، وكانوا يسمعون تسبيح الطعام وهو يؤكل بين يديه ، وكم قد أشبع من طعام يسير ألوفا ومئات وعشرات صلى الله عليه وسلم ما تعاقبت الأوقات ، وما دامت الأرض والسموات .

وهذا أبو مسلم الخولانى ، وقد ذكر الحافظ ابن عساكر فى ترجمته من تاريخه أمراً عجيباً وشأنا غريبا ، حيث روى من طريق إسحاق بن يحيى الملطى ، عن الأوزاعى ، قال أتى أبا مسلم الخولانى نفرٌ من قومه فقالوا : ياأبا مسلم أما تشتاق إلى الحج ؟ قال : بلى لو أصبتُ لى أصحابا . فقالوا : نحن أصحابك ، قال : لستم لى بأصحاب ، إنما أصحابى قوم لا يريدون الزاد ولا المزاد ، فقالوا : سبحان الله ، وكيف يسافر أقوام بلا زاد ولا مزاد ؟ قال لهم : ألا ترون إلى الطير تغدو وتروح بلا زاد ولا مزاد والله يرزقها ؟ وهى لا تبيع ولا تشترى ، ولا تحرث ولا تزرع والله يرزقها ؟ قال : فقالوا : فإنا نسافر معك ، قال : فهبوا على بركة الله تعالى .

قال : فغدَوا من غوطة دمشق ليس معهم زاد ولا مزاد ، فلما انتهوا إلى المنزل قالوا : ياأبا مسلم طعام لنا وعلف لدوابنا ، قال : فقال لهم : نعم ، فتنحّا غير بعيد فيمم مسجد أحجار فصلى فيه ركعتين ، ثم جثا على ركبتيه فقال : إلهى قد تعلم ما أخرجنى من منزلى

وإنما خرجت آمًّا لك ، وقد رأيت البخيل من ولد آدم تنزل به العصابة من الناس فيوسعهم قِرىً ، وإنا أضيافك وزوارك ، فأطعمنا ، واسقنا ، واعلف دوابنا .

قال : فأتى بسفرة مدت بين أيديهم ، وجيء بجفنة من ثريد ، وجيء بقلتين من ماء ، وجيء بالعلف لا يدرون مـن يأتى به ، فلم تزل تلك حالهم منذ خرجوا من عنـد أهاليهم حتى رجعوا ، لا يتكلفون زاداً ولا مزادا .

فهذه حال ولىّ من هذه الأمة ، نزل عليـه وعلى أصحابه مائدة كل يوم مرتين مع مايضاف إليها من الماء والعلوفة لدواب أصحابه ، وهذا اعتناء عظيم ، وإنما نال ذلك ببركة متابعته لهذا النبى الـكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم .

***

وأما قوله عن عيسى بن مريم عليه السلام : أنه قال لبنى إسرائيل : « وأنبئـكم بما تأكلون وما تدّخرون فى بيوتـكم » الآية ، فهذا شيء يسير على الأنبياء ، بل وعلى كثير من الأولياء ، وقد قال يوسف الصديق لذينك الفتيين المحبوسين معه : « لا يأتيـكما طعام تُرْزقانه إلا نبأتـكما بتأويله قبلَ أن يأتيـكما ذلـكما مما علمنى ربى » الآية .

وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأخبار الماضية طبق ما وقع وعن الأخبـار الحاضرة سواء بسواء ، كما أخبر عن أكل الأرضة لتلك الصحيفة الظالمة التى كانت بطونُ قريش قديما كتبتها على مقاطعـة بنى هاشم وبنى المطلب حتى يُسْلموا إليهم رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها فى سقف الـكعبة ، فأرسل الله الأرضة فأكلتها إلا مواضع اسم الله تعالى ، وفى رواية : فأكلت اسم الله منها تنزيها لها أن تـكون مع الذى فيها من الظلم والعدوان ، فأخبر بذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمّه أبا طالب وهم بالشّعب ، فخرج إليهم أبو طالب وقال لهم عما أخبرهم به ، فقالوا : إن كان كما قال وإلا فسلموه إلينا ، فقالوا : نعم ، فأنزلوا الصحيفة فوجدوها كما أخـبر عنها

رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء بسواء ، فأقلعت بطون قريش عما كانوا عليه لبنى هاشم وبنى المطلب ، وهدى الله بذلك خلقا كثيرا .

وكم له مثلها كما تقدم بسطه وبيانه فى مواضع من السيرة وغيرها ولله الحمد والمنة .

وفى يوم بدر لما طلب من العباس عمه فداء ادَّعى أنه لا مال له ، فقال له : فأين المال الذى دفنته أنت وأم الفضل تحت أُسكفَّة الباب ، وقلت لها : إن قُتلت فهو للصِّبية ؟ فقال : والله يارسول الله إن هذا شىء لم يطلع عليه غيرى وغير أم الفضل إلا الله عز وجل .

وأخبر بموت النجاشى يوم مات وهو بالحبشة ، وصلى عليه ، وأخبر عن قتل الأمراء يوم مؤتة واحداً بعد واحد وهو على المنبر وعيناه تذرفان ، وأخبر عن الكتاب الذى أرسل به حاطب بن [أبى] بَلْتعة مع شاكر مولى بني عبد المطاب ، وأرسل فى طلبها علياً والزبير والمقداد ، فوجدوها قد جعلته فى عِقَاصها ، وفى رواية فى حُجْزتها ، وقد تقدم ذلك فى غزوة الفتح .

وقال لأميرى كسرى اللذين بعث بهما نائب اليمن لكسرى ليستعلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن ربى قد قَتل الليلة ربّكما ، فأرّخا تلك الليلة ، فإذا كسرى قد سلط الله عليه ولده فقتله ، فأسلما وأسلم نائب اليمن ، وكان سبب ملك اليمن لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما إخباره صلى الله عليه وسلم عن الغيوب المستقبلة فكثيرة جداً كما تقدم بسط ذلك ، وقد وقع ذلك طبق ما كان سواء .

وذكر ابن حامد فى مقابلة جهاد عيسى عليه الصلاة والسلام جهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى مقابلة زهد عيسى عليه الصلاة والسلام ، زهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كنوز الأرض حين عُرضت عليه فأباها ، وقال : أجوع يوما وأشبع يوما

وأنه كان له ثلاث عشرة زوجة يمضى عليهن الشهر والشهران لاتوقد عندهن نار ولا مصباح إنما هو الأسودان التمر والماء ، وربما ربط على بطنه الحجر من الجوع ، وما شبعوا من خبز بر ثلاث ليال تباعا ، وكان فراشه من أدَم وحشوه ليف ، وربما اعتقل الشاة فيحلبها ، ورقع ثوبه ، وخصف نعله بيده الكريمة ، صلوات الله وسلامه عليه ؛ ومات صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودى على طعام اشتراه لأهله ، هذا وكم آثر بآلاف مؤلفة والإبل والشاء والغنائم والهدايا ، على نفسه وأهله الفقراء والمحاويج والأرامل والأيتام والأسرى والمساكين .

وذكر أبو نعيم فى مقابلة تبشير الملائكة لمريم الصِّديقة بوضع عيسى مابُشرت به آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حملت به فى منامها ، وما قيل لها : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة فسميه محمداً ، وقد بسطنا ذلك فى المولد كما تقدم .

وقد أورد الحافظ أبو نعيم هاهنا حديثا غريبا مطولا بالمولد أحببنا أن نسوقه ليكون الختام نظير الافتتاح ، وبالله المستعان ، وعليه التكلان ولله الحمد . فقال : حدثنا سليمان ابن أحمد ، حدثنا حفص بن عمرو بن الصباح ، حدثنا يحيى بن عبد الله البابلى ، أخبرنا أبو بكر بن أبى مريم ، عن سعيد بن عمر الأنصارى ، عن أبيه ، قال : قال ابن عباس : فكان من دلالات حمل محمد صلى الله عليه وسلم أن كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة : قد حُمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة ، وهو أمان الدنيا وسراج أهلها ولم يبق كاهن فى قريش ولا قبيلة من قبائل العرب إلا حُجبت عن صاحبتها ، وانتُزع علم الكهنة منها ، ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوسا ، والملك مُخرساً لاينطق يومه ذلك ، وفرت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب بالبشارات ، وكذلك أهل البحار بشر بعضهم بعضا ، وفى كل شهر من شهوره نداء فى الأرض ونداء فى السموات : أبشروا فقد آن لأبى القاسم أن يخرج إلى الأرض ميمونا مباركا .

قال : وبقى فى بطن أمه تسعة أشهر ، وهلك أبوه عبد الله وهو فى بطن أمه ، فقالت الملائكة : إلهنا وسيدنا ، بقى نبيك هذا يتيما . فقال الله تعالى للملائكة : أنا له ولىّ وحافظ ونصير .

فتبركوا بمولده ميمونا مباركا ، وفتح الله لمولده أبواب السماء وجناته ، وكانت آمنة تحدث عن نفسها وتقول : أتى لى آت حين مرّ لى من حمله ستة أشهر فوكزنى برجله فى المنام وقال : يا آمنة إنك حملت بخير العالمين طراً ، فإذا ولدتيه فسميه محمداً أو النبى ، شأنك .

قال : وكانت تحدث عن نفسها وتقول : لقد أخذنى ما يأخذ النساء ولم يعلم بى أحد من القوم ، ذكر ولا أنثى ، وإنى لوحيدة فى المنزل وعبد المطلب فى طوافه ، قالت : فسمعت وَجْبة شديدة ، وأمراً عظيما ، فهالنى ذلك وذلك يوم الاثنين ، ورأيت كأن جناح طير أبيض قد مسح على فؤادى فذهب كل رعب وكل فزع ووجَل كنت أجد ، ثم التفت فإذا أنا بشَرْبة بيضاء ظننتها لبنا ، وكنت عطشانة ، فتناولتها فشربتها فأصابنى نورٌ عال ثم رأيت نسوة كالنّخل الطوال ، كأنهن من بنات عبد المطلب يُحْدقن بى ، فبينا أنا أعجب وأقول : واغوثاه ، من أين علمن بى ؟ واشتد بى الأمر وأنا أسمع الوجْبة فى كل ساعة أعظم وأهول ، وإذا أنا بديباج أبيض قد مُدّ بين السماء والأرض ، وإذا قائل يقول : خذوه عن أعين الناس ، قالت : رأيت رجالا وقفوا فى الهواء بأيديهم أباريق فضة وأنا يرشح منى عرَق كالجمان ، أطيب ريحا من المسك الأذفر ، وأنا أقول : ياليت عبد المطلب قد دخل علىّ .

قالت : ورأيت قطعة من الطير قد أقبلت من حيث لا أشعر حتى غطت حجرتى ، مناقيرها من الزمرد ، وأجنحتها من اليواقيت ، فكشف الله لى عن بصيرتى ، فأبصرت من ساعتى مشارق الأرض ومغاربها ، ورأيت ثلاث علامات مضروبات ، علَم بالمشرق

وعلم بالمغرب ، وعلم على ظهر الكعبة ، فأخذنى المخاض واشتد بى الطلق جدا ، فكنت كأنى مستندة إلى أركان النساء ، وكثرن علىّ حتى ملأن علىّ البيت وأنا لا أرى شيئا ، فولدت محمداً ، فلما خرج من بطنى دُرْت فنظرت إليه فإذا هو ساجد وقد رفع إصبعيه كالمتضرع للبتهل ، ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء تنزل حتى غشيته ، فغيِّب عن عينى ، فسمعت مناديا ينادى يقول : طوفوا بمحمد صلى الله عليه وسلم شرق الأرض وغربها ، وأدخلوه البحار كلها ، ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ، ويعلموا أنه سمِّى للماحى ، لايبقى شىء من الشرك إلا مُحِى به ، قالت : ثم تخلَّوا عنه فى أسرع وقت فإذا أنا به مُدْرج فى ثوب صوف أبيض ، أشد بياضا من اللبن ، وتحته حريرة خضراء ، وقد قبض محمد ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ الرَّطب الأبيض ، وإذا قائل يقول : قَبض محمد مفاتيح النصر ، ومفاتيح الريح ، ومفاتيح النبوة .

هكذا أورده وسكت عليه ، وهو غريب جداً .

* * *

وقال الشيخ جمال الدين أبو زكريا، يحيى بن يوسف بن منصور بن عمر الأنصارى الصَّرْصَرى ، الماهر الحافظ للأحاديث واللغة ، ذو المحبة الصادقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذلك يشبَّه فى عصره بحسان بن ثابت رضى الله عنه ، وفى ديوانه المكتوب عنه فى مديح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان ضرير البصر ، بصير البصيرة ، وكانت وفاته ببغداد فى سنة ست وخمسين وستمائة ، قتله التتار فى أهل سُنة بغداد ، قال فى قصيدته من حرف الحاء المهملة من ديوانه :

محمدٌ المبعوث للناس رحمةً ... يشيِّد ما أوهَى الضَّلالُ ويُصْلحُ

لئن سبَّحت صُمُّ الجبال مجيبةً ... لداود أو لان الحديد المصفَّحُ

فإن الصخور الصُّمَّ لانت بكفه ... وإن الحصا فى كفه ليسبِّحُ

*

وإن كان موسى أنبعَ الماءمن العصا ... فمن كفه قد أصبح الماء يَطْفحُ
وإن كانت الريح الرخاء مطيعةً ... سليمان لا تألو تَرُوح وتَسْرحُ
فإن الصّبا كانت لنصر نبينا ... برعبٍ على شهرٍ به الخصم يَكْلحُ
وإن أوتى الملك العظيم وسخّرت ... له الجن تَشْفى مارضيه وتلدحُ
فإن مفاتيح الكنوز بأسْرها ... أتته فردَّ الزاهدُ المترجِّحُ
وإن كان إبراهيم أعطى خُلةً ... وموسى بتكليمٍ على الطور يُمْنحُ
فهذا حبيبٌ بل خليلٌ مكلَّم ... وخُصِّص بالرؤيا وبالحق أشرحُ
وخُصّص بالحوض العظيم وباللِّوا ... ويَشْفع للعاصين والنار تَلفحُ
وبالمقعد الأعلى المقرَّب عنده ... عطاء بيشراه أقرّ وأفرحُ
وبالرتبة العليا الأسيلة دونها ... مراتب أرباب المواهب تلمحُ
وفى جنة الفردوس أول داخل ... له سائر الأبواب بالخار تفتح

وهذا آخر مايسر الله جمعه من الأخبار بالمغيبات التى وقعت إلى زماننا مما يدخل فى دلائل النبوة والله الهادى .

وإلى هنا ينتهى كتاب شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته وفضائله وخصائصه للإمام ابن كثير والحمد لله على عونه وفضله ؟

فهرس الموضوعات

مراجع التحقيق

إرشاد السارى لشرح صحيح البخارى للقسطلانى المطبعة الأميرية سنة ١٣٢٥ هـ
أساس البلاغة للزمخشرى طبعة دار الكتب .
الخصائص الكبرى للسيوطى طبع حيدر آباد .
دلائل النبوة لأبى نعيم الطبعة الثانية بحيدر آباد .
دلائل النبوة للبيهقى مخطوط بدار الكتب .
سنن أبى داود المطبعة التازية سنة ١٣٤٨ هـ
سنن ابن ماجه تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى .
شرح شمائل الترمذى لابن جسوس مطبعة محمد صبيح سنة ١٣٤٦ هـ
شرح صحيح مسلم المطبعة المصرية سنة ١٣٤٨ هـ
شرح المواهب للزرقانى المطبعة الأزهرية سنة ١٣٢٩ هـ
الشفا للقاضى عياض المطبعة العثمانية سنة ١٣١٢ هـ
صحيح البخارى المطبعة الأميرية سنة ١٢٨٠ هـ
صحيح مسلم بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقى .
طبقات ابن سعد طبعة الثقافة الإسلامية .
القاموس المحيط الطبعة الأميرية .
اللباب فى تهذيب الأنساب طبعة القدسى .
لسان العرب لابن منظور الطبعة الأميرية.
مراصد الاطلاع تحقيق الأستاذ على البجاوى .
مسند أحمد الطبعة الأميرية .
المشتبه فى الرجال للذهبى تحقيق الأستاذ على البجاوى .
ميزان الاعتدال فى نقد الرجال للذهبى تحقيق الأستاذ البجاوى .
النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير المطبعة الخيرية سنة ١٣١٨ هـ
الوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزى ـ تحقيق مصطفى عبد الواحد .